



اصبحان

الحاكم



www.

www.

www.

www.

.com

.org

.net

.ir

Ghaemiyeh

فاطمة الزهراء

مَوْلَانَا الْحَبِيبَةُ

الْمَوْلُودَةُ فِي رَجَبِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ

تأليف: محمد باقر
مطبعة: دار الفکر للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فاطمه الزهراء (سلام الله عليها) من المهد الى اللحد

كاتب:

محمد كاظم قزويني

نشرت في الطباعة:

دار الانصار

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	فاطمه الزهراء عليه السلام من المهد الى اللحد
١١	اشاره
١١	اشاره
١٥	الاهداء
١٦	المقدمه
١٨	المدخل
٣٥	قانون الوراثة
٣٨	زواج الرسول الأعظم
٤١	السيدة خديجه على أبواب السعاده
٤٣	كلمه خاطفه حول الماورائيات
٤٣	اشاره
٤٥	اعتزال النبي عن خديجه
٤٦	طعام الجنة
٥١	الجنين يتكلم مع امه
٥٣	فاطمه الزهراء تطل على الحياه
٥٨	التسميه
٦٠	فاطمه
٦٨	الصديقه
٧٢	المباركه
٨٢	الطاهره
٩٠	حديث كساء
٩٠	اشاره
٩٣	الشيعة و حديث الكساء

٩٤	الشعراء و حديث الكساء
١٠٣	الزكيه
١٠٤	الراضيه
١٠٥	المرضيه
١٠٦	المحدثه
١١٣	الزهراء
١١٤	البتول
١١٩	العذراء
١٢٠	حياتها و نشأتها
١٢٧	وفاه السيده خديجه الكبرى
١٣١	فاطمه الزهراء و الهجره
١٣٤	فاطمه الزهراء يوم أحد
١٣٩	مشاكل السيده فاطمه في دار أبيها
١٤١	فاطمه الزهراء على أعتاب الزواج
١٥٤	من صدق فاطمه الشفاعه يوم القيامه
١٥٦	الزفاف و مقدماته
١٦٨	الاقوال حول سنه زواجها
١٦٩	تحقيق حول أسماء بنت عميس و أم سلمه
١٧٤	بيت فاطمه
١٧٧	حياتها الزوجيه
١٨٠	اكذوبه التاريخ في حق على
١٨٥	ولاده الإمام الحسن
١٨٧	ولاده الإمام الحسين
١٩٠	ولاده السيده زينب الكبرى
١٩٤	ولاده السيده أم كلثوم
١٩٥	فاطمه الزهراء في آيه القربى

٢٠٠	فاطمه الزهراء في آيه المباهله
٢٠٣	فاطمه الزهراء في سورة هل أتى
٢٠٧	فاطمه الزهراء في آيه النور
٢٠٨	مكانه فاطمه الزهراء عند ابيها الرسول
٢٢٢	زهدها و إنفاقها في سبيل الله
٢٣٠	فاطمه الزهرا و العباده
٢٣٧	تَسْبِيح فاطمه الزهراء
٢٤١	فاطمه الزهراء و العلم
٢٤٨	حديث اللوح
٢٥٤	فاطمه الزهرا و الحجاب
٢٥٦	فاطمه الزهرا و الدعاء
٢٦٤	النبي يخبر الزهراء عن احدث المستقبل
٢٧٥	فاطمه الزهراء بعد وفاه الرسول
٢٨٧	فاطمه الزهراء في مهبط الأعاصير
٣٠٦	مدخل خطبه فاطمه الزهراء مأساه فدك و العوالي
٣٠٦	اشاره
٣١٣	حوار ساخن بين الامام على و ابي بكر
٣١٨	السر في مطالبه فاطمه الزهرا بفدك
٣٢٣	مصادر خطبه الزهرا
٣٢٦	رؤوس نقاط الخطبه
٣٢٨	الخطبه الخالده
٣٣٦	شرح الخطبه
٣٤٩	خطبه فاطمه الزهرا
٣٥٤	خطابها الى الحاضرين في المسجد
٣٥٩	كلامها حول فلسفه الأحكام
٣٧٣	خطبه فاطمه الزهرا

٣٧٩	فاطمه الزهراء تطالب بحققها المنصوب
٣٩٢	خطبه فاطمه الزهراء
٣٩٨	التحدث عن فتره الانقلاب
٤٠٧	خطبه فاطمه الزهراء
٤١٣	فاطمه الزهراء تخاصم الرئيس
٤٢٥	خطبه فاطمه الزهراء
٤٣٠	عتاب و خطاب مع المسلمين
٤٣٦	جواب ابى بكر
٤٤٠	الاعتراف بفضائل الامام على
٤٤٦	جواب فاطمه الزهراء
٤٤٨	مطابقه كلمات الرسول مع القرآن
٤٥١	جواب أبى بكر
٤٥٢	انهيار الباطل أمام حجه الحق
٤٥٤	فاطمه الزهراء توجه الخطاب إلى الحاضرين
٤٥٥	فاطمه الزهراء فى عتابها مع المتخاذلين
٤٥٦	شكوى الى رسول الله
٤٦٠	التجاسر على أهل بيت الرسول
٤٦٠	اشاره
٤٦٢	السيدة ام سلمه تستنكر
٤٦٣	رجوعها إلى الدار و كلامها مع زوجها
٤٦٧	الإمام على فى انتظار فاطمه الزهراء
٤٦٧	اشاره
٤٦٨	شكوى من فاطمه الى على
٤٧٣	الامام على يخفف عنها الآلام
٤٧٧	خطبه الزهراء فى نساء المهاجرين و الأنصار
٤٨٦	عياده النساء لفاطمه الزهراء

٤٨٨	فاطمه الزهراء تضع النقاط على الحروف
٤٨٨	اشاره
٥٠٣	مجزره خالد بن الوليد
٥٠٤	القياده الاسلاميه المفككه
٥١٧	واقعه الحره
٥٢٠	تطبيق الخبر مع الواقع
٥٢٥	مصادر الخطبه في النساء
٥٢٦	اتمام الحجه على المهاجرين و الانصار
٥٢٩	فاطمه الزهراء في بيت الأحران
٥٣٢	فاطمه الزهرا طريقه الفراش
٥٣٧	اسباب انحراف صحتها
٥٣٨	عياده الشيخين للسيدة الزهرا
٥٣٨	اشاره
٥٤٠	العياده بصوره أخرى
٥٤٤	عياده ام سلمه للسيدة فاطمه الزهراء
٥٤٦	عياده عائشه بنت طلحه للسيدة فاطمه الزهراء
٥٤٧	العباس يحاول عياده السيدة فاطمه
٥٤٩	فاطمه الزهرا على اعتاب الاخره
٥٥١	وصايا فاطمه الزهراء
٥٥٦	حنوط الجنه
٥٥٨	فاطمه الزهراء تفارق الحياه
٥٦١	ما بعد الوفاه
٥٦١	اشاره
٥٦٢	مراسم التغسيل و التكفين
٥٦٥	وداعا يا امه
٥٦٦	الصلاه على الجنازه

٥٦٩ ----- فاطمه الزهراء في مثواها الاخير

٥٦٩ ----- اشارہ

٥٧٢ ----- شكوى الى رسول الله

٥٧٨ ----- محاولات فاشله

٥٨٢ ----- الامام على في تأبين الزهراء

٥٨٧ ----- تاريخ وفاتها

٥٨٩ ----- اوقافها و صدقاتها

٥٩٠ ----- فاطمه الزهرا يوم المحشر

٥٩٤ ----- فاطمه الزهراء و الشفاعة

٦٠٠ ----- التوسل الى الله بفاطمه الزهراء

٦٠٢ ----- زياره فاطمه الزهراء

٦٠٤ ----- مواكب الشعراء في رثاء السيده الزهراء

٦٢٨ ----- ختام و اعتذار

٦٢٩ ----- تعريف مركز

اشاره

سرشناسه : قزوینی، محمد کاظم، ۱۳۰۸ - ۱۳۷۳

عنوان و نام پدیدآور : فاطمه الزهراء عليه السلام من المهد الى اللحد/محمد کاظم القزوینی.

مشخصات نشر : قم: دارالانصار، ۱۴۲۷هـ، = ۲۰۰۶م، = ۱۳۸۵.

مشخصات ظاهری : ۵۷۱ص.

شابک : ۹۶۴-۸۹۵۶-۲۱-۹

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی توصیفی

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ دوم.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

شماره کتابشناسی ملی : ۱۶۵۹۷۷۳

ص: ۱

اشاره

إلى سَيِّدنا و مَولانا بقيَّه العُترَه الطَّاهِرَه الإمام المَهدي المُتَظَر «عليه السلام».

إليه أهدى هذه الصفحات المشرقة المتألُّثه بحياه جَدَّته الصَّدِّيقه الطَّاهِرَه، ملكه الإسلام فاطمه الزهراء (صلوات الله عليها).

و أنا واثق أن هذه الخِدْمَه الضَّئِيلَه ستقع منه موقع الرضا و القَبول بإذن الله تعالى.

العراق كربلاء

محمد كاظم القزويني

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما يرضى، و صلى الله على سيدنا محمد المصطفى و آله الطاهرين سادات الورى.

و بعد: انقضت سنوات و أنا أُحدِّث نفسى أن أقوم بتأليف كتاب يتضمن ما تيسر من حياه الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء، عليها و على أبيها و بعلمها و بنيتها الصلاه و السلام.

كنت أشعر بضروره هذا العمل، وكانت رغبتى ملحه جداً، وذلك لما كنت أجده من النقص الذى يشبه الفراغ فى المكتبه العربيه والإسلاميه بالنسبه لهذه الشخصيه.

و لا- أقصد- بكلامى هذا- انتقاص الكتب و المؤلفات التى دوّنت حول ترجمه سيده نساء العالمين، بل أقصد أن تلك المؤلفات- القديمه منها و الحديثه- لا- تسد الحاجه، و لا تملأ الفراغ الذى يشعر به كل من يريد الإطلاع على حياه السيده الزهراء (عليها السلام).

و تلك المؤلفات لا- تفى بالغرض، بل هى دون مقام السيده فاطمه الزهراء و لا تؤدّى ما تستحقه شخصيه عزيزه رسول الله و أحب الناس إليه،

لأن شخصيه الصديقه الطاهره تستوجب التنويه والإشاده بها أكثر و أكثر من هذا.

ولا أدعى أننى أستطيع النهوض بهذا العبء الثقيل واستيفاء الغرض، و تحصيل الغايه كما ينبغي، بل أعترف بالعجز و القصور الملازمين لفكرى و لسانى و قلمى.

و هكذا انقضت الأيام و الأعوام، و الهواجس تعاودنى بين فتره و أخرى و هناك العوائق التى تحول دون تحقيق هذه الأمنيه.

و قبل فتره غير بعيدة هبّت علىّ عاصفه من الحوادث و خيّمّت على حياتى سحائب الهموم، فنذرت الله تعالى:- إن كشف عني الضر و السوء- أن أبادر إلى تأليف كتابٍ حول حياه الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام).

فكشف الله عني الضر برحمته، فله الحمد و له الشكر. و ها أنا قد شرعت بتحرير هذه السطور و الأوراق، و ما أدري أين ينتهى بى المطاف، و الله المستعان، و هو خير المستعان، و هو حسبى و نعم الوكيل فى المبدأ و المآل و هو خير موفق و معين.

محمد كاظم القزويني

٢٦ جمادى الثانيه ١٣٩٢ هـ

كربلا المقدسه - العراق

ص: ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمه..!

و ما أدراك من فاطمه؟!

شخصيه إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدره الله البالغه و اقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً (صلى الله عليه و آله و سلم) ليكون آية قدرته فى الأنبياء، ثم خلق منه بضعته و ابنته فاطمه الزهراء لتكون علامه و آية على قدره الله فى إبداع مخلوق أنثى تكون كتله من الفضائل، و مجموعه من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمه الزهراء أوفر حظ من العظمه، و أوفى نصيب من الجلاله بحيث لا يمكن لأيه أنثى أن تبلغ تلك المنزله.

فهى من فصيله أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمه قبل أن يعرفهم أهل الأرض، و نزلت فى حقهم آيات محكمات فى الذكر الحكيم، تتلى آناء الليل و أطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، و إلى أن تقوم القيامة.

شخصيه كلما ازداد البشر نضجاً و فهماً للحقائق، و اطلاعاً على الأسرار ظهرت عظمه تلك الشخصيه بصورة أوسع، و تجلّت معانيها و مزاياها بصُور أوضح.

إنها فاطمه الزهراء، الله يشئ عليها، و يرضى لرضاها و يغضب لغضبها.

و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ينوّه بعظمتها و جلاله قدرها.

و أمير المؤمنين (عليه السلام) ينظر إليها بنظر الإكبار و الأعظام.

و أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ينظرون إليها بنظر التقديس و الاحترام. سيده، باسمها قامت حكومات، و تأسست عروش و باسمها انتهت عروش و تقوضت حكومات.

و بحبها سوف ترى الناس يدخلون الجنة افواجا.

و لاجل الانحراف عنها سيق الذين كفروا الى جهنم زمرا.

و اننى اعتقدان الكتاب - بما فيه - يكون عظيم النفع، غزير الفائدة، حلو الحديث، تستأنس به النفس، و تستعذ به الروح إلى غير ذلك مما يدركه القارئ و لا يمكن وصفه.

إذ أن التحدث عن حياة السيدة فاطمة الزهراء يشتمل على حوادث كلها عبر و حِكم و دروس، يتعرف الإنسان بها على حياة أولياء الله و خاصته، و كيفية نظرهم إلى الحياة، و يطلّع على جانب من التاريخ الإسلامى المتعلق بحياة السيدة فاطمة الزهراء بالرغم من قصر عمرها، و أنها كانت تعيش فى خدرها، لا يطلّع أحد على معاشرتها، و سلوكها فى البيت إلا أسرتها و ذووها.

و بالرغم من أن التاريخ ظلمها، و لم يُعَرِّح لحياتها و ترجمتها اهتماماً لائقاً بها. فالتحدث عن عبقرية السيدة فاطمة الزهراء يعتبر تحدثاً عن المرأة فى الإسلام من حيث حفظ كرامتها، و الاعتراف باحترامها و شخصيتها. و يشمل التحدث نموذجاً من المرأة بصفتها بنتاً فى دار أبيها، و زوجة فى دار بعلها، و أمّاً و مربّية فى البيت الزوجى.

ولا يخلو الكلام- هنا- عن التحدث عن المرأة في الإسلام بصفتها إنسانه يُسمح لها بالعمل في الحقل الاجتماعي، و لكن في إطار محدود بحدود الدين و العفه، و المحافظه على الشرف و الكيان.

و يتّضح- ضمناً- أن الإسلام لا يحرم المرأة عن العلم و الثقافه و الأدب و المعرفه و لكن مع رعايه الابتعاد عن التبرج و الاستهتار و الاختلاط، و ما شابه ذلك مما يسبّب الويلات على المرأة المسكينه و يدمّر كيانها.

إننى أعتقد أن ليس من الممكن أن يوجد فى العالم قانون أو نظام أو جهاز يحافظ على حرمة المرأة و كيانها و شرفها أكثر من محافظه الدين الإسلامى لذلك. فالجمعيات و المنظّمات النسائية فى البلاد الإسلاميه لم تنفع المرأة أبداً بل قد جلبت عليها الشقاء بصوره فظيعة.

و قد قرأت فى بعض الصحف أن إحدى المنظّمات النسائية تطالب حكومتها أن تضع قانوناً لمنع تعدد الزوجات!!

إن المنظمه تعتبر تعدّد الزوجات ظلماً و اعتداءً على المرأة. فهي تطالب بإيقاف الرجل عند حدّه، لئلا يطمع فى أكثر من امرأه.

إن المنظمه جاهله أو متجاهله إنها بعملها هذا تفتح على المرأة أبواب الفساد و الشقاء، و تغلق عليها أبواب السعاده الزوجيه ولذه الأمومه.

فإذا خُيرت المرأة بين أن تتزوج برجل متزوج أو تبقى جليسه بيتها حتى يبيض شعرها كأسنانها، و إلى أن يأتيا الموت و هى واحده من اثنتين:

إما أن تقضى معظم حياتها- بما فى ذلك من عنفوان شبابها- بالكبت و الضغط و الحرمان من ملاذ الحياه.

و إما إن تفسح لنفسها المجال، و تطلق لنفسها الحريه الكامله، فتحضر السهرات،و تشترك فى الحفلات و تراقص الرجال و

ثم تفتتح عينها فإذا بها مفقوده الشرف، مسلوبه العفاف، محطمه الشخصيه، ملوثه الساحه، مشوّهه السمع، يرغب بها الرجال ما دامت طريقه و شهيه، فإذا فقدت محاسنها، وذلت مفاتها يمجّها كل أحد و ينبذها كل رجل.

إذا خيّرت المرأة بين عدم الزواج و حياه العزوبه التى تنتهى بها إلى أحد المصيرين المذكورين، و بين أن تتزوج برجل متزوج، و تتمتع بالسعاده الزوجيه تحت ظل العداله الإسلاميه، فهى محفوظه الشرف، سليمه العفاف، نزيهه السمع، طاهره الصحيفه و الساحه تنتج أطفالاً، و تكوّن أسر، و تصلح أجزاء المجتمع، أيهما أفضل و أحسن؟؟

هذان طريقان، لا ثالث لهما، فإن عدد النساء فى العالم أكثر من عدد الرجال، و لو اكتفى كل رجل بامرأه واحده لبقيت هناك الملايين من النساء بغير أزواج. ثم هناك رجال لا تكفيهم امرأه واحده، و هناك نساء لا تنسجم غرائزن مع غرائز أزواجهن من حيث التجاوب و الرغبه. أضنف إلى هذا كله أن المرأة فى معرض العقم و المرض و السفر إلى غير ذلك مما يطول الكلام بذكره، و لا أقصد فى كتابى هذا التطرق إلى هذه المواضع و إنما (الكلام يجزّ الكلام)، و الشئ ع بالشئ ع يذكر.

أعود- و العود أحمد- إلى حديثى عن الصديقه فاطمه الزهراء، فلا عليك أن تعلم أن من أعجب الغرائب، و أغرب العجائب أن شخصيه كشخصيه فاطمه الزهراء التى هى فى أوج العظمه، و ذروه الشرف و قمّه الفضيله- تصبح هدفاً للأفلام المسمومه، و الغارات القاسيه التى شنها بعض المسلمين و غيرهم.

و يظهر لك هذا بكل وضوح حينما تراجع كتب الأحاديث الزاخره

بفضائل هذه الشخصية، ترى إلى جانبها أحاديث افتعلتها يد الدسّ و العدا، و اختلقتها ألسنه الشحاء و البغضاء من سماسره الحديث الوضاً عين الكذابين، الذين كانوا أبواقاً للسلطات الماضيه، ينفثون بما يوحى إليهم شياطينهم من زخرف القول و الكذب و الزور و البهتان، شأن من يشتري مرضاه المخلوق بسخط الخالق.

إنهم كتبوا بأقلام العدا و محابر النفاق تلبيه لمن اشترى منهم دينهم و ضمائرهم، و هم غير مبالين بما فى تزويرهم- هذا- من حطّ مقام صاحب الشريعه النبى الأقدس (صلى الله عليه و آله و سلم) غير مكترئين بما فى كلامهم ذاك من التناقض للأحاديث المتواتره المدوّنه فى صحاحهم فى فضل السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام)

و كأنهم يعجبهم المس بكرامه الصديقه فاطمه الزهراء إجابته لنداء ضمائرهم، و هم يعلمون أنها عتره الرسول، و أحبّ الناس إليه، و عزيزته و حبيبته و كأنهم لا- يستطيعون التصريح بتدنيس ساحه الرسول الأعظم مباشرة فاختاروا الطريق الملتوى غير المباشر، كل ذلك إشباعاً لرغباتهم الجهنّميه.

و ما أدري ما هى الدوافع إلى هذا الهجوم العنيف القاسى على شخصيه فاطمه الزهراء؟

و ما هى أسباب هذا العدا العميق العجيب؟

فاليست ابنه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قرّه عينه و ثمره فؤاده، و روحه التى بين جنبيه؟!

فهل كانت الزهراء خليفه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فدفعتهم الدوافع للمسّ من كرامتها كما أساءوا إلى زوجها العظيم بنفس تلك الدوافع؟

ثم ما هذا التركيز و الإلحاح على محاربه شخصيتها؟

هل لكونها بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

فلماذا لا نجد هذه الظاهره فى حق سائر بنات النبى؟

أم لأنها زوجه الإمام على (عليه السلام)؟

فقد تزوّج الإمام أميرالمؤمنين بعدها بأربع نساء، فلماذا لا نجد هذا التهريج و الإرجاف فى حقهن؟

إننى لا أتصور للسيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) ذنباً سوى أنها كانت أحبّ الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هى المفضّله على بقيه بناته و زوجاته و أنها كانت المدافعه و المحاميه عن حقوق زوجها.

و أنها حضرت فى المسجد، و طالبت بحقوقها المغتصبه و أموالها التى جعلتها الله و رسوله لها و أنها احتجت على رئيس الدوله يومذاك (١).

و أمثالها من الفضائل و الفواضل التى خصّها الله بها دون النساء.

فهل هذه ذنوب تبرّر و تبيح للمسلمين أن يذكروها بما لا يناسب قدسيّتها و نزاهتها؟

و قد كان للمستشرقين الأجانب «من اليهود و النصارى» دور مهم فى هذا المجال فلقد حاولوا المسّ بكرامه مقدّسات الإسلام و المسلمين، فالتقطوا الأباطيل والأساطير سقطات القول و نشروها فى أوساطهم.

و جاء بعض المسلمين و ترجموا تلك الكتب المسمومه و طبعوها و نشروها فى البلاد الإسلاميه، بدون أى تعليق أو تهذيب أو تنقيح، كأن نواياهم تتفق مع المستشرقين حول محتويات تلك الكتب.

و الأفضل أن ننقل - هنا- مثلاً- لما نحن فيه- عن الجزء الثالث من

ص: ١٣

كتاب الغدير ص ١٠ للمرحوم شيخنا الأميني مع رعايه الاختصار: كتب مستشرق نصراني يسمي «إميل در منغم» كتاباً سماه «حياه محمد» و الكتاب كله كذب و زور و ضلال و دسّ و دجل، و تهجم على الإسلام و القرآن و النبي «صلى الله عليه و آله و سلم».

و قد ترجم الكتاب أستاذ فلسطيني يسمي «محمد عادل زعير» و لم يعلق على خرافات الكتاب و أساطيره و أكاذيبه، و هو يزعم أنه يراعى أمانه النقل، و ليت شعري هل التعليق على الباطل ينافي أمانه النقل؟

و من جمله أباطيل الكتاب و أضاليله قوله:

«كانت فاطمه عابسه، دون رقيه جمالاً، و دون زينب ذكاء، و لم تدار فاطمه حينما أخبرها أبوها من وراء الستر: أن علي بن أبي طالب ذكر اسمها، و كانت فاطمه تعدّ علياً ذميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، و ما كان أكثر رغبه فيها من رغبته مع ذلك.

و كان علي غير بهيّ الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين و انخفاض قصبه أنفه، و كبر بطنه و صلعه، و ذلك كله إلى أن علياً كان شجاعاً تقياً صادقاً وفياً مخلصاً صالحاً مع توان و تردد!

و كان علي غير بهيّ الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين و انخفاض قصبه أنفه، و كبر بطنه، و صلعه، و ذلك كله الى ان عليا كان شجاعا تقيا صادقا وفيا مخلصا صلحا مع توان و تردد!

و كان علي يحرد بعد كل منافره، و يذهب لينام في المسجد، و كان حموه يربّته على كتفه و يعظه و يوفق بينه و بين فاطمه إلى حين.

و مما حدث أن رأى النبي ابنته ذات مره، و هي تبكي من لكم على لها!!

إن محمداً مع امتداحه قدم على في الإسلام إرضاءً لابنته كان قليل الالتفات إليه، و كان صهرا النبي الأمويان: عثمان الكريم و أبوالعاصي أكثر

مداراه للنبي من على، و كان على يَأْلَم من عدم عمل النبي على سعادته، و من عَدَّ النبي له غير قَوَام بجليل الأعمال.

و النبي و إن كان يفَوِّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قياده إليه...

و أسوأ من ذلك ما كان يقع عند مصاقبه على و فاطمه لعدّواتهما أزواج النبي و تنازع الفريقين، فكانت فاطمه تعتب على أبيها متحسره، لأنه كان لا ينحاز إلى بناته...».

إلى غير ذلك من جنيات تاريخه سوداء سوّد بها الرجل صحيفه كتابه.

و هنا يجب شيخنا الأمينى (رضوان الله عليه) على مفتريات هذا النصرانى:

«أنا لا ألوم المؤلف - جدع الله مسامعه - و إن جاء بأذنى عناق (١) إذ هو من قوم حناق على الإسلام، و هو مع ذلك جرف منهال و سحب منجال (٢) ينمُّ كتابه عن عجزه و بجره، و إنما العتب كل العتب على المترجم الجانى على الإسلام و الشرق و العرب - و هو يحسب نفسه منها - نعم، جذب السوء (٣) يلتجئ إلى نجعه سوء، و الجنس إلى الجنس يميل.

كل ما فى الكتاب من تلكم الأقوال المختلفه و النسب المفتعله إن هى الا - كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، و تضاد ما أصفقت عليه الأمه الإسلاميه و ما أخبر به نبيها الأقدس؛

هل تناسب تقولاته فى فاطمه مع قول أبيها «صلى الله عليه و آله و سلم

ص: ١٥

١- ٢. اى جاء بالكذب و الباطل.

٢- ٣. مثل يضرب يراد انه لا يطمع فى غيره.

٣- ٤. يعنى ان الامور تتشاكل فى الجوده و الرداءه

و سلم: فاطمه حوراء إنسيه، كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها؟ (١).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ابنتي فاطمه حوراء آدميه؟ (٢).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمه هي الزهراء؟ (٣).

أو قول أم أنس بن مالك؟: كانت فاطمه كالقمر ليله البدر، أو الشمس كفر غماماً، إذا خرج من السحاب، بيضاء مشرّبه حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله شبهاً، والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها

و تغيب فيه و هو جثل أسحم (٤).

فكانها فيه نهار مشرق

و كأنه ليل عليها مظلم (٥).

و لقبها: الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليه الحال. و هل يساعد تلك التحكّيمات في ذكاء فاطمه و خلقها قول أم المؤمنين خديجة (رضى الله عنها): كانت فاطمه تُحدّث في بطن أمّها، و لما وُلدت وقعت حين وقعت على الأرض ساجده، رافعه إصبعها؟! (٦).

أو يلائمها قول عائشه: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً و دلاً و هدياً و حديثاً برسول الله في قيامه و وقوده من فاطمه كانت إذا دخلت على رسول الله قام إليه فقبلها و رَحّب بها، و أخذ بيدها و أجلسها في مجلسه؟! (٧).

و في لفظ البيهقي في «السنن: ٧ ص ١٠١: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً

ص: ١٦

١- ٥. تاريخ الخطيب البغدادي / ٥ ص ٨٦.

٢- ٦. الضوائع ٩٦ اسعاف الراغبين ص ١٧٣.

٣- ٧. نزّه المجالس / ٢ ص ١٦١.

٤- ٨. جثل الشعر: كثر و التف و اسود.

٥- ٩. مستدرّك الحاكم ٣ ص ١٦١.

٦- ١٠. سيره الملاء، ذخائر العقبي.

٧- ١١. الترمذی، و ابن عبدربه في العقد الفريد ٢ ص ٣.

و حديثاً من فاطمه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... الحديث.

و هل توافق مخاريقه في الإمام على (صلوات الله عليه) و عدم بهاء وجهه و عُدُّ فاطمه له دميماً، و كونه عابساً مع ما جاء في جماله البهي: أنه كان حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، و كأن عنقه إبريق فضه (١) ضحوك السن (٢) فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم (٣).

و أين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له:

إذا استقبلت وجه أبي تراب

رأيت البدر حار الناظرين (٤).

نعم،

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله

فالناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسداً و بغضاً: إنه لدميم

أو يخبرك ضميرك الحرُّ في على ما سلقه الرجل به من «التواني و التردد»؟ و على ذلك المقتحم في الأهوال و الضارب في الأوساط و الأعراض في المغازي و الحروب؟ و هو الذي كشف الكُرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل نازله و كارثه منذ صدع بالدين الحنيف إلى أن بات على فراشه، و فداه بنفسه، إلى أن سكن مقرّه الأخير.

أليس على هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى: «أجعلتم سقايه الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله»؟

ص: ١٧

١- ١٢. الاستيعاب ٢ ص ٤٦٩.

٢- ١٣. تهذيب الاسماء و اللغات.

٣- ١٤. حليه الاولياء ١ ص ٨٤.

٤- ١٥. تذكره سبط ابن الجوزي ص ١٠٤.

و قوله تعالى: «و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله»؟! (١).

فمتى خلى على عن مقارعه الرجال، و الذبُّ عن قدس صاحب الرساله حتى يصح أن يُعزى إليه توانٍ أو تردد فى أمر من أمور الدين؟!

غير أن القول الباطل لا حدَّ له و لا أمد.

و هل يتصور فى أمير المؤمنين تلك العِشره السيئه مع حليته الطاهره؟!

و النبى يقول له: أشبهتَ خَلقى و خُلُقى و أنت من شجرتى التى أنا منها (٢).

و كيف يراه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أفضل أمته و أعظمهم حِلماً و أحسنهم خلقاً و يقول: على خير أُمَّتى، و أعلمهم علماً، و أفضلهم حِلماً؟ (٣).

و يقول لفاطمه: إنى زَوَّجتك أقدم أُمَّتى سلماً، و أكثرهم علماً، و أعظمهم حِلماً؟ (٤).

و يقول لها: زَوَّجتك أقدمهم سلماً، و أحسنهم خُلُقاً؟ (٥).

يقول هذه كلها و عشرته تلك كما كانت بمرأى منه و مسمع؟

أفكك الدجَّالون.

كان على (عليه السلام) كما أخبر به النبى الصادق الأمين «صلى الله عليه و آله و سلم».

ص: ١٨

١- ١٦. سورة البقره: ٣. ٢.

٢- ١٧. تاريخ بغداد للخطيب ج ١١ ص ١٧١.

٣- ١٨. الطبرى، الخطب ج ١١ ص ١٧١.

٤- ١٩. مسند احمد ج ٥ ص ٢٦ الرياض النضره ٢ ص ١٩٤.

٥- ٢٠. الرياض النضره ٢ ص ١٨٢.

و هل يقبل شعورك ما قذف به الرجل (فضَّ الله فاه) علياً بلکم فاطمه بضعه المصطفى؟!

و على ذاك المقتص أثر الرسول، و ملأ- مسامعه قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) لفاطمه: إن الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك (١). و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها، فهي بضعه منى، هي قلبى و روحى التى بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني. و من آذاني فقد آذى الله (٢).

و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه بضعه منى، يرينى ما رابها، و يؤذيني ما آذاها.

و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه بضعه منى، فمن أغضبها فقد أغضبني (٣).

و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه بضعه منى، يقبضنى ما يقبضها و يبسطنى ما يبسطها (٤).

ص: ١٩

-
- ١ - ٢١. مستدرک الصحيحين للحاكم النيسابورى ٣ ص ١٥٤. التذکره لسبط ابن الجوزى ص ١٧٥ و ٣٢٠، مقتل الحسين الصواعق ١٠٥، ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ج ٢ ص ٢١٩، كنز العمال ٧ ص ١١١ الصوائق ١٠٥، ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ج ٢ ص ٧٢ طبقه القاهره، الاصابه لابن حجر العسقلانى ج ٤ ص ٣٦٦ طبعه دار الكتب المصريه و غيرها.
- ٢ - ٢٢. الفصول المهمه لابن الصباغ المالکى ١٥٠ نزهه المجالس للصفورى الشافعى ٢ ص ٢٢٨ نور الابصار للشبلنجى المصرى ص ٤٥، ارشاد السارى للقسطانى ١٤٤ / ٦ و غيرها.
- ٣ - ٢٣. صحيح البخارى ج ٥ ص ٢١ و ٢٩، خصائص النسائى ص ٣٥.
- ٤ - ٢٤. مسند احمد ٤ ص ١١٣، مستدرک الصحيحين للحكام ٣ / ١٥٤ كنز العمال ١٣ / ٩٦، تاريخ الاسلام للذهبي ٩٦ / ٢.

و هل يقتصر امتداح النبي علياً بمدح إسلامه؟! حتى يتفلسف في سرّه، و يكون ذلك إرضاءً لابنته، على أن امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمه لكان يقتصر «صلى الله عليه و آله و سلم» على قوله لفاطمه في ذلك، و كان يتأتى الغرض به، فلماذا كان يأخذ (صلى الله عليه و آله و سلم) بيد علي في الملاء الصحابي تاره و يقول: إن هذا أول من آمن بي، و هذا أول من يصفحني يوم القيامة؟

و لماذا كان يخاطب أصحابه أخرى بقوله: أوّلكم واردًا علىّ الحوض أوّلكم إسلامًا: على بن أبي طالب؟

و كيف خفي هذا السرّ المختلق على الصحابه الحضور و التابعين لهم بإحسان، فطفقوا يمدحونه بهذه الإثارة كما يروى عن سلمان الفارسي، أنس بن مالك، زيد بن أرقم، عبدالله بن عباس، عبد الله بن حجل، هاشم بن عتبّه، مالك الأشتر، عبدالله بن هاشم، محمد بن أبي بكر، عمر و بن الحمق، أبو عمر عدى بن حاتم، أبورافع، بريده، جندب بن زهير، أم الخير بنت الحراش (١).

و هل القول بقّله التفات النبي إلى علي يساعده القرآن الناطق بأنه نفس النبي الطاهر؟! أو جعل مودته أجر رسالته؟!

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) في حديث الطير المشوى، المروى في الصحاح و المسانيد: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي.

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) لعائشه: إنّ علياً أحبّ الرجال إليّ، و أكرمهم عليّ، فاعرفى له حقه، و أكرمي مثواه (٢).

ص: ٢٠

١- ٢٥. أكثر المصادر التاريخيه.

٢- ٢٦. الرياض النضرة ٢ ص ١٦١ ذخائر العقبى ٦٢.

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مِنَ الرِّجَالِ عَلِيٌّ (١).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): عَلَى خَيْرِ مَنْ أَتْرَكَهُ بَعْدِي (٢).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): خَيْرُ رِجَالِكُمْ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَخَيْرُ نِسَائِكُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (٣).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ، فَمَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ! (٤).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): مَنْ لَمْ يَقُلْ عَلَى خَيْرِ النَّاسِ فَقَدْ كَفَرَ! (٥).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): فِي حَدِيثِ الرَّايَةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: لِأَعْطَيْنَ الرَّايَةَ غَدَاً رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): عَلَى مَنْ بَعَثْتُهُ رَأْسِي مِنْ بَدَنِي أَوْ جَسَدِي؟ (٦).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): عَلَى مَنْ بَعَثْتُهُ مِنْ رَبِّي (٧).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): عَلَى أَحَبِّهِمْ إِلَيَّ، وَ أَحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ (٨).

ص: ٢١

١- ٢٧. وفي لفظ: أحب أهلي.

٢- ٢٨. مواقف الأيجي ٣ ص ٢٧٦ مجمع الزوائد ٩ ص ١١٣.

٣- ٢٩. تاريخ بغداد للخطيب ٤ ص ٣٩٢.

٤- ٣٠. تاريخ بغداد كنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير، ص ١٦ كنز العمال ٦ ص ١٥٩.

٥- ٣١. تاريخ بغداد ٣ ص ١٩٢ كنز العمال ٦ ص ١٥٩.

٦- ٣٢. تاريخ بغداد ٧ ص ١٢ الصواعق ٧٥، الجامع الصغير للسيوطي، نورالابصار ٨٠.

٧- ٣٣. السيرة الحلبية ٣ ص ٣٩١ الرياض النضرة ٢ ص ١٦٣.

٨- ٣٤. تاريخ بغداد ١ ص ١٦٠.

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلّى: أنا منك و أنت منى، أو: أنت منى و أنا منك؟ (١).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): على منى و أنا منه، و هو ولى كل مؤمن من بعدى؟ (٢).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى حديث البعث بسوره البراءه المجمع على صحته: لا يذهب بها إلا رجل منى و أنا منه؟ (٣).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): لحمك لحمى، و دمك دمنى و الحق معك (٤).

أو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما من نبى إلا و له نظير فى أُمته، و على نظيري؟ (٥).

أو ما صححه الحاكم و أخرجه الطبرانى عن أم سلمه قالت: كان رسول الله إذا أغضب لم يجترئ أحد أن يكلمه غير علي؟ (٦).

أو قول عائشه: و الله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله من على و لا فى الأرض امرأه كانت أحب إليه من امرأته؟ (٧).

أو قول بريده و أبى: أحب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من النساء فاطمه، و من الرجال علي؟ (٨).

ص: ٢٢

١- ٣٥. مسند احمد ٥ ص ٢٠٤ الخصائص للنسائي ٣٦ و ٥١.

٢- ٣٦. مسند احمد ٥ ص ٣٥٦.

٣- ٣٧. الخصائص للنسائي ٨ و غيره.

٤- ٣٨. المحاسن و المساوى ١ ص ٣١ مناقب الخارزمى ٧٦، ٨٣، ٨٧.

٥- ٣٩. الرياض النظره ٢ ص ١٦٤.

٦- ٤٠. الصوائق ٧٣ تاريخ الخلفاء للسيوطى ١١٦.

٧- ٤١. مستدرک الحاكم ٣ ص ١٥٤ الخصائص للنسائي ٢٩.

٨- ٤٢. الخصائص للنسائي ٢٩ مستدرک الحاكم ٣ ص ١٥٥.

أو حديث جميع بن عمير، قال: دخلت مع عمتي على عائشه فسألت: أى الناس أحب إلى رسول الله؟!

قالت: فاطمه.

ف قيل: من الرجال؟

قالت: زوجها، إن كان ما علمت صَوَّاماً قَوَّاماً (١).

و كيف كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقدّم الغير على على فى الالتفات إليه؟! و هو أول رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لما اطلع عليهم، كما أخبر به (صلى الله عليه و آله و سلم) لفاطمه بقوله: إن الله اطلع على أهل الأرض فاختر منه أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختر بعلك فأوحى إلىّ فأنكحته و اتخذته وصياً (٢).

و بقوله (صلى الله عليه و آله و سلم): إن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك و الآخر زوجك (٣).

إلى آخر ما ذكره شيخنا الأمينى «عليه الرحمه» فى سرد الأحاديث الصحيحه فى تزييف أباطيل ذلك الكتاب الثائ.

هذا، و التهجمات القاسيه ضدّ آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كثيره جداً و سنشير أيضاً إلى بعضها فى المستقبل بمناسبه المقام إن شاء الله.

و قبل الخوض فى صميم البحث لا بأس بذكر مقدمه كمدخل فى الموضوع.

ص: ٢٣

١- ٤٣. جامع الترمذى ص ٢٢٧ و جمع آخر.

٢- ٤٤. الطبرانى، كنز العمال ٦ ص ١٥٣، مجمع الزوائد ٩ ص ١٦٥.

٣- ٤٥. مواقف الايجى ص ٨.

و حيث أن التحدث فى هذا الكتاب إنما هو عن شخصيه فوق المستويات التى عرفها البشر فلا بدّ من تمهيد أمور لعلها تعتبر من «الماورائيات» فالشخصيه المترجمه عبقرية ماورائيه، و سيتّضح لك صدق هذا القول و صحه هذا الكلام.

ص: ٢٤

من الأمور الثابتة قديماً و حديثاً أنّ صفات الأبوين تنتقل إلى الطفل و تتركز فيه منذ تكوّنه في صلب أبيه إلى انتقاله إلى بطن أمه، و نشوّه و نموّه، و بعد الولاده و النموّ تظهر الصفات تدريجياً. بل و حتى الرضاع له تأثير عجيب في صفات الطفل المرتضع و في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا تسترضعوا الحمقاء فإن الرضاع يعدى» و قد كتب الكثيرون حول هذا القانون تفاصيل كثيرة.

على ضوء هذا القانون ينبغي أن أذكر شيئاً من ترجمه حياه والدتي السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) كي نستنتج منها بعض جوانب العظمه التي أحاطت بالسيدة فاطمه من ناحيه الوراثة و لكن البحث سيطول، و ينتقل الكتاب عن موضوعه إلى موضوع آخر، إلّا أننا نلخص الكلام في هذه الجمل الموجزه فنقول:

سيد الأنبياء و المرسلين محمد بن عبدالله (صلى الله عليه و آله و سلم) أظهر كائن و أشرف مخلوق، و أفضل موجود في العالم كله، لأجله خلق الله الكائنات، و لا يوجد في الكون شرف أو فضيله أو مكرمه إلّا و أوفى نصيبٍ ممكنٍ منها متوفر في الرسول العظيم.

هذه عصاره الخلاصه مما يمكن أن يقال في حق الرسول، و ليس في هذا التعبير شيء من الغلو و المبالغه، بل هو كقولنا: الشمس مشرقه، و العسل حلو.

هذا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و قد انحدرت الزهراء

من صلبه.

و أما السيده خديجه، فكانت امرأه بيضاء، طويله حسناء، شريفه فى قومها، عاقله فى أمورها، لها نصيب وافر من الذكاء، و بصيره فى الأمور، تعتمد على نفسها و شخصها، تدير عجله التجاره بفكرها الوقاد، و تعرف مبادئ الاقتصاد و التصدير و الاستيراد.

هذا بصفتهها إنسان أو بصفتهها امرأه.

و أمّا بصفتهها زوجه فقد بذلت تلك الآلاف المؤلفه من أموالها لزوجهها الرسول يتصرّف فيها حسب رأيه، و كان لأموال خديجه كل التأثير فى تقويه الإسلام يومذاك إذ كان الدين الإسلامى فى دور التكوين، و كان بأمس الحاجه إلى المال، فقَيّض الله للإسلام أموال خديجه، و بالفعل تحقق الهدف.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «ما نفعنى مالٌ قطُّ مثل ما نفعنى مال خديجه».

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يفكك من مالها الغارم و العانى، و يحمل الكَلَّ، و يعطى فى النائبه و يرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكه، و يحمل من أراد منهم الهجره، و كان ينفق منه ما شاء فى حياتها، ثم ورثها هو و ولّدها بعد مماتها (1).

و بهذا يتضح كلام الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم): «ما قام و لا استقام الدين إلاّ بسيف على و مال خديجه».

و كانت معاشرتها للرسول فى حياتها الزوجيه تستحق كل تقدير

ص: ٢٦

و تعظیم، و لهذا كان الرسول إذا ذكرها أو ذكرت عنده بعد وفاتها ترخّم عليها، و انكسر قلبه عليها و ربما جرت عبرته على خده حزناً عليها.

و ذات يوم ذكر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) خديجه فقالت عائشه: عجوز كذا و كذا قد أبدلك الله خيراً منها!! فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ما أبدلني منها، لقد آمنت بي حين كفر بي الناس، و صدّقتني حين كذّبنى الناس، و أشركتني في مالها حين حرمني الناس، و رزقني الله ولدها، و حرمني ولد غيرها [\(١\)](#).

ص: ٢٧

تزوَّج الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيدة خديجه الكبرى و هو ابن خمس و عشرين سنه، و هى بنت أربعين سنه، و قيل: سته و عشرين سنه (١).

و قيل: ثمانيه و عشرين سنه (٢).

و يقال إنها كانت قد تزوّجت قبل الرسول بزوجين متعاقبين، و قيل: بل كانت عذراء يوم تزوجها الرسول و لكنه غير مشهور.

لم يكن زواج الرسول بالسيدة خديجه يشبه الزواج المتعارف بين الناس بل يعتبر هو الزواج الوحيد من نوعه، إذ لم يكن ذلك القرآن الميمون نتيجة حُب و غرام، بل لم يكن هناك دافع مادّي أو ما يشبهه من الأغراض التى كثيراً تحدث فى زواج العظماء من جوانب السياسه.

بل لم يكن هناك تناسب بين الرسول و بين السيدة خديجه من حيث الحياه الاقتصاديه، فالرسول العظيم كان يعيش تحت كفاله عمّه الفقير أبى طالب.

و السيدة خديجه هى أثرى و أغنى امرأه فى مكه، فهناك بون شاسع فى مستوى المعيشه بين هذا و تلك.

ص: ٢٨

١- ٤٨. جنات الخلود.

٢- ٤٩. البحار ج ١٦.

و لكن السيده خديجه كانت قد علمت أو سمعت أن للرسول مستقبلاً متلائئاً واسع النطاق، و لعلّ غلامها (ميسره) هو الذى حدّثها بما جرى للرسول فى أثناء رحلته إلى الشام قصد التجاره بأموال خديجه، أو بلغها كلام راهب دير بُصرى قرب الشام فى حق الرسول.

فهنا اقترحت السيده خديجه قضيه الزواج، و فاتحت الرسول، و طلبت منه أن يطلب يدها من والدها خويلد أو عمّها «على قولٍ». لكن الرسول كان يفضّل أن يتزوَّج بامرأه فقيره تنسجم حياتها مع حياه، و اعتذر من خديجه، و امتنع من تلبية طلبها لهذا السبب. لكن السيده خديجه العاقله اللبيه الفاضله أجابته بأنها تهب نفسها للنبي، فهل يصعب عليها أن تبذل أموالها له، و تجعلها تحت تصرّف الرسول؟

و طلبت من الرسول أن يرسل أعمامه إلى أبيها خويلد ليخطبوها.

هنا.. فوجئ أعمام الرسول بهذا النبأ الوحيد من نوعه، و استولت الدهشه على عمات الرسول حينما سمعن منه الخبر.

إنّه لعجيب!!

سيده تملك الآلاف من الأموال، و يعيش العشرات و المئات من العملاء و الأجراء من بركات أموالها و تجارتها القائمه صيفاً و شتاءً، بين اليمن و مكه و بين مكه و الشام.

سيده خطبها الأمراء و الأشراف فرفضتهم.

هكذا سيده كيف تقدم نفسها هبّه لشاب فقير يعيش تحت كفاله عمّه الفقير أبى طالب؟

فيا ترى هل صدقت خديجه فى تقديم نفسها للرسول؟

و هل لهذا الخبر نصيب من الحقيقه؟

قامت صفيه بنت عبدالمطلب «عمه النبى» و توجهت إلى دار خديجه للتحقيق عن الخبر، و إذا بها تجد الترحيب و الاستعداد بجميع معنى الكلمه.

ص: ٣٠

السيدة خديجه على أبواب السعادة

رجعت صفيه إلى أخوتها «أعمام النبى» و أخبرتهم بصدق الخبر، و استولت الفرحة على أعمام النبى، فرحه ممزوجه بالتعجب و الدهشه و الدهول.

فإن خديجه خطبها الأمراء و أشراف العرب فرفضت و لم توافق، إذ إنها لم ترهم لها أكفاءً، فما الذى دعاها إلى انتخاب هذا الزوج الفقير الذى لا يملك من حطام الدنيا تبراً، و لا من الأرض البسيطة شبراً؟

يا للعجب العجاب!!

قام أعمام النبى و قصدوا دار خديجه، و خطبوها من أبيها خويلد أو عمّها، فامتنع ثم وافق بعد ذلك.

ثم لابدّ من تقديم مبلغ من المال صداقاً يليق بمقام خديجه، فكيف يمكن تحصيل هذا المال؟ و من أين؟ و من الذى يتبرع بالصداق؟

و إذا بالسيدة خديجه تباغتهم مره أخرى، و تدفع إلى الرسول أربعة آلاف دينار هديه، و تطلب منه أن يجعل ذلك المبلغ صداقاً لها و يقدّمه إلى أبيها خويلد. و فى روايه: أن أباطالب هو الذى دفع الصداق من ماله.

إن كانت السيدة خديجه تؤمن بالقيم، و تضجّ بالماده فى سبيل تحصيل الشرف فإن أباه خويلد لم يكن يحمل هذه الفكره، و كثيراً ما تجد التفاوت الكثير بين ثقافه الأب و ابنه أو ابنته.

و هذا الاختلاف فى التفكير موجود بين طبقات الناس، و حتى بين الأخ و أخيه، و الرجل و زوجته، و الأب و ما ولد.

كانت هذه المبادره نادره عجيبه جداً، فلم يعهد أحد فى العرب أن المرأه تقدّم الصداق لزوجها، فلا عجب إذا هاج الحسد بأبى جهل و قال: «يا قوم رأينا الرجال يمهرّون النساء، و ما رأينا النساء يمهرّون الرجال».

فجيبه أبوطالب مغضباً: «ما لك؟ يا لكع الرجال! مثل مُحمد يُحمل إليه و يُعطى، و مثلك يُهدى و لا يُقبل منه»

أو قال: «إذا كانوا مثل ابن أخى هذا، طلبت الرجال بأعلى الأثمان و أعظم المهر، و إذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلّا- بالمهر الغالى».

و تمّ الزواج المبارك الميمون على أحسن ما يرام، و انتقل الرسول إلى دار السیده خديجه، فكانت خديجه تشعر أنها فى أسعد أيام حياتها إذ أنها و صلت إلى أعلى أمانيتها و أحلى أحلامها.

و أنجبت السیده خديجه أولاداً ماتوا كلهم فى أيام الصغر، و أنجبت بنات أربع: زينب و أم كلثوم و رقيه و فاطمه الزهراء، و كانت فاطمه أصغرهنّ سنّاً و أجلّهنّ شأنّاً و أعظمنّ قدراً.

و هناك اختلاف بين المؤرخين و المحدثين حول البنّتين الأوليين، فقليل: إنهما ليستا من بنات النبى، و الصحيح أنهما من بناته و صلبه، و سيأتى الكلام حول ذلك فى المستقبل بالمناسبه بإذن الله (١).

ص: ٣٢

هذه هي السيده خديجه الكبرى، و هذا بعض مناقبها و فضائلها التي تعتبر كل فضيله منها مثلاً رائعاً للإنسان الكامل، و هذه السيده هي التي أنجبت السيده فاطمه الزهراء، و أرضعتها اللبن الممزوج بالمواهب و الفضائل. و فاطمه الزهراء سليله أبوين هذا بعض ما يتعلق بحياتهما و محاسنهما، و هذه نظره خاطفه أو صوره مصغره يمكن لنا أن ننظر منها إلى عبقرية سيدتنا فاطمه الزهراء و بذلك تظهر لنا زاويه من حياتها على ضوء الوراثة.

و هناك حقائق ثابتة لا- يمكن إنكارها، و قد صرحت بذلك أحاديث شريفه كثيره متواتره عن الرسول الاقدس و اهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) لم يكتشفها العلم الحديث و لم تصل اليها الا اكتشافات الحديثه بالرغم من وصولها الى الذره فمافوقها و الى الكواكب فمادونها.

تلك الحقائق لامجال للالات و المجاهران تعزوها و تحيط بها علما، و لا طريق لعدسات التصوير ان تلتقطها و لو بالاشعه البنفسجيه و ما فوق البنفسجيه.

و تقشل دون ادراكها مقاييس الطبيعه و المنطق، فالحقيقه فوق ادراك الماده و الموازين المنطقيه، فلا تدرك بالحواس الخمس (البصره، السامعه، شئت ان تسميها (الماورائيات) فلك ذلك.

و قبل عرض تلك الحقائق لابدّ من تمهيد مقدمه موجزه فنقول: إن النطفه التى تنعقد- فى الرحم و يتكوّن منها الجنين - انما تتكوّن من الدم، و الدم يستخلص من الطعام بعد إنهاء عمليات الهضم و النضج و الطبخ فى المختبرات التى يحتويها الجسم، فلا شك أن النطفه المتكوّنه من الدم المستخلص من لحم الخنزير أو الخمر «مثلاً» تختلف عن النطفه المتكوّنه من الدم المستخلص من لحم الغنم أو ما أشبه ذلك، لأن نوعيه هذا اللحم تختلف اختلافاً كبيراً عن نوعيه ذاك، فكذاك تختلف منتجات كل واحد منهما.

و للطعام تأثير خاص فى روح الإنسان و نفسه، فهناك أطعمه مفرّحه للقلب، مهدئه للأعصاب، تخفف عن توترها، و هناك أطعمه مفعولها عكس ذلك.

و للطعام الحلال و الطاهر تأثير فى نفس الإنسان و روحه، بعكس الطعام النجس كالخمر أو الحرام كالمسروق و المغصوب.

و نفس التأثير يظهر فى النطفه التى تنعقد من الطعام الحلال أو الحرام، أو الطاهر أو النجس، و لو أردنا استعراض الشواهد و إقامه الأدله و البراهين على ذلك لطلال بنا الكلام و خرج الكتاب عن أسلوبه و موضوعه المقصود.

و على هذا الغرار فللطعام الذى يأكله الأبوان كل التأثير فى توجيه الطفل و تسييره نحو الخير و الشر، إذ من ذلك الطعام تتكون النطفه، ثم تنتقل من صلب رجل إلى رحم زوجته، و تلتصق بجدار الرحم، و تنمو و تكبر حتى تكمل جنيناً تاماً.

فالطعام من حيث النوعيه و من حيث الحكم الشرعى كالحلال و الحرام، و الطاهر له تأثير عجيب مدهش فى مصير الطفل، و كيفيه تفكيره فى الأمور و اختيار لحياه الدينيه، و توجيهه نحو الاعتدال

و الاستقامه أو الانحراف و الانجراف.

و كذلك الحاله النفسيه الموجوده عند الزوجين عند العمليه الجنسيه لها كل التأثير فى مقدّرات الطفل و حالاته و نفسياته فى المستقبل.

فالخوف و القلق لهما أسوأ الأثر فى مستقبل الطفل المسكين، و بالعكس الطمأنينه و الهدوء النفسى له أحسن الأثر فى الطفل.

كذلك الرغبه الملحه و الشوق الشديد يؤثر فى جمال الطفل و حسنه و ذكائه، بينما عدم الرغبه و ضعف الشهوه بسبب خلاف ذلك.

و انطلاقاً من هاتين النقطتين: نقطه تأثير الطعام و نقطه تأثير الحاله النفسيه ننتقل بالقراء إلى طائفه من الأحاديث المتواتره، فقد ذكر شيخنا المجلسى (قدّس سره) فى الجزء السادس عشر من البحار هذا الحديث الشريف:

اعتزال النبى عن خديجه

... هبط جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فناداه يا محمد! العلى الأعلى يقرأ عليك السلام، و هو يأمرك أن تعتزل خديجه أربعين صباحاً.

فشقّ ذلك على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان لها محبباً و بها وامقاً (محبباً) فأقام النبى أربعين يوماً يصوم النهار و يقوم الليل، حتى إذا كان فى آخر أيامه تلك. بعث إلى خديجه بعمار بن ياسر و قال: قل لها: يا خديجه لا تظنى أن انقطاعى عنك هجره و لا قلى، و لكن ربى أمرنى بذلك لينفد أمره، فلا تظنى يا خديجه إلاّ خيراً، فإن الله (عز و جل) ليباهى بك كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنّك الليل فأجيفى (ردّى) الباب، و خذى مضجعك من

فراشك، فإنى فى منزل فاطمه بنت أسد.

فجعلت خديجه تحزن كل يوم مراراً لفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما كان فى كمال الأربعين هبط جبرئيل فقال: يا محمد! العلى الأعلى يقرئك السلام و هو يأمرك أن تتأهب لتحيتته و تحفته.

طعام الجنة

فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): يا جبرئيل و ما تحفه رب العالمين و ما تحيته؟؟

فقال جبرئيل: لا علم لى.

فبينما النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك إذ هبط ميكائيل و معه طبق مغطى بمنديل سندس أو إستبرق، فوضعه بين يدى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و أقبل جبرئيل (عليه السلام) و قال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

قال على بن أبى طالب (عليه السلام): كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد أن يفطر أمرنى أن أفتح الباب لمن يرد من الأقطار فلما كان فى تلك الليلة أقعدنى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على باب المنزل و قال: يا بن أبى طالب إنه طعام محرّم إلا على.

قال على (عليه السلام): فجلست على الباب، و خلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطعام، و كشف الطبق، فإذا عذق من رطب، و عنقود من عنب، فأكل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) منه شبعاً و شرب من الماء رياءً، و مدّ يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرئيل، و غسل يده ميكائيل و تمندله إسرافيل، و ارتفع فاضل (باقى) الطعام مع الإناء إلى السماء.

ثم قام النبى ليصلى فأقبل عليه جبرئيل و قال: الصلاة محرّمه عليك

فى وقتك حتى تأتى إلى منزل خديجه فتواقعها، فإن الله (عز و جل) آلى (حلف) على نفسه أن يخلق من صلبك هذه الليله ذريه طيبه.

فوثب النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى منزل خديجه؛

قالت خديجه: و قد كنت قد ألفت الوحده، فكان إذا جئنى الليل غطيت رأسى، و سجفت (أرسلت) سترى و غلقت بابى، و صليت و ردى، و أطفأت مصباحى، و آويت إلى فراشى؛ فلما كانت تلك الليله لم أكن نائمه و لا بالمنتبهه إذ جاء النبى فقرع الباب، فناديت: من هذا الذى يقرع حلقه لا يقرعها إلا محمد؟

فنادى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بعدوبه كلامه و حلاوه منطقه: افتحى يا خديجه فإنى محمد.

قالت خديجه: فقمتم مستبشره بالنبى، و فتحت الباب، و دخل النبى المنزل.

و كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاه، ثم يقوم فيصلى ركعتين يوجز فيهما، ثم يأوى إلى فراشه.

فلما كانت تلك الليله لم يدعُ بالإناء و لم يتأهب للصلاه... بل كان بينى و بينه ما يكون بين المرأه و بعلها، فلا و الذى سمك السماء، و أنبع الماء؛ ما تباعد عنى النبى حتى حسست بثقل فاطمه فى بطنى... الى آخره (١).

نستفيد من هذا الحديث أموراً:

١- إن الله تعالى أمر نبيه أن يعتزل خديجه، و أن ينقطع عن رؤيتها لفته حتى يزداد بها شوقاً و رغبه.

٢- اشتغاله بالمزيد من العباده للمزيد من روحانيه النفس و سموها

ص: ٣٧

و تعاليتها بسبب الاتصال بالعالم الأعلى.

٣- إفطاره بالتحفه السماويه الطاهره، السريعه التحول إلى النطفه بسبب لطافتها.

٤- تكوّن النطفه من طعام سماوى لطيف، لا يشبه الأطحمه الماديه.

٥- التوجه إلى دار خديجه فوراً استعداداً لانتقال النطفه مع تلك المقدمات. وقد ذكر هذا الحديث - من علماء العامه - بتغيير يسير كل من:

١- الخوارزمي في مقتل الحسين ص ٦٣-٦٨.

٢- الذهبى فى الاعتدال ج ٢ ص ٢٦.

٣- تلخيص المستدرک ج ٣ ص ١٥٦.

٤- العسقلانى فى لسان الميزان ج ٤ ص ٣٦.

ثم هناك أحاديث كثيره بهذا المعنى مع اختلاف يسير فى ألفاظها، و اتفاقها حول النقطة الجوهرية، و هى انعقاد نطفه السيده فاطمه الزهراء من طعام الجنه و نذكر من بعض تلك الأحاديث الجملة المرتبطه بالموضوع رعايه للاختصار، فنقول:

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): لما عُرج بى إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلنى الجنه فناولنى من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفه فى صلبى فلما هبطت وقعت خديجه، فحملت بفاطمه، ففاطمه حوراء إنسيه، فكلما اشتقت إلى رائحه الجنه شممت رائحه ابنتى فاطمه (١).

عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبدالله قال: قيل لرسول

ص: ٣٨

١- ٥٢. الامالى للصدوق.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنك لتلثم فاطمه و تلزمها و تدنيه منك... و تفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إن جبرئيل أتاني بتفاحه من تفاح الجنة فأكلتها فتحول ماءً في صلبى ثم وقعت خديجه فحملت بفاطمه.

و أنا أشم منها رائحه الجنه (١).

و عن ابن عباس قال: دخلت عائشه على رسول الله و هو يقبل فاطمه، فقالت له: أتجها يا رسول الله؟

قال: أما والله لو علمت حبى لها لازددت لها حباً، إنه لما عرج بى إلى السماء الرابعه...

إلى أن يقول: فإذا برطب ألين من الزبد، و أطيب من المسك، و أحلى من العسل، فأخذت رطبه فأكلتها فتحولت الرطبه نطفه في صلبى، فلما أن هبطت إلى الأرض وقعت خديجه فحملت بفاطمه، ففاطمه حوارء إنسيه، فإذا اشتقتُ إلى الجنه شممتُ رائحه فاطمه (٢).

و قد روى هذا الحديث بالفاظ مختلفه كل من:

١- الخطيب البغدادى فى تاريخه ج ٥ ص ٨٧.

٢- الخوارزمى فى مقتل الحسين ص ٦٣.

٣- الحافظ الذهبى فى مقتل الحسين ص ٦٣.

٤- الزرندى فى (نظم درر السمطين).

٥- العسقلانى فى لسان الميزان ج ٥ ص ١٦٠.

٦- القندوزى فى ينابيع الموده.

٧- محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٣٤.

ص: ٣٩

١- ٥٣. علل الشرائع.

٢- ٥٤. البحار ج ١٦.

و هذه الأحاديث مرويه عن عائشه و ابن عباس و سعيد بن مالك و عمر بن الخطاب. ٨- و روى ذلك الشيخ شعيب المصري في (الروض الفائق) ص ٢١٤ قال: «روى بعض الرواه الكرام: أن خديجه الكبرى (رضى الله عنها) تمت يوماً من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهه دار السلام، فأتى جبرئيل إلى المفضل على الكونين من الجنة بتفاحتين و قال: يا محمد يقول لك من جعل لكل شىء قدرًا: كل واحده و أطعم الأخرى لخديجه الكبرى، و أغشها، فإنى خالق منكما فاطمه الزهراء. ففعل المختار ما أشار به الأمين و أمر...

إلى أن قال: فكان المختار كلما اشتاق إلى الجنة و نعيمها قبل فاطمه و شم طيب نسيمها، فيقول - حين يستنشق نسمتها القدسيه: إن فاطمه حوراء إنسيه».

و هناك روايات متواتره بهذا المضمون، و اكتفينا بما ذكرنا.

بقيت هنا كلمه لا بأس بالإشاره إليها، و هى أن الأحاديث كما تراها تصرح بأن السيده خديجه حملت بفاطمه (عليها السلام) بعد المعراج مباشره، و كان المعراج على ما هو المذكور فى بعض كتب الحديث فى السنه الثالثه من المبعث، و فى بعضها: فى السنه الثانيه و قيل غير ذلك.

و ستأتيك طائفه من الأحاديث من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) تصرح بولادتها بعد المبعث بخمس سنين، و معنى هذا أنها بقيت فى بطن أمها أكثر من عامين، و هذا غير صحيح قطعاً، فكيف يمكن الجمع بين القولين؟.

يمكن أن تُحلَّ هذه المشكله بما يلى:

١- إن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عُرج به إلى السماء

أكثر من مره كما فى كتاب الكافى (١) و هذا عندى أحسن الوجوه.

٢- الأخذ بالقول المروى بولادتها فى السنه الثانيه أو الثالثه من المبعث (كما سيأتى) و هذا يتفق مع القول بالمعراج فى تلك السنه نفسها، و خاصه بعد الالتفات إلى اختلاف الأقوال حول الشهر الذى كان فيه المعراج.

الجنين يتكلم مع امه

و من جمله مزايا السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) أنها كانت تكلم أمها خديجه و هى فى بطنها.

و لم ينفرد علماء الشيعة بذكر هذه الفضيله، بل شاركهم كثير من علماء العامه و محدثيهم، فقد روى عبدالرحمن الصفورى الشافعى فى (نزهه المجالس) ج ٢ ص ٢٢٧: (قالت أمُّها خديجه (رضى الله عنها): لما حملتُ بفاطمه كانت حملاً خفيفاً، تكلمنى من باطنى).

و روى الدهلوى فى (تجهيز الجيش) عن كتاب (مدح الخلفاء الراشدين): «أنه لما حملت خديجه بفاطمه كانت تكلمها ما فى بطنها، و كانت تكتمها عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فدخل عليها يوماً وجدها تتكلم و ليس معها غيرها، فسألها عمن كانت تخاطبه فقالت: ما فى بطنى، فإنه يتكلم معى.

فقال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): أبشرى يا خديجه، هذه بنت جعلها الله أم أحد عشر من خلفائى يخرجون بعدى و بعد أبيهم».

و ذكر شعيب بن سعد المصرى فى «الروض الفائق ص ٢١٤: فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر، و قد بان لخديجه حملها بفاطمه

ص: ٤١

و ظهر، قالت خديجه: وا خبيّه من كذب محمداً و هو خير رسول ربى.

فنادت فاطمه- من بطنها: يا أمّاه لا- تحزنى و لا ترهبى، فإن الله مع أبى. فلما تم حملها و انقضى، وضعت فاطمه فأشرق بنور وجهها الفضاء.

و قد مرّ عليك فى (المقدمه) الحديث المروى عن السیده خديجه حول تكلم السیده فاطمه الزهراء و هى فى بطن أمّها.

ص: ٤٢

من العجب: الاختلاف الواضح فى تاريخ ولادتها، و أنها هل كانت قبل المبعث أو بعده؟ فإنك تجد طائفه كبيره من الأحاديث تصرّح بولادتها بعد المبعث بخمس سنين أو ثلاث سنين، و تجد كميه من الأقوال التى تلحّ و تركز على ميلادها قبل المبعث بخمس سنين، و تجد القول الأول للشيعة مروياً عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و يوافقهم بعض علماء العامه.

و القول الثانى خاص بعلماء العامه و محدّثيهم.

و إليك بعض تلك الأحاديث حول ميلادها بعد المبعث:

١- الكافى (للكلىنى): ولدت بعد النبوه بخمس سنين و بعد الإسراء بثلاث سنين، و قبض النبى و لفاطمه يومئذٍ - ثمانى عشره سنه!... الى آخره.

٢- المناقب (لابن آشوب): ولدت فاطمه بعد النبوه بخمس سنين، و بعد الإسراء بثلاث سنين فى العشرين من جمادى الآخره، و أقامت مع أبيها بمكه ثمانى سنين ثم هاجرت... الى آخره.

٣- و فى (الكافى) عن الإمام الباقر (عليه السلام): ولدت فاطمه بنت محمد بعد مبعث رسول الله بخمس سنين، و توفيت و لها ثمانى عشره سنه و خمسه و سبعون يوماً.

٤- روضه الواعظين: ولدت فاطمه بعد مبعث النبى بخمس سنين... الى آخره.

٥- إقبال الأعمال: قال الشيخ المفيد في كتاب (حدايق الرياض): يوم العشرين من جمادى الآخرة كان مولد السيدة فاطمة الزهراء
سنه اثنتين من المبعث.

٦- مصباح الكفعمي: ولدت في العشرين من جمادى الآخرة يوم الجمعة سنه اثنتين من المبعث، و قيل سنه خمس من المبعث.

٧- مصباح الكفعمي و الطوسي: في اليوم العشرين من جمادى الآخرة يوم الجمعة سنه اثنتين من المبعث كان مولد فاطمه
(عليها السلام) في بعض الروايات، و في روايه أخرى: سنه خمس من المبعث، و العامه تروى أن مولدها قبل المبعث بخمس
سنيين.

٨- دلائل الإمامه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ولدت فاطمه في جمادى الآخرة العشرين منها سنه خمس و أربعين من
مولد النبي... إلى آخره (١).

هذه نبذه من أقوال أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و قدماء علماء الشيعة (رحمهم الله) حول ولاده السيدة فاطمه الزهراء
(عليها السلام) بعد المبعث.

و أما أقوال علماء العامه:

١- معرفه الصحابي لأبي نعيم: إن فاطمه كانت أصغر بنات رسول الله سنًا، ولدت و قریش تبني الكعبه.

٢- مقاتل الطالبين لأبي الفرج: كان مولد فاطمه قبل النبوه و قریش حينئذ تبني الكعبه.

٣- ابن الأثير في (المختار من مناقب الأخيار).

ص: ٤٤

١- ٥٦. التقطنا هذه الاحاديث من بحار الانوار ج ٤٣.

٤- الطبري في (ذخائر العقبى).

٥- السيوطي في (الثغور الباسمه).

هذا ولعل الباحث يجد هذا القول في أكثر كتب العامه حول مولد الزهراء.

وقد مرت عليك طائفه من الأحاديث المرويه عن كتب العامه حول انعقاد نطفتها من طعام الجنه.

بعد الإطلاع على هذه الأحاديث و لو بصورة موجزه يتضح لنا أنَّ ولاده السيده الزهراء كانت قبل المبعث، إذ لم يكن قبل المبعث معراج ولا هبوط جبرئيل ولا ميكائيل على النبي بالوحى، وبهذا ينكشف لنا تزوير الأقوال المصرحه بولادتها قبل المبعث بخمس سنين و أن القائلين بذلك لهم غايه تدفعهم، و هدف يدعوههم إلى اختلاق هذا القول، و هو نفس الأحاديث الوارده عن نزول الطعام من السماء و انعقاد نطفه السيده فاطمه من أطعمه الجنه و ثمارها.

و هدف آخر: و هو أنَّهم يحاولون أن يثبتوا أن فاطمه الزهراء كان مزهوداً فيها، و لا يرغب فيها أحد، و لهذا بلغت من العمر ثمانيه عشر سنه (على زعمهم) و لم يخطبها أحد فى خلال تلك الفتره.

و سيأتى مزيد من القول حول هذا الموضوع فى المستقبل فى فصل البحث عن زواجها. وعلى كل.. فقد روى الطبري في (ذخائر العقبى) و الصفورى الشافعى فى (نزاهه المجالس) و القندوزى فى (ينابيع الموده) عن خديجه (عليها السلام) قالت:.... فلما قربت ولادتي أرسلت إلى القوابل من قريش فأبين عليَّ لأجل محمد (صلى الله عليه و آله و سلم).

فبينما أنا كذلك إذ دخل عليَّ أربع نسوه، عليهن من الجمال و النور

ما لا يوصف، فقالت إحداهن: أنا أمك حواء. وقالت الأخرى: أنا آسيه. وقالت الأخرى: أنا أم كلثوم (كلثم) أخت موسى، و قالت الأخرى: أنا مريم، جئنا لنلى أمرك.

و قد ورودت هذه الروايه بصورة أخرى:

... فلما أرادت خديجه أن تضع بعثت إلى نساء قريش ليأتينها فيلين منها ما تلى النساء ممن تلد، فلم يفعلن، و قلن لا نأتيك، قد صرت زوجه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم).

فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة، عليهن من الجمال و النور ما لا يوصف، فقالت لها إحداهن: أنا أمك حواء، و قالت الأخرى: أنا آسيه بنت مزاحم، و قالت الأخرى: أنا كلثم أخت موسى و قالت الأخرى: أنا مريم بنت عمران (أم عيسى). جئنا لنلى من أمرك ما يلي النساء.

قال: فولدت فاطمه.

فوقعت - حين وقعت - على الأرض ساجده رافعه إصبعها.

و روى عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبدالله الصادق (عليه السلام): كيف كانت ولادة فاطمه؟

فقال نعم.... فلما حملت [خديجه] بفاطمه، كانت فاطمه تحدثها من بطنها و تصبرها، و كانت تكتم ذلك من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فدخل رسول الله يوما فسمع خديجه تحدث فاطمه فقال لها: يا خديجه من تحدثين؟

قالت: الجنين الذى فى بطنى يحدثنى و يونسنى.

قال: يا خديجه هذا جبرئيل يخبرنى انها انثى، و انها النسله الطاهره الميمونه، و ان الله تبارك و تعالى سيجعل نسلها منها، و سيجعل من نسلها ائمه و يجعلهم خلفاءه فى ارضه، بعد انقضاء وحيه.

... ثم اشار (عليه السلام) الى نزول النسوة الاربع على خديجه لمساعدتها على امر الولاده...

ثم قال (عليه السلام): فوضعت [خديجه] فاطمه مطهره، فلما سقطت الى الارض، اشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة....

و دخل عشر من الحورالعين، كل واحده منهن معها طست من الجنة و ابريق من الجنة، و فى الابريق ماء من الكوثر، و اخرجت خرقتين بيضاوين - اشد بياضا من اللبن، و اطيب ريحا من المسك و العنبر - فلفتها بواحدة و قنعتها بالثانية.

ثم استنطقتها، فنطقت فاطمه بالشهادتين و قالت: اشهد لا اله الا الله، و ان ابى رسول الله سيد الانبياء، و ان بعلى سيد الاوصياء، و ولدى سادة الاسباط.

ثم سملت [فاطمه] عليهن، و سمت كل واحده منهن باسمها، و اقبلن يضحكن اليها، و تابشرت الحورالعين، و بشراهل السماء بعضهم بعضا بولاده فاطمه.

و حدث فى السماء نور زاهر، لم تره الملائكة قبل ذلك.

و قالت النسوة: خذيها يا خديجه طاهره مطهره زكيه ميمونه، بورك فيها و فى نسلها.

فتناولتها فرحه مستبشرة، و القمتها ثديها فدر عليها (١).

و روى ابن عساكر فى التاريخ الكبير: و كانت خديجه اذا ولدت ولدا، دفعته لمن يرضعه، فلما ولدت فاطمه لم ترضعها احد غيرها.

و رواه ابن كثير فى البدايه و النهايه.

ص: ٤٧

تعتبر تسميه الطفل المولود أو التسميه (بصوره عامه) من سنن الله تعالى الأولى وقد سَمَّى الله تعالى آدم وحواء يوم خلقهما، و علم آدم الأسماء كلها، وقد سار الناس على هذه السنه أو السيره. فالتسميه لا بد منها عند البشر المتحضّر، و لعل البشر المتوحش فى الغابات بسبب ابتعادهم عن الحضاره- لا يعرفون التسميه و لا يسمّون.

و تختلف أسماء البشر على مرّ الأجيال و العصور، و على اختلاف لغاتها فقد توجد هناك مناسبه بين الاسم و المسمّى، و قد لا توجد، و قد يكون للإسلام معنى فى قاموس اللغه و قد لا يكون له معنى، بل هو اسم مخترع لا من ماده لغويه.

أما أولياء الله فإنّ التسميه تعتبر عندهم ذات أهميه كبرى، و لا يخلو الأمر عن الحقيقه، أنّ الإنسان ينادى و يدعى باسمه، فكم هناك فرق بين الاسم الحسن الجيّد، و بين القبيح السيئ؟!

و كم فرق بين تأثير نفس صاحب الاسم بهذا و ذاك و هكذا تأثر السامع للاسم؟ فهذه امرأه عمران ولدت بنتاً فقالت: «و إني سميتها مريم».

و اختار الله لنبيه يحيى (عليه السلام) هذا الاسم قبل أن تنعقد نطفته فى رحم أمّه، لأنّ زكريا سأل ربه قال: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (١).

ص: ٤٨

و أنت إذا أمعنت النظر في قوله تعالى: «لم نجعل له من قبل سمياً» يتضح لك أنّ تعيين أسماء أولياء الله يكون من عنده (عز و جل)، و أنّ الله يتولى تسميتهم و لم يكلها إلى الأبوين.

إذا عرفت هذا فهل معي إلى طائفه كبيره من الأحاديث التي تذكر اسم السیده فاطمه الزهراء و وجه التسميه، و أنها إنما سميت بفاطمه لأسباب و مناسبات، و ليست هذه التسميه ارتجالیه، و لا وليده إعجاب و استحسان فقط، بل روعي فيها مناسبه الاسم مع المسمى، بل صدق الاسم على المسمى، و بهذه الأحاديث يتضح ما نقول.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): لفاطمه تسعه أسماء عند الله (عز و جل): ١- فاطمه

٢- و الصديقه

٣- و المباركه

٤- و الطاهره

٥- و الزكيه

٦- و الراضيه

٧- و المرضيه

٨- و المحدثه

٩- و الزهراء... (١).

و الان... اليك شرحا موجز لهذه الاسماء المقدسه:

ص: ٤٩

لقد وردت احاديث متنوعه فى سبب تسميتها (عليها السلام) بفاطمه.

و قبل ان نذكر تلك الاحاديث نقول: ان اسم فاطمه مشتق من الفطم و هو بمعنى القطع، يقال: فطمت الام طفلها، و فطمت الحبل.

قال العلامة المجلسي (رحمه الله تعالى) - مامعناه -: ... كثيرا ما يجي ء اسم الفاعل بمعنى اسم مفعول، كقولهم: سرکاتم، اى: مکتوم، و مکان عامر، اى: معمور، و كما قالو تعالى: «فى عيشه راضيه» اى مرضيه.

و الان اليك بعض تلك الاحاديث:

١- لانها فطمت شيعتها من النار.

روى عن الامام الصادق عن آباءه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ان جبرئيل قال له: ... سميت فاطمه، فى الارض، [لأنها] فطمت شيعتها من النار (١).

٢- لأن الله فطمت هي و شيعتها من النار.

روى عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آباءه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): انه قال: يا فاطمه اتدريين لم سُمِّيَتْ فاطمه؟

قال على (عليه السلام): لم سُمِّيَتْ؟

ص: ٥٠

قال: لأنها فُطمت هي و شيعتها من النار (١).

و عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: سميت فاطمه، لان الله فطمها و ذريتها من النار، من لقي الله منهم بالتوحيد و الايمان بما جئت به (٢).

و روى ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال:.... و انما سماها فاطمه، لان الله فطمها و ذريتها و محبيها من النار (٣).

و روى ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال:.... و انما سماها فاطمه، لان الله فطمها و ذريتها و محبيها من النار (٤).

و روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال: لفاطمه وقفه على باب جهنم.... فتقول: الهى و سيدى، سميتنى فاطمه، و فطمت بك من احبك و تولاك، و احب ذريتك و تولاهم من النار، و وعدى الحق و انا لا اخلف الميعاد..... الى آخر الخبر (٥).

ص: ٥١

١- ٦١. بحار الانوار ج ١٤/٤٣، و ذكره محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٢٦ طبعه القايره، و القندوزى الحنفى فى ينابيع الموده ص ١٩٤ و الصفورى و الشافعى فى نزهه المجالس، و روى قريبا منه الخر كوشى فى كتاب (شرف النبى) و ابن بطه فى كتاب الابانه و غيرهم.

٢- ٦٢. بحار الانوار ج ٤٣.

٣- ٦٣. تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٣ ص ٣٣١ طبعه القايره/ ذخائر العقبى للطبرى ص ٢٦ طبعه القايره/ كنز العمال للمتقى الهندى ج ١٣ ص ٩٤ طبعه حيدرآباد دكن/ فيض القدير للمناوى الشافعى ج ١ ص ٢٠٦ طبعه القايره/ غيرها.

٤- ٦٤. ينابيع الموده للقندوزى ص ٣٩٧ طبعه اسلامبول/ نور الابصار للشبلنجى ص ٤١ طبعه مصر.

٥- ٦٥. بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٥.

٣- لأنها فطمت من الشر.

روى عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال: تدرى اى شىء تفسير فاطمه؟

قلت: أخبرنى يا سيدى؟

قال: فُطمت من الشر.

ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين تزوّجها لما كان لها كفء إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه (١).

وقد روى هذا الحديث من علماء العامة منهم: ابن شيرويه الديلمى عن أم سلمة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لو لم يخلق الله علياً لما كان لفاطمه كفوء».

و رواه الخوارزمى فى مقتل الحسين (عليه السلام) ص ٦٥، و الترمذى فى المناقب، و المناوى فى كنوز الحقائق، و القندوزى الحنفى فى ينباع الموده عن أم سلمة و عن العباس عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٤- لان الخلق فطمو عن معرفتها.

روى عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال:.... و انما سميت فاطمه لان الخلق فطمو عن معرفتها (٢).

٥- لان الله فطما بالعلم.

روى عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال: لما ولدت فاطمه (عليها السلام) اوحى الله (عز و جل) الى ملك، فانطلق به لسان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمها فاطمه.

ص: ٥٢

١- ٦٦. بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٦.

٢- ٦٧. بحار الانوار ج ٤٣ ص ٦٥.

ثم قال [تعالى]: انى فطمتك بالعلم، عن الطمث.

ثم قال ابو جعفر (عليه السلام): و الله لقد فطمها الله تبارك و تعالى بالعلم، و عن الطمث بالميثاق. (١).

و كان هذا الاسم محبوباً عند أهل البيت (عليهم السلام) يحترمونه و يحترمون من سُميت به.

فقد سال الإمام الصادق (عليه السلام) أحد أصحابه - و قد رزقه الله بنتاً - بِمِ سَمَّيْتَهَا؟

قال الرجل: سميتها فاطمه.

قال الإمام الصادق: فاطمه؟ سلام الله على فاطمه، أما إن سميتها فاطمه فلا تلطمها و لا تشتمها و أكرمها.

و عن السكونى قال: دخلت على أبى عبد الله - الصادق - (عليه السلام) و أنا مغموم مكروب قال لى: يا سكونى ما غمك؟

فقلت: ولدت لى ابنه....

فقال: ما سَمَّيْتَهَا؟

قلت: فاطمه.

قال: آه آه آه.

ثم قال: أما إذا سميتها فاطمه فلا تسبها و لا تلعنها و لا تضربها (٢).

و فى سفينه البحار عن أبى لحسن (الكاظم) قال: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد.... و فاطمه من النساء.

إن الحديث الأول الذى مرّ فى تسميتها - (عليها السلام) - بفاطمه - عن الإمام الباقر (عليه السلام) قد جاء فيه ذيله الإمام بقوله: «و الله لقد فطمها الله

ص: ٥٣

١- ٦٨. بحار الانوار ج ٤٣.

٢- ٦٩. وسائل الشيعة ج ٧ باب احكام الاولاد.

تبارك و تعالى بالعلم و عن الطمث بالميثاق».

إن المقصود من كلمه (الميثاق) هنا هو عالم الذر، ذلك العالم الذى أشار إليه قوله تعالى: «و إذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» (١).

و ملخص القول: إن الله تعالى أخرج ذريه آدم من صلبه كهيئه الذر، فعرضهم على آدم و قال: إني آخذ على ذريتك ميثاقهم أن يعبدونى و لا يشركوا بى شيئاً و على أرزاقهم.

ثم قال لهم: ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا.

فقال للملائكة: اشهدوا.

فقالوا: شهدنا.

و قيل: إن الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه و يفهمونه ثم ردهم إلى صلب آدم، و الناس محبوسون بأجمعهم حتى يخرج كل من أخرجه الله فى ذلك الوقت، و كل من ثبت على الإسلام فهو على الفطره الأولى، و من كفر و جحد فقد تغير عن الفطره الأولى.

و هذا القول مستخلص من طائفة كبيره من الأحاديث، و الأخبار المعتبره، و هذا العالم يسمّى عالم الذر و يسمى عالم الميثاق، و الإمام الباقر (عليه السلام) يشير فى كلامه إلى أن الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء كانت طاهره من العاده الشهريه من ذلك العالم و من ذلك الوقت.

و أما الأحاديث التى تتحدث عن عالم الذر فكثيره جداً، و نكتفى هنا بذكر بعضها:

١- فى الكافى عن الإمام أبى عبدالله (الصادق) (عليه السلام) قال: سُئل

ص: ٥٤

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): بأى شىء سبقت ولد آدم؟

قال: إننى أول من أقرَّ بربى، إن الله أخذ ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم أأست بربكم قالوا: بلى. فكنت أول من أجاب.

٢- عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله الصادق (عليه السلام): كيف أجابوا وهم ذر؟

قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه.

وزاد العياشى: يعنى فى الميثاق.

٣- وعن زراره أنه سئل من الإمام الباقر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: «وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم»؟

قال: من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر، فعرفهم وأراهم صنعه، ولو لا ذلك لم يعرف أحد ربه.

٤- ولما حج عمر بن الخطاب واستلم الحجر قال: أما والله إنى لأعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولو لا أن رسول الله استلمك ما استلمتك.

فقال له على: يا أبا حفص لا تفعل فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستلم إلا لأمر قد علمه ولو قرأت القرآن فعلمت من تأويله ما علم غيرك لعلمت أنه يضر وينفع، له عيان وشفطان ولسان ذلق يشهد لمن وافاه بالموافاة.

فقال له عمر: فأوجدنى ذلك فى كتاب الله يا أبا الحسن.

فقال على (عليه السلام): قوله تبارك وتعالى: «وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أأست بربكم قالوا بلى شهدنا»، فلما أقرؤا بالطاعة أنه الرب وأنهم العباد أخذ عليهم الميثاق بالحج إلى بيته الحرام، ثم خلق الله رقا أرق من الماء وقال للقلم: أكتب موافاة خلقى ببيتى الحرام. فكتب القلم موافاة بنى آدم فى الرق ثم قيل للحجر:

افتح فاك. ففتحته فألقم الرق. ثم قال للحجر: احفظه و اشهد لعبادى بالموافاه. فهبط الحجر مطيعاً لله.

يا عمر: أو ليس إذا استلمت الحجر قلت: أمانتى أدّيتها، و ميثاقى تعاهدته لتشهد لى بالموافاه؟

فقال عمر: اللهم نعم.

فقال له على: من ذاك؟.

و إنك تجد طائفه كبيره من الأحاديث التى تتضمن البحث عن عالم الذر فى كتاب الكافى للكلينى و البحار للمجلسى و غيرها من موسوعات الأحاديث.

و قد التبس الأمر على بعض علمائنا. فلم يفهموا الآيه فجعلوا يشككون فى تلك الأحاديث (سامحهم الله) بالرغم من كثرتها بل بالرغم من صريح الآيه.

و خلاصه الكلام أن عالم الذر هو عالم الميثاق، و من ذلك العالم - بل و قبل ذلك كانت الأفضليه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و أهل بيته الطاهرين، و من جملتهم ابن الطاهره فاطمه الزهراء.

و لا يصعب عليك قبول هذا القول، فإن هناك أحاديث كثيره رواها علماء الفريقين من الشيعة و السنه قد بلغت أو تجاوزت حدّ التواتر و هى تؤيّد هذا الموضوع.

أما الأحاديث المذكوره فى كتب الشيعة فيعسر إحصاؤها وعدّها.

و أما فى كتب العامه: فقد روى الصفورى الشافعى فى (نزهه المجالس) ج ٢ ص ٢٢٣ قال: قال الكسائى و غيره: لما خلق الله آدم... إلى أن قال: و عليه جاريه لها نور و شعاع، و على رأسها تاج من الذهب، مرصّع بالجواهر لم ير آدم أحسن منها. فقال: يا رب من هذه؟

ص: ٥٦

قال: فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقال: يا رب من يكون بعلمها؟

قال: يا جبرئيل افتح له باب قصر من الياقوت. ففتح له، فرأى فيه قبة من الكافور، فيها سرير من ذهب، عليه شاب حسنه كحسن يوسف فقال: هذا بعلمها على بن أبي طالب... الى آخر الحديث.

و روى العسقلاني في (لسان الميزان) ج ٣ ص ٣٤٦:

عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن جابر بن عبد الله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما خلق الله آدم و حواء تبخترا في الجنة و قالوا: من أحسن منا؟ فبينما هما كذلك. إذ هما بصورة جاريه لم ير مثلها، لها نور شعشعاني يكاد يطفئ الأبصار. قالوا: يا رب ما هذه؟ قال: صورة فاطمه سيده نساء ولدك.

قال: ما هذا التاج على رأسها؟

قال: على بعلمها.

قال فما القرطان؟

قال: ابناها، وجد ذلك في غامض علمي قبل أن أخلقك بألفي عام».

ص: ٥٧

لقد مرَّ عليك أن من جملة أسمائها (عليها السلام) الصَّدِّيقه، بكسر الصاد و الدال المشدَّده «صيغه المبالغه» فى التصديق أى الكثيره الصدق.

و الصِّدِّيقُ أبلغ من الصدوق.

و قيل: الصَّدِّيق: من كثر منه الصدق.

و قيل: بل مَنْ لم يكذب قط.

و قيل: الكامل فى الصدق، الذى يصدِّق قوله بالعمل، البار، الدائم التصديق. و قيل: مَنْ لم يتأت منه الكذب لتعوده الصدق.

و قيل: مَنْ صدق بقوله و اعتقاده، و حقق صدقه بفعله. كذا فى تاج العروس.

و قيل: المداوم على التصديق بما يوجبه الحق.

و قيل: الذى عادته الصدق.

و قيل: إنه المصدِّق بكل ما أمر الله به وبأنبيائه، لا يدخله فى ذلك شك، و يؤيده قوله تعالى: «و الذين آمنوا بالله و رسله أولئك هم الصَّدِّيقون» (١).

هذه تعاريف فى معنى الصَّدِّيق، و لكن المستفاد من الآيات الكثيره و الروايات المتعدده أن مرتبه الصَّدِّيقين فى عداد مراتب الأنبياء و الشهداء،

ص: ٥٨

لهم حساب خاص بهم و درجه مخصوصه بهم. تأمل هذه الآيات ليظهر لك ما قلنا:

١- «و من يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، و حسن أولئك رفيقاً» (١).

٣- «و اذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً» (٢).

٣- «و اذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً» (٣).

٤- «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقه» (٤).

و فى تفسير قوله تعالى: «و أمّه صديقه» قيل: سُمِّيَتْ صديقه لأنها تُصدّق بآيات ربها، و منزله ولدها و تصدّقه فيما أخبرها به، بدلاله قوله تعالى: «و صدّقت بكلمات ربها» و قيل: لكثرة صدقها، و عظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها.

بعد استعراض هذه الآيات و الأقوال يمكن لنا أن نستفيد أن التصديق بالله و بالأنبياء و الكتب السماويه و الأحكام الشرعيه تاره يكون باللسان دون العمل. ففى الوقت الذى يصدّق الإنسان بأن الله تعالى يراه مع ذلك يعصى الله (عز و جل) و يعلم بأن الله تعالى قد أوجب عليه حقوقاً ماله أو غير ماله مع ذلك لا يؤدى تلك الحقوق، و يعلم بأن الله حرّم الخمر و الربا و الزنا و مع ذلك لا- يرتدع عن تلك المعاصى فهو مصدّق بالله و بالحلال و الحرام، و الثواب و العقاب، و الجنة و النار، و لكن عمله لا يطابق هذا التصديق، أى لم

ص: ٥٩

١- ٧٢. سورة النساء: ٦٨.

٢- ٧٣. سورة مريم: ٤١.

٣- ٧٤. سورة مريم: ٥٦.

٤- ٧٥. سورة المائدة: ٧٥.

يبلغ به التصديق درجه المطابقه بين القول و الفعل أو بين الاعتقاد و العمل. و لكنّ الصديقين هم الذين يعتقدون الحق و يؤمنون به، و يعملون على ضوء تلك المعتقدات، و هؤلاء عددهم قليل و نادر في كل زمان و في كل مكان.

و أنت إذا قارنت بين هذه التعاريف و بين أعمال الناس يظهر لك بكل وضوح أن عدد الصديقين قليل جداً جداً، و لعل في بعض البلاد لا يوجد صديق واحد.

و بعد هذا كله سوف يسهل عليك أن تعرف أن السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام) قد بلغت مرتبه الصديقين، و سماها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالصديقه. كما في (الرياض النضره) ج ٢ ص ٢٠٢ و في (شرف النبوه) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال لعلی: اتيت ثلاثا لم اوت مثلها زوجه.

و اوتيت الحسن و الحسين من صلبك و لم اوت من صلبی مثلها.

و لكنكم منی و انا منكم.

و سال المفضل بن عمر الامام الصادق (عليه السلام) قال: قلت: من غسل فاطمه؟

قال: ذاك امير المؤمنين.

(قال المفضل): فكانی استعظمت ذلك من قوله.

فقال: كانك ضقت مما اخبرتك به؟

قلت: قد كان ذلك جعلت فداك!

ص: ٦٠

قال: لا تضيقنَّ، فإنها صديقه، و لم يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى؟ (١).

و روى عن الامام الصادق (عليه السلام) - في حديث له عن السيدة فاطمه (عليها السلام) - انه قال: ... «و هي الصديقه الكبرى، و على معرفتها دارت القرون الاولى» (٢).

ص: ٦١

١- ٧٦. علل الشرائع: ص ١٨٤ باب ١٤٨ ح ١.

٢- ٧٧. بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٠٥.

البركة: النماء و السعادة و الزيادة كما فى (تاج العروس).

و قال الراغب: و لما كان الخير الإلهى يصدر من حيث لا يحبس، و على وجه لا يحصى و لا يحصر قيل - لكل ما يشاهد منه زياده محسوسه -: هو مبارك فيه، و فيه بركه. و لقد بارك الله فى السيدة فاطمه أنواعاً من البركات و جعل ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (من نسلها، و جعل الخير الكثير فى ذريتها، فإنها ماتت و تركت و لدين و بنتين فقط، و هم: الإمام الحسن و الإمام الحسين (عليهما السلام) و زينب و أم كلثوم.

و جاءت واقعه كربلاء، و قتل فيها أولاد الحسين و لم يبق من أولاده إلا على بن الحسين (زين العابدين).

و قُتل من أولاد الإمام الحسن سبعة (على قول) و اثنان من ولد زينب، و أما أم كلثوم فإنها لم تعقب.

و بعد واقعه كربلاء تكررت الحوادث، و اقيمت المذابح و المجاورف فى نسل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ذريه فاطمه الزهراء من واقعه الحره، الى واقعه زيد بن على بن الحسين الى واقعه الفخ، الى مطارده العلويين فى عهد الامويين.

و جاء دور بنى العباس، فضربوا الرقم القياسى فى محاربه العلويين، و ابادتهم و استيصال شافتهم، راجع كتاب (مقاتل الطالبيين) تجد بعض تلك الحوادث.

و استمرت المكافحه أكثر من قرنين حتى قُتل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) - و هو الإمام الحادى عشر - مسموماً فى مدينه سامراء.

و لم يكن صلاح الدين الأيوبى بأقل من العباسيين فى إراقه دماء آل رسول الله و دماء شيعتهم، فلقد أقاموا فى المغرب العربى مجازر و مذابح جماعيه تقشعر منها الجلود.

و مع ذلك كله فقد جعل الله البركه فى نسل فاطمه الزهراء، و قد جعل الله منها الخير الكثير.

و فى تفسير قوله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر» أقوال للمفسرين، و إن كان المشهور أن الكوثر هو الحوض المعروف فى القيامة، أو النهر المشهور فى الجنة و لكن الكوثر على وزن فوعل - هو الشئ الكثير و الخير الكثير.

و قد ذكر السيوطى فى (الدر المنثور) فى تفسير شرح الكوثر: و أخرج البخارى و ابن جرير و الحاكم عن طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال: الكوثر: الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه، قال أبوبشر: قلت لسعيد بن جبير فإنّ ناساً يزعمون أنّه نهر فى الجنة.

قال: النهر الذى فى الجنة هو من الخير الكثير الذى أعطاه.

و الأنسب بالمقام. و بمقتضى الحال - كما فى التفسير للرازى - أن يكون المقصود من الكوثر هى الصّدّيقه فاطمه الزهراء، فقد ذكر الطبرسى فى (مجمع البيان) فى تفسير سوره الكوثر: قال: قيل: الكوثر هو الخير الكثير، و قيل: هو كثره النسل و الذريه، و قد ظهرت الكثره فى نسله من وُلد فاطمه حتى لا يحصى عددهم، و اتصل إلى يوم القيامة مددهم.

و قال الفخر الرازى فى تفسيره حول الآيه:

و القول الثالث: الكوثر أولاده، قالوا: لأن هذه السوره إنما نزلت ردّاً على من عابه (عليه السلام) بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون

على مرّ الزمان فانظر كم قُتل من أهل البيت؟ ثم العالم ممتلئ منهم، و لم يبق من بنى أميه فى الدنيا أحد يُعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السلام) و النفس الزكية و أمثالهم؟».

و وجه المناسبه: أن الكافر شمت بالنبي حين مات أحد أولاده و قال: إن محمداً أبت، فإن مات، مات ذكره. فأنزل الله هذه السوره على نبيه تسليه له كأنه تعالى يقول: إن كان ابنك قد مات فإننا أعطيناك فاطمه، و هى و إن كانت واحده و قليله، و لكن الله سيجعل هذا الواحد كثيراً.

و تصديقاً لهذا الكلام ترى فى العالم (اليوم) ذريه فاطمه الزهراء- الذين هم ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) منتشرين فى بقاع العالم، ففى العراق حوالى مليون و فى إيران حوالى ثلاثه ملايين، و فى مصر خمسه ملايين و فى المغرب الاقصى خمس ملايين و فى الجزائر و تونس و ليبيا عدد كثير، و كذلك فى الأردن و سوريا و لبنان، و السودان و بلاد الخليج و السعوديه ملايين، و فى اليمن و الهند و باكستان و الأفغان و جزر إندونيسيا حوالى عشرين مليوناً. و قلّ أن تجد فى البلاد الإسلاميه بلده ليس فيها أحد من نسل السيده فاطمه الزهراء. و يقدر مجموعهم بخمسه و ثلاثين مليوناً، و لو أجريت إحصائيات دقيقه و صحيحه فلعل العدد يتجاوز هذا المقدار (١).

هؤلاء ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم من صلب على و فاطمه و فيهم الملوك و الأمراء و الوزراء و العلماء و الكتّاب و الشخصيات البارزه و العباقره المرموقه.

ص: ٦٤

و منهم مَن يَعْتَرُّ بهذا الانتساب و يفتخر به، و منهم مَن يهمله و لا- يبالى به، و منهم مَن يسير على طريقه أهل البيت، و منهم مَن يسير على خلاف مذهب أهل البيت.

و من أعجب العجب أن بعض المسلمين ما كان يعجبهم أن يعترفوا بهذا الانتساب أى انتساب ذريه على و فاطمه على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بل يعتبرون هذا الاعتراف كذباً و افتراءً، و يحاربون هذه الفكرة محاربه شعواء لا هواده فيها، و كانوا يسفكون الدماء البريئه لأجل هذه الحقيقه.

انظر إلى موقف الحجاج السفاك الهتاك تجاه هذا الأمر، و هكذا المنصور الدوانيقي، و هرون الرشيد و غيرهم ممن حذا حذوهم و سلك طريقهم.

عن عامر الشعبي أنه قال: بعث إلى الحجاج ذات ليله فخشيت فقامت فتوضأت و أوصيت، ثم دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور و السيف مسلول، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام فقال: لا تخف فقد أمتك الليله و غدا إلى الظهر، و أجلسني عنده ثم أشار فأتى برجل مقيد بالكبول و الأغلال، فوضعه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول: إنّ الحسن و الحسين كانا ابني رسول الله، ليأتينى بحجه من القرآن و إلا لأضربن عنقه.

فقلت: يجب أن تحلّ قيده، فإنّه إذا احتج فإنّه لا محاله يذهب و إن لم يحتج فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد.

فحلّوا قيوده و كبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك، و قلت: كيف يجد حُجّه على ذلك من القرآن؟

فقال الحجاج: ائتنى بحجه من القرآن على ما ادعيت و إلا أضرب عنقك.

فقال له: انتظر.

فسكت ساعه ثم قال له مثل ذلك. فقال: انتظر. فسكت ساعه ثم قال له مثل ذلك فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال: «ووهبنا له إسحاق ويعقوب.... إلى قوله: و كذلك نجزي المحسنين» ثم سكت وقال للحجاج: اقرأ ما بعده. فقرأ: (و زكريا ويحيى وعيسى) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى؟

قال: إنه كان من ذريته.

قال: إن كان عيسى من ذريته إبراهيم و لم يكن له أب بل كان ابن ابنته فُنُسب إليه مع بُعده فالحسن و الحسين أولى أن يُنسبا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) مع قربهما منه.

فأمر له بعشره آلاف دينار، و أمر أن يحملوه إلى داره و أذن له في الرجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلّم منه معاني القرآن، لأنني كنت أظن أنني أعرفها، فإذا أنا لا أعرفها. فأتيتها فإذا هو في المسجد، و تلك الدنانير بين يديه، يفرّقها عشراً عشراً، و يتصدق بها ثم قال: هذا كله ببركة الحسن و الحسين (عليهما السلام) لئن أغمنا و احداً لقد أفرحنا ألفاً و أرضينا الله و رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم) [\(١\)](#).

أقول: الآيات التي استدل بها سعيد بن جبير (رضوان الله عليه) هي: ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا، و نوحاً هدينا من قبل، و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلك نجزي المحسنين

ص: ٦٦

و زكريا و يحيى و عيسى و إلياس كل من الصالحين» (١). و لقد جرى حوار - حول هذا الموضوع - بين هارون الرشيد و الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام):

كما فى كتاب عيون أخبار الرضا (عليه السلام) أن هارون الرشيد قال للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام):

لَمْ جَوَزْتُمْ لِلْعَامَةِ وَالْخَاصَةِ أَنْ يَنْسَبُوا إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَيَقُولُوا لَكُمْ يَا بَنَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ بَنُو عَلِيٍّ، وَإِنَّمَا يَنْسَبُ الْمَرْءُ إِلَى أَبِيهِ، وَفَاطِمَةُ إِنَّمَا هِيَ وَءَاءُ وَالنَّبِيُّ (عليه السلام) جَدُّكُمْ مِنْ قَبْلِ أُمِّكُمْ؟؟؟

فقال الإمام: لو أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نُشِرَ (أَيُّ بَعَثَ حَيًّا فَخُطِبَ إِلَيْكَ كَرِيْمَتَكَ هَلْ كُنْتَ تَجِيْبُهُ؟

قال الرشيد: سبحان الله! وَلَمْ لَا أُجِيبُهُ؟ بَلْ أَفْتَخِرُ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَقَرِيشٍ بِذَلِكَ.

فقال الإمام: وَلَكِنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لَا يَخْطُبُ إِلَيَّ وَلَا أَزُوجُهُ.

قال الرشيد: وَلِمَ؟

قال الإمام: لِأَنِّي وَلَدَنِي وَلَمْ يَلِدْكَ.

قال الرشيد: أَحْسَنْتَ يَا مُوسَى.

ثم قال الرشيد: كيف قلتُم إنا ذرية النبي، و النبي (عليه السلام) لم يعقب؟ و إنما العقب للذكر، لا للأُنثى، و أنتم ولد الابنه، و لا يكون لها عقب؟

ص: ٦٧

فاعتذر الإمام عن الإجابة على هذا السؤال المحرج و طلب من الرشيد إعفائه عن الجواب رعايه للتقيه. فقال الرشيد: لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد على و أنت يا موسى يعسوبهم و إمام زمانهم، كذا أنهى إلى و لست أعفيك في كل ما أسئلك عنه حتى تأتيني فيه بحجه من كتاب الله، فأنتم تدعون- معشر وُلد على- أنه لا يسقط عنكم منه شىء ألف و لا واو إلا و تأويله عندكم، و احتججتم بقوله (عز و جل): (ما فرطنا في الكتاب من شىء) و قد استغنيتم عن رأى العلماء و قياسهم.

فقال الإمام: تأذن لى فى الجواب؟

قال الرشيد: هات.

قال الإمام: أعود بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلك نجى المحسنين و زكريا و يحيى و عيسى. من أبوعيسى.

قال الرشيد: ليس لعيسى أب.

قال الإمام: إنما ألحقناه بذرارى الأنبياء (عليهم السلام) من طريق مريم (عليها السلام) و كذلك ألحقنا بذرارى النبى (صلى الله عليه و آله و سل) من قبل أمنا فاطمه (عليها السلام)... إلى آخر الحديث (١).

هذه هى الآيات التى استدل بها الأئمة (عليهم السلام) حول انتسابهم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سل) عن طريق السيدة فاطمه الزهراء.

و أما الأحاديث التى تصرّح بهذا المعنى فكثيره جداً، و نكتفى - هنا- بما يلى: ١- الخطيب البغدادي فى (تاريخ بغداد) ج ١ ص ٣١٦.

ص: ٦٨

عن ابن عباس قال: كنت أنا و أبي: العباس بن عبدالمطلب جالسين عند رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إذ دخل على بن أبي طالب فسلم، فردّ عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و بشّ به، فقال العباس: يا رسول الله أتحبّ هذا؟

فقال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): يا عمّ رسول الله! و الله أشدّ حُبّاً له مني، إنّ الله جعل ذريه كل نبي في صلبه، و جعل ذريتي في صلب هذا.

و رواه الخوارزمي في (المناقب) ص ٢٢٩.

٢- عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: إنّ الله (عز و جل) جعل ذريه كل نبي في صلبه و جعل ذريتي في صلب علي.

و رواه محب الدين الطبري في (ذخائرالعقبى).

و الجويني في (فرائدالسمطين).

والذهبي في (ميزان الاعتدال).

و ابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ٧٤.

و المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال).

و الزرقاني في (شرح المواهب اللدنيه).

و القندوزي في (ينابيع الموده) ص ١٨٣.

٣- و ذكر النسائي في كتاب (خصائص أميرالمؤمنين) عن محمد بن أسامه بن زيد، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): أما أنت يا علي فختني (١) و أبولدى و أنت مني و أنا منك.

ص: ٦٩

٤- و روى أيضاً عن أسامه قال: طرقت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليله لبعض الحاجه، فخرج و هو مشتمل على شىء لا- أدرى ما هو؟ فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا هو الحسن و الحسين على و ركيه، فقال: هذان ابنائى، و ابنا بنتى، اللهم إنك تعلم أنى أحبهما فأحبهما. و الأحاديث التى تصرح بأن الحسن و الحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيره جداً.

و جاء بعض الجهلاء يتفلسف لئنكر أبوه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (لولديه: الحسن و الحسين (عليهما السلام) مستدلاً بقوله تعالى: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) فيزعم الجاهل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بأب أحد، مع العلم أن الآية نزلت حول نفى نسب زيد الذى تبناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم زوجته زينب بنت جحش ثم طلقها زيد و تزوجها النبى (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً و كان أمر الله مفعولاً) (١) ففى هذا بيان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بأب لزيد حتى تحرم عليه زوجته، فإن تحريم زوجه الابن معلق بثبوت النسب، فمن لا- نسب له لا- حرمه لامرأته، و لهذا أشارت الآية إليهم فقالت: (من رجالكم) و قد ولد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أولاد ذكور: إبراهيم و القاسم و الطيب و المطهر، فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) أباهم.

و قد صح و ثبت أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال للحسن (عليه

ص: ٧٠

السلام): إن ابني هذا سيد.

و قال أيضاً: الحسن و الحسين ابناى هذان امامان قاما او قعدا. و قال ايضا: إن كل بنى بنت ينسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمه فإننى أنا أبوهم.

و قيل: أراد بقوله: (من رجالكم) البالغين من رجال ذلك الوقت و لم يكن أحد من أبنائه رجلاً فى ذلك الوقت.

و ختاماً لهذا الفصل نقول: كل ما تقوله فى أبوه رسول الله لأولاده المذكور فهو الثابت فى أبوه رسول الله لولديه الحسن و الحسين، و الكلام هناك نفس الكلام هنا.

ص: ٧١

لقد مرّ عليك أن من جملة أسمائها (عليها السلام): الطاهره.

وقد روى عن الامام محمد الباقر عن آبائه (عليهم السلام) قال: «انما سميت فاطمه بنت محمد: الطاهره، لطهارتها من كل دنس، و طهارتها من كل رفس و ما رات قط يوما حمرة و لانفاسا» (١).

و أحسن ما نبحت فيه حول هذا الموضوع هي آيه التطهير، و هي قوله تعالى: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا».

إن هذه الآية الكريمه تعتبر في طليعه الآيات ذات الأهميه الكبرى، و ذلك لعظم معناها و مغزاها، لأنها منبع فضائل أهل البيت النبوى لا شتمالها على أمور عظيمه.

و قد كثرت الأقوال، و جالت الأفلام حول هذه الآية.

و لعل من الصحيح أن نقول: إن آيه التطهير معترك الآراء المتضاربه و الأقوال المختلفه، و خاصه حول كلمه: (أهل البيت) و المقصود منهم، و مدى شمول هذه الكلمه.

و الأمر الذى لا شك فيه أن آيه التطهير تشمل الصديقين الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) قطعاً، و بإجماع المفسرين و المحدثين من الشيعة و السنّه، إلا من شدّ و ندر.

إذ أن جميع الأحاديث الوارده حول نزول هذه الآية متفقه على

ص: ٧٢

شمولها لعلِّي و فاطمه و الحسن و الحسين) (عليهم السلام) بالقدر المتيقن.

و إن كان هناك قول يشعر بشمولها لزوجات النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) اعتماداً على ظاهر لفظ (أهل البيت) أو سياق الآية التي سبقتها و لحقتها خطابات لزوجات النبي، فإن جميع الأحاديث تصرّح بأن النبي لم يسمح حتى لزوجته السيدة أم سلمة أن تدخل تحت الكساء قبل نزول آية التطهير.

و قد ذكرنا الشىء اليسير - مما يتعلق بالآية - فى كتاب (على من المهد إلى اللحد) و نذكر هنا بعض الأحاديث و مصادرها من كتب علماء السُّنة، رعايه العامه، لأسلوب الكتاب و تمييزاً للفائده.

و ينبغى أن نعلم أن الذين رووا نزول آية التطهير فى حق على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) يعسر إحصاؤهم، و لعلمهم يتجاوزون المئات.

و لو أردنا استعراض أقوال المفسرين و المحدثين حول الآية لطال بنا الكلام، و خرج الكتاب عن أسلوبه، و لكننا نذكر هنا عشرين مصدراً من مشاهير مؤلفات علماء العامه و حفاظهم و مفسريهم و محدّثيهم، و فى ذلك كفايه لكل منصف:

١- الخطيب البغدادى فى تاريخه (ج ١٠) بإسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فى قوله تعالى:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) قال: جمع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً و فاطمه و الحسن و الحسين، ثم أدار عليهم الكساء فقال: هؤلاء أهل بيتى، اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و أم سلمة على الباب فقالت: يا رسول الله أأنت منهم؟

فقال: إنك لعلی خير أو: إلى خير.

٢- الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ج ١ ص ١٩٣.

روى عن عائشه (رضى الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج و عليه مرط مرجل من شعر أسود موشى منقوش، فجاء الحسن بن على فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمه فأدخلها، ثم جاء على فأدخله ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً).

٣- الإمام الرازى في تفسيره ج ٢ ص ٧٠٠ طبع الأستانه. روى أنه (عليه السلام) لما خرج فى المرط الأسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمه ثم على ثم قال: إنما يريد الله... الى آخره.

٤- ابن الأثير الجزرى فى كتابه: (أسد الغابه فى معرفه الصحابه ج ٢ ص ١٢): عن عمر بن أبى سلمه (ربيب النبى) (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لما نزلت هذه الآيه على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): إنما يريد الله- فى بيت أم سلمه فدعى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمه و حسناً و حسيناً فجلبهم بكساءٍ و على خلف ظهره ثم قال: هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً. قالت أم سلمه: و أنا معهم يا رسول الله؟ قال: أنتِ على مكانك، أنت فى خير.

٥- سبط ابن الجوزى فى (تذكرة الأئمه ص ٢٤٤) عن واثله بن الأسقع قال: أتيت فاطمه (عليها السلام) أسألها عن على فقالت: توجّه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فجلست أنتظره فإذا برسول الله قد أقبل و معه على و الحسن و الحسين، قد أخذ بيد كل واحدٍ منهم حتى دخل الحجره فأجلس الحسن على فخذه اليمنى، و الحسين على فخذه اليسرى، و أجلس علىاً و فاطمه بين يديه ثم لفّ عليهم كساء أو ثوبه ثم قرأ: إنما يريد

ص: ٧٤

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - الآية - ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً. ٦- الإمام الواحدى فى كتابه: (أسباب النزول) بسنده إلى أم سلمه زوج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرت أن رسول الله كان فى بيتها، فأتته فاطمه ببرمه فيها حريره فدخلت بها عليه فقال لها: ادعى لى زوجك و ابنك.

قالت: فجاء على الحسن و الحسين فدخلوا، فجلسوا يأكلون من تلك الحريره، و هو على دكان (١) و تحته كساء خبرى.

قالت: و أنا فى الحجره أصلى، فأنزل الله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى و حامتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسى البيت فقلت: أنا معكم يا رسول الله؟

قال: آئل إلى خير، آئل إلى خير.

و نقل الترمذى فى صحيحه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من وقت نزول هذه الآية إلى قريب سته أشهر إذا خرج إلى الصلاه يمر بباب فاطمه يقول: الصلاه أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس.. الآية.

٧- ابن الصباغ المالكى فى كتابه: (الفصول المهمه ص ٧) يروى عن الواحدى قريباً من الحديث الذى مرّ، و ذيله بقوله: و قال بعضهم فى ذلك شعراً:

ص: ٧٥

٨- أبوبكر السيوطى فى كتابه: (الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨) و (الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٦٤) و (الإتقان ج ٢ ص ٢٠٠) روى هذا الحديث بطرق كثيره، متعددده الأسانيد تنتهى أسانيدھا إلى كل من أم سلمه و عائشه و أبى سعيد الخدرى و زيد بن أرقم و ابن عباس، و الضحاك بن مزاحم، و أبى الحمراء و عمر بن أبى سلمه و غيرهم: إن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) دعا فاطمه و علياً و حسناً و حسيناً. لمّا نزلت: إنما يريد الله، فجّللهم بكساء و قال: و الله هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

٩- الطبرى فى (ذخائرالعقبى ص ٢١): روى عن عمر بن أبى سلمه نزول الآية فى الخمسه الطيبه، و روى عن أم سلمه أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أخذ ثوباً و جلّله فاطمه و على و الحسن و الحسين و هو معهم، و قرأ هذه الآية: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً. قالت: فجئت أدخل معهم فقال: مكانك إنك على خير.

و عنها أيضاً: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال لفاطمه: ائتى بزوجك و ابنيك. فجاءت بهم و أكفأ عليهم كساء فدياً، ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد. قالت أم سلمه: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبته رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قال: إنك على خير.

١٠- محمد بن أحمد القرطبى فى كتابه: (الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٨٢) روى نزول الآية فى حق أهل البيت (عليهم السلام).

١١- ابن العربى فى كتابه: (أحكام القرآن ج ٢ ص ١٦٦).

١٢- ابن عبد البر الأندلسي في كتابه: (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠).

١٣- البيهقي في كتابه: السنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩.

١٤- الحاكم النيسابوري في كتابه: (المستدرک على الصحيحين ج ٢ ص ٤١٦) روى عن أم سلمة قريباً ممّا تقدّم.... إلى أن قالت: فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك أهلى إلى خير، و هؤلاء أهل بيتي... الى آخره.

١٥- الإمام أحمد بن حنبل في (مسند ج ١ ص ٣٣١).

١٦- النسائي في كتابه: (الخصائص ص ٤).

١٧- محمد بن جرير الطبري في تفسيره (ج ٢٢ ص ٥).

١٨- الخوارزمي في: (كتاب المناقب ص ٣٥).

١٩- الهيثمي في: مجمع الزوائد ٩ ص ١٦٦).

٢٠- ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص ٨٥).

انتخبنا هذا العدد و هذه العده من جماعه كثيره من المفسرين و المحدثين، و لو لا الخوف من الملل لأسهبنا في ذكر المصادر، و في هذا المقدار تبصره لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

لا أرانى بحاجة إلى المزيد من التحدّث حول الموضوع بعد شهاده آيه التطهير التى يستفاد منها أن الزهراء طاهره- بجميع معنى الكلمه.

و ستأتيك الأحاديث الكثيره حول كونها بتولاً.

و رعايه لأسلوب الكتاب و بمناسبه اسمها (الطاهره) نذكر ما تيسّر: لقد طهرّها الله عن العاده الشهريه، و عن كل دنس و رجس، و عن كل رذيله، و الرجس: كل أمر تستقذره الطباع، و يأمر به الشيطان، و يحق لأجله العذاب، و يشين السمع و تقترف به الآثام، و تمجّه الفطره، و تسقط

ص: ٧٧

به المروه.

و ذكر ابن العربى فى (الفتوحات المكيه باب ٢٩) (إن الرجس فيه عبارته عن كل ما يشين الإنسان) وهذا معنى العصمه التى تعتقد به الشيعة فى الأنبياء و الأئمة و السيده فاطمه الزهراء، و هى مرتبه عظيمه، و منزله ساميه خص الله بعض عباده.

و ليس من لوازم العصمه تبليغ الأحكام، فإن كانت العصمه لازمه للنبي و الإمام لقيامهما بأعباء التبليغ فليس معنى ذلك أن غيرهما لا يتصف بالعصمه.

و قد احتج الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) على عصمه السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بآيه التطهير، فى حوار جرى بينه و بين أبى بكر: نذكر بعضه كشاهد لما نحن فيه:

قال على (عليه السلام) لأبى بكر: يا أبا بكر أقرأ كتاب الله؟ قال: نعم. قال: أخبرنى عن قول الله (عز و جل): «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً». فيمن نزلت؟ فينا أو فى غيرنا؟

قال: بل فيكم.

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمه بنت رسول الله بفاحشه ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدّ كما أقيم على نساء المسلمين!!

قال: كنت إذن عند الله من الكافرين.

قال: ولم؟

قال لأنك رددت شهاده الله لها بالطهاره، و قبلت شهاده الناس

ص: ٧٨

عليها... الى آخره (١).

و من لوازم هذه الطهاره عدم التنجس بالموت مع العلم أن كل إنسان مهما بلغ في التقوى و العباده إذا مات نجس جسمه نجاسه مشدده، بحيث يجب الغسل على مَنْ مَسَّ ذلك الميت بعد برده، و لا- يطهر الميت إلا- بالتغسيل، و لكن المعصومين كانوا مطهرين في حياتهم و بعد موتهم.

في كتاب الشيعة عن الحسن بن عبيد قال: كتبت إلى الصادق (عليه السلام): هل اغتسل أمير المؤمنين حين غَسَلَ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عند موته؟ فأجاب: «النبى طاهر مطهر، و لكن فعل أمير المؤمنين و جرت به السُّنة (٢)».

وسيايتك المزيد من التفصيل فى أواخر هذا الكتاب فى باب تغسيلها، إن شاء الله.

ص: ٧٩

١- ٨٦. البحار: ج ٤٣.

٢- ٨٧. وسائل الشيعة ج ٢ ص ٩٢٨، ح ٧.

و قد روى في كتب الشيعة حول نزول آيه التطهير حديث اشتهر بحديث الكساء و هو- كما في عوالم الكبير عن جابر بن عبدالله الأنصاري:

عن فاطمه الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أنها قالت: دخل عليّ أبى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى بعض الأيام فقال: السلام عليك يا فاطمه. فقلت: و عليك السلام. فقال: إني أجد فى بدنّى ضعفاً. فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف. فقال: يا فاطمه اثبني بالكساء اليماني و غطّني به.

قالت فاطمه (عليها السلام): فأثبته بالكساء اليماني فغطّيته به و صرت أنظر إليه و إذا وجهه يتلألأ كأنه البدر فى ليله تمامه و كماله.

قالت فاطمه: فما كانت إلّا ساعه و إذا بولدى الحسن (عليه السلام) قد أقبل و قال: السلام عليك يا أماه. فقلت: و عليك السلام يا قره عيني و ثمره فوادي. قال لى: يا أماه إني أشم عندك رائحه طيبه كأنها رائحه جدى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقلت: نعم يا ولدى إن جدك نائم تحت الكساء فأقبل الحسن (عليه السلام) نحو الكساء و قال: السلام عليك يا جداه، السلام عليك يا رسول الله أتأذن لى أن أدخل معك تحت الكساء؟ فقال: و عليك السلام يا ولدى و صاحب حوضى قد أذنت لك. فدخل معه تحت الكساء.

قالت: فما كان إلا ساعه و إذا بولدى الحسين (عليه السلام) قد أقبل و قال: السلام عليك يا أماه. فقلت: و عليك السلام يا قره عيني و ثمره فؤادى فقال لى: يا أماه إنى أشم عندك رائحه طيبه كأنها رائحه جدى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقلت: نعم، إن جدك و أخاك تحت الكساء. فدنى الحسين (عليه السلام) نحو الكساء و قال: السلام عليك يا جداه، السلام عليك يا من اختاره الله، أتأذن لى أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): و عليك السلام يا ولدى و شافع أمتى قد أذنت لك. فدخل معهما تحت الكساء.

قالت فاطمه (عليها السلام) فأقبل عند ذلك أبو الحسن على بن أبى طالب (عليه السلام) و قال: السلام عليك يا بنت رسول الله.

فقلت: و عليك السلام يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين.

فقال: يا فاطمه إنى أشم عندك رائحه طيبه كأنها رائحه أخى و ابن عمى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء.

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) نحو الكساء و قال: السلام عليك يا رسول الله أتأذن لى أن أكون معك تحت هذا الكساء؟

قال له: و عليك السلام يا أخى و خليفتى و صاحب لوائى قد أذنت لك. فدخل على (عليه السلام) تحت الكساء.

ثم أتت فاطمه (عليها السلام) و قالت: السلام عليك يا أبتاه السلام عليك يا رسول الله أتأذن لى أن أدخل معكم تحت هذا الكساء؟

قال لها: و عليك السلام يا بنتى و بضعتى قد أذنت لك. فدخلت فاطمه معهم تحت الكساء.

فلما اكتملوا واجتمعوا تحت الكساء أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطرفي الكساء وأومأ بيده اليمين إلى السماء و قال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي و حائتي لحمهم لحمي، و دمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم و يُخرجني ما يُخرجهم (١) أنا حرب لمن حاربهم، و سلم لمن سالمهم، و عدو لمن عاداهم، و محب لمن أحبهم، إنهم مني و أنا منهم، فاجعل صلواتك و بركاتك و رحمتك و غفرانك و رضوانك عليّ و عليهم، و أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

قال الله (عز و جل): يا ملائكتي و يا سكان سماواتي إنني ما خلقت سماءً مبنيه، و لا أرضاً مدحيّه، و لا قمراً منيراً، و لا شمساً مضيئه، و لا فلکاً يدور، و لا بحراً يجري، و لا فلکاً تسرى إلّا في محبّه هؤلاء الخمسه الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرئيل: يا رب من تحت الكساء؟

فقال الله (عز و جل): هم أهل بيت النبوه و معدن الرساله، هم فاطمه و أبوها و بعلمها و بنوها.

فقال جبرئيل: يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون لهم سادساً؟

فقال الله (عز و جل): قد أذنت لك.

فهبط الأمين جبرئيل فقال: السلام عليك يا رسول الله! العلى الأعلى يقرئك السلام، و يخصّك بالتحية و الإكرام و يقول لك: و عزتي و جلالى! إنني ما خلقت سماءً مبنيه، و لا أرضاً مدحيّه، و لا قمراً منيراً و لا شمساً مضيئه، و لا فلکاً يدور، و لا بحراً يجري و لا فلکاً تسرى إلّا لأجلکم، و قد

ص: ٨٢

أذن لى أن أدخل معكم تحت الكساء، فهل تأذن لى أن أدخل أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): و عليك السلام يا أمين وحى الله قد أذنت لك. فدخل جبرئيل معهم تحت الكساء فقال: إن الله قد أوحى إليك (١) يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً.

فقال على بن أبى طالب: يا رسول الله أخبرنى ما لجُلُوسِنَا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟

فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): و الذى بعثنى بالحق نبياً، و اصطفانى بالرساله نجياً ما ذكر خبرنا هذا فى محفل من محافل أهل الأرض و فيه جمع من شيعتنا و محبيننا إلّا- و نزلت عليهم الرحمة و حُفَّت بهم الملائكة، و استغفرت لهم إلى أن يتفرقوا.

فقال على (عليه السلام): إذن- و الله- فزنا و فازت شيعتنا و ربّ الكعبه. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): و الذى بعثنى بالحق نبياً، و اصطفانى بالرساله نجياً ما ذكر خبرنا هذا فى محفل من محافل أهل الأرض و فيه جمع من شيعتنا و محبيننا و فيهم مهموم إلّا و فرّج الله همّه، و لا مغموم إلّا و كشف الله غمه، و لا طالب حاجه إلّا و قضى الله حاجته.

فقال على (عليه السلام) إذن- و الله- فزنا و سعدنا و كذلك شيعتنا فازوا و سعدنا و كذلك شيعتنا فازوا و سعدوا فى الدنيا و الآخرة. انتهى.

الشيعه و حديث الكساء

لقد جرت السيره عند الشيعه- طوال القرون و العصور- على تلاوه

ص: ٨٣

حديث الكساء فى المجالس و المجامع و المحافل، للتبرك و استجابته الدعاء و نزول الرحمه الالهيه.

و هناك الاثارالعجيبه التى ظهرت ببركه تلاوه هذا الحديث الشريف، من شفاء المرضى و قضاء الحوائج و رفع الشدائد و المكاره.

و قد روى حديث الكساء هذا، فى المصادرالتاليه:

١- غرر الاخبار للديلمى صاحب كتاب ارشاد القلوب، و هو من علماء القرن الثامن الهجرى.

٢- المنتخب للطريحي صاحب كتاب مجمع البحرين.

٣- نهج المحججه فى فضائل الائمة للشيخ على نقى بن احمد الاحسائي، و هو من علماء القرن الثانى عشر.

٤- عوالم العلوم للشيخ عبدالله افندى البحرانى... فقد رواه باسانيد عليه متصله، عن سلسله من العلماء العظام، فيهم علامه الحلى و الشيخ الطوسى و الشيخ المفيد و ابن قولويه و على بن ابراهيم صاحب التفسير و الشيخ الكلينى و غيرهم.

كما افرد بعض العلماء كتباً مستقلة حول هذا الحديث و شرحه و بيان طرقه.

هذا... و من اراد التفصيل فليراجع كتاب احقاق للقاضى نورالله التستري ج ٢ ص ٥٥٨.

الشعراء و حديث الكساء

كما كان للشعراء دور كبير فى نظم هذا الحديث الشريف و صياغته فى قوالب شعرية رائعة، باللغة العربية و الفارسيه و الهنديه «الاردو».

و منهم السيد الاجل السيد محمد القزوينى بن السيد مهدي القزوينى

ص: ٨٤

النجفى الحلى، حيث نظم هذا الحديث الشريف فى القصيده التاليه:

ووت لنا فاطمه خير النساء

حديث أهل الفضل أصحاب الكساء

تقول: إن سيد الأنام

قد جاءنى يوماً من الأيام

فقال لى: إنى أرى فى بدننى

ضعفاً أراه اليوم قد أنحلنى

قومى عَلَى بالكساء اليمانى

و فيه غطينى بلا توانى

قالت: فجئتہ و قد لبيتہ

مسرعهً و بالكساء غطيتہ

و كنت أرنو وجهه كالبدر

فى أربع بعد ليال عشر

فما مضى إلا يسير من زمن

حتى أتى أبو محمد الحسن

فقال: يا أماء إنى أجد

رائحه طيبه أعتقد

بأنها رائحه النبى

أخ الوصى المرتضى على

قلت: نعم هاهو ذا تحت الكسا

مدثر به، مغطى و اكتسى

فجاء نحوه ابنه مسلماً

مستأذناً قال له: أدخل مكرماً

فما مضى إلا القليل إلا

جاء الحسين السبط مستقلاً

فقال يا أم أشم عندك

رائحه كأنها المسك الذكى

وحق من أولاك منه شرفاً

أظنها ريح النبی المصطفى

قلت: نعم تحت الكساء هذا

بجنبه أخوك فيه لاذا

فأقبل السبط له مستأذناً

مسلاً قال له: أدخل معنا

وما مضى من ساعه إلا وقد

جاء أبوهما الغضنفر الأسد

أبوالأئمه الهداه النجبا

المرتضى رابع أصحاب الكسا

فقال يا سيده النساء

و من بها زُوجتُ في السماء

إني أشم في حماك رائحه

كأنها الورد الندى فايحه

يحكى شذاها عرف سيد البشر

و خير من لبي و طاف و اعتمر

ص: ٨٥

قلت: نعم تحت الكساء التحفا

و ضمّ شبليک و فيه اکتفا

فجاء يستأذن منه سائلاً

منه الدخول قال: فأدخل عاجلاً

قالت: فجئت نحوهم مسلّمه

قال: ادخلي محبّوه مكرّمه

فعندما بهم أضاء الموضع

و كلّهم تحت الكساء اجتمعوا

نادى إله الخلق جل و علا

يُسمع أملاك السموات العلى

أقسم بالعزه و الجلال

و بارتفاعى فوق كل عالى

ما من سما رفعتها مبنيه

و ليس أرض فى الثرى مدحيه

و لا خلقت قمراً منيرا

كلّاً و لا شمساً أضاءت نورا

و ليس بحر فى المياه يجرى

كلّاً و لا فُلك البحار تسرى

إلّا لأجل من هم تحت الكسا

من لم يكن أمرهم ملتبسا

قال الأمين: قلت: يا رب و من

تحت الكساء؟ بحقهم لنا أين

فقال لى: هم معدن الرساله

و مهبط التنزيل و الجلاله

و قال: هم فاطمه و بعلمها

و المصطفى و الحسنان نسلها

فقلت: يا رباه هل تأذن لى

أن أهبط الأرض لذاك المنزل

فأغتندى تحت الكساء سادساً

كما جعلتُ خادماً و حارساً؟

قال: نعم. فجاءهم مسلماً

مسليماً يتلو عليهم إنما

يقول: إِنَّ اللَّهَ خَصَّكُمْ بِهَا

معجزه لمن غدا منتبها

أقرأكم ربُّ العلا سلامه

و خصَّكم بغايه الكرامه

و هو يقول معلناً و مفهما

أملاكه الغر بما تقدما

قال على: قلت: يا حبيبى

ما لجلوسنا من النصيب؟

قال النبي: و الذي اصطفاني

و خصّني بالوحي و اجتبانى

ما إن جرى ذكر لهذا الخبيرِ

فى محفل الأشياخ خير معشر

إلّا و أنزل الإله الرحمه

و فيهم حفّت جنود جمّه

ص: ٨٦

من الملائكة الذين صدقوا

تحرسهم في الدهر ما تفرقوا

كلًّا و ليس فيهم مغموم

إلا و عنه كُشفت هموم

كلًّا و لا طالب حاجه يرى

قضاءها عليه قد تعسرا

إلا قضى الله الكريم حاجته

و أنزل الرضوان فضلاً ساحته

قال علي: نحن و الأحباب

أشياعنا الذين قدماً طابوا

فُزنا بما نلنا و ربّ الكعبه

فليشكرنّ كل فرد ربّه

يا عجباً يستأذن الأمين

عليهم و يهجم الخئون

قال سليم: قلت: يا سلمان

هل دخلوا و لم يك استئذان

فقال: أي و عزّه الجبار

ليس على الزهراء من خمار

لكنها لاذت وراء الباب

رعايه للستر و الحجاب

فمذ رأوها عَصروها عصره، كادت، بروحي

أن تموت حسره

تصيح: يا فضهُ أسنديني

فقد و ربي قتلوا جنيني

فأسقطت بنت الهدى واحزنا

جنيها ذاك المسمي مُحسنا

ص: ٨٧

لقد وردت كلمات فى القرآن الكريم مشتقه من التزكية فى مواضع عديده كقوله تعالى: «قد افلح من زكاها» و قوله: «اقتلت نفسا زكية» و قوله: «لاهب لك غلاما زكيا» و قوله «ذلك ازكى لكم واطهر».

و هذه الكلمه تستعمل فى التطهير و النمو، فالآيه الاولى معناها: قد افلح من زكى نفسه بالتطهير من الاخلاق الذميه، الناشئه من شر البطن و الكلام و الغضب و الحسد و البخل، و حب الجاه و حب الدنيا و الكبر و العجب.

فالتطهير من هذه الصفات يكون بالتجرد عنها، و بالعمل الصالح الذى هو ضد البخل و الكبر، و ماشا به ذلك.

و معنى الايه الثانيه: اقتلت نفسا طاهره لم تصدر منها جنايه او اى عمل يوجب قتلها. و معنى الايه الثالثه: اى غلاما طاهرا من الذنوب، تاما فى افعال الخير. و السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) زكية بجميع هذه المعانى و المفاهيم، و فى آيه التطهير كفايه لاثبات هذه الامور، فهى زكية اى مطهره من كل رجس، و قد ذكرنا معانى (الرجس) عند البحث عن آيه التطهير.

و اما الايه التى معناها النمو و الزياده فان السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) زكية بذلك المعنى ايضا، و قد ذكرنا بعض ما يتعلق بهذا الموضوع فى معنى كلمه (المباركه).

الرضا بما قدّر الله تعالى لعبده يعتبر من أعلى درجات الإيمان بالله (عز و جل)، وقد رضيت السيده فاطمه الزهراء بما قدر لها من مراره الحياه، وهذا الكتاب كله يحدثك عن المصائب و النوائب التي انصبت عليها، منذ نعومه أظفارها إلى أن فارقت الحياه في عنفوان شبابها، وهي في جميع تلك المراحل راضيه بما كتب الله لها من خوف و اضطهاد و حرمان و فقر و أحزان و هموم و غموم و مآسى و آلام، و ستجد شيئاً من تلك المكاره التي امتزجت بحياتها تجدها في هذا الكتاب، و يجدر بها أن يشملها قوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنه ارجعى إلى ربك راضيه مرضيه) لأنها راضيه بثواب الله، راضيه عن الله بما أعد الله لها، راضيه بقضاء الله في الدنيا حتى رضى الله عنها.

إن درجه المرضيين عند الله تعالى درجه عاليه، و منزله ساميه فهناك القليل من عباد الله الذين رضى الله عنهم فكانوا مرضيين عند الله تعالى بسبب اعتدالهم و استقامتهم.

و من جمله الذين فازوا بتلك المنزله الرفيعه و الدرجه الراقيه هي سيدتنا فاطمه الزهراء (عليها السلام) فإن الله تعالى قد رضى عنها، احسن الرضا، فكانت مرضيه عنده لعبادتها و طاعتها، مرضيه لزهداها و انفاقها، مرضيه لصبرها و استقامتها.

و قد روى الحافظ العسقلاني عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: «اتاني جبرئيل فقال: يا محمد ان ربك يحب فاطمه فاسجد، فسجدت...» الى آخره (١).

كما روى الذهبي ان جبرئيل نزل على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) عند والده فاطمه فقال: «... الله يقروك السلام، و يقرىء مولودك السلام» (٢).

ص: ٩٠

١- ٩٠. لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ٢٧٥ طبعه حيدر آباد.

٢- ٩١. ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٢٦ طبعه القاهره.

قبل كل شىء ينبغى أن نعلم: هل تتحدث الملائكة مع غير النبى؟ و هل يراهم غير النبى؟ أو يسمع أصواتهم؟

للإجابة على هذه الأسئلة نراجع القرآن الكريم للتحقيق عن الجواب الصحيح: ١- قال تعالى: «و إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين» (١).
 إن صريح هذه الآية أن الملائكة خاطبت مريم بما مرّ عليك من كلمات الثناء والأوامر الإلهية.

ولا شك أنها كانت تسمع نداءهم و تفهم خطابهم و إلا فما فائدة هذا الخطاب؟ و قيل: الذى خاطبها هو جبرئيل وحده (٢).

٢- قل سبحانه: «و اذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً، فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً، قال كذلك قال ربك هو على هين، و لنجعله آية للناس،

ص: ٩١

١- ٩٢. آل عمران: ٤١.

٢- ٩٣. مجمع البيان فى تفسير الآية.

و رحمہ و كان أمراً مقضياً» (١).

لقد أجمع المفسرون أن المقصود من «روحنا» هو جبرئيل، تمثّل لها بصورة آدمي صحيح، لم ينقص منه شيء فانتصب بين يديها، و جرى بينهما الكلام و الحوار.

٣- قال سبحانه: «و امرأته قائمه فضحكت فبشّرناها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب. قالت يا ويلتى ءألد و أنا عجوز و هذا بعلى شيخاً إنّ هذا لشيء عجيب قالوا: أتعجبين من أمر الله رحمه الله و بركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» (٢).

إن هذه الآيات تتعلق بمجيء الملائكة إلى دار إبراهيم الخليل (عليه السلام) لتبشّره بالولد، و كانت زوجته ساره تخدم و تحمل الطعام إليهم ظناً منها أنهم ضيوف.

و هذه الايات صريخه بان ساره قد تكلمت مع الملائكة، و خاطبتها الملائكة بما مر عليك من الايات.

٤- قال (عز و جل): «وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم» (٣).

و قد ذكر المفسرون معنى (أوحينا) أى ألهمنا، و قذفنا فى قلبها، و على قول: إنها نوديت بهذا الخطاب.

و قد ذكر المَنَوى فى شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٧٠ عن القرطبي قال: (محدّثون) بفتح الدال اسم مفعول، جمع محدّث أى مُلهم، أو صادق الظن و هو مَنْ أُلقي فى نفسه شيء على وجه الإلهام و المكاشفه من

ص: ٩٢

١- ٩٤. مريم: ١٦- ٢١.

٢- ٩٥. هود: ٧٠- ٧٣.

٣- ٩٦. القصص: ٧.

الملائكة الأعلى، أو مَنْ يجرى الصواب على لسانه بلا قصد، أو تكلمه الملائكة بلا نبوه، أو من إذا رأى رأياً أو ظن ظناً أصاب كأنه حُيِّدَتْ به و ألقى في روعه من عالم الملكوت، فيظهر على نحو ما وقع له، وهذه كرامه يكرم الله بها من يشاء من صالحى عباده، وهذه منزله جليله من منازل الأولياء.»

أقول: بعد هذه المقدمات سوف لا يصعب عليك أن تعرف أن السيدة فاطمة الزهراء كانت محدثة، إذ ليست سيده نساء العالمين و بنت سيده الأنبياء و المرسلين بأقل شأنًا من مريم بنت عمران أو ساره زوجه إبراهيم أو أم موسى، و ليس معنى ذلك أن مريم أو ساره أو أم موسى كنَّ من الأنبياء، و هكذا ليس معنى ذلك أن السيدة فاطمة الزهراء كانت نبيه.

و قد روى الشيخ الصدوق فى (علل الشرائع) عن زيد بن على قال: سمعت أن أبا عبد الله (الصادق) يقول إنّما سمّيت فاطمه محدثه (بفتح الدال) لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران، فتقول الملائكة: يا فاطمه إن الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين (١).

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لأبى بصير.....: و إن عندنا لمصحف فاطمه، و ما يدريهم ما مصحف فاطمه؟ قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، و الله ما فيه من قرآنكم حرف واحد و إنما هو شىء أملاه الله عليها و أوحى إليها... الى آخر حديث (٢).

إن هذا الحديث يكشف لنا أموراً قد تحتاج إلى بحث و تحقيق، فقول الإمام (عليه السلام): «فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات» يريد بذلك حجم

ص: ٩٣

١- ٩٧. علل الشرائع: ص ١٨٢ باب ١٤٦ ح ١.

٢- ٩٨. الكافي: ج ١ ص ٢٣٨ ح ١.

المصحف، و كميّه المواد الموجوده فيه، و حيث أن القرآن كتاب معروف و مشهور عند جميع المسلمين في كل زمان و مكان من حيث الحجم و السور و الآيات و الكميّه.

و لهذا جعل الإمام (عليه السلام) القرآن مقياساً و ميزاناً يقيس عليه مصحف فاطمه (عليها السلام) من حيث الحجم و كميّه المواد.

فمثلاً: لو أن قرآناً طبع بحروف متوسطه، و صفحات حجمها متوسط، فلنفرض أن عدد تلك الصفحات تبلغ خمسمائه صفحه فلو طبعنا مصحف فاطمه (عليها السلام) بنفس تلك الحروف و نفس حجم تلك الصفحات لبلغ عدد صفحات مصحف فاطمه (عليها السلام) ألفاً و خمسمائه صفحه، أى ثلاثه أضعاف صفحات القرآن، و هذا معنى كلام الإمام (عليه السلام): (فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات) و ليس معناه أن القرآن الموجود بين أيدينا ناقص، و أن مصحف فاطمه مكمل له.

كلّا و ألف كلّا.

و ليس معناه أن الله أنزل على السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام) قرآناً. و كل من ادّعى غير هذا فهو إمّا جاهل أو معاند مفتر كذاب.

و أما كلمه: المصحف (و إن كان هذا الاسم) يستعمل في زماننا هذا اسماً للقرآن و لكنه في اللغه يستعمل في الكتب.

قال الرازى في مختار الصحاح: (و المصحف - بضم الميم و كسر ها - و أصله الضم، لأنه مأخوذ من (أصحف) أى جُمعت فيه الصحف).

و في المنجد: المصحف و المُصحف جمعه مصاحف: ما جُمع من الصحف بين دَفَّتَي الكتاب المشدود.

و في صراح اللغه:-

مصحف - بالكسر و الضم - كراسه.

قال الفراء و قد استثقلت العرب الضمه فى حروف فكسروا ميمها، و أصلها الضم من ذلك مصحف و مخدع و مطرف... لأنها فى المعنى مأخوذه من أصحف أى جمعت فيه الصحف.

و فى المصباح المنير:- و الصحيفة قطعه من جلد أو قرطاس كتب فيه... و الجمع صُحُف بضمّتين و صحائف... و المصحف بضم الميم أشهر من كسرهما.

و فى أقرب الموارد:- المصحف اسم مفعول... و حقيقتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بين دفتى الكتاب المشدود... و فيه لغتان أخريان و هما المصحف و المصحف جمعه مصاحف.

و فى لسان العرب:-

المُصحف و المصحف الجامع للصحف المكتوبه بين الدفتين كأنه أُصحف، و الكسر و الفتح فيه لغه.

ايها القارى الكريم: اليك الآن هذا الحديث الشريف الذى يتحدث فيه الامام الصادق (عليه السلام) عن معنى المحدثه و «مصحف فاطمه»:....

فى بحار الانوار ج ٤٣:.... و ساله بعض اصحابه عن مصحف فاطمه.

فسكت الإمام طويلاً، ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون و عما لا تريدون!

إن فاطمه مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) خمسة و سبعين يوماً، و كان دخلها حزن شديد على أبيها، و كان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها على أبيها، و يطيب نفسها و يخبرها عن أبيها و مكانه

ص: ٩٥

و يخبرها بما يكون بعدها، و كان على (عليه السلام) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمه. و الحسين بن أبي العلا يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله:.... و مصحف فاطمه، ما أزعج أن فيه قرآناً، و فيه ما يحتاج الناس إلينا، و لا نحتاج إلى أحد، حتى أن فيه الجلد بالجلده، و نصف الجلد، و ربع الجلد و أرش الخدش.. الى آخره.

و فى حديث آخر قال (عليه السلام): و أما مصحف فاطمه (عليها السلام) ففيه ما يكون من حادث، و أسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة.

بقى الكلام حول جملة (أوحى إليها) فالمستفاد من القرآن أن الوحي من الله لا يختص بالأنبياء، بل يوحى الله تعالى إلى غير الأنبياء أيضاً، استمع إلى هذه الآيات البينات:

١- «ففضيهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها» (١).

٢- «و إذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى و برسولى» (٢).

٣- «إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فتبتوا الذين آمنوا» (٣).

٤- «و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً» (٤).

٥- «و أوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه» (٥).

٦- «و إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى» (٦).

هذه بعض الآيات التى تصرح بأن الوحي لا يختص بالأنبياء، بل لا يختص بالبشر، فلقد أوحى الله تعالى إلى كل سماء، و أوحى إلى الحواريين و إلى الملائكة و إلى النحل و إلى أم موسى، فلا يصعب عليك أن تقبل بأن الله تعالى أوحى إلى سيده نساء العالمين و بنت سيد الأنبياء

ص: ٩٦

١- ٩٩. فصلت ١٠.

٢- ١٠٠. المائدة ١١١.

٣- ١٠١. الانفال ١٢.

٤- ١٠٢. النحل. ٧.

٥- ١٠٣. القصص ٦.

٦- ١٠٤. طه ٣٩.

و المرسلين فاطمه الزهراء (عليها السلام) و كما تقول فى تفسير الوحى إلى أم موسى قل فى تفسير الوحى إلى فاطمه الزهراء.

و ختاماً لهذا البحث: إن مصحف السيده فاطمه الزهراء كتاب ضخم، يحتوى على جميع الأحكام الشرعيه بالتفصيل، و يستوعب قانون العقوبات فى الإسلام، حتى بعض المخالفات التى عقوبتها جلدده واحده أو نصف جلدده أو ربع جلدده، بل و حتى غرامه من خدش جسم أحد من الناس خدشه واحده.

و فيه أسماء ملوك العالم الذين حكموا البلاد من ذلك اليوم و سيحكمون إلى قيام القيامة، كل ذلك كان فى علم الله الذى هو بكل خلق عليم و بكل شىء خبير بصير محيط.

و فيه ذكر الحوادث المهمه من الملاحم و المجازر التى تحدث فى الكون و غير ذلك من القضايا المهمه.

و ليس فيه شىء من القرآن كما هو صريح الحديث.

و لقد أطلنا البحث و الكلام حول هذا الموضوع لأن بعض أصحاب النفوس المريضة و القلوب السقيمه اعتبروا هذا الحديث مرتعاً خصباً للتهريج و التشنيع ضد الشيعة و التشيع، كأنهم لم يقرأوا هذه الآيات أو لم يفهموها أو تناسوها فهاجموا الشيعة مهاجمه شعواء فقالوا ما قالوا، و حسابهم على الله يوم فصل القضاء.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: «... فخلق الله نور فاطمه الزهراء - يومئذ - كالقنديل، وعلقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والارضون السبع، من اجل ذلك سميت فاطمه: الزهراء» (١).

و عن ابن عباس قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«و أما ابنتي فاطمه فإنها سيده نساء العالمين من الأولين والآخرين، و هي بضعة مني و هي نور عيني، و هي ثمره فؤادي و هي روحى التى بين جنبي، و هي الحوراء الإنسية متى قامت فى محرابها بين يدي ربها (جل جلاله) زهر نورها لملائكة السموات كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض (٢).

و بهذين الحديثين اتضح لنا سبب تسميتها (عليها السلام) الزهراء، و هناك أحاديث أخرى بهذا المضمون، و إنها كانت تتمتع بوجه مشرق مستنير زاهر، و فيما ذكرنا كفايه.

و لسيدتنا فاطمه الزهراء (عليها السلام) أسماء غير التى مرّت عليك و كل اسم يدل على فضيله و مزيه امتازت بها السيدة الزهراء، منها: البتول، العذراء، الحانية (من الحنو) بسبب كثره شفقتها و عطفها على اولادها.

و كنيته: أم أبيها، و هي من أفضل كناها.

ص: ٩٨

١- ١٠٥. بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٧.

٢- ١٠٦. امالى الصدوق / بحار الانوار ج ٤٣.

اعلم أنَّ الله تعالى قد جعل في مخلوقاته - من الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان - قوانين و سُنَنَ، و جعل تلك المخلوقات خاضعة لتلك القوانين. فالنار طبيعتها الإحراق و هذه سُنَّة الله في النار.

و النبات يحتاج إلى زمان محدود و مكان معيّن بشروط خاصه حتى ينمو و يكبر و يثمر. أنظر إلى الحبه التي تزرع، و العوامل التي تساعدّها على أن تنبت من الأرض، و الزمان المعيّن لنموّها!.. و هذه سُنَّة الله في النباتات.

و كذلك الحيوانات جعلها الله خاضعة لقوانين خاصه و أحجامها و ألوانها و غير ذلك. و الإنسان كذلك خاضع لقوانين كونيّه، و طبائع جسميه و نفسيه و روحيه، و لكن الله تعالى جعل أولياءه فوق تلك القوانين و السنن في ظروف خاصه لحكمته البالغه.

و بعبارة أخرى: جعل الله تلك القوانين هي الخاضعة لأوليائه بإذنه.

أنظر إلى النار المحرقة، التي تحرق كل ما أصابته، و لكن الله تعالى جعل النار برداً و سلاماً على إبراهيم الخليل (عليه السلام).

و كذلك أنبت الله على نبيه يونس (عليه السلام) شجره من يقطين، بعد أن نبذه الحوت بالعراء و هو سقيم، مع العلم أن حبه اليقطين تحتاج إلى مده غير قصيره، حتى تنبت و تورق و تستر بورقها جسم إنسان أو غير إنسان، و هكذا جعل الله النبات خاضعاً لوليّه يونس (عليه السلام).

والتناسل لا- يمكن إلا- بالتلقيح، وانتقال نطفه الرجل إلى رحم المرأة، و تطوّر النطفه إلى علقه إلى مضغه إلى عظام إلى خلق آخر، و إلى أن يكمل الجنين خلال سته أشهر على أقل التقادير، أو تسعه أشهر كما هو الغالب.

هذه سنه الله فى قانون التناسل بين البشر، و لكن هذه السنه و هذا القانون كان خاضعاً لمريم إذ حملت بـعيسى (عليه السلام) و لم يمسسها بشر، و حملت و بلدها فانتبذت به مكاناً قصياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، فوضعت بـعيسى، كل ذلك خلال تسع ساعات أو ست ساعات فقط (١).

و على هذا الغرار كانت المعجزات تصدر عن الأنبياء و الأوصياء عن طريق خرق العاده و الطبيعه.

هذا و الأمثله كثيره جداً، تجد فى القرآن الكريم طائفه كبيره من القصص التى تحدّى فيها الأنبياء و الأوصياء قانون الطبيعه، كهبوط آدم من الجنة إلى الأرض، و فوران التنور بالماء فى قصه نوح (عليه السلام) و حمل ساره بإسحاق (عليه السلام) بعد أن كانت عجوزاً عقيماً، و انقلاب العصا حيّه تسعى فى قصه موسى (عليه السلام) و إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى فى قصه عيسى (عليه السلام) و قصه الإسراء و المعراج فى قصه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و غير ذلك من القضايا الخارقه للعاده و الطبيعه.

و قد ذكرت هذه الفقرات كمقدمه تمهيديه لما يلى:

إن العاده الشهريه التى تراها المرأة فى كل شهر منذ بلوغها حدّ الأنوثة إلى الخمسين أو الستين من العمر ما هى إلا دم فاسد، قد تخزنه فى

ص: ١٠٠

الأوعية و الأجهزة التى جعلها الله فى جسم المرأة ليكون ذلك الدم غذاء للجنين، فإذا لم يكن جنين فى الرحم سال الدم إلى الخارج، وربما انقلب إلى اللبن إذا كانت المرأة مرضعه.

قال تعالى: «و يسألونك عن المحيض قل هو أذى» أى إن دم الحيض ماله ضارّه، مؤذيه فى جسم المرأة، فلا بدّ من خروجها لتنجو المرأة من أمراض و أعراض.

و فى فترة العاده الشهرية تحدث حوادث جسميه و روحيه للمرأة تتغيّر ملامحها، و لون وجهها، بل و أخلاقها و نفسيّتها و من الممكن معرفه الحائض من ملامح و وجهها و عينيها، بل من نظراتها و حركاتها، و هذا النزيف لا يشبه النزيف الطبيعى العادى الذى يصاب به الإنسان، بل يختلف عن ذلك اختلافاً كثيراً.

إن العاده الشهرية حينما تحدث للمرأة تشعر بشىء من الانفعال و الخجل و الانكسار و إن كان الأمر خارجاً عن إرادتها و اختيارها، و لكنها تتألم بهذا الحادث الذى لا يحسن التصريح به لكل أحد، و خاصه للرجال، و النزيف و حاله الانفعال توجد فى المرأة ضعفاً و انكساراً فى جسمها و روحها.

و لهذا سقط عنها حكم الصلاة و الصوم خلال فترة العاده، و حرّم الله عليها اللبث فى المساجد و دخول المسجد الحرام و المسجد النبوى و قراءه سور العزائم الأربع و هى السور التى فيها آيات السجده الواجبه و غير ذلك مما هو مذكور فى الكتب الفقهيّه.

و نفس هذه الأحكام تجرى فى أيام النفاس لنفس الأسباب التى مرّ ذكرها. و لكن الله تعالى كره لسيده النساء فاطمه الزهراء أن تتلوّث بهذه

القذاره المعنويه، فأذهب الله عنها الرجس و طَهَّرَها تطهيراً.

و هاك طائفه من الأحاديث الصحيحه التى تصرّح بهذا المعنى:

١- روى القندوزى فى ينايع الموده ص ٢٦٠ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إنما سُمِّيت فاطمه: البتول لأنها تَبَتَّلَتْ فى الحيض و النفاس.

٢- روى محمد صالح الكشفى الحنفى فى (المناقب) عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: و سميت فاطمه بتولاً لأنها تَبَتَّلَتْ و تَقَطَّعَتْ عما هو معتاد العورات فى كل شهر.

٣- روى الأمر تسرى فى (أرجح المطالب): أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) سئل عن بتول وقيل: إنا سمعناك - يا رسول الله - تقول: مريم بتول و فاطمه بتول؟ فقال: البتول التى لم تر حمرة قط، أى لم تحض، فإن الحيض مكروه فى بنات الأنبياء. أخرجه الحاكم.

٤- و روى الحافظ أبوبكر الشافعى فى (تاريخ بغداد ج ١٣ - ص ٣٣١) عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ابنتى حوراء آدميه لم تحض و لم تطمث... الى آخره و رواه النسائى أيضاً.

٥- و روى ابن عساكر فى (التاريخ الكبير ج ١ ص ٣٩١) عن أنس بن مالك عن أم سليم قالت: لم تر فاطمه (رضى الله عنها) دماً فى حيض و لا فى نفاس.

٦- الحافظ السيوطى: و من خصائص فاطمه (رضى الله عنها) أنها كانت لا تحيض،

٧- و روى الرافعى فى التدوين عن أم سلمه (ض) قالت: ما رأيت فاطمه (رضى الله عنها) فى نفاسها دماً و لا حيضاً.

ص: ١٠٢

٨- روى الطبرى فى (ذخائر العقبى) عن أسماء بنت عُميس قالت: قبلت (أى ولدت) فاطمه بالحسن فلم أر لها دمًا فى حيض ولا نفاس، فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «أما علمت أن ابنتى طاهره مطهره، لا يُرى لها دمٌ فى طمث ولا ولاده؟» ورواه الصفورى فى (نزهه المجالس) ص ٢٢٧.

٩- عن أبى بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: حرّم الله (عز و جل) على النساء ما دامت فاطمه حيّه (فى قيد الحياه).

قلت: وكيف؟

قال: لأنها طاهره لا تحيض.

قال شيخنا المجلسى: هذا التعليل يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون المراد أنها لما كانت لا تحيض حتى يكون له عذر فى مباشره غيرها فلذا حرّم الله عليه غيرها رعايه لحرمتها.

الثانى: أن جلالتها منعت من ذلك، و عبّر عن ذلك ببعض ما يلزمه من الصفات التى اختصت بها.

أقول: و نزاهه السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) عن هذه الدماء تُعتبر من مصاديق آيه التطهير التى تُصرّح بإذهاب الرجس عنهم و تطهيرهم تطهيراً.

ص: ١٠٣

لقد مرّ عليك أن من جملة أسمائها: العدراء أى أنها كانت عذراء دائماً، وقد مرّت عليك أحاديث كثيرة تصرّح بأنّ السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) خلقت من طعام الجنة، وصرّح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها حوراء إنسيه، وليس فى هذا التعبير شىء من المجاز أو الغلو، بل هى الحقيقة والحق.

و نجد إلى جانب تلك الأحاديث قوله تعالى: (إنا أنشأنا هن إن شاء فجعلنا هنّ أبكاراً) و معنى ذلك أنّ الحور العين أبكار دائماً.

و فى مجمع البيان فى تفسير الآية: لا يأتين أزواجهنّ إلّا و جدوهنّ أبكاراً.

و اليك هذا حديث الذى يفسّر الموضوع تفسيراً كاملاً.

فقد سأل رجل من الإمام الصادق (عليه السلام) - فى ضمن مسائل - قال: فكيف تكون الحوراء فى كل ما أتاها زوجها - عذراء؟

قال: لأنها خلقت من الطيب، لا يعتريها عاهه و لا تخالط جسمها آفه... و لا يدنسها حيض، فالرحم ملتزقه... الى آخر (1).

ص: ١٠٤

لقد فتحت السيدة فاطمه الزهراء عيناها في وجه الحياه، و في وجه أبيها الرسول ترتضع من أمها السيدة خديجه اللبني المزيح بالفضائل و الكمال.

و كانت تنمو في بيت الوحي نموًا متزايدًا، و تنبت في مهبط الرساله نباتًا حسنًا، يزقها أبوها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) العلوم الإلهيه، و يفيض عليها المعارف الربانيه، و يعلمها أحسن دروس التوحيد، و أرقى علوم الإيمان و أجمل حقائق الإسلام.

و يربّيها أفضل تربيّه و أحسنها، إذ وجد الرسول في ابنته المثاليه كامل الاستعداد لقبول العلوم و وعيها، و وجد في نفسها الشريفه الطيبه كل الروحانيه و النورانيه، و التهيؤ لصعود مدارج الكمال.

إلى جانب هذا شاءت الحكمة الإلهيه للسيدة فاطمه الزهراء أن تكون حياتها ممزوجه بالمكاره، مشفوعه بالآلام و المآسى منذ صغر سنّها، فإنها فتحت عيناها في وجه الحياه و إذا بها ترى أباهها خائفًا، يحاربه الأقربون و الأبعدون و يناوئه الكفار و المشركون.

فربما حضرت فاطمه في المسجد الحرام فرأت أباهها جالسًا في حجر إسماعيل (عليه السلام) يتلو القرآن، و ترى بعض المشركين يوصلون إليه أنواع الأذى، و يحاربونه محاربه نفسه.

و حضرت يوماً فنظرت إلى بعض المشركين و هو يُفرغ سلا الناقه (١).

ص: ١٠٥

على ظهر أبيها الرسول و هو ساجد.

كانت الزهراء تشاهد ذلك المنظر المولم، و تسمح ذلك عن ظهر أبيها و ثيابه، و ترمى القوم بكلمات التحقير و الهاهانه و هم يضحكون منها، شأن السفله الأوباش.

و عن ابن عباس: إن قريشاً اجتمعوا فى الحجر، فتعاقدوا باللات و العزى و مناه: لو رأينا محمداً لقمنا مقام رجل واحد، و لنقتلنه، فدخلت فاطمه (عليها السلام) على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بأكيه، و حكت مقالهم... الى آخر كلامه.

واشدت الأزمه و زادت المحنه حتى اضطر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يختفى فى شعب أبى طالب، و رافقته عائلته، و آل أبى طالب إلى ذلك المكان، و كانوا يعيشون فى جو من الإرهاب و الإرعاب. ففى كل ليله يتوقعون هجوم المشركين عليهم و خاصه بعد أن كتب المشركون الصحيفة القاطعه، و حاصروا بنى هاشم حصاراً اقتصادياً فلا يدعونهم يبيعون و لا يشترون شيئاً حتى المواد الغذائيه، بل و منعوا إيصال الطعام إليهم، فاستولى الجوع عليهم، و أثر فى الأطفال أكثر و أكثر، فلا عجب إذا كانت أصوات بكاء الأطفال تصل إلى مسامع أهل مكه، فبين شامت بهم مسرور، و بين متألم حزين.

و طالت المده ثلاث سنين و شهوراً، و كانت السيده فاطمه من الذين شملتهم هذه المأساه.

و هذه المآسى أيقظت فى السيده فاطمه روح الجهاد و الاستقامه و المثابره، و كأنها كانت فتره التمرين و التدريب للمستقبل القريب.

و مما كان يهون الخطب، و يجبر خاطر السيده فاطمه الزهراء و يقر عينها أنها كانت ترى البطل الشهم أباطالب يقف ذلك الموقف المشرف فى نصره أبيها الرسول فكان تاره يحمل سيفه و يرافقه أخوه حمزه و يمشيان

خلف الرسول نحو المسجد الحرام ليعلن مؤازرته و مناصرته للرسول، و كأنهما جنديان مسلحان في حاله الإنذار، و ربما انضم إلى أبي طالب بعض عبيده و مواليه يمشون خلف الرسول و كأنهم مفرزه عسكريه أو سريه جيش.

و تاره أخرى كان يصرّح بتجاوبه و انحيازه إلى الرسول، فكان يعلن إسلامه إظهاراً للحقيقه، فينظم القصائد التي كان لها أحسن أثر في ذلك اليوم في دعم الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، و منها:

ما رواه الطبرى بإسناده أن رؤساء قريش لما رأوا دفاع أبي طالب عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) اجتمعوا إليه، و قالوا: جئناك بفتى قريش جملاً و جوداً و شهامه: عماره بن الوليد، ندفعه إليك و تدفع إلينا ابن أخيك الذى فرق جماعتنا، و سقّه أحلامنا فنقتله!!

فقال أبوطالب: ما أنصفتُمونى! تعطونى ابنكم فأغذوه، و أعطىكم ابنى فتقتلونه؟ بل، فليأت كل امرئ بولده فأقتله، و قال:

منعنا الرسول رسول المليك

بييض تلاً كلمع البروق

أذود و أحمى رسول المليك

حمايه حام عليه شفيق

و أقواله و أشعاره المنبئه عن إسلامه كثيره لا تحصى فمن ذلك قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً

نبياً كموسى خطّ فى أول الكتب؟

أليس أبونا هاشم شدّ أزره

و أوصى بنيه بالطعان و بالحرب؟

و قوله من قصيده:

و قالوا لأحمد: أنت امرؤ

خلف اللسان ضعيف السبب

ألا: إن أحمد قد جاءهم

بحق، و لم يأتهم بالكذب

و قوله فى حديث الصحيحه، و هو من معجزات النبى (صلى الله عليه و آله و سلم):

ص: ١٠٧

و قد كان أمر الصحيفة عبره

متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم وعقوقهم

و ما نقموا من ناطق الحق معرب

و أمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً

على سخط من قومنا غير معتب

و قوله من قصيده يخص أخاه حمزه على اتباع النبي والصبر في طاعته:

صبراً أبا يعلى على دين أحمد

و كن مظهراً للدين وفقت صابراً

فقد سرنى إذ قلت أنك مؤمن

فكن لرسول الله في الله ناصراً

و قوله يحض النجاشي (ملك الحبشه) على نصر النبي:

تَعْلَمُ (١) مَلِيكَ الْحَبَشِ أَنْ مُحَمَّدًا

نَبِي كُمُوسَى وَ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ

أَتَى بِهَدْيٍ مِثْلَ الَّذِي أَتَى بِهِ

وَ كُلٌّ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدَى وَ يَعْصِمُ

وَ إِنَّكُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ

بصديق حديث، لا حديث المرجم

فلا تجعلوا لله نداً، و أسلموا

و إن طريق الحق ليس بمظلم

و قال أيضاً:

لقد أكرم الله النبي محمداً

فأكرم خلق الله في الناس أحمد

و شقّ له من اسمه ليجلّه

فدو العرش محمود، و هذا محمد (٢) .

و قال أيضاً:

كذبتُم و بيتِ الله نَبِيَّ محمداً

و لما نطاعن دونه و نناضلِ

و نُسلمه حتى نُصرِّع حوله

و نذهل عن أبنائنا و الحلائلِ

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمّال اليتامى عصمه للأراملِ

يلوذ به الهلاك من آل هاشم

فهم عنده في رحمه و فواضلِ

ص: ١٠٨

١- ١١٠. تعلم اى اعلم.

٢- ١١١. و قد ضمن حصان بن ثابت هذا البيت في قصيده في مدح الرسول.

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذّب

لدينا، ولا نعبأ بقول الأباطل

فأيّده ربّ العباد بنصره

و أظهر ديناً حقه غير باطل

اقیم علی نصر النبی محمد

أُقاتل عنه بالقنا و القنابل (١).

إلى غير ذلك من مواقفه وتصريحاته ومساندته للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولولا إيمانه بالله واعتقاده بالإسلام لما قام تلك المواقف، و لما غامر بنفسه وبأولاده في سبيل نصره النبي و تقويه دينه. و لم يكن ذلك التفادى و المخاطره بدافع القرابه، فلقد كان للرسول ثمانية أعمام (غير أبى طالب) فلماذا لم يسجل التاريخ لهم تلك المواقف المشرفه، بل سجل التاريخ عن بعض أعمام النبي مواقف مخزيه كمواقف عمّه أبى لهب.

ص: ١٠٩

١ - ١١٢. القنابل: جمع قبله - الطائفه من الناس او الخيل - و فى الاصطلاح الحديث هى القذيفه المحشوه بمواد متفجره او حارقه.

كانت الأعوام تَمُرُّ، و السنوات تنقضى، و حياه الزهراء مشفوعه بالحوادث و المآسى، و قد بلغت السابعة من عمرها أو قاربت الثامنه و إذا بفاجعه تطلُّ على حياتها، و تخيِّم الهموم و تراكم الأحزان على قلبها، و هى وفاه أمها السيده خديجه، تلك الأم البارّه الحنون التى كانت تنظر إلى ابنتها الصغيره فاطمه العزيزه نظره حزن و تألم و تأثر لأنها تعلم أن الزهراء ستفجع بأُمها العطوفه الرؤوفه.

كانت السيده خديجه طريحه الفراش، و قد خيِّم عليها شبح الموت، فدخل عليها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هى تعالج سكرات الموت فقال لها: بالرغم منّا ما نرى بك يا خديجه، فإذا قدمت على ضرائك فاقريهن السلام! قالت: من هنّ يا رسول الله؟

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): مريم بنت عمران، و كلثم أخت موسى، و آسيه امرأه فرعون. فقالت: بالرفاء يا رسول الله (١).

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: أُمّرت أن أبشّر خديجه ببيت فى الجنه من قصب، لا صخب فيه و لا نصب (٢).

قال ابن الأثير فى (النهايه): القصب - فى هذا الحديث -: لؤلؤ

ص: ١١٠

١- ١١٣. البحار جلد ١٩ / ٢٤ عن من لها يحضره الفقيه.

٢- ١١٤. مسند احمد.

مَجَوَّف واسع كالقصر المنيف. والصخب: الضججه و اضطراب الأصوات للخصام.

كانت السیده خديجه تتأوه و تبكى فقالت لها أسماء بنت عميس:

أتبكين و أنت سيده نساء العالمين؟ و أنت زوجة النبي؟ مبشره على لسانه بالجنه؟

فقلت: ما لهذا بكيت، و لكن المرأة ليله زفافها لا بدَّ لها من امرأه تفضى إليها بسرّها و تستعين بها على حوائجها، و فاطمه حديثه عهد بصبا، و أخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ!

فقلت أسماء: يا سيدتى لك عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك فى هذا الأمر... إلى آخر الخبر.

و فارقت السیده خديجه الحياه، و عمرها ثلاث و ستون سنه (على قول) فكانت وفاتها ضربه مؤلمه على قلب الرسول، و خاصه و أن النبي قد فجع بعّمه أبى طالب بعد أيام أو شهور من وفاه السیده خديجه فازداد حزناً، حتى سَمّى تلك السنه (عام الحزن) لأنه أصيب بمصيبتين عظيمتين على قلبه البار:

مصيبه زوجته خديجه، لا لأنها زوجته فقط، بل لأنها أول من صدّفته بالنبوه، و لأنها كانت زوجة و معاضده و مساعده و محاميه لزوجها، لانها و هبت الالاف المولفه من اموالها فى سبيل الاسلام لانها كانت تحمل شخصيه فريده من نوعها فى المكه، فى نساء العرب.

و دفنت فى الهجون، فنزل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى قبرها. و كانت السیده فاطمه (عليه السلام) تلوذ به رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و تدور حوله و تساله: يا رسول الله عين امى؟ فجعل النبي لايجيبها، و هى تدور على من تسئله، فهبط عليه جبرائيل فقال: ان ربك

يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى فَاطِمَةَ السَّلَامِ وَتَقُولَ لَهَا: أَمَّكَ فِي بَيْتٍ مِنْ قُصْبٍ، كَعَابِهِ مِنْ ذَهَبٍ، وَ أَعْمَدَتِهِ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، بَيْنَ آسِيهِ
امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ.

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَ مِنْهُ السَّلَامُ، وَ إِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَامُ.

وَالْمَصِيبَةُ الْآخَرَى مَصِيبُهُ عَمُّهُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَفَلَ النَّبِيَّ مِنْ يَوْمِ وَفَاةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَ هُوَ ابْنُ ثَمَانَ سِنُونَ، وَ اسْتَمَرَّتِ
الْكَفَالَةُ حَتَّى بَلَغَ النَّبِيُّ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثًا وَ خَمْسِينَ سَنَةً، وَ هِيَ السَّنَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا أَبُو طَالِبٍ.

وَلَأَبَى طَالِبٍ حَقُوقٌ وَ خِدْمَاتٌ وَ مَوَاقِفٌ تَجَاهُ النَّبِيِّ طِيلُهُ هَذِهِ السِّنُونَ تُعْتَبَرُ فِي قِمِّهِ فَضَائِلُهُ وَ فَوَاضِلُهُ، وَ لَوْلَاهُ لَمَاتِ الدِّينُ
الْإِسْلَامِيُّ وَ هُوَ فِي الْمَهْدِ:

وَ لَوْلَا أَبُو طَالِبٍ وَ ابْنُهُ

لَمَا مَثُلَ الدِّينُ شَخْصًا فَقَامَا

فَهَذَا بِمَكَّةِ آوَى وَ حَامَا

وَ هَذَا يِثْرِبَ جَسَّ الْجِمَامَا

وَ لِلَّهِ ذَا فَاتِحًا لِلْهَدَى

وَ لِلَّهِ ذَا لِلْمَعَالِي خَتَامَا

وَ كَانَ لِهَاتَيْنِ الْفَاجِعَتَيْنِ أَكْبَرَ الْأَثَرِ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ وَ تَغْيِيرَ مَجْرَاهَا، لَوْلَا مَوْتُ أَبِي طَالِبٍ لَمَا هَاجَرَ مِنْ مَكَّةِ، لِأَنَّهُ حِينَ ذَاكَ شَعَرَ
بِفَقْدَانِ النَّاصِرِ وَ الْكَفِيلِ وَ الْمُحَامِي وَ لَمْ يَكُنْ فِي أَعْمَامِهِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى عَمَّهُ حَمْزَةُ يَوْمَ ذَاكَ.

وَ قَدْ رثَاهُ ابْنُهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِأَبْيَاتٍ:

أَبَا طَالِبٍ عَصْمَةُ الْمُسْتَجِيرِ

وَ غِيْثُ الْمَحْوُولِ وَ نُورُ الظُّلَمِ

لَقَدْ هَدَّ فَقْدَكَ أَهْلَ الْحِفَازِ

فَصَلَّى عَلَيْكَ وَلِيَ النِّعَمِ

وَ لَقَاكَ رَبُّكَ رِضْوَانَهُ

فقد كنت للطهر من خير عم [\(١\)](#).

ص: ١١٢

١- ١١٥. كتاب الكنى و الالقاب للقمى.

و لما أصيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوفاه السيدة خديجة وعمه أبى طالب عزم على الهجرة من مكة، وأمر علياً أن يبيت على فراشه تلك الليلة، و سُمِّيت تلك الليلة: (ليلة المبيت) و هى الليلة التى اجتمع فيها حوالى أربعين أو أربعة عشر رجلاً من المشركين، و طَوَّقُوا بيت الرسول، و هم يريدون الهجوم على النبى ليقتلوه فى بيته، فخرج النبى إلى الغار، و بقيت السيدة فاطمه فى البيت، و هى تتوقع هجوم الأعداء على دارها فى كل ساعه و تستمع إلى هتافات الكفر و الإلحاد ضد الرسول.

و يعلم الله مدى الخوف و القلق المسيطر عليها طيلة تلك الليلة، و هى تعلم خشونه طباع المشركين و قساوه قلوبهم، فيكون أسوأ الاحتمالات عندها أقرب الاحتمالات.

و إلى أن أصبح الصباح من تلك الليلة، و هجم القوم فى الدار شاهرين سيوفهم كأنهم ذئاب ضارية أو كلاب مستسبعة تطلب فريستها، و قصدوا نحو فراش النبى فلم يجدوه بل وجدوا علياً (عليه السلام) راقداً فى فراش النبى، ملتحفاً برده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخابت ظنونهم، و خرجوا من الدار فاشلين، و كادوا أن يتفجروا حقداً و غيظاً و غضباً.

فكانت تلك الساعات من أخرج الساعات و أكثرها خوفاً و فزعاً على قلب السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام).

و يا ليت الأمر كان ينتهى هنا، و لكن أحقاد الكفر كانت كامنه فى

و لما خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفواطم من مكة و هُنَّ: فاطمه الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و فاطمه بنت أسد (أم أمير المؤمنين) و فاطمه بنت الزبير بن عبدالمطلب، فلحقهم العدو، و اعترضهم في أثناء الطريق للحيلولة دون الهجره، و كان الموقف حرجاً، و استولى الرعب و الفزع على قلوب الفواطم من الأعداء، و كادت أن تقع هناك كارثه أو كوارث لولا حفظ الله و عنايته، ثم بساله الإمام على و بطولته المشهوره، و كفاهم الله شر الأعداء، و نجى على و الفواطم بقدره الله تعالى.

وصلت الفواطم إلى المدينه، و قد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد سبقهم إليها، و كان ينتظرهم، و لما وصلوا دخل النبي المدينه و نزل في دار أبي أيوب الأنصاري، و التحقت به ابنته فاطمه الزهراء، و نزلت على أم أبي أيوب الأنصاري.

كانت السيده الزهراء تعيش تحت ظل والدها الرسول في المدينه بعد أن مرّت بها عواصف شديده و حوادث مؤلمه، من موت أمها خديجه و هجره أبيها الرسول من وطنه و مسقط رأسه، و هجوم الأعداء على الدار، و هجرتها من مكة إلى المدينه، و مطارده الأعداء لها،

فهل انتهت تلك الحوادث و المصائب؟

كلا، بل كانت تلك القضايا بدايه مآسى أخرى، و كوارث متسلسله متعاقبه، إذ ما مضت سنه واحده على الهجره الا و المشركون يجتمعون في مكة و يقصدون التوجه إلى المدينه لمحاربه الرسول و المسلمين.

فنول جبرئيل و أخبر النبي بالمؤامره، و خرج (صلى الله عليه و آله و سلم) بالمسلمين من أهل المدينه و بمن التحق به من المهاجرين من أهل مكة، خرج بهم ليستقبل العدو في أثناء الطريق قبل وصولهم المدينه، فوصلوا

إلى منطقته بين المدينة و مكة يقال لها: (بدر).

و هناك التقوا بالمشركون، و كان عدد المشركين ثلاثة أضعاف المسلمين، و لكن كانت الغلبة و الانتصار للمسلمين و الهزيمة والاندحار للمشركين، فرجع النبي إلى المدينة مظفراً منصوراً.

ص: ١١٥

و بعد سنه واحده و شهر وقعت غزوه أحد، و قُتل فيها من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سبعون رجلاً كانوا هم الصفوة و الزبده من أصحابه، و فى طليعتهم عمّه سيد الشهداء حمزه بن عبدالمطلب، و أُصيب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بحجر انكسرت منه جبهته الشريفه، و حجر أصاب فمه الطاهر و انكسرت منه ثنياه، و تخثر الدم على لحيته كأنه حنّاء أو خضاب.

و فى تلك الآونه صاح إبليس صيحه سمعها المسلمون فى أحد، و سمعها أهل المدينه، صاح: (قُتل محمد).

اضطربت القلوب فى جبهه القتال، و انهزم المنهزمون، و ثبت المؤمنون حقاً، و لم يكن اضطراب العوائل فى المدينه بأقل من اضطراب المسلمين فى ساحه القتال. و قد خرجت صفيه بنت عبدالمطلب (عمه النبى) و فاطمه الزهراء إلى أحد، فصاحت فاطمه، و وضعت يدها على رأسها.

و خرجت تصرخ، و خرجت كل هاشميه و قريشيه، واضعه يدها على رأسها.

و كان وصول فاطمه الزهراء وصفيه إلى أحد بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و بعد أن قُتل من قُتل، و جرح من جرح، و كان النبى يتفقد القتلى و يبحث عن المفقودين من أصحابه.

و هو إذ ذاك قد وصل إلى مصرع حمزه، فوجده بحاله لا توصف،

فقد مثّلوا به أبشع وأقبح مثله، فقد قطعوا أصابع يديه ورجليه، وجدعوا أنفه وأذنيه وشقّوا بطنه، وأخرجوا كبده، وتركوه بهذه الحالة.

كان هذا المنظر المشوّء مؤلماً ومحرزناً ومخدشاً لقلب الرسول، إذ هو نكايه وتنكيل من المشركين لعَمِّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وناصره والمدافع عنه.

كان الحزن والغیظ قد أخذ من الرسول كل مأخذ، فبينما هو كذلك وإذا به يرى عَمَّتَه صفیه وابنته فاطمه قد توجّهتا نحو تلك المنطقه، فغطى الرسول جثمان حمزه بردائه، وسَتَرَه من القرن إلى القدم كي لا يُرى شیء من مواضع المثله.

وأقبلت صفیه و فاطمه تعدّوان، و جلستا عند مصرع حمزه، و شرعتا بالبكاء والنحيب، و رسول الله يساعدهما على البكاء، و يشاركهما فى الأنين والنحيب، ثم نظرت فاطمه إلى جراحه جبهه الرسول، و إلى الدماء المتخثره على وجهه الطاهر و لحيته الشريفه، فصاحت و جعلت تمسح الدم و تقول: اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله.

فغسلت الدماء عن وجه أبيها، و كان على يصبّ الماء بالمجن (١).

فلما رأت فاطمه أنّ الماء لا يزيد الدم إلاّ كثره عمدت إلى قطعه حصيره فأحرقتها، و جعلت رمادها ضماداً على جبهه أبيها، و ألزمته الجرح، فاستمسك الدم.

أترى كيف انقضت تلك الساعات على قلب فاطمه؟

فقد تداخلها الحزن العظيم والخوف الشديد و هى البنت البارّه بأبيها، العارفه بحقه.

و لما رجع على (عليه السلام) من أحد ناول فاطمه سيفه، و قال:

ص: ١١٧

خذى هذا السيف، فلقد صدقنى اليوم، و أنشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم

فلستُ برعديدٍ، و لا بلثيم

لعمرى لقد أعذرتُ فى نصر أحمد

و طاعه ربُّ بالعباد عليم

أريد ثواب الله لا شىء غيره

و رضوانه فى جنه و نعيم

و كنتُ امرأً يسمو إذ الحرب شُمُرت

و قامت على ساق بغير ملیم

أُمت بن عبدالدار حتى جرحته

بذى رونق يفرى العظام صميم

فغادرته بالقاع فارفضَّ جمعه

عباديد مما قانط و كلیم

و سيفى بكفى كالشهاب أهزه

أحرَّ به من عاتق و صميم

فما زلت حتى فضَّ ربى جموعهم

و أشفيت منهم صدر كل حلیم

أميطى دماء القوم عنه فإنه

سقى آل عبد الدار كأس حمیم

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): خذيه يا فاطمه فقد أدَّى بعلك ما عليه، قتل الله صناديد قريش بيديه.

ايها القارىء الكريم: لقد مرَّ عليك أن السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام) حضرت فى أحد، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و لما نظرت إلى جراحه أبيها غسلت الدماء بالماء، و أحرقت قطعه حصيره و جعلت رمادها على جبهه أبيها الرسول.

هذه الواقعة كما ذكرها المؤرخون.

و لكن فى زماننا- هذا- جاءت طائفه من الناس، واعتبروا هذه الواقعة ساحه لمسرحياتهم الشاذه، فكتبوا بكل إصرار و إلحاح و تكرر أن فاطمه كانت تحضر جبهات القتال و تضمّد الجرحى، و تداويهم و تسعفهم!!

أنا ما أدري ما يقصد هؤلاء الشواذ من اختلاق هذه الأكذوبه؟

إذا قامت سيده بتضميد جراحه أبيها فقط و فقط فى العمر مره واحده بعد انتهاء القتال هل يقال عنها: أنها كانت تحضر جبهات القتال و تضمّد

ص: ١١٨

الجرحي و تداويهم؟؟

أنا ما أدري ما هدف هؤلاء من ترويح هذا الباطل و إشاعه هذا الافتراء؟

هل يريدون المسّ بقدسيّته السيده فاطمه الزهراء و نرايتها؟

أم يريدون فتح الطريق للاختلاط بين الجنسين.

و لنفرض أن نسيبه بنت كعب حضرت يوم أحد لتضميد الجرحى فهل معنى ذلك أن نعتبر السيده فاطمه الزهراء- و هي سيده نساء العالمين في العفاف و الحياء و الحشمه و النزاهه و العصمه نعتبرها كالموظفات في المستشفيات و المستوصفات و مؤسسات الإسعاف الدوليه؟؟

أنا ما أدري، و لعلهم يدرون و يعرفون ما يبرّر لهم هذه الأكذوبه!.

ص: ١١٩

و من المشاكل التي عكّرت - على السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) - حياتها أنها ابتليت ببعض زوجات أبيها الرسول، من اللواتي قد تكوّنت عندهنّ عقده نفسيه، فكُنَّ يحسّدن السيدة فاطمه الزهراء على مواهبها و فضائلها، و خاصه و أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) كان يغمر السيدة فاطمه بألطفه و يمطر عليها عواطفه، و يحبها حباً عجيباً يهيج في قلوب بعض نساءه الحسد الكامن.

فقد روى شيخنا المجلسي (عليه الرحمه) عن كتاب الخصال عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) منزله، فإذا عائشه مقبله على فاطمه تصايحها، و هي تقول: و الله يا بنت خديجه ما ترين إلا أنّ لأُمّك علينا فضلاً، و أي فضل كان لها علينا؟ و ما هي إلاّ كبعضنا!!

فسمع النبي مقالتها لفاطمه، فلما رأت فاطمه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بكت، فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟

قالت: ذكرت عائشه أُمّي فنقصتها فبكيّت.

فغضب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ثم قال: مه يا حميراء! فإن الله تبارك و تعالى بارك في الودود الولود و إن خديجه (رحمها الله) ولدت منى طاهراً (و هو عبدالله) و هو المطهر، و ولدت منى القاسم و رقيه و أم كلثوم و زينب، و أنت ممن أعقم الله رَحِمها. فلم تلدى شيئاً (١).

ص: ١٢٠

و لعائشه مواقف غير مشكوره تجاه السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) تدل على جانب كبير من انحرافها العميق العريق المتواصل، بحيث لم يُعهد تلك المواقف المتطرفه من بقيه زوجات الرسول تجاه سيده العالمين.

و منها: لما بلغ عائشه خبر وفاه الزهرا (عليه السلام) تبسمت!!

و سوف تقرا ان السيده فاطمه اوصت اسماء بنت عميس بعدم السماح لعائشه ان تحضر عند جنازتها ساعه الوفاه، و هذا يدل على سخطها على عائشه و عدم رضاها عنها، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «ان الله يغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضاها».

هذا.. و فى الحديث الاول تصريح بأن بنات السيده خديجه الكبرى كلهن من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا من زوج آخر و ليس هذا الحديث هو الدليل الوحيد على ذلك بل توجد أدلّه و براهين قطعيه على أنّهن كنّ بنات رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حقيقه، و من صلبه، إلا أن المجال- فى هذا الكتاب- لا يسع للشرح و التفصيل أكثر من هذا، و لعلنا نلتقى- إن شاء الله- بالقراء فى غير هذا الكتاب حول هذا الموضوع، و نؤدى بعض ما يتطلبه البحث و التحقيق.

ص: ١٢١

كانت السيدة فاطمه الزهراء (عليه السلام) قد بلغت من العمر تسع سنوات، و لكنها كانت تتمتع بالنمو الجسمي، بل الكمال الجسماني، و كانت تمتاز من صغر سنّها بالنضج الفكري و الرشد العقلي المبكر، و قد وهب الله لها العقل الكامل و الذهن الوقاد، و الذكاء الذي لا يوصف، و لها أوفر نصيب من الحسن و الجمال و الملاحه، خلقه و وارثه، فمواهبها كثيره و فوق العاده و فضائلها الموروثة و المكتسبه تمتاز عن كل أنثى و عن كل ابن أنثى.

و أما ثقافتها الدينيه و الأدبيه فحدّث و لا حرج، و سيتضح لك أنها أعلم امرأه و أفضلها في العالم كله، و لم يشهد التاريخ امرأه حازت الثقافه و العلم و الأدب بهذا المستوى، مع العلم أنها لم تدخل في مدرسه و لم تتخرج من كليه سوى مدرسه النبوه و كليه الوحي و الرساله.

فلا عجب إذا خطبها مشاهير أصحاب النبي، (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان النبي يعتذر إليهم و يقول: أمرها إلى ربها، إن شاء أن يزوّجها زوّجها.

و روى شعيب بن سعد المصري في (الروض الفائق): (فلما استنارت في سماء الرساله شمس جمالها، و تم في أفق الجلاله بدر كمالها، امتدت إليها مطالع الأفكار و تمتّ النظر إلى حسنّها أبصار الأخيار، و خطبها سادات المهاجرين و الأنصار، ردّهم (المخصوص من الله بالرضا) و قال: إني

أنتظر بها القضاء). و خطبها أبوبكر و عمر فقال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): إنها صغيره (١) و خطبها عبدالرحمن بن عوف، فلم يجبه النبي بل أعرض عنه.

بعد الانتباه إلى هذه الجملة و هى قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): (أنها صغيره) يتضح لنا أيضا تزوير الأقوال المرويه بولادتها قبل المبعث بخمس سنين، إذ لو كان الأمر هكذا لكان عمرها يومذاك ثمانية عشر سنة كما صرح بذلك بعد هولاء، والبنت التى عمرها ثمانية عشر سنة كيف تكون صغيره؟ و قد تزوج رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عائشه و عمرها على أكثر التقادير عشر سنوات، و لم يعتبرها الرسول صغيره فكيف تكون ابنته الشابه صغيره لا تصلح للزواج؟

ثم لو كان الأمر كما يزعمون و إنها ولدت قبل المبعث بخمس سنين لكان عمرها يوم كانت فى مكه- قبل الهجره- بين السادسة عشره و السابعة عشره، و هذه الفتره من العمر أحسن أوقات الزواج، فكيف لم يخطبها أحد فى مكه، لا من بنى هاشم و لا من غيرهم بل لم يُسمع أنها كانت فى مظنه الخطبه و الزواج؟؟

و قد روى على بن المتقى فى كتابه: (كنز العمال ج ٢ ص ٩٩) عن أنس بن مالك قال: جاء أبوبكر إلى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتى و قدّمتى فى الإسلام و أنى و أنى...

قال: و ما ذاك؟

ص: ١٢٣

قال: تزوجني فاطمه.

فسكت عنه أو قال: فأعرض عنه، فرجع أبوبكر إلى عمر فقال: هلكتُ و أهلكت.

قال: و ما ذاك

قال: خطبت فاطمه إلى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فأعرض عني

قال عمر: مكانك حتى آتي النبي فأطلب منه مثل الذي طلبت.

فأتى عمر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي و قدّمي في الإسلام و أني و أني...

قال: و ما ذاك؟

قال: تزوجني فاطمه. فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها.

و روى الهيثمي في (مجمع الزوائد): أن كُلاًّ من أبي بكر وعمر أمر ابنته أن تخطب فاطمه من رسول الله، فذكرت كل واحدة منهما فاطمه لأبيها، فأجابها رسول الله: حتى ينزل القضاء، فتمنّت كل واحدة منهما أنهما لم تكن ذكرت للنبي شيئاً.

و لعل الرسول ما يكن يحب أن يصارحهم بأنه يدخرها لكفوها، و ما أحب أن يصارحهم بأنهم ليسوا بأكفاء لها أو يفاجئهم بأن مستوى ابنته فوق المستويات.

كان الرسول يرى أن تجرى الأشياء على مجراها الطبيعي، و كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد نزل في بيت سعد بن معاذ (على قول) منذ وصوله إلى المدينة، فجاء إليه سعد بن معاذ و هو في بعض بساتين المدينة و قال: ما يمنعك أن تخطب فاطمه من ابن عمك؟

ص: ١٢٤

و فى (منتخب العمال): انطلق عمر إلى على (رضى الله عنه) فقال: ما يمنعك من فاطمه فقال:

أخشى أن لا يزوّجنى!

قال: فإن يزوّجك فمن يزوج؟ و أنت أقرب خلق الله إليه.. إلى آخر كلامه.

إن علياً لم يذكر فاطمه طيله حياته لأى أحد، و لم يذكر رغبته حياءً من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ثم ظروفه الاقتصادية يومذاك كانت قاسيه جداً، فما كان يملك من حطام الدنيا أموالاً و لا يملك فى المدينه داراً ولا عقاراً، فكيف يتزوج؟ و أين يتزوج؟ و أين يسكن؟

و ليست السیده الزهراء بالمرأه التى يستهان بها فى زواجها!

و لكن، لما كان المقصود من الزواج تشكيل البيت الزوجى و تأسيس الصرح العائلى، و فقد جاء الإسلام ليفتح الأغلال و التقاليد التى حبست على الناس سنّه الزواج، و شددت عليهم هذا الأمر الذى يعتبر من ضروريات الفطره، و من لوازم نظام البقاء و الحياه الزوجيه و العائليه.

فقد أصبح الزواج- بفضل الإسلام- أمراً سهلاً مستسهلاً، فالتعصب القبلى و العنصرى قد أشرف على الزوال، و كان الرسول فى دور التكوين، و هو القدوة و الأسوه للمسلمين، و حركاته و سكناته، و أعماله و أفعاله ستكون حجه و دليلاً عند المسلمين، فكان الرسول يحارب تقاليد الجاهليه و عادات الكفر باللسان واليد، قولاً و فعلاً.

فقد أتاه على يخطب منه ابنته فاطمه، و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) له الولايه العامه على جميع المسلمين و المسلمات، و على ابنته و من عداها، و لكنه (صلى الله عليه و آله و سلم) حفظ لفاطمه كرامتها، و لم يعلن موافقته للزواج قبل الاستئذان من فاطمه، و بعمله هذا أعلن أنه لا بد من

موافقه البنت لأنها هي التي تريد أن تعيش مع زوجها، و تكون شريكه حياته، و يكون شريك حياتها.

إن تزويج البنت بغير إذنها أو موافقتها إهدار لكرامتها و تحقير لنفسيتها، و تحطيم لشخصيتها، و تصريح عملي لها أنها لا يحق لها إبداء رأيها حول انتخاب الزوج فكأنها بهيمه أو داجنه تباع و توهب بلا إذن منها أو موافقه.

فقال الرسول: يا على قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهه في وجهها، و لكن على رسلك حتى أخرج إليك.

فقام (صلى الله عليه و آله و سلم) و ترك علياً جالساً ينتظر النتيجة. و دخل على ابنته فاطمه، و أخبرها بأن علياً جاء يطلب يدها؛

ربما يحتاج الأب إلى أن يخبر ابنته عن جاء يخطبها و يذكر لها أوصافه من حيث العمر والمهنة و بقيه الخصوصيات إذا لم يكن معروفاً، لتكون البنت على علم و بصيره.

و لكن هنا لا حاجة إلى ذلك، فعلى (عليه السلام) أعرف من أن يعرف، و فاطمه تعرف علياً و تعرف سوابقه و مواهبه و فضائله، و لا تجهل شيئاً. فاكتفى الرسول بأن قال: يا فاطمه إن على بن أبى طالب من قد عرفت قرابته و فضله و إسلامه، و إنى قد سألت ربي أن يزوجه خير خلقه، و أحبهم إليه، و قد ذكر عن أمرك شيئاً، فما ترين؟

فسكتت، و لم تولّ وجهها، و لم ير فيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كراهه، فقام و هو قول: الله أكبر! سكوتها إقرارها.

اعتبر الرسول سكوتها موافقه و رضى منها على الزواج، إذ لا ينتظر من الفتاه البكر الحيه (ذات الحياء) أن تصرّح بموافقتها، بل ينتظر منها التصريح بالمخالفه و الرفض عند عدم الموافقه، لأن الحياء يمنع التصريح

بالموافقه، و لا يمنع التصريح بالرفض.

و رجع النبي إلى علي و هو ينتظر، فأخبره بالموافقه، و سأله عن مدى استعدادة لاتخاذ التدابير اللازمه لهذا الشأن، إذ لابد من الصداق و دوى على مر الأجيال، فلا بد من رعايه جميع جوانبه، و لا يصح إهمال أى ناحيه منه مع رعايه البساطه:

فقال النبي لعلي: هل معك شىء أزوجك به؟

فقال علي: فداك أبى و أمى! و الله لا يخفى عليك من أمرى شىء، أملك سيفى و درعى و ناضحى!! (١). هذه ثروه الامام على، و جميع ما يملكه من حطام الدنيا و هو مقبل على الزواج.

تلقى الرسول كلامه بر حابه صدر، و قال:

يا على! أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به فى سبيل الله، و تقاتل به أعداء الله، و ناضحك تنضح به على نخلك و أهلك، و تحمل عليه رحلك فى سفرك، و لكنى قد زوجتك بالدرع و رضيت بها منك، بع الدرع و ائتنى بثمان!!

و كان علي (عليه السلام) قد أصاب هذه الدرع من مغانم غزوه بدر- كان كما ذكره العسقلانى فى (الإصابه ج ٤ ص ٣٦٥) و قد كان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أعطاه إياها، و كانت تسمى (الحطمية) لأنها كانت تحطم السيوف أى تكسرها- كما فى لسان العرب....

فباع علي (عليه السلام) الدرع بأربعمائه و ثمانين أو بخمسائه

ص: ١٢٧

درهم، و جاء بالدرهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و طرحها بين يديه، و تَمَّ الوفاق على أن يكون ثمن الدرع صدقاً لأشرف فتاه في العالم، و أفضل أنثى في الكون، و هى سيده نساء العالمين، و بنت سيد الأنبياء و المرسلين و أشرف المخلوقين!!

زَوَّج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته الطاهره من على بن أبى طالب بهذه البساطه و السهوله ليفكك أغلال التقاليد التى قَيَّد الناس بها أنفسهم. لقد صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما صنع ليقْتدى به الناس الذين هم دونه فى الشرف و المنزله بملايين الدرجات.

و زَوَّج ابنته و هى سيده نساء العالمين بمهر قليل كى لا تستنكف الفتاه المسلمه أن تتزوج بمهر قليل.

و غير ذلك من الحِكم و الفوائد التى لا مجال لذكرها هنا.

فقد حفظ الله تعالى لسيده النساء كرامتها، فقد زَوَّج الله فاطمه الزهراء من الامام على بن أبى طالب قبل أن يزوجه أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من على.

و ليس ذلك ببعيد، فقد زَوَّج الله من هى دون فاطمه الزهراء بدرجات و مراتب كثيره، أليس الله قد زَوَّج زينب بنت جحش من رسول الله بقوله تعالى: «فلما قضى زيد منها وطراً زَوَّجناها».

أليس الله قد زوج رسوله امرأه مؤمنه و هبت نفسها للنبي؟

فما المانع أن ينعقد مجلس العقد أو حفله القرآن فى السموات العلى، و يحضرها الملائكة المقربون كما صرَّحت بذلك الأحاديث؟

كل ذلك كرامه لها و لأبيها، و بعلمها و بنيتها الذين سيولدون منها،

و هم حجج الله على الخلق أجمعين.

كانت حفله القرآن التى أقيمت فى السماء الرابعة عند البيت المعمور وحيدته من نوعها فريده بمزاياها، لم يشهد الكون مثلها، فقد اجتمع ملائكة السموات كلها فى السماء الرابعة و نُصب منبر الكرامه، و هو منبر من نور، و أوحى الله تعالى إلى مَلَكٍ من ملائكة حُجَّبه يقال له: (راحيل) أن يعلو ذلك المنبر، و أن يحمده بمحامده، و يمجِّده بتمجيده، و أن يثنى عليه بما هو أهله، و ليس فى الملائكة أحسن منطقاً و لا أحلى لغةً من راحيل المَلَك، فعلا المنبر و قال: «الحمد لله قبل أوليِّه الأولين، الباقي بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين، و بربوبيته مدعين، و له على ما أنعم علينا شاكرين، و حَجَّب عنا النهم للشهوات، و جعل نهمتنا و شهوتنا فى تقديسه و تسيبحه.

الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلَّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين و تعالى بعظمته عن إفك الملحدين ثم قال- بعد كلام:-

اختار الله الملك الجبار صفوه كرمه، و عبد عظمته لأُمته سيده النساء، بنت خير النبيين و سيد المرسلين و إمام المتقين، فوصل حبله بحبل رجل من أهله، صاحبه المصدِّق دعوته، المبادر إلى كلمته، على الوصول بفاطمه البتول ابنه الرسول.

ثم أعقبه جبرئيل عن الله تعالى قوله:

(الحمد ردائى، و العظمه كبريائى، و الخلق كلهم عبيدى و إمائى، زوّجت فاطمه أمتى من على صفوتى اشهدوا يا ملائكتى) (1) و قد روى هذا الحديث جمع من علماء العامه منهم:

ص: ١٢٩

عبدالرحمن الصفورى فى (نزهه المجالس ج ٢ ص ٢٢٣) عن جابر بن عبدالله (رضى الله عنه): قال: دخلت أم أيمن على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهى تبكى، فسألها عن ذلك.

فقلت: دخل على رجل من الأنصار و قد زوّج ابنته، و قد نثر عليها اللوز والسكر، فتذكرت تزويجك فاطمه و لن تنثر عليها شيئاً.

فقال: والذى بعثنى بالكرامه، و خصنى بالرساله إن الله- لما زوج علياً فاطمه- و أمر الملائكه المقربين أن يحدقوا بالعرش، فيهم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل، و أمر الطيور أن تغنى، فغنت، ثم أمر شجره طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر.

و فى روايه: إن الزواج عند سدره المنتهى و أوحى الله إليها أن أنثرى ما عليك فنثرت الدر و الجواهر و المرجان.

و ذكر الحافظ أبو نعيم فى (حليه الأولياء ج ٥ ص ٥٩): عن عبدالله بن مسعود:....ثم أمر الله شجره الجنان فحملت الحلى و الحل، ثم أمرها فنثرته على الملائكه، فمن أخذ منهم شيئاً يومئذ أكثر مما أخذ غيره افتخر به إلى يوم القيامة.

و رواه جماعه كالخوارزمى فى (مقتل الحسين)، والعسقلانى فى (لسان الميزان) و(تهذيب التهذيب) والقندوزى فى (ينابيع الموده).

و فى (نزهه المجالس) عن أنس بن مالك، بينما النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المسجد إذ قال لعلى: هذا جبرئيل أخبرنى أن الله قد زوّجك فاطمه؛ و أشهد على تزويجها أربعين ألف ملك، و أوحى إلى شجره طوبى أن أنثرى عليهم الدرّ و الياقوت و الحلى و الحل، فنثرت عليهم، فابتدرت الحور العين يلتقطن من أطباق الدر و الياقوت و الحلى و الحل، فهم يتهادونه إلى يوم القيامة.

و رواه السيوطى فى (تحذير الخواص).

و أجرى الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) صيغه العقد فى المسجد و هو على المنبر، بم رأى من المسلمين و مسمع.

و هكذا سنَّ رسول الله الإعلان و الإشهاد فى عقد النكاح، و كمَّيه الصداق كى يقتدى به المسلمون فلا يغالوا فى الصداق و قال (صلى الله عليه و آله و سلم): «لا تغالوا فى الصداق فتكون عداوه».

و جعل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) المهر الذى جرت عليه السنَّه خمس مائه درهم، و تزوّج رسول الله بزوجاته بهذا المبلغ من الصداق و كذلك الأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) كانوا لا يتعدون هذا المبلغ فى الزواج. و نعود الى حديثنا عن زواج السيدة فاطمه:

فقد باع على (عليه السلام) الدرع، و جاء بالثمن الى الرسول، فقسّم النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) المبلغ أثلاثاً: ثلثا لشراء الجهاز، و ثلثا لشراء الطيب و العطر للزفاف، و ثلثا تركه أمانه عند أم سلمه ثم رده إلى عليّ قبيلا للزفاف إعانته و مساعدته منه إليه لطعام و ليمه الزفاف.

من الطبيعى أن زواج على (عليه السلام) من السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) كان سبب هياج الحسد و العداة فى بعض القلوب، و خاصه و أن بعضهم كان قد خطب فاطمه من أبيها فرفض طلبه، و أعرض عنه، فلا عجب إذا جاء إلى الرسول أناس من قريش فقالوا: إنك زوّجت علياً بمهر خسيس فقال لهم: ما أنا زوّجت علياً، و لكن الله زوّجه ليله أسرى بى عند سدره المنتهى... الى آخره (١).

ص: ١٣١

و قال (صلى الله عليه و آله و سلم): إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم و أزوّجكم إلا فاطمه، فإن تزويجها نزل من السماء (١).

و دفع الرسول شيئاً من المال لأبى بكر ليشتري لفاطمه متاعاً لبيتها الزوجى و بعث معه بلالاً و سلمان ليعيناه على حمل ما يشتري، و قيل: أردفه بعمار بن ياسر و جماعه، و قال لأبى بكر: اشترِ بهذه الدراهم لابنتى ما يصلح لها فى بيتها.

قال أبوبكر: و كانت الدراهم التى أعطانيها ثلاثه وستين درهماً؛ فحضروا السوق فكانوا يعترضون الشىء مما يصلح، فكان ما اشتروه:

١- فراشان من خيش مصر، حشو أحدهما ليف، و حشو الآخر من جز الغنم.

٢- نطع من آدم (جلد).

٣- و ساده من آدم حشوها من ليف النخل.

٤- عباءه خيريه.

٥- قربه للماء.

٦- كيزان (جمع كوز) و جرار (جمع جره) و عاء للماء.

٧- مطهره للماء مزفته.

٨- ستر صوف رقيق.

٩- قميص بسبعه دراهم.

١٠- خمار بأربعه دراهم.

١١- قطيفه سوداء.

١٢- سرير مزمل بشریط.

ص: ١٣٢

١٣- أربعه مرافق من آدم الطائف حشوها إذرخر (نبات معروف).

١٤- حصير هجرى.

١٥- رحي لليد.

١٦- مخضب من نحاس.

١٧- قعب للبن.

١٨- شئ للماء.

حتى إذا استكمل الشراء حمل أبوبكر بعض المتاع و حمل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الباقي، فلما عرض المتاع على رسول الله و كان فى حجره أم سلمه جعل يقلبه بيده و يقول: بارك الله لأهل البيت.

و فى روايه: رفع رأسه إلى السماء و قال: اللهم بارك لقوم جُلُّ آيتهم الخرف. هذا جميع الأثاث و المتاع الذى اشتروه لابنه سيد الأنبياء، و هى أشرف أنثى، و سيده نساء العالمين.

نعم، إن السعاده الزوجيه لا- تحصل عن طريق البذخ و الترف و السرف، فإن الملابس الفاخره، والكراسى الثمينه، و الأحجار الكريمه و أوانى الذهب و الفضة، و الفرش الغاليه و الستائر القيمه، و القصور الشاهقه و السيارات الضخمه، و وسائل التنوير و التبريد و التدفئه، و غيرها ليست من أسباب السعاده الزوجيه التى يتصورها البسطاء من الناس.

فكم من امرأه ترفل فى ثيابها و بدلاتها، و تجلس على فراش و ثير، و تتلأأ- الحلى- المرصع بالمجوهرات- على جيدها و معصميهها، و شحمه أذنيهها، و مع ذلك كله تشعر بأنها فى جحيم، و تعتبر نفسها شقيه فى الحياه غير سعيده فى دنياها.

ص: ١٣٣

و كم من امراه تعيش فى كوخ أو بيت متواضع، تطحن و تعجن و تخبز و تغسل و تكنس و ترضع و تتعب و تعيش بكل بساطه، محرومه عن مئات الوسائل مع ذلك تشعر بأنها سعيدة فى حياتها، و كأن بيتها الصغير الضيق البسيط جنة عدن.

و نفس هذا الكلام يجرى فى الرجال، فترى القصر المنيف المشيد الشامخ جحيماً على الرجل، يدخله كرهاً، و كأنه فى قفص، و يحاول الخروج منه ساعه قبل ساعه.

و ترى البيت المتواضع الحقير يأوى إليه الرجل بكل شوق و رغبه، و لا- يحب مغادره بيته حينما يرى البيت الزوجى مبنياً على أسس السعاده و الخير.

و لكن مع الأسف أن ملايين الفتيان و الفتيات يتصورون أن السعاده الزوجيه و الحياه السعيده تحصل عن طريق الثروه و الأثرياء، و يعتبرون البساطه فى المعيشه من وسائل الشقاء و علائم الحرمان.

فيبقى هؤلاء المساكين غير متزوجين و غير متزوجات، ينتظرون السعاده الزوجيه تطرق باب دارهم!!

ص: ١٣٤

إن كانت السيدة فاطمه (عليها السلام) قد تزوّجت بهذا المهر القليل نزولاً عند رغبة أبيها الرسول - حتى يقتدى به المسلمون - و تحقيقاً لأهدافه الحكيمه، فليس معنى ذلك أن تنسى السيدة فاطمه نفسها، أو تنسى عظمتها، بل لابدّ من المحافظه على مقامها الأسمى و حقيقتها الشريفه، و مكانتها العليا، و طموحها نحو الفضائل و القيم، و لهذا فقد روى أحمد بن يوسف الدمشقى فى: (أخبار الدول و آثار الأول) قال: (و قد ورد فى الخبر أنها لما سمعت بأن أباهاً زوّجها، و جعل الدراهم مهراً لها فقالت: يا رسول الله إن بنات الناس يتزوّجن بالدراهم فما الفرق بينى و بينهما؟ أسألك أن تردها، و تدعوا الله تعالى أن يجعل مهرى الشفاعة فى عصاه أمتك).

فنزل جبرئيل (عليه السلام) و معه بطاقة من حرير مكتوب فيها: (جعل الله مهر فاطمه الزهراء شفاعه المذنبين من أمه أبيها) فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقه على صدرها تحت الكفن. فوضعت، و قالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقه بيدى و شفعت فى عصاه أمه أبي (1).

إن هذا الحديث - كما تراه - يدل على ما كانت تتمتع به السيدة فاطمه الزهراء من علو الهمة و سمو النفس، و عظمه الشخصيه، و بُعد

ص: ١٣٥

المدى، و جلاله القدر، فإنها تطلب من أبيها الرسول أن يدعو الله تعالى أن يمنحها هذا الحق العظيم و هو الشفاعة فى يوم القيامة. و أستجيب دعاء الرسول و نفّذ طلبه، و نزل صك من السماء إجابة لهذا الطلب، و سترز السيده فاطمه ذلك الصك عند الحاجة، كما روى الصفورى فى (نزهه المجالس) قال: قال النسفى: سألت فاطمه (رضى الله عنها) النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ان يكون صداقها الشفاعة لأمه يوم القيامة، فاذا صارت على الصراط طلبت صداقها.

و قد وردت روايات كثيره عن ائمه اهل البيت (عليهم السلام) حول ان الله تعالى جعل الشفاعة يوم القيامة من صداق السيده فاطمه الزهراء.

ص: ١٣٦

وقعت فتره بين العقد و الزفاف بدون قصد بل إن علياً (عليه السلام) كان يستحي أن يطالب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بزواجه، و كان الرسول أيضاً يحافظ على كرامه السيدة فاطمه فما ينبغي له أن يزف ابنته قبل مطالبه زوجها ذلك.

و طالت تلك الفتره شهراً أو شهوراً، و بقي الأمر مسكوتاً عنه، و أخيراً جاء عقيل إلى الامام على يسأله عن سبب السكوت و القعود، و يستنهضه للقيام بمقدمات الزفاف و كان على (عليه السلام) يستحي من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يطالبه أن يزف السيدة فاطمه و لكن عقيلاً ألح عليه، فخرجا يريدان الدخول على الرسول للمذاكره حول الموضوع.

التقت أم أيمن بهما، و سألت منهما عدم التدخل مباشرة، و تكفلت هي إنهاء الأمر، و لهذا ذهبت إلى أم سلمه فأعلمتها بذلك، و أعلمت نساء النبي، فاجتمعن عند الرسول فأحدقن به، و قلن: فديناك بآبائنا و أمهاتنا يا رسول الله! قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجه في الأحياء لقرّت بذلك عينها!!

فلما سمع النبي اسم خديجه بكى، ثم قال: خديجه! و أين مثل خديجه؟ صدقتني حين كذبتني الناس، و آزرتني على دين الله، و أعانتني عليه بمالها!!

إن الله (عز و جل) أمرني أن أبشّر خديجه بيت في الجنة من قصب الزمرد، لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أم سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا و أمهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجه أمراً إلا و قد كانت كذلك، غير أنها مضت إلى ربها، فهنأها الله بذلك، و جمع بيننا و بينها في درجات جنته و رضوانه و رحمته.

يا رسول الله! هذا أخوك في الدنيا، و ابن عمك في النسب، علي بن أبي طالب يحب أن تُدخل عليه زوجته فاطمه تجمع بها شمله.

و في روايه: إن المتكلمه هي أم أيمن قالت: يا رسول الله! لو أن خديجه باقيه لقرّت عينها بزفاف فاطمه، و إن علياً يريد أهله، فقرّ عين فاطمه ببعلها، و اجمع شملهما، و قرّ عيوننا بذلك.

فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): فما بال علي لا يسألني ذلك؟

قالت: الحياء منك يا رسول الله!!

فقال- لأم أيمن-: انطلقى إلى علي فائتيني به.

خرجت أم أيمن، فإذا علي ينتظر ليسألها عن جواب رسول الله، و حضر علي (عليه السلام) عند الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و جلس مطرقاً رأسه نحو الأرض حياءً منه، فقال له: أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟

قال: نعم، فداك أبي و أمي!

قال: نعم، و كرامه، أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو ليله غد إن شاء الله.

هيئ منزلاً حتى تحوّل فاطمه إليه.

قال علي: ما هاهنا منزل إلا منزل حارثه بن النعمان.

فقال النبي: لقد استحبنا من حارثه بن النعمان، قد أخذنا عامه منزله!!

فوصل الخبر إلى حارثه، فجاء النبي وقال: يا رسول الله! أنا و مالي لله و لرسوله و الله ما شىء أحب إلى مما تأخذه، والذي تأخذه أحب إليّ مما تتركه!!

يا لروعه الإيمان بالله و الرسول.

يا لجمال الاعتقاد بالآخرة و الأجر و الثواب!!

جعل حارثه أحد منازلته تحت تصرّف علي، و قام علي بتأثيث حجره العرس و تجهيزها، فقد بسط كتيباً (رملاً) في أرض الحجره، و نصب عوداً يوضع عليه القربه و اشترى جزّه و كوزاً، و نصبوا خشبه من حائط إلى حائط للثياب!!، و بسط جلد كبش، و مخدّه ليف!

هذا جميع ما كان يتمتع به علي (عليه السلام) من متاع الحياه الدنيا و زخرفها!!

لقد مرّ عليك أن الصداق الذي استلمه النبي من علي (عليه السلام) قسّمه أثلاثاً: ثلثاً اشترى به المتاع، و ثلثاً للطيب بمناسبه الزفاف، و ثلثاً تركه أمانه عند السيده أم سلمه.

استرجع النبي الثلث الأخير من الصداق، و سلّمه إلى علي كمساعدته، حيث أنه في مستقبل حياه جديده، و الحاجه ماسّه إلى المال كما لا يخفى، و قال: يا علي إنه لا بدّ للعروس من وليمه.

يا لشرف الإنسانيه!!

يا لعظمه الأخلاق!!

يا لصدق المحبه و العاطفه!!

و تقدّم بعض الأصحاب إلى علي ببعض الهدايا، و أمر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً أن يصنع طعاماً فاضلاً.

أمره بالوليمه لأن الله تعالى يحب إطعام الطعام، لأن الوليمه فيها خير

كثير، و فائده عامه و منافع جمه، فهى إشباع البطون الجائعه، و غرس المحبه فى القلوب، و قبل كل شىء فيها رضى الله سبحانه.

و لكننا- يا للأسف- استبدلنا الوليمه بحفله القران و استبدلنا الإطعام بتناول بعض المرطبات و الحلويات التى لا تسمن و لا تغنى من جوع!!

و من الضرورى أن لا ننسى أن السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) قد ضربت الرقم القياسى فى الإنفاق فى سبيل الله، و الإيثار ابتغاء وجه الله، و لعلك لا تجد مثيله لهذه المكرمه فى تاريخ النساء! فقد روى الصفورى فى (نزهه المجالس) ج ٢ ص ٢٢٦ عن ابن الجوزى أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) اعد لها قميصاً جديداً ليله عرسها و زفافها و كان لها قميص مرقوع و إذا بسائل على الباب يقول: أطلب من بيت النبوه قميصاً خَلِقاً، فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى: «لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون». فدفعت له الجديد، فلما قرب الزفاف نزل جبرئيل قال: يا محمد! إن الله يقرؤك السلام، وأمرنى أن أسلم على فاطمه، و قد أرسل لها معى هديه من ثياب الجنه من السندس الأخضر.. الى آخر الخبر.

لقد تهيأ طعام الوليمه، فلقد طبخ اللحم، واحضر الخبز، و التمر و السمن، و أقبل رسول العظمه (صلى الله عليه و آله و سلم) و حسر عن ذراعيه، و جعل يشدخ التمر فى السمن ليكونا بمنزله الحلويات و الفطائر، و أمر النبى علياً أن يدعو الناس إلى وليمته الزواج.

فأقبل الامام على (عليه السلام) إلى المسجد، و المسجد غاص بالمسلمين و هناك أهل الصّفه و هم المهاجرون الذين ما كانوا يملكون يومذاك شيئاً.

و هناك أهل المدينه من الأنصار و غيرهم ممن ليسوا من الأغنياء، فما يصنع على (عليه السلام) بهذا العدد الكثير مع الطعام القليل؟!

و نفسيته الطاهره الشريفه لا تسمح له أن يدعو قوماً و لا يدعو قوماً

آخرين فالكل يحبون أن يأكلوا من وليمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجميع يرغبون إلى الحضور في تلك المأدبة المباركة.

لكن إيمان علي (عليه السلام) بقدره الله تعالى، واعتقاده ببركات يمين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هوّن عليه كل شيء، فصعد على مكان عال، يسمعه كل أحد، و نادى: «أيها الناس أجيئوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد».

فوصل صوت علي (عليه السلام) حتى إلى بساتين - المدينة و مزارعها، و أقبل الناس رجالاً و نساءً - و حتى أهل البساتين - يأكلون و يشربون، و يحملون معهم من ذلك الطعام.

و هنا ظهرت بركة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أن الطعام لم ينفذ، بل و كأنه لم ينقص، و دعا رسول الله بالأواني فملئت بالطعام، و وجّه بها إلى بيوت زوجاته و أخذ صفيحه (آنيه) و قال: و هذه لفاطمة و بعلها!!

و غابت الشمس من ذلك اليوم، و اقترب زفاف السيدة فاطمة إلى دار زوجها.

فهنا اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع التدابير اللازمة لزفاف ابنته فاطمة.

و بالرغم من أن زواج السيدة فاطمة كان يمتاز بالبساطة و السهولة و الابتعاد عن التكليف و الترف، و ما أشبه ذلك إلا أنه كان محاطاً بآيات العظمة و الجلالة و الجمال، حتى روى الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن جابر أنه قال: حضرنا عرس علي و فاطمة رضی الله عنهما فما رأينا عرساً كان أحسن منه... الى آخره.

أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زوجاته بتزيين السيدة

فاطمه الزهراء (عليها السلام) استعداداً للزفاف، فقامت النسوة فضمّخنها بالطيب، وألبسها الحلى، فكانت إحداهن تمشط شعرها، و الأخرى بتزيينها و لبست الحله التي جاء بها جبرئيل من الجنة، و كانت الحله لا تقوم بقيمه، و لا تثمن.

و إنما بذل الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) هذه العناية الخاصه، و خصّ ابنته السيده فاطمه الزهراء بعواطفه الغزيره دون سائر بناته لأسباب، منها:

فضائلها الشخصيه، و مزاياها النفسيه.

شخصيه زوجها على بن أبى طالب.

فهو صاحب المواهب و السوابق و هو ابن عم الرسول، و اخوه و وزيره و خليفته و حامل لوائه و لم يكن فى أصهاره من له تلك القرابه القريبه و المنزله الخصيصه.

و أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يعلم أن ابنته الطاهره ستشملها آيه التطهير و آيه المباهله و القربى.

و أنها أم الأئمه الطاهرين إلى يوم القيمه.

لقد جاءت تلك الليله التى ستشعر السيده فاطمه بأنها يتيمه، و تشعر بفقدان أمها خديجه، و الأم لها دور مهم فى ليله عرس ابنتها، و لكن أين خديجه هذه الليله؟

و لما انصرفت الشمس نحو الغروب دعا الرسول بابنته الطاهره و دعا بصهره العظيم فأقبلت السيده فاطمه و قد لبست ثوباً طويلاً، تجرّ ذيلها على الأرض، و قد تصبّبت عرقاً حياً من أبيها سيد الأنبياء.

و قد شاء الله تعالى أن يكون زواج السيده فاطمه ممتازاً من جميع الجوانب و النواحي و هكذا أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن

ص: ١٤٢

لا تشعر ابنته العزيزة باليتم، ولهذا، و لغير ذلك- أتى النبي ببغلة الشهباء، و ثنى عليها قطيفه، و قال لفاطمه: اركبي.

و أمر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) سلمان أن يقود البغلة، و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يسوقها (١).

بالله عليك- أيها القارئ- هل سمعت أو قرأت في تاريخ عظماء الدنيا- من أنبياء و ملوك و وزراء و سلاطين- أن بنتاً تزف إلى دار زوجها، و سيّد الأنبياء يسوق ببغلتها؟

نعم، لقد اشترك أهل السماء مع أهل الأرض في زفاف الإنسيه الحوراء.

فقد روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ٥ ص ٧) و الجويني في (فرائد السمطين) و الذهبي في (ميزان الاعتدال) و العسقلاني في (لسان الميزان) و القرمانى في (أخبار الدول) و القندوزى في (ينابيع الموده) عن ابن عباس أنه قال: لما زفت فاطمه إلى على كان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قدأماها، و جبرئيل عن يمينها، و ميكائيل عن يسارها، و سبعون ألف ملك خلفها، يسبحون الله و يقدّسونه حتى طلع الفجر.

وروى عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه (عليهم السلام) عن جابر بن عبد الله الانصارى قال: «... فلما كانت ليله الزفاف اتى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ببغلة الشهباء (٢) و ثنى عليها قطيفه، و قال: اركبي

ص: ١٤٣

١- ١٢٤. بحار الانوار ج ٤٣.

٢- ١٢٥. كان النبي (صلى الله عليه و آله) قد سمي ناقته: العضباء و بغلته: الشهباء، و عصاه: الممشوق، و عمامته: السحاب. و هكذا.

و امر سلمان ان يقودها، و النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يسوقها.

فبينما هو فى بعض الطريق اذ سمع النبي و جبه فاذا هو بجبرئيل فى سبعين الفاء، و ميكائيل فى سبعين الفا.

فقال النبي: ما اهبطكم الى الارض؟ قالوا: جئنا نرف فاطمه الى على بن ابي طالب. فكبر جبرئيل، و كبر ميكائيل، و كبرت الملائكة، و كبر محمد (صلى الله عليه و آله و سلم).

فوقع التكبير على العرائس من تلك الليله (١).

و هكذا اجتمع رجالات بنى هاشم يمشون فى موكب السیده. و أمر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بنات عبدالمطلب (عماته) و نساء المهاجرين و الأنصار أن يرافقن فاطمه فى تلك المسيره و كانت زوجات الرسول (صلى الله عليه و آله) يمشين قدامها، و يرجزن فكانت أم سلمه تقول:

سِرْنَ بعون الله جاراتى

و اشكرنه فى كل حالات

و اذكرن من أنعم رب العلى

من كشف مكروه و آفات

فقد هدانا بعد كفر، و قد

أنعشنا رب السموات

و سرن مع خير نساء الورى

تُفدى بعَمَّاتٍ و حالات

يا بنت من فضله ذو العلى

بالوحى منه و الرسالات

ثم قالت عائشه:

يا نسوه استترن بالمعاجز

و اذكرن ما يحسن فى المحاضر

و اذكرن ربّ الناس إذ يخلصنا

بدينه مع كل عبد شاكر

و الحمد لله على أفضاله

و الشكر لله العزيز القادر

ص: ١٤٤

١-١٢٦. امالي الطوسي ج ١ ص ٢٦٣.

و سرن بها فالله أعطى ذكرها

و خصّها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصه:

فاطمه خير نساء البشر

و من لها وجه كوجه القمر

فضّلك الله على كل الورى

بفضل من خصّ بآى الزمّر

زوّجك الله فتى فاضلاً

أعنى علياً خير من فى الحضر

فَسرن جاراتى بها إنها

كريمه بنت عظيم الخطر

ثم قالت معاذة أم سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه

و أذكر الخير و أبدیه

محمد خير بنى آدم

ما فيه من كبرٍ و لا تیه

بفضله عرّفنا رشدنا

فالله بالخیر یجازیه

و نحن مع بنت نبی الهدی

ذی شرف قد مکنت فیہ

فى ذروه شامخه أصلها

فما أرى شيئاً يدانيه

و كانت النسوه يرجعن أول بيت من كل رجز، و دخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى على و دعاه ثم دعا فاطمه فأخذ يدها و وضعها فى يد على و قال: بارك الله فى ابنه رسول الله.

يا على! هذه فاطمه و ديعتى عندك!!

يا على! نعم الزوجه فاطمه!

و يا فاطمه! نعم البعل على!!

اللهم بارك فيهما، و بارك عليهما، و بارك لهما فى شبيلهما، اللهم إنهما أحب خلقك إلى فأحبهما، و اجعل عليهما منك حافظاً، و إنى أعيدهما بك و ذريتهما من الشيطان الرجيم.

ثم دعا بماءٍ فأخذ منه جرعه فتمضمض بها، ثم مجها فى القعب، ثم صبّها على رأس فاطمه و على صدرها و بين كتفيها ثم دعا علياً فصنع به

ص: ١٤٥

كما صنع بها.

و أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء بالخروج فخرجن، و بقيت أسماء بنت عميس، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يخرج رأى سواداً فقال: من أنت؟

قالت: أسماء بنت عميس!

قال: ألم آمرك أن تخرجي؟

قالت: بلى يا رسول الله! فداك أبى و أمى، و ما قصدت خلافاً، و لكنى أعطيت خديجه عهداً - و حدثته - فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ هاجت عواطفه من حديث خديجه، و إنها كانت تتفكر حول تلك الليلة، و أن فاطمه - الليلة - منكسره القلب.

فقال لها: بالله لهذا وقفت؟

قالت أسماء: نعم، و الله!

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أسماء، قضى الله لك حوائج الدنيا و الآخرة.

ص: ١٤٦

الاقوال حول سنه زواجها

اختلف المؤرخون و المحدثون فى تاريخ سنه زواج السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) فقد روى السيد ابن طاووس فى الإقبال بإسناده إلى الشيخ المفيد: إن زواجها كان ليله إحدى و عشرين من المحرم سنه ثلاث من الهجره.

و فى المصباح: فى أول يوم من ذى الحجه، و روى أنه كان يوم السادس منه.

و فى الأمالى: أن زواجها كان بعد وفاه رقيه زوجه عثمان بسته عشر يوماً و ذلك بعد رجوعه من بدر، و ذلك لأيام خلت من شوال.

ص: ١٤٧

تحقيق حول أسماء بنت عميس و أم سلمه

إن أسماء بنت عُميس كانت زوجة جعفر بن أبي طالب و قد هاجر جعفر إلى الحبشه مع زوجته و عدد من المسلمين قبل الهجره من مكه بسنوات، و رجع جعفر من الحبشه إلى المدينه يوم فتح خيبر في السنه الخامسه من الهجره.

هذا هو المتفق عليه بين المؤرخين، و لكنك تجد حديثاً يصرّح بحضور أسماء بنت عُميس عند السيده خديجه الكبرى ساعه وفاتها في مكه كما مر عليك.

و تجد الأحاديث الكثيره التي تصرّح بحضورها في زواج السيده فاطمه الزهراء تجد التصريح باسمها و اسم أبيها و اللقب: (أسماء بنت عُميس الخثعميه).

و قد روى صاحب كشف الغمه حضور أسماء بنت عُميس الخثعميه في زواج السيده فاطمه، و رواه الحضرمي في (رشفه الصادى ص ١٠) و أحمد بن حنبل في (المناقب) و الهيثمي في (مجمع الزوائد) و النسائي في (الخصائص ص ٣١) و محب الدين الطبرى في (ذخائر العقبى) عن ابن عباس، و عن الخوارزمي عن الحسين بن على (عليهما السلام) و عن السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخر الموسوى، و عن الدولابى و عن الإمام الباقر عن آبائه (عليهم السلام).

و روى عن بعض هؤلاء شيخنا المجلسى في العاشر من البحار ج ٤٣.

ص: ١٤٨

مع العلم أن زواج السيدة فاطمه كان بعد واقعه بدر، وقبل واقعه أحد، أى فى السنه الأولى أو الثانيه من الهجره، فكيف الجمع بين هذين القولين؟

ان هذه مشكله تاريخيه لم يجد المؤرخون لها حلاً- مقبولاً- صحيحاً، وقد تكلف شيخنا المجلسى فى البحار ج ٤٣ ببعض التأويلات أو التصرفات. ولكنها لا تتفق مع التصريح باسم أسماء بنت عميس الخثعميه.

و أعجب من هذا ما ذكره القمى فى سفينه البحار فى ماده (ك ذ ب) عن مجاهد قال: قالت أسماء بنت عميس: كنت صاحبه عائشه التى هيأتها و أدخلتها على رسول الله، و معى نسوه، و قالت: فوالله ما وجدنا عنده قوتاً إلاّ قدحاً من لبن، فشرب ثم ناوله عائشه، فاستحيت الجاريه فقلت لها:

لا تردى يد رسول الله، خذى منه فأخذته على حياء فشربت منه، ثم قال:

ناولى صواحبك

فقلن: لا نشتهي.

فقال: لا تجمعن جوعاً و كذباً.

قالت: فقلت: يا رسول الله إن قالت إحدانا- لشيء-: لا نشتهي أيعد ذلك كذباً؟

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): إن الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيه كذيه. كان المقصود من ذكر هذا الحديث هو حضور أسماء بنت عميس فى زواج الرسول بعائشه و كان ذلك قبل زواج السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام).

أضف إلى هذا أنه قد اشتهر بالتواتر حضور أسماء بنت عميس عند ولاده الإمام الحسين (عليه السلام) فى السنه الرابعه أو الخامسه من الهجره،

ص: ١٤٩

و كل ذلك قبل فتح خير، أى قبل رجوع جعفر بن أبى طالب من الحبشه.

و قد روى شيخنا المجلسى فى البحار ج ٤٣ عن محمد بن يوسف الكنجى فى كتابه: (كفايه الطالب) حضور أسماء بنت عميس فى زواج السيده فاطمه الزهراء.

قال محمد بن يوسف: هكذا رواه ابن بطه، و هو حسن عال، و ذكر أسماء بنت عميس فى هذا الحديث غير صحيح لأن أسماء هذه امرأه جعفر بن أبى طالب...

إلى أن قال: و أسماء التى حضرت فى عرس فاطمه (عليها السلام) إنما هى أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصارى، و أسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشه، و قدم بها يوم فتح خير سنه سبع، و كان زواج فاطمه (عليها السلام) بعد وقوعه بدر بأيام يسيره، فصَحَّ بهذا أن أسماء المذكوره فى هذا الحديث إنما هى بنت يزيد..... الى آخره.

أقول: لو لم يكن فى الأحاديث تصريح باسم أسماء و اسم أبيها و لقبها لأمكن هذا التوجيه أو التأويل، و لكن كيف يصح هذا التكلف و التعسف فى التأويل فى مقابل هذا النص الصريح، و هو: (أسماء بنت عميس الخثعميه)؟

و أما أسماء بنت يزيد الأنصارى فان لنا ان نتساءل: كيف كانت فى مكه يوم توفيت السيده خديجه مع العلم أنها أنصاريه أى من أهل المدينه؟

و الحال أن أسماء التى حضرت وفاه خديجه فى مكه هى التى حضرت زواج فاطمه الزهراء فى المدينه.

و إننى أظن أن الكنجى إنما قال هذا لوجود المشاركه فى الاسم بين أسماء بنت عميس و أسماء بنت يزيد، و لم يذكر أحد من المؤرخين حضور أسماء الأنصاريه فى مكه عند وفاه السيده خديجه.

و الذى يقوى عندى أن الحل الصحيح و الجواب المعقول هو: أن أسماء هذه هى أسماء بنت عميس الخثعميه زوجه جعفر بن أبى طالب، و أنها هاجرت مع زوجها إلى الحبشه، و لكنها رجعت إلى مكه، و هاجرت إلى المدينه، و لعلها كررت سفرها إلى الحبشه لأن المسافه من جده إلى الحبشه هى مسافه عرض البحر الأحمر، و ليس قطع هذه المسافه بالصعب المستصعب ذهاباً و إياباً، و إن كان التاريخ لم يذكر ذلك لأسماء فإن التاريخ ايضا لم يذكر لأبى ذر الغفارى هجره الى الحبشه، و قد روى عن أبى ذر قوله: كنت أنا و جعفر بن أبى طالب مهاجرين إلى بلاد الحبشه.... الى آخر كلامه

روى ذلك الشيخ المجلسى عن كتاب: (علل الشرائع) للصدوق.

و قد ظفرت بروايه رواها المجلسى فى البحار ج ٤٣ فى باب تزويج السيده فاطمه (عليها السلام) عن كتاب (مولد فاطمه) عن ابن بابويه: أمر النبى بنات عبدالمطلب.... إلى أن يقول: و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و حمزه و عقيل و (جعفر) و أهل البيت يمشون خلفها.. إلى آخره.

فالتصريح بوجود جعفر يحل هذه المشكله.

بقيت هنا كلمه: و هى أن هجره الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) كانت بعد وفاه السيده خديجه الكبرى قطعاً، على اختلاف فى تاريخ وفاتها فى الشهور و الأعوام قبل الهجره.

و لكن الظاهر أن السيده خديجه توفيت قبل الهجره بأقل من سنه.

و من ناحيه أخرى كانت هجره جعفر بن أبى طالب إلى الحبشه مرتين، و هجرته الثانيه كانت بعد وفاه السيده خديجه، و قبل هجره الرسول إلى المدينه.

و الدليل على ذلك هو الخبر المروى: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم كان في الغار قال: (إني أرى سفينة جعفر تعوم في البحر).

و من هنا يسهل علينا أن نعرف بأن بنت عميس كانت في مكة يوم وفاه خديجه، و أنها قد حضرت عند وفاتها.

و أما مشكله أم سلمه، فإننا نجد اسم السیده أم سلمه في الأيام التي سبقت زواج السیده فاطمه الزهراء، فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيتها يوم خطبه على (عليه السلام) من فاطمه الزهراء، و قد سمعت أن النبي أودع عندها شيئاً من صداق فاطمه الزهراء و كانت مرجع النساء في قضايا زواج السیده فاطمه.

مع العلم أن المؤرخين ذكروا أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوجها في السنه الرابعه من الهجره، و زواج السیده فاطمه كان في السنه الثانيه من الهجره بعد بدر و قبل أحد، فكيف كانت أم سلمه في هذه المراحل مع العلم أنها لم تكن زوجه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يومذاك؟.

نجيب عن هذا الكلام بما يلي:

أولاً: المناقشه في سنه زواجها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلعل الرسول تزوجها في أوائل الهجره، أو أن زواج السیده الزهراء كان في السنه الرابعه من الهجره و هذا احتمال بعيد و قول ضعيف لا يُعْبَأُ به.

ثانياً: إن السیده أم سلمه هي بنت عمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا مانع أن تساهم في مراحل زواج السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام) بحيث أن النبي يستودعها صداق فاطمه الزهراء، أو يكون لها اقتراح و رأى في تعجيل زفاف السیده فاطمه الزهراء. و لعل هذا الوجه هو الأقوى.

هذا ما يتبادر إلى ذهني و الله العالم بحقائق الأمور.

إن الحضاره- اليوم- بدأت تشعر بضروره احترام بعض المساكن و المباني و الأراضي، و ذلك بعد أن شعرت باحترام الفضيله و أهلها، و التقدير عن الشرف و العلم و القيم.

و على هذا الأساس أحدثت الحضاره قانوناً بل قوانين بهذا الشأن، و رعايه لهذا الأمر، فالصيانه الدبلوماسيه التي منحها القانون لمباني السفارات و الهيئات الدبلوماسيه و هكذا القوانين التي تفرض احترام الجامعات و المعاهد العلميه و المساجد و المعابد تقديراً للعلم و الدين و الثقافه هي من نتائج الشعور بهذا المعنى.

و لكن هذه الحقيقه كانت ثابتة عندالله تعالى، و عند أوليائه من أهل السموات و الأرض منذ الأزل، و انطلاقاً من هذه الحقيقه نجد الأحكام الوارده حول احترام المساجد و خاصه المسجد الحرام، و تحريم الدخول فيه على بعض الأفراد كالمشركين أو المجنب و الحائض، و تحريم تنجيسها، أو إتيان ما ينافي قدسيته و احترامها، أو الصيد في الحرم (و هو المناطق المحيطه بمكه من جميع الجوانب، حسب حدود معينه مذكوره في كتب الفقه).

بعد ذكر هذه المقدمه اعلم أن البيت الذي كانت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) تسكن و تعيش فيه كان محاطاً بالقداسه و الروحانيه و النور، و التجليل و التبجيل، و يعرف حق ذلك البيت كل من يعرف حق فاطمه و أبيها، و بعلمها و بنيتها.

و قد روى شيخنا المجلسي (عليه الرحمه) عن أنس بن مالك و عن بريده قال: قرأ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو و الآصال» (١).

فقام رجل فقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟

فقال: بيوت الأنبياء.

فقام إليه أبوبكر،

فقال: يا رسول الله! هذا البيت منها؟!

و أشار إلى بيت على و فاطمه.

قال: نعم، من أفضلها!! (٢).

و عن ابن عباس قال: كنت فى مسجد رسول الله، و قد قرأ القارئ:

(فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه...الايه) فقلت: يا رسول الله! ما البيوت؟

فقال: رسول الله (صلى الله عليه و آله): بيوت الأنبياء. و أومى بيده إلى منزل فاطمه! (٣).

و فى الكافى عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يريد فاطمه (عليها السلام) و أنا معه، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه، ثم قال: السلام عليكم.

فقلت فاطمه (عليها السلام): عليك السلام يا رسول الله.

قال: ءأدخل؟

قالت: أدخل يا رسول الله.

ص: ١٥٤

١- ١٢٧. النور: ٣٦.

٢- ١٢٨. و فى نسخه: من افاضلها/ تفسير الثعلبى و منه تفسير (البرهان) ج ٣ / ١٣٩.

٣- ١٢٩. كشف الغمه.

قال: أدخل أنا و من معي؟

فقلت: يا رسول الله ليس على قناع.

فقال: يا فاطمه خذي فضل ملحفتك، فقنّعي به رأسك. ففعلت.

ثم قال: السلام عليكم.

فقلت: و عليك السلام يا رسول الله

قال: ءأدخل؟

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: أنا و من معي؟

قلت: أنت و من معك.. إلى آخره (١).

ص: ١٥٥

حياتها الزوجيه

انتقلت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) إلى البيت الزوجي، و كان انتقالها من بيت الرساله و النبوه إلى دار الإمامه و الوصايه و الخلافه و الولايه، و حصل تطور في سعادته حياتها، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوه صارت قرينه الإمامه.

كانت حياتها في البيت الزوجي تزداد إشراقاً و جمالاً إذ كانت تعيش في جوّ تكتنفه القداسه و النزاهه، و تحيط به عظمه الزهد و بساطه العيش، و كانت تعين زوجها على أمر دينه و آخرته، و تتجاوب معه في اتجاهاته الدينيه، و تتعاون معه في جهوده و جهاده.

و ما أحلى الحياه الزوجيه إذا حصل الانسجام بين الزوجين في الاتجاه و المبدأ و نوعيه التفكير، مبنياً على أساس التقدير و الاحترام من الجانبين. و ليس ذلك بعجيب، فإن السيدة فاطمه الزهراء تعرف لزوجها مكانته العظمى و منزلته العليا عندالله تعالى، و تحترمه كما تحترم المرأة المسلمه إمامها، بل أكثر و أكثر، فإن السيدة فاطمه كانت عارفه بحق على حق (عليه السلام) معرفته، و تقدره حق قدره، و تطيعه كما ينبغي، لأنه أعز الخلق إلى رسول الله. لأنه صاحب الولايه العظمى، و الخلافه الكبرى و الإمامه المطلقه.

لأنه أخو رسول الله و خليفته، و وارثه و وصيه.

لأنه صاحب المواهب الجليله، و السوابق العظيمه.

ص: ١٥٦

و هكذا كان على (عليه السلام) يحترم السيدة فاطمه الزهراء احتراماً لائقاً بها، لا لأنها زوجته فقط:

بل لأنها أحب الخلق إلى رسول الله.

لأنها سيده نساء العالمين.

لأن نورها من نور رسول الله.

لأنها من الذين بهم فتح الله كتاب الإيجاد والوجود.

لأنها كتله من العظمه.

لأنها مجموعه من الفضائل، و لو كانت فضيله واحده من تلك الفضائل متوفره فى امرأه واحده لاستحقت التقدير و التعظيم.

فكيف بفاطمه الزهراء، و قد اجتمعت فيها من المزايا و المواهب و الفضائل و المكارم ما لم تجتمع فى أية امرأه فى العالم كله، من حيث النسب الشريف الأرفع، و الروحانيه و القدسيه، و من حيث بدء الخلقه و منشأ إيجادها و كرامتها عندالله، و عبادتها و علمها و ديانتها، و زهداها و تقواها و طهارتها و نفسياتها و شخصيتها، و غير ذلك من مئآت المزايا مما يطول الكلام بذكرها.

بعد ما قصصنا و لم نقصص عليك يمكن لك أن تدرك الجو الذي كان الزوجان السعيدان يعيشانه، و الحياه الطيبه السعيده الحلوه (بجميع معنى الكلمه) التى كانا يتمتعان بها:

حياه لا يعكرها الفقر، و لا تغيرها الفاقه، و لا تضطرب بالحوادث.

حياه يهب عليها نسيم الحب و الوئام، و تزينها العاطفه بجمالها المدهش.

قال على (عليه السلام): فوالله ما أغضبتها و لا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز و جل، و لا أغضبتنى و لا عصت لى أمراً، لقد كنت

انظر إليها فتتكشف عنى الهموم والأحزان (١).

و روى عن الإمام الباقر (عليه السلام): أن فاطمه (عليها السلام) ضمنت لعلى (عليه السلام) عمل البيت والعجين والخبز، وقم البيت، وضمن لها على (عليه السلام) ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجيء بالطعام. لا يعلم بالضبط مده إقامة الإمام والسيدة فاطمه (عليهما السلام) في دار حارثه بن النعمان، إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنى لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلى المسجد، كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت السيدة إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله، المجاور لبيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ص: ١٥٨

لقد تكرر منا الكلام أن بعض حمله الأقلام أساءوا إلى السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) فى شتى الميادين و مختلف المجالات، و قد تقدم منا الكلام أن زواج الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالسيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) قد هيّج الأحقاد فى قلوب الحاسدين، فجعلوا يتشبثون بشتى الوسائل لتعكير حياه الزوجين السعيدين، و إثارة الفتن و المشاغبات، كما هو شأن المفسدين الذين تتكون عندهم عقده الحقداره النفسيه بسبب الفشل فى الحياه.

و من جمله تلك المشاغبات أنهم أشاعوا أن علياً قد خطب ابنه أبى جهل، و وصل الخبر إلى السيدة فاطمه الزهراء أن زوجها قد خطب بنت رئيس المشركين و قطب الكافرين أبى جهل.

فتأثرت السيدة فاطمه و ذهبت إلى حجره أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و لكن سرعان ما انكشف الأمر، و اتضحت الحقيقه، و ظهر تزوير هذا الخبر.

هذه خلاصه هذه الا كذوبه.

و لكن هلم معى إلى بعض المؤلفين و الكُتّاب كيف اتخذوا هذه التهمه مرتعاً خصباً للتهريج و التشنيع ضد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فجعلوا يطبلون و يزمرّون من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

و من جمله المطبلين و المزمرّين هى الكاتبه المصريه بنت الشاطىء، التى

كتب ما كتبت و هي غير مباليه بما تكتب، أو متعمده فيما تكتب، فإنها اعتبرت هذه الأكذوبه حقيقه ثابتة عندها، لا شك فيها و لا ريب.

و هنا نقطف بعض ما كتبه الكاتبه المصريه فى كتابها: (بنات النبى) ص ١٦٧:

«لقد همّ على بالزواج على فاطمه... دون أن يخطر بباله أن فى هذا ما تنكره بنت نبى الإسلام».

أنا لا أدري بماذا أُجيب على هذه الكلمه الهوجاء التائهه؟

و هل يوجد فى العالم كله رجل لا يشعر أن زوجته تكره الضرّه؟

و تكره أن يتزوج عليها زوجها؟

إنَّ أقلَّ الناس إدراكاً و معرفه بالأُمور يشعر بهذا الأمر، و لكن الكاتبه تقول: (دون أن يخطر بباله (ببال على) أن فى هذا ما تنكره بنت نبى الإسلام!!)

و تقول بعد ذلك: «ألا: ليت علياً قد صبر على واحده».

ثم إنَّها ملأت صفحات من كتابها فى ذم أبى جهل و مواقفه ضد الإسلام، ثم قارنت بين بنت أبى جهل و بين بنت الرسول، و هى بهذه المقارنه تقصد التشنيع و التهريج ضد هذا الزواج المزعوم.

و من العجب أن الكاتبه نفسها تبدى استياءها من بعض المستشرقين المسيحيين المتعصبين الذين تلاعبوا بالتاريخ الإسلامى، و تخص الكاتبه منهم (لامانس) المبشّر المسيحى المعادى.

و مع الأسف أن الكاتبه نفسها نسيت التريث و التروى حول هذه المفتريات، و اعتبرتها و حياً يوحى.

و استعانت الكاتبه بنسيج خيالها و وصفها الروائى الذى هو عاده مؤلفى الأساطير.

ص: ١٦٠

و هنا يجيب الفاضل المعاصر السيد حسن الأمين - عن هذه المفتريات - فى الجزء الثالث من كتابه (دائرہ المعارف الإسلامیہ الشیعہ (ص ۱۰) تحت عنوان:

دسائس على النبى و على و فاطمه:

ورد فى كتاب ذخائر العقبي أن علياً أراد أن يتزوج بنت أبى جهل على فاطمه، و أن النبى غضب لذلك و صعد المنبر محتدماً ناقماً على هذا الأمر، شاجباً له، بالتفاصيل المزريه التى وردت فى الكتاب مما هو طعن صريح بمحمد، فضلاً عن أنه طعن بعلى و فاطمه.

أمّا أنه طعن بمحمد، فذلك أنه أظهره بمظهر من يرفض أن يطبق الشريعة على نفسه و على من يتصل به فى حين أنه يفرض على غيره تطبيقها.

فهو يبيح للناس تعدد الزوجات، و لكن يأبى أن ينطبق هذا التعدد على ابنته. و هذا من أفضع ما يوجّه إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) من مطاعن و لكن أعداء محمد استطاعوا أن يفعلوا ذلك، و أن يستغلوا ذوى النظر القصير، فيروونه فى كتبهم و لا يرون فيه شيئاً.

أمّا أنه طعن فى على: فذلك بإظهاره بمظهر من أغضب فاطمه و أغضب النبى نفسه. و أمّا أنه طعن فاطمه: لأنها تابى أن تطبق شريعة الله التى جاء بها أبوها على نفسها.

نحن لن نتعرض لسند الخبر، فإن هذا الخبر بادئ الفساد من نفسه و لكننا نتساءل: لماذا خصّ رواوا الخبر بنت أبى جهل بهذا الشرف؟

و لماذا لم ينسبوا إلى على محاولته التزوج على فاطمه من غير بنت

ص: ۱۶۱

أبى جهل؟

أكان ذلك لأن بنت أبى جهل كانت من الجمال و الكمال بحيث لم تكن أى فتاه عربيه غيرها على شىء من مثلها؟

إنما خُصُّوا بذلك بنت أبى جهل ليكون الطعن فى على (عليه السلام) أبلغ و أنفذ، فهو لم يختار لإغاظه النبى و ابنته فاطمه إلا بنت أعدى عدو للنبى و الإسلام. كشفت الدسيسه عن نفسها، و فضحت مخترعيها و لو كانوا أكثر ذكاءً لخففوا من غلوائهم، و لم يمدحوا أنفسهم و هم يشتمون محمداً و ابنته و ابن عمه.

فقد أوردوا فى القصه هذا النص عن لسان النبى: (ذكر- النبى - صهراً له من بنى عبد شمس فأثنى عليه فى مصاهرته فأحسن).

قال- النبى:- «حدّثنى- أى ذلك الصهر من بنى عبد شمس- فصّدّقنى، و وعدنى فأوفانى».

و معنى هذا الكلام أن النبى يثنى على صهره الأموى من بنى عبد شمس و يقول عنه: أنّه حدّثه فصدقه فى حديثه، و وعده فوفى بما وعد!!

و هكذا- كما قلنا- فضحت الدسيسه نفسها بنفسها و اظهرت زيفها دون ان تحوجنا فى ذالك الى كثير عناء.

اريد لهذا الخبرا الزائف غايه اخرى مضافه الى غايه الطعن فى النبى و فى على و فاطمه، هذه الغايه هى صرف الانظار عن حقيقه الذين اغضبوا

ص: ١٦٢

فاطمه، و جعل المقصود بذلك هو على بن أبى طالب.

فقد أورد مدبر و الخبر و منظموه - أوردوه بعدّه نصوص ليكون فى كل نصّ غايه مستقله.

و من النصوص التى أوردھا قولهم: قال النبى: (فاطمه بضعه منى، يرينى ما رابھا، و يؤذینى ما يؤذیھا).

ثم فسروا هذا الحديث بأن قالوا: إن المقصود منه أنّ الله حرّم على أن يتزوج على فاطمه و يؤذى رسول الله.

ص: ١٦٣

و حملت السيدة فاطمه الزهراء بولدها الحسن (عليه السلام) و عمرها اثنتا عشرة سنة و انتقل شىء من نور الإمام و الإمامه من صلب على إلى فاطمه، و من الطبيعى أن النور يتجلى فى وجهها، و يزهر وجهها كى يصدق عليها اسم (الزهراء) و اقتربت الولاده، و اتفقت للرسول سفره جاء يودّع ابنته فاطمه، فأوصاها بوصايا تتعلق بالمولود المنتظر و منها: أن لا يلفّوه فى خرقة صفراء.

و وضعت فاطمه ولدها الأول فى النصف من شهر رمضان (على قول) سنة ثلاث من الهجرة، فكان يوماً عظيماً، و قد حضرت عند الولاده أسماء بنت عميس فلفّوه فى خرقة صفراء، لا تعمداً و مخالفه للرسول، بل سهواً و غفلة - أو جهلاً - من النسوة اللاتى حضرن الولاده.

فأقبل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و قال: أرونى ابنى، ما سميتموه؟

و كانت فاطمه قالت لعلى (عليه السلام): سمّه. فقال على: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله فلما جاء النبى و أخذ المولود قال: ألم أنهكم أن تلفّوه فى خرقة صفراء؟ ثم رمى بها، و أخذ خرقة بيضاء فلفّه بها.

ثم قال لعلى (عليه السلام): هل سميتّه؟

فقال على: ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وما كنت لأسبق ربي (عز وجل).

فأوحى الله إلى جبرئيل: أنه قد وُلد لمحمد ابن، فاهبط، فأقرأه السلام، وهنأه وقل له: إن علياً منك بمنزله هارون من موسى، فسَمَّه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل فهنأه من الله (عز وجل)، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وما كان اسمه؟

قال جبرئيل: شَبْر.

فقال النبي: لسانى عربى (١) قال جبرئيل: سَمَّه الحسن. فسَمَّاه الحسن، وأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى.

فلما كان يوم السابع عقَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكبشين أملحين، وأعطى القابله فخذاً وديناراً. وحلق رأسه، و تصدَّق بوزن الشعر فضّه، و طلى رأسه بالخلوق (٢) وقال: يا أسماء الدم فعل الجاهليه. (أى إن أهل الجاهليه كانوا يطلون رأس المولود بالدم).

و كان الرسول يقبّله: ويُدخل لسانه فى فم الحسن فيمضّه الحسن و قيل: كان ذلك كله يوم السابع من الولاده. (٣).

ص: ١٦٥

١- ١٣٢. لان شبر كلمه عبريه و ليست عربيه.

٢- ١٣٣. الخلق: طيب مركب من الزعفران وغيره.

٣- ١٣٤. بحار الانوار ج ٤٤.

حملت السيدة فاطمة الزهراء بطفلها الثانى، ومضت سته أشهر على الحمل، وإذا بها تشعر بعلائم الولادة.

و كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بشر بولاده الحسين.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): أقبل جيران أم أيمن إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: يا رسول الله إن أم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكى حتى أصبحت.

فبعث رسول الله إلى أم أيمن فجاءته فقال لها: يا أم أيمن! لا أبكى الله عينيك! إن جيرانك أتونى وأخبرونى أنك لم تزل الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينيك ما الذى أبكاك؟ قالت: يا رسول الله، رأيت رؤيا عظيمة شديده، فلم أزل أبكى الليل أجمع فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فقصّ عليها على رسول الله.

فإن الله ورسوله أعلم.

فقلت: رأيت ليلتى هذه كأن بعض أعضائك ملقى فى بيتى!

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): نامت عينك ورأيت

خيراً، يا أم أيمن تلد فاطمه الحسين فتربينه و تلبينه فيكون بعض أعضائي في بيتك.

فلما ولدت فاطمه الحسين (عليهما السلام) أقبلت به أم أيمن إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: مرحباً بالحامل و المحمول يا أم أيمن هذا تأويل رؤياك.

و رأت أم الفضل زوجة العباس (عم النبي) رؤيا شبيهة برؤيا أم أيمن.

و حضرت النسوة وقت الولادة، منهن: صفيه بنت عبدالمطلب (عمه النبي) و أسماء بنت عميس و أم سلمه، فلما وُلد الحسين قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عمه هلمّى إلّى ابني.

فقال: يا رسول الله إنّنا لم ننظفه بعد.

فقال: يا عمه أنت تنظفينه؟ إنّ الله تبارك و تعالى قد نظّفه و طهّره.

و هبط جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و أمره أن يسميه: الحسين باسم ابن هارون، و كان اسمه بالعبريه (شبير) و معناها بالعربيه: الحسين.

و هبط على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أفواج من الملائكه لُتَهَنّئَه بولاده الحسين و تعزّيه بشهادته، و أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسين، فجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين يمصه.

و كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأتيه كل يوم. فيلقمه لسانه فيمصه الحسين حتى نبت لحمه واشتد عظمه من ريق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

و لم يرتضع الحسين (عليه السلام) من أمّه، و لا من امرأة أخرى!

قال سيدنا بحر العلوم (عليه الرحمة):

ص: ١٦٧

لله مرتضع لن يرتضع أبداً

من ثدى أنثى و من طه مراضعه

يعطيه إبهامه أنا فأونه

لسانه فاستوت منه طبائعه

و فى اليوم السابع من ولادته أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فحلق رأس الحسين، و تصدق بوزن شعره فضه، وعق عنه (١) .

هذا و تجد التفصيل فى كتابنا: (الامام الحسين عليه السلام) من المهد إلى اللحد) إن شاء الله تعالى.

ص: ١٦٨

١- ١٣٥. بحار الانوار ج ٤٣.

من الصحيح أن نقول أن ولاده السيدة زينب الكبرى (عليها السلام) كانت بعد ولاده الحسين (عليه السلام).

و بعبارة أخرى: أن السيدة زينب هي الطفل الثالث للسيدة فاطمة الزهراء بإجماع أكثر المؤرخين و المحدثين، إلا من شذّ و ندر من المؤرخين المتطرفين الذين جعلوها الطفل الرابع، زاعمين أن السيدة فاطمة الزهراء حملت بزينب بعد سقوط جنين لها، و هم بذلك يقصدون تغطيه الجريمه و ستر المأساه التي حدثت عند باب دار السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاه الرسول، مما أدى ذلك إلى سقوط جنينها.

و من جمله من أعجبهم هذا القول الشاذ هي بنت الشاطئ المصريه في كتابها: (بطله كربلاء) و إليك نص كلامها:

«إنها الزهراء بنت النبی، توشك أن تضع في بيت النبوه مولوداً جديداً بعد أن أقرت عيني الرسول بسبطيه الحبيين: الحسن و الحسين، و ثالث لم يقدر له أن يعيش هو المحسن بن علي.. الى آخر كلامها.

و لا يُهمّنا- الآن- النقاش حول هذه المغالطه، لأن لنا مجالاً واسعاً- في المستقبل- حول المحسن بن علي، و أنه هو الطفل الأخير لفاطمه الزهراء (عليها السلام) و أنه مات جنيناً في بطن أمه على أثر الصدمه و الضغطه التي حدثت بين الحائط و بين باب بيت فاطمه.

و إنما نذكر هنا نبذه مختصره من حياه السيدة زينب الكبرى رعايه

لأسلوب الكتاب، و تجد التفصيل فى كتابنا: زينب الكبرى من المهد الى اللحد فإن حياتها المشرقة جديره بالبحث و التحليل و الإشاده و التنويه، و نذكر هنا الشئ ى السير اليسير عن مولدها و نشأتها:

وُلدت السيدة زينب الكبرى فى السنه الخامسه من الهجره، و هى المولود الثالث للبيت النبوى العلوى الشريف الأرفع.

و إننى أراها- هنا- فى غنى عن التعريف و الوصف، و ما عسانى أن أقول فى سيده أبوها: الإمام المرتضى على بن أبى طالب (عليه السلام) و أمها التى أنجبته: سيده نساء العالمين الصديقه الكبرى فاطمه الزهراء بضعه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و أخوها سيدا شباب أهل الجنه الإمامان: الحسن و الحسين (عليهما السلام) فهى حصيله الفضائل، و نتيجه العظمه، محاطه بهاله من الشرف الرفيع من جميع جوانبها.

فلا تسأل عن صدرٍ أرضعها، و حجرٍ رباها، و تربيته شملتها، و رعايه أحاطت بها، و البيت الذى فتحت فيه عينها.

و لا- تسأل عن عوامل الوراثه، و تفاعل التربيته، و تأثير الجو العائلى المقدس فى نفسه السيده زينب، مضافه إلى أخلاقها المكتسبه، و مواهبها التى ظهرت من الإمكان إلى الفعل.

و كم يؤلمنى أن أقول بأن التاريخ قد ظلم السيده زينب كما ظلم أباه و أمها و أسرتها أجمعين. إذ لم يعأ بها التاريخ كما ينبغى، و لم يتحدث عنها كما تقتضيه و تتطلبه شخصيه سيده مثل زينب الكبرى عقيله الهاشميين، حفيده رسول الله (صلى الله عليه و آله سلم).

قد سمّاها جدّها الرسول زينباً. و الكلمه مركبه من: (زين الأب).

و قد ذكر الشيخ محمد جواد مغنيه فى كتابه: (الحسين و بطله كربلاء) نقلاً عن جريده الجمهوريه المصريه ٣١ / ١٠ / ٧٢ مقالاً للكاتب

ص: ١٧٠

المصري يوسف محمود، نقتطف منه موضع الحاجة:

(وُلدت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة، فحملتها أمها، و جاءت بها إلى أبيها (علي) وقالت:

سمّ هذه المولودة.

فقال لها- رضى الله عنه:- ما كنت لأسبق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و كان في سفر له، و لما جاء النبي و سأله عن اسمها قال: ما كنت لأسبق ربي.

فهبط جبرئيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل و قال له: اسم هذه المولودة زينب، فقد اختار الله لها هذا الاسم).

هذا ما ذكره صاحب المقال بدون تعرّض لسند هذا الحديث، ذكرته بالنص.

و للسيدة زينب الكبرى حياه مشرقه و تاريخ حافل بالمكارم و الفضائل و ملئ بالأماسى فى أدوار حياتها فى عهد الطفوله و دور الصبا، من افتجاعها بجدها الرسول الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) و أمها الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) و الأحداث التى عاشتها السيدة زينب طيله ربع قرن الفتره التى كان أبوها المرتضى على (عليه السلام) جليس البيت مسلوب الإمكانات. ثم هجرتها من المدينه إلى الكوفه عاصمه أبيها يومذاك.

و شاءت الإراده الإلهيه أن تفجع السيدة زينب بأبيها العظيم الإمام على (عليه السلام) تلك الكارثه التى اهتزت لها السموات العلى.

و أعقبت ذلك أحداث من الحرب التى قامت بين أخيها الإمام الحسن (عليه السلام) و بين معاويه ابن آكله الاكباد، و ما انتجت تلك النتائج.

و إلى أن انتهت الفتره بوفاه الإمام الحسن (عليه السلام) مسموماً.

ص: ١٧١

و انقضت سنوات و إذا بالسيدة زينب تواجه كارثة أخرى هي أعظم فاجعه عرفها التاريخ تلك فاجعه كربلاء الدامية ذات المسيره الطويله و الأبعاد العديده فكانت السيدة زينب تعيش تلك الأحداث بدون أن يعتريها انهيار أو ارتباك، لم تفقد أعصابها، و لم يختل و عيها.

و إلى أن رجعت إلى المدينه، و حكمت السلطه عليها بالإبعاد، فاختارت مصر، و قدّر الله لها أن تفارق حياتها- تلك الحياه المدهشه- في أرض النيل فيكون مثواها ملاذاً و معاذاً و مهوى أفئده الملايين على مرّ القرون و إلى يومنا هذا و إلى يوم يعلمه الله.

هذه نبذه موجزه و لمححه خاطفه تعتبر عصاره و خلاصه لحياه سيدتنا زينب الكبرى (عليها و على جدها و أمها و أبيها و أخويها الصلاه والسلام).

و إلى اللقاء في كتاب: (زينب الكبرى من المهد إلى اللحد).

ص: ١٧٢

ولاده السيده أم كلثوم

استقبل بيت السيده فاطمه الزهراء و على (عليهما السلام) بنتهما الثانيه و طفلهما الرابع بما استقبل به من سبقها من الأطفال من الفرح و السرور.

و قد شاركت السيده أم كلثوم أختها زينب فى النسب الشريف و التربيه الممتازه و الأحداث كلها، و إن اختلفت عنها فى بعض جوانب حياتها.

و هى أيضاً من الذين شملهم ظلم التاريخ، كما شملتها المآسى و الآلام التى لا يتحملها أقوىاء الرجال.

و لعلنا نتطرق إلى نبذه من جوانب حياتها أثناء التحدث عن شقيقتها زينب الكبرى، و نؤدى بعض ما يتطلبه البحث و التحقيق إن شاء الله.

ص: ١٧٣

و هي في قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا الموده في القربى و من يقترب حسنه نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور» (١) هذه الآيه كما تراها خطاب من الله العظيم إلى نبيه الكريم: (قل) يا محمد لأمتك: (لا أسئلكم عليه) على أداء رساله (أجراً) شيئاً من الأجر (إلا الموده في القربى) أى إلا أن تودّوا قرابتي.

و قد اتفقت كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و كلمات أتباعهم أن المقصود من القربى هم أقرباء النبي، و هناك أحاديث متواتره مشهوره في كتب الشيعة و السنيّه حول تعيين القربى بأفرادهم و أسمائهم، و من جمله الأحاديث التي ذكرها علماء السنه في صحاحهم و تفاسيرهم هذا الحديث:

لما نزلت هذه الآيه قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين و جبت علينا مودتهم؟

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): علي و فاطمه و ابناهما.. الى آخره.

ذكر هذا الحديث طائفة من علمائهم، منهم:

١- ابن الحجر في الصواعق المحرقة له.

٢- الثعلبي في تفسيره.

٣- السيوطي في الدر المنثور.

٤- أبو نعيم في حليه الأولياء.

ص: ١٧٤

و حديث آخر رواه الطبرى و ابن حجر أيضاً: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: إن الله جعل أجرى عليكم الموده فى أهل بيتى، و إنى سائلكم غداً عنهم.

هؤلاء بعض الرواه الذين ذكروا و نقلوا هذا الحديث بصورة إجماليه.

وإليك بعض الأحاديث التى تصرّح باحتجاج أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بهذه الآيه على أن المقصود من القربى هم:

فى الصواعق المحرقة لابن حجر: عن على (عليه السلام): فىنا فى آل حم، لا يحفظ مودتنا إلاّ كل مؤمن ثم قرأ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ الموده فى القربى، و من يقترب حسنه نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور».

و فى الصواعق أيضاً عن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) أنه خطب خطبه قال فيها: و أنا من أهل البيت الذين افترض الله (عز و جل) مودتهم و موالاتهم، فقال فيما أنزل على محمد (صلى الله عليه و آله و سلم): «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ الموده فى القربى، و من يقترب حسنه نزد له فيها حسناً» و اقتراف الحسنه مودتنا اهل البيت... الى آخره.

و فى الصواعق أيضاً عن الإمام زين العابدين على بن الحسين (عليهما السلام) حينما أتاه رجل من أهل الشام، و هو (عليه السلام) أسير، و قد أقيم على باب الجامع الأموى بدمشق فقال له الشامى: الحمد لله الذى قتلکم... الى آخره. فقال له: أما قرأت «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ الموده فى القربى».

و إلى هذا أشار الشاعر الكميت الأسدى بقوله:

وجدنا لكم فى آل حم آيه

تأولها منّا تقى و معرب

و عن جابر بن عبد الله قال: جاء إعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: يا محمد أعرض عليّ الإسلام.

فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. و أن محمداً عبده و رسوله.

قال: تسألني عليه أجراً؟

قال: لا، إلا المودة في القربى.

قال: قرابتي أو قرابتك؟

قال: قرابتي.

قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك و لا يحب قرابتك لعنه الله.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): آمين.

رواه الكنجي في (كفايه الطالب) ص ٣١.

و ذكر ابن حجر في الصواعق ص ١٠١ هذين البيتين لابن العربي:

رأيت و لائي آل طه فريضه

على رغم أهل البعد يورثنى القربا

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى

بتبليغه إلا الموده في القربى

و ذكر هذين البيتين للإمام الشافعي:

يا أهل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاه له

وقد ذكر شيخنا الأمينى (عليه الرحمه) فى الجزء الثالث من الغدير خمسـه و أربعين من اسماء المحدثين والحافظو المفسرين من العامه الذين رووا نزول هذه الآيه فى شأن على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) و هم:

الإمام أحمد، ابن المنذر، ابن أبى حاتم، الطبرى، ابن مردويه، الثعلبى،

ص: ١٧٦

أبو عبد الله الملا، أبو الشيخ النسائي، الواحدى، أبو نعيم، البغوى، البزاز، ابن المغازلى، الحسكانى، محب الدين، الزمخشري، ابن
عساكر، أبو الفرج، الجوينى، النيسابورى، ابن طلحه، الرازى، أبو السعود، أبو حيان، ابن أبى الحديد، البيضاوى، النسفى، الهيثمى،
ابن الصباغ، الكنجى، المناوى، القسطلانى، الزرندى، الخازن، الزرقانى، ابن حجر، السمهودى، السيوطى، الصفورى، الصبان،
الشبلنجى، الحضرمى، النبهانى.

قال الله تعالى: «فمن حادَّكَ فيه من بعد ما جاءكَ من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين» (١) تعتبر هذه الواقعة من الوقائع المشهوره، و الحوادث المعروفة عند المسلمين من يوم وقوعها إلى يومنا هذا، ولا أراني بحاجة إلى ذكر المصادر و المدارك لها.

و يكفي أن أقول: إن جميع المفسرين و المحدثين - إلا من شذَّ و ندر - قد اتفقت كلمتهم على نزول هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حينما جرى الحوار بينه و بين النصارى حول عيسى ابن مريم (عليه السلام) و إليك الوقعه بصورة موجزه مرويه عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام):

قدم على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و فد من نصارى نجران (٢) و يتقدمهم ثلاثه من كبارهم: العاقب، و محسن، و الأسقف، و رافقهم رجلان من مشاهير اليهود، جاثوا ليمتحنوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)

فقال له الأسقف: يا أبا القاسم فذاك موسى من أبوه؟.

النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): عمران.

الأسقف: فيوسف من أبوه؟

ص: ١٧٨

١- ١٣٧. آل عمران: ٦٠.

٢- ١٣٨. نجران منطقته تقع على الحدود بين الحجاز و اليمن.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يعقوب.

الأسقف فداك أبي و أمي: فأنت من أبوك؟

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): عبدالله بن عبدالمطلب.

الأسقف: فعيسى من أبوه؟

فسكت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن مثل عيسى عندالله كمثّل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» فوثب الأسقف و ثبه إعظام لعيسى أن يقال له من تراب ثم قال: ما نجد هذا- يا محمد- فى التوراه و لا فى الإنجيل و لا فى الزبور، و لا نجد هذا إلا عندك.

فأوحى الله إليه: «فقل تعالوا ندع.. الى آخره».

فقالوا: أنصفتنا يا أباالقاسم فمتى موعدك؟

قال: بالغداه إن شاءالله.

فلما صلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الصبح أخذ بيد على و جعله بين يديه، و أخذ فاطمه (عليهاالسلام) فجعلها خلف ظهره، و أخذ الحسن و الحسين عن يمينه و شماله، و قال لهم: إذا دعوتُ فأمنوا. ثم برک لهم باركاً. فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا و تآمروا فيما بينهم و قالوا: و الله إنه لنبى، و لئن باهَلْنَا ليستجيب الله له علينا، فيهلكنا، و لا ينجينا شىء منه إلا أن نستقيله (١).

و ذكر الرازى فى تفسيره: قال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا،

ص: ١٧٩

و لا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه ثم قالوا: يا أبا القاسم أقلنا.

قال: نعم. قد أقلتكم، أما والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه.

ذكرنا هذه الواقعة مع رعايه الاختصار، وقد ذكرنا ما تيسر حول الآية في كتاب (على من المهد إلى اللحد).

و يكون حديثنا- هنا- حول قوله تعالى: «و نساءنا و نساءكم» فقد أجمع المسلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يأخذ معه من الرجال إلا- علياً، و من الأبناء إلا الحسن و الحسين، و من النساء إلا ابنته فاطمه الزهراء، و لم يأخذ معه أحداً من زوجاته، و هنّ في حجراته و لم يأخذ معه إحدى عمّاته كصفية بنت عبدالمطلب التي كانت شقيقه أبيه عبدالله، و لم يصطحب معه أم هاني بنت أبي طالب، و لا دعى غيرهن من الهاشميات و لا من نساء المهاجرين و الأنصار.

فلو كانت في نساء المسلمين امرأة كفاطمه الزهراء في الجلالة و العظمة و القداسة و النزاهة لدعاها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لترافقه للمباهلة، مع العلم أن الله تعالى أمر نبيه أن يدعو نساءه بقوله تعالى: (و نساءنا) و لكنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يجد امرأة تليق بالمباهلة سوى ابنته الصديقه الطاهرة. و لهذا انتخبها.

و قد روى القندوزي الحنفى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: «لو علم الله تعالى ان فى الارض عبدا اكرم من على و فاطمه و الحسن و الحسين لامرنى ان اباهل بهم، و لكن امرنى بالمباهلة بهؤلاء، و هم افضل الخلق» (1).

ص: ١٨٠

قال الله تبارك و تعالى:

«إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً الى قوله: و كان سعيكم مشكوراً»^(١).
نزلت هذه الآيات حينما تصدّقت السيدة فاطمه الزهراء و زوجها الإمام أمير المؤمنين و ولداها الإمامان: الحسن و الحسين (عليهم السلام). و قد ذكر الواحدى فى كتابه (السيط) و الثعلبى فى تفسيره الكبير و أبوالمؤيد موفق فى كتاب الفضائل و غيرهم أن الآيات نزلت فى على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام).

و نكتفى هنا بما ذكره الزمخشري فى تفسيره (الكشاف) ما لفظه: و عن ابن عباس (رض): إن الحسن و الحسين مرضا. فعادهما رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى ناس معه فقالوا: يا أباالحسن لو نذرت على و لديك. فنذر على و فاطمه و فضه (جاريه لهما): إن برئا (الحسن و الحسين) مما بهما أن يصوموا ثلاثه أيام. فشفيا، و ما معهم شىء (طعام) فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاثه أصوع من شعير، فطحنت فاطمه صاعاً و اختبرت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من

ص: ١٨١

مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة. فأثروه و باتوا لم يذوقوا إلا الماء، و أصبحوا صياماً، فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه. و وقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ على (رض) بيد الحسن و الحسين. و أقبلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشدَّ ما يسوءنى ما أرى بكم.

و قام فانطلق معهم فرأى فاطمه في محرابها قد التصق بطنها بظهرها، و غارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل (عليه السلام) و قال: خذها يا محمد، هنَّاك الله في أهل بيتك. فأقرأه السورة.

و أما تفسير الآيات مع رعايه الاختصار و الإيجاز:

«إن الأبرار» الأبرار: جمع بارّ أو برّ، و هم على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) «يشربون من كأس» هي الزجاجه إذا كان فيها الشراب أو المراد من الكأس نفس الشراب لا الزجاجه «كان مزاجها» الذى تمزج به من عين في الجنة تسمى «كافوراً» لأن ماءها في بياض الكافور و برودته لا في خواصه و آثاره، و من الممكن أن كافور اسم عين في الجنة بدليل قوله تعالى «عيناً» كأنها عطف أو بدل من كافور أى تفسير له «يشرب بها عباد الله» الكاملون في العباده الذين ذكرهم في كتابه «و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً و الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً» إلى آخر الآيات الداله على الصفات الكامله.

«يفجرونها» يفجرونها حيث شاءوا (تفجيراً) سهلاً يسيراً «يوفون بالنذر» إنهم استحقوا هذا الجزاء بسبب وفائهم بالنذر، لأن النذر هو ما

يوجه الإنسان على نفسه فإذا و فى بالنذر فهو بما أوجب الله عليه كان أوفى «و يخافون يوماً كان شره مستطيراً» منتشراً «و يطعمون الطعام على حبه» أى بالرغم من حَبِّهم للطعام لشَدَّه جوعهم بسبب الصوم، و قيل «على حبه» أى حب الله و قربه اليه «مسكيناً و يتيماً و أسيراً» كل ذلك حباً للخير و إثارةً على أنفسهم، و إشفافاً على المسكين و رأفه باليتيم و عطفاً على الأسير «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء» بفعل تفعلونه «و لا شكوراً» بقول تقولونه.

قال مجاهد: إنهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئاً، و إنما علمه الله منهم فأثنى به عليهم.

«إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً» شديد العبوس تشبيهاً له فى تخوفه بالأسد العبوس أو الحاكم المتنمر العبوس.

«فوقاهم الله شر ذلك اليوم» تأميناً لهم من شره و ضره «و لَقَّاهم نصرَةً» فى وجوههم «و سروراً» فى قلوبهم «و جزاهم بما صبروا» على الإيثار مع شدة الجوع «جَنَهُ و حريراً» ثم ذكر الله أحوالهم فى الجنة «متكئين فيها على الأرائك» فى منتهى الراحة و الرفاهية «لا يرون فيها شمساً» يؤذى حرَّها «و لا زمهريراً» يؤذى برده.

«و دانيه عليهم ظلالها و ذَلَّتْ قطوفها تذليلاً» يسهل عليهم اقتطاف فواكه الجنة «و يطاف عليهم بآنيه من فضه و أكواب» خلقها الله بإرادته «كانت قواريراً قوارير من فضه قَدَّرَها تقديراً» على حسب ما تشتهى أنفسهم و تتمنى قلوبهم فى التكيف بالكيفيات المخصوصه... إلى آخر السورة التى فى وصف نعم الجنة و نعيمها و عيون تسمى زنجبيلاً و سلسيلاً.

و الخدم الذين يخدمونهم و المُلْك الكبير الذى يكون لهم مع النعيم و الملابس

الخُضر من الإستبرق، و الزينه التى يتزينون بها، و الشراب الطهور الذى يشربونه.

و العجيب أن الله تعالى ذكر فى هذه السوره الكثير الكثير من نعم الجنه، و لم يذكر - هنا - الحور العين، لأن الآيه نزلت فى حق على و فاطمه و ولديهما، فحفظ الله لفاطمه الزهراء جلالتهما إذ لم يذكر - (عز و جل) - الحور العين كرامه لسيده نساء العالمين.

ص: ١٨٤

قال تعالى: «الله نور سموات و الارض، مثل نوره المشكاه فيها مصباح، المصباح في زجاجه، الزجاجها كانها كوكب درى....» (١).

روى الحافظ ابن المغازى الشافعى في كتاب المناقب - بالاسناد الى على بن جعفر قال: سالت ابا الحسن (الكاظم) (عليه السلام) عن قوله (عز و جل): «كمشكاه فيها مصباح»؟

قال (عليه السلام): المشكاه: فاطمه، و المصباح: الحسن، و الحسين: الزجاجه:

«كانها كوكب درى»: قال: كانت فاطمه كوكبا دريا بين نساء العالمين... «يكاد زيتها يعضىء» قال: يكاد العلم ان ينطق منها (٢).

اقول: لقد مرت عليك بعض الاحاديث التى تتحدث عن نور الزهراء الزاهره المشرق.

و عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال: «... و نور ابنتى فاطمه من نور الله...» (٣).

ص: ١٨٥

١- ١٤٢. النور: ٣٥.

٢- ١٤٣. المناقب ص ٣١٧.

٣- ١٤٤. بحار الانوار ج ١٥ ص ١٠.

مكانه فاطمه الزهراء عند ابيها الرسول

ان من الصعب المستصعب تحديد مكانه السيده فاطمه الزهراء عند ابيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و من الصحيح ان يقال: انه خارج عن قدره القلم و اللسان، و التحليل و البيان.

و يمكن لنا ان نجمل القول و نوجزه فنقول:

كانت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) قد حلت فى اوسع مكان من قلب ابيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و وقعت فى نفسه الشريفه احسن موقع.

فكان النبى يحبها حبا لا يشبه محبه الالباء لبناتهم، اذ كان الحب مزيجا بالاحترام و التعظيم، فلم يعهد من اى اب فى العالم ما شوهده من رسول الله تجاه السيده فاطمه الزهراء.

و لم يكن ذلك منبعثا من العاطفه الابويه فحسب، بل كان الرسول ينظر الى ابنته بنظر الاكبار و الاجلال، و ذلك لما كانت تتمتع به السيده فاطمه من المواهب و المزايا و الفضائل، و لعله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مامورا باحترامها و تجليها، فما كان يدع فرصه او مناسبه تمر به الا و ينوه بعظمه ابنته، و يشهد بمواهبها و مكانتها الساميه عند الله تعالى و عند رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

مع العلم انه لم يسمع من الرسول ذلك الثناء المتواصل الرفيع

و لا معشاره فى حق بقيه بناته.

و لم يكن ثناؤه عليها اندفاعا للعاطفه و الحب النفسى فقط، بل ما كان يسع له السكوت عن فضائل ابنته و درجتها الساميه عندالله تعالى. و لو لم يكن لها عندالله فضل عظيم لم يكن رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلم) يفعل معها ذلك اذ كانت ولده و قد امر الله بتعظيم الولد للوالد، و لا يجوز ان يفعل معها ذلك، و هو بضد ما امر به امته عن الله تعالى.

و كان ذلك كله لاسباب منها:

كشفا للحقيقه، و اظهارا لمقام ابنته عندالله و عند الرسول، و كان (صلى الله عليه و آله) يعلم ما سيجرى على ابنته العزيزه من بعده من انواع الظلم و الاضطهاد و الايذاء و هتك الحرمه، و لهذا اراد الرسول ان يتم الحجه على الناس، حتى لايبقى لذى مقال مقال او عذر، و اليك هذه الاحاديث التى تدل على ما كانت تتمتع به السيده فاطمه من المكانه فى قلب الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم):

روى عن الامام الصادق عن آبائه (عليهم السلام) عن السيده فاطمه (عليها السلام) قالت: لما نزلت «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا» هبت رسول الله ان اقول له: يا ابيه. فجعلت اقول: يا رسول الله. فاقبل على فقال: يا فاطمه انما لم تنزل فيك و لا فى اهلك و لا فى نسلك، انت منى و انا منك، انما نزلت فى اهل الجفاء و البذخ و الكبر من قريش قولى: يا ابيه. فانها احبى للقلب و ارضى للرب، ثم قبل النبى جبهتى...» (١).

ص: ١٨٧

كلاما و حديثا برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من فاطمه، كانت اذا دخلت عليه رحب بها و قبل يديها و اجلسها فى مجلسه، فاذا دخل عليها قامت اليه فرحبت به و قبلت يديده... الى آخره.

و سال بزل الهروى الحسين بن روح قال: كم بنات رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلم)؟

قال: اربع.

فقال: ايتها افضل؟

قال: فاطمه.

قال: و لم صارت افضل و كانت اصغرهن سنا و اقلهن صحبه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

قال: لخصلتين خصها الله بهما.

١- انها ورثت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

٢- و نسل رسول الله منها، و لم يخصها بذلك الا بفضل اخلاص عرفه من نيتها.

و عن حذيفه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا ينام حتى يقبل عرض وجه فاطمه.... (١).

و عن ابن عمر: ان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قبل راس فاطمه و قال: فداك ابوك، كما كنت فكونى. (٢).

و فى روايه: فداك ابى و امى. (٣).

و عن عائشه: قبل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) نحر فاطمه.

ص: ١٨٨

١- ١٤٦. مقتل الحسين للخوارزمى الحنفى ص ٦٦.

٢- ١٤٧. مقتل الحسين للخوارزمى الحنفى ص ٦٦.

٣- ١٤٨. مستدرک الصحيحين للحاكم النيشابورى الشافعى ج ٣ ص ١٦٥.

و فى روايه: فقلت: يا رسول الله فعلت شيئا لم تفعله؟

فقال: يا عائشه انى اذا اشتقت الى الجنة قبلت نحر فاطمه. (١).

و عن عائشه قالت: كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) اذا قدم من سفر قبل نحر فاطمه و قال: منها اشم رائحه الجنة. (٢).

اقول: قد ذكرنا شيئا من هذه الاحاديث فى اوائل الكتاب.

و عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: «رائحه الانبياء: رائحه السفر جل، و رائحه الحور العين: رائحه الاس، و رائحه الملائكه: رائحه الورد، و رائحه ابنتى فاطمه الزهراء: رائحه السفر جل و الاس و الورد». (٣).

و عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: «.. و لو كان الحسن شخصا لكان فاطمه، بل هى اعظم، ان ابنتى فاطمه خير اهل الارض عنصرا و شرفا و كرما» (٤).

و عن الامام الحسين بن على (عليها السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: «فاطمه بهجه قلبى، و ابناها ثمره فوادى، و بعلها نور بصرى، و الائمه من ولدها امناء ربى، و حبله الممدود بينه و بين خلقه، من اعتصم به نجا، و من تخلف عنه هوى (٥).

و روى ان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ناول الزهراء ماء، فشربت فقال لها: «هنيئا مريئا يا ام الابرار الطاهرين» الى آخر الحديث (٦).

ص: ١٨٩

١- ١٤٩. ذخائر العقبى للمحب الطبرى ص ٣٦، وسيله المال للحضرمى ص ٧٩ طبعه المكتبه الظاهريه بدمشق.

٢- ١٥٠. ينابيع المواد للقندوزى الحنفى ص ٢٦٠.

٣- ١٥١. بحار الانوار، كتاب الاطعمه و الاشربه، باب السفر جل.

٤- ١٥٢. فرائد المسطين للجوينى الشافعى ج ٢ ص ٦٨.

٥- ١٥٣. فرائص المسطين للجوينى الشافعى ج ٢ ص ٦٦.

٦- ١٥٤. بحار الانوار ج ٧٦ ص ٥٧.

و عن فاطمه الزهراء (عليها السلام) قالت: قال لى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «الا- ابشرك؟ اذا اراد الله ان يتحف زوجه و ليه فى الجنه، بعث اليك تبعتين اليها من حليك» (١).

و بهذا الاحاديث الاتيه- الصحيحه عند الفريقين- يمكن لنا ان نطلع على المزيد من الاسباب و العلل التى كونت فى سيده نساء العالمين تلك القداسه و العظمه و الجلاله:

١- قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): افضل نساء اهل الجنه: خديجه بنت خويلد، و فاطمه بنت محمد، و آسيه بنت مزاحم (امراه فرعون) و مريم بنت عمران. (٢).

٢- و قال ايضا: حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران و آسيه بنت مزاحم و خديجه بنت خويلد و فاطمه بنت محمد (٣).

٣- و قال ايضا: حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران و خديجه بنت خويلد، و فاطمه بنت محمد و آسيه امراه فرعون (٤).

هذه احاديث ثلاثه تصرح بتفضيل هذه السيدات الاربع على سائر

ص: ١٩٠

١- ١٥٥. دلائل الامامه ص ٢.

٢- ١٥٦. مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٢٩٣، الاستيعاب لابن عبد البر الاندلسى ج ٢ ص ٧٥٠ فى ترجمه السيده خديجه، مستدرک الحصريين للحاكم ج ٣ ص ١٦٠، الاعتقاد للحافظ البيهقي ص ١٦٥، تاريخ الاسلام للذهبي ج ٣ ص ٩٢ اسد الغابه لابن الاثير الجزري ج ٥ ص ٤٣٧ و غيرها.

٣- ١٥٧. المصدر السابق.

٤- ١٥٨. الاستيعاب، لابن عبد البر الاندلسى ج ٢ ص ٧٥٠، مشكل الاثار للطحاوى ج ١ ص ٤٨، مستدرک الحصريين للحاكم ج ٣ ص ١٥٧، معالم التنزيل للحافظ البغوى الشافعى ج ١ ص ٢٩١ و غيرها.

نساء العالم، الا- انها لاتصرح ببيان الافضل من تلك الاربع، و لكن الاحاديث المتواتره المعتبره تصرح بتفضيل السيده فاطمه الزهراء عليهن و على غيرهن.

و نحن لانشك في ذلك، بل نعتبره من الامور المسلمه المتفق عليها، لانها بضعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا نعدل بها احدا.

و لم ننفرد بهذه الحقيقه، بل وافقنا على ذلك الكثير الكثير من العلماء و المحدثين المنصفين، من المتقدمين منهم و المتأخرين و المعاصرين، بل صرح بذلك بعضهم، و اليك بعض اقوال اولئك الاعلام:

عن مسروق قال: حدثني عائشه ام المؤمنين قالت: انا كنا ازواج النبی عنده لم تغادر منا واحده، فاقبلت فاطمه تمشي، لا والله ما تخفى مشيتها من مشيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، فلما رآها رحب بها و قال: مرحبا بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله، ثم سارها (١).

فبكت بكاء شديدا، فلما رأى حزنها سارها الثانيه! فاذا هي تضحك، فقلت لها- انا من بين نساءه-: خصك رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالسر من بيننا، ثم انت تبكين؟

فلما قام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سالتها: عما سارك؟

قالت: ما كنت لافشى على رسول الله سره، فلما توفى قلت لها: عزمت عليك بما لى عليك من الحق (!!) لما اخبرتيني!

قالت: اما الان فنعم، فاخبرتني قالت: سارني فى الامر الاول فانه اخبرني ان جبرائيل كان يعارضه (القرآن) كل سنه (٢) و انه قد عارضني به

ص: ١٩١

١- ١٥٩. اى: اسراليها.

٢- ١٦٠. هكذا وجدنا فى المتن، و الاصح: يعارضني، كما فى مصادر اخرى.

العام مرتين، و لا ارى الاجل الا قد اقترب، فاتقى الله و اصبرى فانى نعم السلف انا لك، قالت: فبكيت بكائي الذى رايت، فلما راى جزعى سارنى الثانيه قال: يا فاطمه الا ترضين ان تكونى سيده نساء المومنين او سيده نساء هذه الامه؟ (١).

و فى روايه البغوى فى (مصاييح السنه): الا ترضين ان تكونى سيده نساء العالمين و سيده نساء هذه الامه، و سيده نساء المومنين؟ و الاحاديث التى تصرح بسيادتها و تفضيلها على نساء العالمين كثيره جدا، و جلها مرويه عن عائشه، و عن عمران بن حصين، و عن جابر بن سمره و عن ابن عباس و ابى بريدہ الاسلمى و غيرهم، و قد روى البخارى هذا الحديث فى الجزء الرابع ص ٢٠٣ من صحيحه، و عدد كثير من علماء العامه كالقسطلاننى و القندوزى و المتقى و الهيثمى و النسائى و الطحاوى و غيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم.

و لقد ورد هذا الحديث بطرق عديده، و فى بعضها: ان سبب ضحكها هو اخبار النبى لها بانها اول اهل بيته لحوقا به، و فى بعضها ان سبب ضحكها او تبسمها هو اخبار النبى لها انها سيده نساء العالمين.

ولكن روى احمد بن حنبل حديثا يجمع بين هاتين الطائفتين من الاحاديث: باسناده عن عائشه قالت: اقبلت فاطمه تمشى كان مشيتها مشيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: مرحبا بابنتى، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله، ثم انه اسر اليها حديثا فبكت، ثم اسر اليها حديثا

ص: ١٩٢

١- ١٦١. طبقات ابن سعد ج ٢، و رواه باختلاف يسير كل من مسلم فى صحيحه ج ٧ ص ١٤٢، و البلاذرى فى انساب الاشراف ص ٥٥٢، و السيوطى فى الخصائص ص ٣٤ و الحافظ البيهقى فى الاعتقاد ص ١٢٥، و الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٣٩، و سبط ابن الجوازى فى التذكرة ص ٣١٩، و غيرهم.

فضحكت، فقلت: ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن، فسالتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لافشى سر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

حتى اذا قبض النبي سالتها؟

فقالت: انه اسر الى فقال: ان جبرئيل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مره، و انه عارضنى به العام مرتين و لا اراه الا قد حضر اجلى، و انك اول اهلى لحوقا بى و نعم السلف انا لك، فبكيت لذلك، ثم قال: الا ترضين ان تكونى سيده نساء هذه الامه او نساء المومنين؟

قالت: فضحكت لذلك. (١).

و قد روى البخارى فى صحيحه ج ٥ ص ٢١ و ٢٩: ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: فاطمه بضعه منى، فمن اغضبها فقد اغضبنى.

و روى البخارى عن ابى الوليد: ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: فاطمه بضعه منى من آذاها فقد آذانى.

و قد ورد هذا الحديث بالفاظ متنوعه و معانى متحده كقوله (صلى الله عليه و آله و سلم):

فاطمه بضعه منى، يؤذنى ما آذاها، و يغضبنى ما اغضبها.

فاطمه بضعه منى، يقبضنى ما يقبضها، و يبسطنى ما يبسطها. (٢).

فاطمه شجنه منى (٣) فاطمه مضغه منى فمن آذاها فقد آذانى.

فاطمه مضغه منى، يسرنى ما يسرها.

يا فاطمه ان الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك.

ص: ١٩٣

١- ١٦٢. مسند احمد ج ٦ ص ٢٨٢.

٢- ١٦٣. اى: يسرنى ما يسرها، لان الانسان اذا سر انبسط وجهه.

٣- ١٦٤. الشجنه اى: القطعه و البضعه.

فمن عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهي بضعة منى.

هى قلبى و روحى التى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى، و من آذانى فقد آذى الله.

ان الله يغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضاها.

و قد روى هذه الاحاديث اكثر من خمسين رجلا- من رجال الحديث و السنن، كاحمد بن حنبل، و البخارى، و ابن ماجه و السجستاني و الترمذى و النسائى و ابوالفرج و النيسابورى و ابونعيم و البيهقى و الخوارزمى و ابن عساكر و البغوى و ابن الجوزى و ابن الاثير و ابن ابى الحديد و السيوطى و ابن حجر و البلاذرى و غيرهم ممن يعسر احصاؤهم، و قد ذكرنا شيئا من تلك الاحاديث مع مصادرها فى اوائل الكتاب.

و قد وقعت هذه الاحاديث موقع الرضا و القبول من الصحابه و التابعين لتواترها و صحه اسنادها و شهرتها فى الملا الاسلامى.

اما الصحابه فلنا فى المستقبل مجال واسع لاعتراف بعضهم بصحه هذا الحديث و سماعه من الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

و اما التابعون فقد روى ابوالفرج فى الاغانى ج ٨ ص ٣٠٧ باسناده قال: دخل عبدالله بن حسن على عمر بن عبدالعزيز و هو حديث السن و له و فره، فرفع مجلسه، و اقبل عليه و قضى حوائجه، ثم اخذ عكنه من عكنه (١) فغمز (بطنه) حتى اوجعه و قال له: اذكرها عندك للشفاعه.

فلما خرج (عبدالله بن حسن) لاهله (٢) و قالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: ان الثقة حدثنى حتى كانى اسمعه من فى رسول

ص: ١٩٤

١- ١٦٥. العكنه- بضم العين- اللحم المثنى من البطن.

٢- ١٦٦. اى: لام الناس عمر بن عبدالعزيز.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١) قال: (انما فاطمه بضعه مني يسرني ما يسرها) وانا اعلم ان فاطمه لو كانت حيه لسرها ما فعلت بابنها.

قالوا: فما معنى غمزك بطنه و قولك ما قلت؟

قال: انه ليس احد من بنى هاشم الا وله شفاعه، فرجوت ان اكون في شفاعه هذا.

قال السهمودي- بعد ايراده حديث فاطمه بضعه مني يوذيني ما آذاها و يرييني ما ارابها:- فمن آذى شخصا من اولاد فاطمه او ابغضه جعل نفسه عرضه لهذا الخطر العظيم، و بضده (و بالعكس) من تعرض لمرضاتها في حبههم و اكرامهم.

و قال السهيلى: هذا الحديث يدل على ان من سبها كفر، و من صلى عليها فقد صلى على ابيها، و استنبط ان اولادها مثلها لانهم بضعه مثلها، و فكك الفرع من اصله هو فكك الشىء من نفسه و هو غير ممكن و محال، باعتبار ان ذلك الفرع هو الشخص المعمول من ماده ذلك الاصل و نتيجه المتولده منه- انتهى كلامه-.

اقول: لعل المقصود من الخطر العظيم الذى ذكره السهمودي هو اشاره الى قوله تعالى: (ان الذين يوذون الله و رسوله لعنهم الله فى الدنيا و الاخره و اعد لهم عذابا مهينا) و قوله (و الذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم).

ايها القارىء الذكى: بعد الانتباه الى هذه الايات، و بعد الامعان و التدبر فى هذه الاحاديث و الروايات ما تقول فيمن آذى فاطمه الزهراء؟؟!!

اعود الى حديثي عن مدى حب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

ص: ١٩٥

من الصعب احصاء الاحاديث التي تصرح بان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) اذا اراد سفرا كان آخر عهده بانسان من اهله فاطمه (عليها السلام) و اول من يدخل عليها- بعد رجوعه من السفر- فاطمه (١).

كان (صلى الله عليه و آله) اذا رجع من سفره دخل على ابنته فاطمه اولاً، ثم ذهب الى داره و التقى بزوجاته. (٢).

انه كان يفضل الزهراء على زوجاته و نسائه، و ما ذاك الا لان الله فضلها عليهن و على نساء العالمين.

فقدم من غزاه، و قد علقت مسحاً او ستراً على بابها، و حلت (٣) الحسن و الحسين قلبين من فضه، فقدم و لم يدخل، فظنت ان ما منعه ان يدخل دارها ما راي، فهتكت الستر، و فكت القلبين من الصبيين، و قطعتة منهما، و دفعته اليهما، فانطلقا الى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هما يبكيان، فاخذة منهما فقال: يا ثوبان اذهب بهذا الى فلان، ان هولاء اهلى اكره ان ياكلوا طبياتهم في حياتهم الدنيا، يا ثوبان (٤) اشتر لفاطمة قلاده من عصب و سوارين من عاج.

روى هذا الحديث الخطيب العمري في (مشكاة المصابيح) و الطبري في (ذخائر العقبى) و النويري في (نهاية الارب) و القندوزي في (ينابيع المودة) و الطبراني في (المعجم الكبير) و الزبيدي في (اتحاف الساده) و غيرهم.

ص: ١٩٦

١- ١٦٨. السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢٦، ذخائر العقبى للطبري ص ٣٧، مستدرک الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٥٦ و غيرها.

٢- ١٦٩. الاستيعاب للاندلسي ج ٢ ص ٧٥٠، مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٥٥.

٣- ١٧٠. حلت- من التحليه- و هي التجميل و لبس الحلی. قلبين- تشنيه قلب- و هو السوار.

٤- ١٧١. ثوبان: اسم غلام.

و قد روى هذا الحديث من علمائنا: الشيخ الكليني في (الكافي) و الطبرسي في (مكارم الاخلاق) اكثر تفصيلا و توضيحا مع اختلاف يسير:

عن زراه عن ابي جعفر (الباقر) (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) اذا اراد سفرا سلم على من اراد التسليم عليه من اهله، ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمه (عليها السلام) فيكون وجهه الى سفره من بيتها، و اذا رجع بدا بها (اي يزورها قبل كل احد) فسافر مره، و قد اصاب على (عليه السلام) شيئا من الغنيمه فدفعه الى فاطمه فخرج، فاخذت سوارين من فضه، و علقت على بابها ستر، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) دخل المسجد، فتوجه نحو بيت فاطمه كما كان يصنع، فقامت فرحه الى ابيها صبابه و شوقا اليه، فنظر فاذا فى يدها سواران من فضه و اذا على بابها ستر، فقعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حيث ينظر اليها، فبكت فاطمه و حزنت و قالت: ما صنع هذا بى قبلها.

فدعت ابنيها، فترعت الستر عن بابها، و خلعت السوارين من يديها ثم دفعت السوارين الى احدهما و الستر الى الاخر ثم قالت لهما: انطلقا الى ابي، فاقراءه السلام و قولا له: ما احداثا بعدك غير هذا، فشانك به.

فجاءه، فابلغاه ذلك عن امهما، فقبلهما رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و التزمهما و اقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم امر بذينك السوارين فكسرا فجعلهما قطعا، ثم دعا اهل الصفه و هم قوم من المهاجرين، لم يكن لهم منازل و لا اموال فقسمه بينهم قطعا... الى آخره.

ان هذا الحديث الذى تراه مشهورا عند الفريقين، مرويا بطرق عديده لعله يحتاج الى شرح و تعليق، مع العلم ان رواه هذا الحديث لم يتطرقوا الى

اقول: ليس المقصود من هذا الستر هو الستر المرخى على مدخل البيت عند فتح باب البيت، لان هذا امر مستحب للمبالغة على التستر و الحجاب، و حاشا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ان يغضب من ستر قد علق على مدخل بيت فاطمه.

بل المقصود ان السيده فاطمه (عليها السلام) كانت قد علقت على باب البيت (لامدخل البيت) سترا يستر الباب الخشبي، للزينة، المسمى فى زماننا ب(الديكور) تجملا او تجميلا للباب و بعبارة اخرى: البست الباب ثوبا- اى سترا-، و ليس هذا بحرام بل لانه لا يتفن مع التزهد او الزهد المطلوب من آل محمد (عليهم السلام) و المواساه المترقبه المتوقعه منهم، و نفس هذا الكلام ياتى فى موضوع السوار و القلاده.

و بناء على صحه هذا الحديث كان الافضل للسيدة الزهراء (عليها السلام) ان تنفق ذلك الستر فى سبيل الله بسبب الحاجه الماسه اليه، لكثرة الفقراء، و شدة الفقر المدقع عند فقراء المهاجرين و من باب المواساه و الايثار.

و روى ابن شاهين فى (مناقب فاطمه) عن ابي هريره و ثوبان هذا الحديث مع تغيير يسير، الى ان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): - بعد ما دفعت الزهراء الستر و السوار الى ابيها-: فعلت، فداها ابوها- ثلاث مرات- ما لال محمد و للدنيا؟ فانهم خلقوا للاخره، و خلقت الدنيا لهم.

و فى روايه احمد بن حنبل: فان هولاء اهل بيتى، و لا احب ان ياكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا.

و يستفاد من هذا التعليل ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا يحب ان ينقص حظ ابنته فاطمه الزهراء من الاجر و الثواب فى الاخره،

لان مراره الحياه و خشونه العيش فى الدنيا لهما تعويض فى الاخره.

و بهذا الحديث الاتى يتضح ما قلنا:

عن تفسير الثعلبى عن الامام جعفر بن محمد (عليه السلام) و عن جابر بن عبد الله الانصارى قال: راي النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فاطمه و عليها كساء من اجله الابل، و هى تطحن بيديها، و ترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: يا بنتاه تعجلى مراره الدنيا بحلاوه الاخره.

فقلت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، و الشكر لله على آلائه.

فانزل الله: (و لسوف يعطيك ربك فترضى) (١).

ص: ١٩٩

كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على جانب كبير من الزهد، ومعنى الزهد، التخلي عن الشيء وتركه وعدم الرغبة فيه، وكلما ازداد الإنسان شوقاً إلى الآخرة ازداد زهداً في الدنيا، وكلما عظمت الآخرة في نفس الإنسان صغرت الدنيا في عينيه وهانت، وهكذا كلما ازداد الإنسان عقلاً وعلماً وإيماناً بالله ازداد تحقيراً واستخفافاً لملذات الحياة.

أرأيت الأطفال كيف يلعبون، ويفرحون، ويحزنون ويتسابقون ويتنازعون على أشياء تافهة يلعبون بها، فإذا نضجت عقولهم وفتحت مشاعرهم تراهم يتعدون عن تلك الألعاب، ويستكفون من التنازل إلى ذلك المستوى، ويعتبرونه منافياً للوقار، ومُخللاً للشخصية، كل هذا بسبب تطوّر مداركهم، وانتقالهم من دور الصبا إلى مرحلة الرجولة والنضج.

نعم، هكذا كان أولياء الله، كانوا ينظرون إلى حطام الدنيا نظره تحقير واستهانة، ولا تتعلق قلوبهم بحب الدنيا وما فيها، ولا يحبون الدنيا للدنيا، بل يحبون الدنيا للآخرة، يحبون البقاء في الدنيا ليعبدوا الله تعالى، يريدون المال لينفقوه في سبيل الله (عز وجل)، لإشباع البطون الجائعة وإكساء الأبدان العارية وإغاثة الملهوف وإعانة المضطر.

بعد هذه المقدمة يسهل عليك أن تدرك أسس الزهد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فهي عرفت الحياة الدنيوية، وادركت الحياة الآخروية، فلا عجب إذا قنعت باليسير اليسير من متاع الحياة، واختارت

لنفسها فضيله المواساه والإيثار، و هانت عليها الثروه، و كرهت الترف و السرف.

و لا غرو من ذلك، فهي بنت أزهد الزهاد، و حياتها العقائديه ملازمه للزهد و حياتها الاجتماعيه أيضاً تتطلب منها الزهد، فهي أولى الناس بالسير على منهاج أبيها الرسول الزاهد العظيم (صلى الله عليه و آله و سلم).

و حياتها الزوجيه تبلورت بالزهد و القناعه، فلقد كان زوجها الإمام على (عليه السلام) أول الناس و أكثرهم اتباعاً للرسول في زهده، ولم يشهد التاريخ الإسلامى رجلاً من هذه الأمه أكثر زهداً من على بن أبى طالب (عليه السلام).

و هو الذى كان يخاطب الذهب و الفضة بقوله: يا صفراء يا بيضاء غريا غيرى. و قد امر على (عليه السلام) لأعرابى بألف. فقال الوكيل: من ذهب أو فضه؟

فقال على: كلاهما عندى حَجْران، فأعطوا الأعرابى أنفعهما له.

و قد ذكرنا بعض ما يتعلق بهذا الموضوع فى كتابنا: (على من المهد إلى اللحد) و إنما تطرقنا هنا إلى زهد على (عليه السلام) بمناسبة حديثنا عن زهد السيدة فاطمه الزهراء.

و قد مرّ عليك فيما مضى - بعض الأحاديث عن زهداها و إنفاقها فى سبيل الله فى باب زواجها و نزول سوره هل أتى و غيرهما.

و إليك نبذه من الأحاديث التى تشير إلى نفس الموضوع:

فى كتاب (بشاره المصطفى) عن الإمام الصادق عن أبيه (عليهما السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال:

صَلَّى بنا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) صلاه العصر، فلما

انفتل جلس فى قبلته و الناس حوله. فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ من العرب مهاجرة العرب، عليه سمل قد تهلل و أخلق (١) و هو لا- يكاد يتمالك كبراً و ضعفاً، فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يستحثه الخبر، فقال الشيخ: يا نبي الله أنا جائع الكبد فأطعمنى، و عارى الجسد فاكسنى و فقير فارشنى (٢).

فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): ما أجد لك شيئاً، و لكن الدال على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجره فاطمه.

و كان بيتها ملاصق بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الذى يتفرد به لنفسه من أزواجه، و قال: يا بلال قم فقف به على منزل فاطمه.

فانطلق الإعرابى مع بلال، فلما وقف على باب فاطمه نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة و مختلف الملائكة، و مهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين.

فقال فاطمه: و عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟

قال: شيخ من العرب، أقبلت على أبيك سيد البشر مهاجراً من شقه، و أنا- يا بنت محمد- عارى الجسد، جائع الكبد، فواسينى يرحمك الله.

و كان لفاطمه و على- فى تلك الحال- و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، و قد علم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من شأنهما.

ص: ٢٠٢

١- ١٧٣. السمل الثوب الخلق. تهلل الثوب: انخرق.

٢- ١٧٤. ارشنى: احسن الى.

فعمدت فاطمه إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ (١) كان ينام عليه الحسن و الحسين، فقالت: خذ هذا يا أيها الطارق، فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه.

فقال الإعرابي: يا بنت محمد شكوت إليك الجوع، فناولتني جلد كبش؟ ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟ (٢).

قال: فعمدت فاطمه - لما سمعت هذا من قوله - إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمه بنت عمها حمزة بن عبدالمطلب، فقطعته من عنقها، و نبذته إلى الأعرابي فقالت: خذه و بعّه، فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه.

فأخذ الإعرابي العقد، و انطلق إلى مسجد رسول الله، والنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله أعطتني فاطمه بنت محمد هذا العقد فقالت: بعّه فعسى الله أن يصنع لك.

قال: فبكى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: و كيف لا يصنع الله لك، و قد أعطته فاطمه بنت محمد سيده بنات آدم.

فقام عمار بن ياسر (رحمه الله عليه) فقال: يا رسول الله أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: اشتر يا عمار، فلو اشتركت فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار.

فقال عمار: بكمم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعه من الخبز و اللحم، و برده يمانيه استر بها عورتى و أصلى فيها لربى، و دينار يبلغنى إلى أهلى.

و كان عمار قد باع سهمه الذى نفعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من خير و لم يبق منه شيئاً فقال: لك عشرون ديناراً و مائتا درهم

ص: ٢٠٣

١- ١٧٥. لقرظ: شىء يدبغ به الجلد.

٢- ١٧٦. السغب: الجوع.

هجرية، و بُرده يمانيه، و راحلتى تبلغك أهلك، و شبعك من خبز البر و اللحم. فقال الإعرابى: ما أسخاك بالمال أيها الرجل؟ و انطلق عمار فوقاه ما ضمن له. و عاد الإعرابى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال له رسول الله: أشبعت و اكتسيت؟! قال الأعرابى: نعم، و استغنيت بأبى أنت و أمى.

قال: فأجزِ فاطمه بصنيعها.

فقال الأعرابى: اللهم أنت إله ما استحدثناك، و لا إله لنا نعبد سواك، فأنت رازقنا على كل جهات، اللهم اعط فاطمه مالا عين رات و لا اذن سمعت...

و الى ان قال: فعمد عمار الى العقد فطيبه بالمسك، و لفه فى برده بمانيه، و كان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذالك السهم الذى اصابه بخير، فدفع العقد الى المملوك.

فضحك المملوك فقالت: ما يضحك يا غلام؟

فقال اضحكنى عظم بركه هذا العقد، و اعتقت المملوك.

فضحك المملوك فقالت: ما يضحك يا غلام؟

فقال: اضحكنى عظم بركه هذا العقد، اشبع جائعا، و كسى عريانا و اعنى فقيرا واعتق عبدا، و رجع الى ربه اى الى صاحبه.

و فى كتاب البحار ج ٤٣ عن تفسير فرات بن ابراهيم عن ابى سعيد الخدرى قال:

ص: ٢٠٤

أصبح على بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم ساعياً (١) وقال: يا فاطمه هل عندك شيء تغذي به؟

قالت: لا، والذي أكرم أبي بالنبوه، وأكرمك بالوصيه ما أصبح الغداه شيء، وما كان شيء أطعمناه مذيومين إلا شيء كنت أؤثر لك به على نفسي، وعلى ابني هذين: الحسن والحسين.

فقال على: يا فاطمه! ألا كنت أعلمتني فأبغيتكم شيئاً؟

فقالت: يا أباالحسن إني لأستحي من إلهي أن أكلف نفسي ما لا تقدر عليه.

فخرج على بن أبي طالب من عند فاطمه (عليهما السلام) واثقاً بالله بحسن الظن، فاستقرض ديناراً فبينما الدينار في يد على بن أبي طالب (عليه السلام) يريد أن يبتاع لعياله ما يصلحهم، فتعرض له المقداد بن الأسود، في يوم شديد الحر، قد لوّحت الشمس من فوقه، وآذته من تحته فلما رآه على بن أبي طالب (عليه السلام) أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعه من رحلك؟

قال: يا أباالحسن خلّ سبيلي ولا تسألني عما ورائي!!

فقال: يا أخي إنه لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك.

فقال: يا أباالحسن رغبه إلى الله واليك أن تخلي سبيلي، ولا تكشفني عن حالي!!!

فقال له: يا أخي إنه لا يسعك أن تكتمني حالك.

فقال: يا أباالحسن! أمّا إذا أبيت! فوالذي أكرم محمد بالنبوه وأكرمك بالوصيه ما أزعجني من رحلي إلاّ الجهد وقد تركت عيالي

ص: ٢٠٥

يتضاعون جوعاً، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملنى الأرض، فخرجت مهموماً، راكب رأسى، هذه حالى و قصتى !!

فانهملت عينا على بالبكاء حتى بَلَّت دمعته لحيته فقال له: أَلْهَفُ بالذى حلفت: ما أزعجنى إِلَّا الذى أزعجك من رحلك، فقد استقرضت ديناراً، فقد آثرتك على نفسى. فدفع الدينار إليه و رجع حتى دخل مسجد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فصلَّى فيه الظهر و العصر و المغرب، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) المغرب مرَّ بعلى بن أبى طالب و هو فى الصف الأول فغمزه برجله، فقام على متعباً خلف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسَلَّمَ عليه فردَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) السلام، فقال: يا أباالحسن هل عندك شىء نتعشاه فتميل معك؟

فمكث مطرقاً لا يحير جواباً، حياءً من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان النبى يعلم ما كان من أمر الدينار، و من أين أخذه و أين وجَّهه، و قد كان أوحى الله تعالى إلى نبيه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يتعشى تلك الليلة عند على بن أبى طالب.

فلما نظر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى سكوته فقال: يا أباالحسن ما لك لا تقول: لا. فانصرف؟ أو تقول: نعم. فأمضى معك؟

فقال:- حياءً و تكرماً:- فاذهب بنا!!

فأخذ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يد على بن أبى طالب فانطلقا حتى دخلا- على فاطمه (عليها السلام) و هى فى مصلاًها قد قضت صلاتها، و خلفها جفنه تفور دخاناً.

فلما سمعت كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرجت من مصلاها فسلمت عليه وكانت أعز الناس عليه، فرد عليها السلام، ومسح بيده على رأسها وقال لها: يا بنتاه كيف أمسيت؟

قالت: بخير.

قال: عشتينا، رحمك الله، وقد فعل.

فأخذت الجفنه فوضعتها بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى بن أبي طالب....

فقال على لها: يا فاطمه أننى لك هذا الطعام الذى لم أنظر إلى مثل لونه قط، ولم أشم ريحه قط، وما آكل أطيب منه؟؟

قال: فوضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كفّه الطيبه المباركه بين كتفى على بن أبي طالب (عليه السلام) فغمزها، ثم قال: يا على! هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم استعبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باكيًا، ثم قال: الحمد لله الذى أبى لكم أن تخرجا من الدنيا حتى يجزيكما و يجريك- يا على - مجرى زكريا، و يجرى فاطمه مجرى مريم بنت عمران، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً.

ص: ٢٠٧

العباده لها معنيان: معنى عام و معنى خاص.

فالعباده بمعناها العام هي: كل ما يتغرب الانسان به الى الله سبحانه، من النوايا الطيبه و الاقوال الحسنه و الاعمال الصالحه و الاخلاق الحميده و غيرها.

و العباده بمعناها الخاص هي الصلاه الخاص هي الصوم و الحج و الزكاه و غيرها مما هو واضح للجميع.

و قد تجلت العباده- بكل معانيها و ابعادها في حياه السيده الطاهره فاطمه (عليه السلام).

فحياتها كلها عباده، منذ البدايه حتى النهايه، فمن حمل الماء الى بيوت الفقراء و المساكين و اطعام الطعام و الايثار، و تعليم الاحكام الشرعيه، و تحمل متاعب الاعمال المنزليه و الزهد و الحرمان و البساطه في العيش، و حسن التبعل، و الدفاع عن الامامه و الولايه، و ما اصابها من الالام و المصائب بعد وفاه ابيها الرسول (صلى الله عليه و آله) و غيرها مما قراته و تقرا في صفحات حياتها المشرقه- كلها عباده خالصه لوجه الله سبحانه.بالاضافه الى الصلاه و الخشوع و المناجاه و غيرها.

و قد روى عن ابن عباس- في قوله تعالى: «كانو قليلا من الليل ما يهجعون و بالاسحارهم يستغفرون» (١) - قال: نزلت في علي بن ابي طالب

ص: ٢٠٨

و فاطمه و الحسن و الحسين (١).

و فيما يلي نذكر بعض الاحاديث المرويه فى هذا المجال:

١- روى عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: رأيت أمي فاطمه (عليها السلام) قامت فى محرابها ليله جُمعتها فلم تزل راکعه ساجده حتى اتّضح عمود الصبح، و سمعتها تدعو للمؤمنين و المؤمنات و تُسمّيهن، و تكثر الدعاء لهن و لا تدعو لنفسها بشىء.

فقلت: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقلت: يا بنى! الجار ثم الدار» (٢).

٢- عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: «و أمّا ابنتى فاطمه فإنها سيده نساء العالمين من الأولين و الآخرين، و هى بضعه منى و هى نور عيني، و هى ثمره فؤادى، و هى روحى التى بين جنبيّ، و هى الحوراء الإنسيه.

متى قامت فى محرابها بين يدي ربها (جل جلاله) زَهر نورها لملائكته السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، و يقول الله (عز و جل) لملائكته: يا ملائكتى انظروا إلى أمتى فاطمه، سيده إمامي قائمه بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، و قد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنى قد أمنت شيعتها من النار...» الى آخر حديث.

٣- و فى كتاب عده الداعى لابن فهد الحلبي: و كانت فاطمه (عليها السلام) تنهج فى الصلاه من خيفه الله. و النهج - بفتح النون والهاء - تتابع النفس.

ص: ٢٠٩

١- ١٧٩. شواهد التنزيل للحسكاني الحنفى ج ٢ ص ١٩٤.

٢- ١٨٠. بحار الانوار ج ٤٣.

٤- و روى الحسن البصرى قال: ما كان فى هذه الامه اعبد من فاطمه، كانت تقوم حتى تور مت قدمهاها.

٥- و روى عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) انه قال: «من صلى اربع ركعات، يقرأ- فى كل ركعه (١) - خمسين مره «قل هو الله احد» كانت صلاه فاطمه، و هى صلاه الاولين (٢) .

٦- و عنه (عليه السلام) قال: كانت لامى فاطمه ركعتان تصليها، علمها جبرئيل (عليه السلام) فاذا سلمت سبحت التسبيح (٣) ثم تقول:

«سبحان ذى العز الشامخ المنيف، سبحان ذى الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذى الملك الفاخر القديم، سبحان من لبس البهجه و الجمال، سبحان من تردى بالنور و الوقار، سبحان من يرى اثر النمل على الصفا، سبحان من يرى وقع الطير فى الهواء، سبحان من هو هكذا، لا هكذا غيره» (٤) .

٧- و روى ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال لامير المؤمنين و ابنته فاطمه (عليهما السلام): اننى اريد ان اخصكما بشى من الخيز مما علمنى الله (عز و جل) و اطلعنى الله عليه، فاحتفظابه.

قالا: نعم يا رسول الله فما هو؟

قال: يصلى احدكما ركعتين، يقرأ فى كل ركعه: فاتحه الكتاب و آيه الكرسي - ثلاث مرات - و «قول هو الله احد» - ثلاث مرات - و آخر الحشر - ثلاث مرات - من قوله: «و لو انزلنا هذا القرآن على جلا...» الى آخره.

ص: ٢١٠

١- ١٨١. بعد الحمد.

٢- ١٨٢. من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٥٦٤.

٣- ١٨٣. اى: تسبيح الزهراء (عليها السلام).

٤- ١٨٤. بحار الانوار ج ٨٩، و رويت الصلاه بصوره اخرى ايضا.

فاذا جلس فليتشهد و ليشن عل الله (عز و جل) و ليصل على النبي و ليدع للمومنين و المومنات، ثم يدعو صلى الله عليه و آله و سلم على اثر ذالك صلى الله عليه و آله و سلم فيقول:

«الهم انى اسالك بحق كل اسم هو لك، يحق عليك فيه اجابه الدعا اذا دعيت به، و اسالك بحق كل ذى حق عليك، و اسالك بحقك على جميع ما هو دونك ان تفعل بى...» كذا و كذا (١).

٨- و عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: للامر اللمخوف العظيم تصلى ركعتين، و هى التى كانت الزهرا (عليها السلام) تصليها، تقرا فى الاولى الحمد و قل هو الله احد خمسين مره، و فى الثانيه مثل ذالك، فاذا سلمت صليت على النبي (صلى الله عليه و آله) ثم ترفع يديك و تقول:

اللهم اتوجه اليك بهم، و اتوسل اليك بحقهم (بحقك - خ ل) العظيم الذى لا يعلم كنهه سواك، و بحق من حقه عندك عظيم، و باسمائك الحسنى و كلماتك التامات التى امرتنى ان اعودك بها، و اسالك باسمك العظيم الذى امرت ابراهيم (عليه السلام) ان يدعو به الطير فاجباته، و باسمك العظيم الذى قلت للنار: «كونى بردا و سلاما على ابراهيم» فكانت، و باحب اسمائك اليك و ارفها عندك، و اعظمها لديك، و اسرعها اجابه، و انجحها طلبه، و بما انت اهلكه و مستحقه و مستوجه؛ و اتوسل اليك، و ارغب اليك، و اتصدق منك، و استغفرك، و استمنحك، و اتضرع اليك، و اخضع بين يديك، و اخشع لك، و اقر لك بسوء صنيعتى، و اتملق والى عليك، و اسالك بكتبك التى انزلتها على انبيائك و رسلك صلواتك عليهم اجمعين من التوراه الانجيل و القرآن العظيم من اولها الى آخرها، فان فيها اسمك الاعظم، و بما فيها من اسمائك العظمى، اتقرب اليك، و اسالك ان

ص: ٢١١

تصلى على محمد و آله، و ان تفرج عن محمد و آله، و تجعل فرجى مقرونا بفرجهم، و تبدا بهم فيه، و تفتح ابواب السماء لدعائى فى هذا اليوم، و تاذن فى هذا اليوم و هذه الليلة بفرجى و اعطاء سولى و املى فى الدنيا و الآخرة، فقد مسنى الفقر و نالنى الضر و شملتني الخصاصه، و الجاتني الحاجه، و توسمت بالذاه و غلبتني المسكنه، و حقت على الكلمه، و احاطت بى الخطيئه، و هذا الوقت و عدت اوليائك فيه الاجابه.

فصل على محمد و آله، و امسح ما بى بيمينك الشافيه، و انظر الى بعينك الراحمه، و ادخلنى فى رحمتك الواسعه، و اقبل الى بوجهك الذى اذا قبلت به على اسير فككته، و على خائف آمنته؛ و لا تخلفنى لقا لعدوك و عدوى، يا ذا الجلال و لا اكرام.

يا من لا يعلم كيف هو، و حيث هو، و قدرته الا هو، يا من سد الهواء بالسماء، و كبس الارض على الماء، و اختار لنفسه احسن الاسماء، يا من سمي نفسه بالاسم الذى به يقضى حاجه كل طالب يدعوه به، اسالك بذلك الاسم، فلا شفيع اقوى لى منه، و بحق محمدا و آل محمد ان تصلى على محمد و آل محمد، و ان تقضى لى حوائجى، و تسمع محمدا و عليا و فاطمه و الحسن و الحسين و عليا و محمدا و جعفرا و موسى و عليا و محمدا و عليا و الحسن و الحجه صلوات الله عليهم و بركاته و رحمته (١) - صوتى، فيشفعوا لى اليك و تشفعهم فى، و لا تردنى خائبا، بحق لا اله الا انت، و بحق محمد و آل محمد، و افعل بى كذا و كذا يا كريم (٢).

ص: ٢١٢

١- ١٨٦. و فى نسخه: صلواتك عليهم و بركاتك و رحمتك.

٢- ١٨٧. مصباح المتجهد: ص ٢٦٦.

و قال السيد ابن طاووس الحلبي: روى صفوان قال: دخل محمد ابن علي الحجلي علي ابي عبدالله الصادق (عليه السلام) في يوم الجمعة فقال له: تعلمني افضل ما اصنع في مثل هذا اليوم؟

فقال (عليه السلام): يا محمد ما اعلم احدا كان اكبر عند رسول الله من فاطمه، و لا افضل مما علمها ابوها محمد بن عبدالله (صلى الله عليه و آله و سلم).

قال (صلى الله عليه و آله): من اصبح يوم الجمعة فاغتسل و صف قدميه و صلى اربع ركعات مثنى مثنى، يقرأ في اول ركعه الحمد و الاخلاص خمسين مره، و في الثانيه فاتحه الكتاب و العاديات خمسين مره، في الثالثه فاتحه الكتاب و اذا زلزلت الارض خمسين مره، و في الرابعه فاتحه الكتاب و اذا جاء نصر الله و الفتح خمسين مره- و هذه سوره النصر و هي آخر سوره نزلت- فاذا فرغ منها دعا، فقال (١):

«الهي و سيدى، من تهيا او تعبأ او اعد او استعد لوفاده الى مخلوق رجاء رفته و فوائده و نائله و فواضله و جوائزه، فاليك يا الهي كانت تهيئتي و تعييتى و اعدادى و استعدادى رجاء رفدك و معروفك و نائلك و جوائزك، فلا تحرمنى ذالك، يا من لا يخيىب عليه مساله السائل، و لا تنقصه عطيه نائل فانى لم آتك بعمل صالح قدمته، و لا شفاعة مخلوق رجوته، اتقرب اليك بشفاعه محمد و اهل بيته صلواتك عليهم اجمعين، ارجو عظيم عفوك الذى عفوت به على الخاطئين عند عكوفهم على المحارم فلم يمنعك طول عكوفهم على المحارم ان عدت عليهم بالمغفره، و انت سيدى العواد بالنعماء، و انا العواد بالخطاء، اسسالك بمحمد و آله الطاهرين ان تغفر لى

ص: ٢١٣

الذنب العظيم، فانه لا يغفر ذنبي العظيم، يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا عظيم (١). .

و الاحاديث فى عباده السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) كثيره، خاصه الادعيه التى كانت تناجى بها ربها، و لا ارانى بحاجه الى المزيد من التحدث عن عبادتها، و كثره شوقها و رغبتها الى الصلاه، و مدى اقبال قلبها الى المناجاه مع الله تعالى، فهى بنت اول العابدين، الذى كان يقف على قدميه للعباده طيله ساعات طوال حتى نزل عليه قوله تعالى: «طه ما انزلنا عليم القرآن لتشقى».

و هى التى عرفت معنى العباده و قيمه العباده بمقدار معرفتها بعظمه الله تعالى فلا عجب اذا كانت السيده فاطمه تستلذ من العباده، و ترتاح نفسها حين الوقوف بين يدى الله (عز و جل) و التذليل و الخضوع لربها، و كانها لا تتعب من القيام و الركوع و السجود.

ص: ٢١٤

١- ١٨٩. «جمال الاسبوع» ١٣٢-١٣٣.

روى عن الامام على (صلوات الله عليه) أنه قال لرجل من بنى سعد: ألا أحدثك عنى و عن فاطمه؟ إنها كانت عندى و كانت أحب أهله إليه (١).

و أنها استقت بالقربه حتى أثّر فى صدرها، و طحنت بالرحى حتى مجلت (٢).

يدأها، و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، و أوقدت النار تحت القدر حتى دكنت (٣).

ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّاً ما أنت فيه من هذا العمل.

فأتت النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فوجدت عنده حُداثاً فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أنها جاءت لحاجه، فغدا علينا و نحن فى لفاعنا (٤) فقال: السلام عليكم. فسكتنا ثم قال: السلام عليكم. فخشينا إن لم نردّ عليه أن ينصرف، و قد كان يفعل ذلك يسلم ثلاثاً فإن أُذن له وإلاّ انصرف. فقلت: و عليك السلام يا رسول الله أدخل.

ص: ٢١٥

١- ١٩٠. احب اهله اى اهل رسول الله بقرينه المقام.

٢- ١٩١. مجلت: ثحن جلدها.

٣- ١٩٢. دكنت: اغبرت و اتسخت.

٤- ١٩٣. لفاع: لحاف.

فلم يعد أن جلس عند رؤوسنا فقال: يا فاطمه ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟

قال (عليه السلام): فخشيت إن لم نجبه أن يقوم فأخرجت رأسي فقلت: أنا- والله- أخبرك يا رسول الله! إنها استقت بالقربه حتى أثر في صدرها وجرّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّاً ما أنت فيه من العمل.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟

إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثة وثلاثين، وكبراً أربعاً وثلاثين.

قال: فأخرجت (عليها السلام) رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله رضيت عن الله ورسوله (١) وروى عن الامام علي (عليه السلام) قال: أهدى بعض ملوك الأعاجم رقيقاً (٢) فقلت لفاطمه: اذهبي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستخدميه خادماً. فأنته فسألته ذلك.....

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا فاطمه أعطيك ما هو خير من لك من خادم ومن الدنيا بما فيها: تكبيرين الله بعد كل صلاه أربعاً وثلاثين تكبيره، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميده، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحه، ثم تخمين ذلك بلا إله إلا الله، وذلك خير لك من الذي أردت ومن الدنيا وما فيها.

ص: ٢١٦

١- ١٩٤. بحار الانوار ج ٤٣.

٢- ١٩٥. الرقيق: ابلعيد والجواري يططق على المفرد والجمع.

فلزمت (صلوات الله عليها) هذا التسبيح بعد كل صلاة، و نسب إليها هذا التسبيح، فيقال: تسبيح فاطمه (١).

و روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: يا أباهارون إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمه (عليها السلام) كما نأمرهم بالصلاة فألزمه، فإنه لم يلزمه عبد فشقى (٢).

و فى مكارم الأخلاق: أن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كانت شبيحتها من خيط صوف مقل، معقود عليه عدد التكريات، فكانت تديرها بيدها، تكبر و تسبح، إلى أن قتل حمزه بن عبدالمطلب (رضى الله عنه) سيد الشهداء، فاستعملت تربته، و عملت التسابيح فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين (صلوات الله عليه) عدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل و المزيه.

و عن الإمام ابى عبدالله (الصادق) (عليه السلام) قال: و تكون السبحه بخيوط زرق، أربعاً و ثلاثين خرزه، و هى سبحة مولانا فاطمه (عليها السلام) لما قتل حمزه عملت من طين قبره سبحة تسبح بها بعد كل صلاة.

عن الامام أبى عبدالله (الصادق) (عليه السلام) قال: من سبّح تسبيح فاطمه (عليها السلام) فقد ذكر الله ذكراً كثيراً (٣).

ص: ٢١٧

١- ١٩٦. كتاب دعائم الاسلام، و فى البحار ج ٤٣.

٢- ١٩٧. كتاب قرب الاسناد و فى البحار ج ٤٣.

٣- ١٩٨. تفسير مجمع البيان ج ٨ فى تفسير قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنواذكروا الله ذكرا كثيرا». و ذكره العلامة المجلسى فى بحار الانوار ج ٤٣.

هذا... و الروايات فى فضل تسييح فاطمه (عليهاالسلام) كثيره و مختلفه فى كيفيتها، و فى بعض الروايات: التكبير ثم التسييح، ثم التحميد، و هذا هو الأشهر و الأقوى عند فقهاءنا.

و قد ذكر شيخنا المجلسى أقوال الفقهاء و آرائهم حول الترتيب و التقديم و التأخير بصوره مفصله (١).

لقد اتضح لنا من هذه الأحاديث أن السیده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) مع جلاله قدرها و عظم شأنها و شرف نسبها كانت تقوم بأعمال البيت، و تدير أمور البيت بنفسها، و كان على (عليه السلام) يعينها و يتعاون معها، فقد روى عن الامام على (عليه السلام) قال: دخل علينا رسول الله (صلی الله رسول الله) و آله و سلم) و فاطمه جالسه عند القدر و أنا أنقى العدس.

قال: يا أباالحسن.

قلت: لبيك يا رسول الله

قال: اسمع منى، و ما أقول إلا من أمر ربى: ما من رجل يعين امرأته فى بيتها إلا كان له بكل شعره على بدنه عباده سنه، صيام نهارها، و قيام ليلها..... إلى آخر الحديث (٢).

ص: ٢١٨

١- ١٩٩. بحارالانوار ج ٨٥.

٢- ٢٠٠. جامع الاخبار، و فى البحار ج ٤٣.

لقد عرفت- من مجموع الاحاديث الماضيه- ان السيده الزهراء (عليه السلام) كانت اقرب انسان الى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و إن اتصالها و ارتباطها بالنبي هو اتصال الجزء بالكل، و ارتباط بعض الشئ ء بالبعض الآخر، فالحب و العطف و الانسجام و العلاقات الوديه قد بلغت إلى أقصى درجه..

فلا- عجب إذا كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يعلم ابنته أفضل الأعمال، و يرشدها إلى أحسن الأخلاق، و يفيض عليها أحسن المعارف و أرقاها.

و الزهراء (عليها السلام) تلتهم تلك العلوم الربانيه من ذلك النبع العذب الزلال، و تمتص رحيق الحقيقه من مهبط الوحي، فيمتلئ قلبها الواعي الواسع بأنواع الحكمه، و يساعدها عقلها الوقّاد، و ذكاؤها المفرط على فهم المعانى و درك المفاهيم، و حفظ المطالب على أتم وجه و أكمل صورته.

لقد سمعتُ من أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) الكثير الكثير من العلوم، و تعلّمت منه القسط الوافر من الأحكام و الأدعيه و الأخلاق و الحِكم. هذا كله... بالاضافه الى ما الهمها الله تعالى من العلم و المعرفه.

و قد مر عليك بعض التفصيل عند التحدث عن اسمها: «المحدثه».

و روى جابر بن عبدالله الانصارى عن رسول الله (صلى الله عليه

و آله و سلم) انه قال: «ان الله جعل عليا و زوجته و ابناءه حجج الله على خلقه، و هم ابواب العلم فى امتى، من اهتدى بهم هدى الى صراط مستقيم (١)» .

و لكن الموسف حقا انه قد روى عنها القليل، حسب ظروفها الخاصه و لما ستعرف قريباً.

و لو كانت الزهراء (عليها السلام) تعيش أكثر مما عاشت- مع فسخ المجال أمامها لملاّت الدنيا علماً و ثقافه و معرفه.

و ليس هذا إدعاءً فارغاً، بل هو الواقع الذى لا شك فيه.

فقد وجدت السیده الزهراء المجال فى حياتها ساعتين فقط: ساعه خطبت فيها فى مسجد أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ساعه خطبت فى بيتها فى جمع النساء اللاتى حضرن لعيادتها.

و ستعرف قريباً مدى مواهبها وسعه اطلاعها، و كثره معلوماتها و مقدار قدرتها على الأداء و الشرح و البيان.

ولكنها- أسفى عليها- ما عاشت إلا يسيراً، و قد عرفت تاريخ ميلادها و ستعرف تاريخ وفاتها، و ستعرف أنها ماتت و لم تبلغ العشرين من العمر!!

فما تقول لو كانت الزهراء تعيش حتى تبلغ الخمسين و الستين من العمر مع فسخ المجال؟!

لكانت تترك للامه الاسلاميه اعظم ثروه فكريه و علميه فى شتى المواضيع و الفنون!!

و لكن...؟!

ص: ٢٢٠

أيها القاري الكريم: إليك الآن بعض ما روى عنها من الأحاديث الشريفة:

١- عن تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) قال: حضرت امرأة عند الصديقه فاطمه الزهراء (عليها السلام) فقالت: إن لي والده ضعيفه و قد لبس - أي: اشتبه - عليها في أمر صلاتها شيء، و قد بعثتني إليك أسألك... فأجابتها فاطمه (عليها السلام) عن ذلك، فنّت (١) فأجابت: (الزهراء)، ثم ثلث إلى أن عشت (٢) فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنه رسول الله. قالت فاطمه: هاتي و سلى عما بدا لك، أرأيت من أكثرى (أي استؤجر) يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، و كراه (أي أجرته) مائه ألف دينار يثقل عليه؟

فقلت: لا.

فقلت: أكثريتُ أنا لكل مسأله بأكثر من ملىء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليّ سمعت أبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثره علومهم و جدّهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّه من نور.

ثم ينادى منادى ربنا (عز و جل): أيها الكافلون لأيتام محمد (صلى الله عليه و آله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم و الأيتام الذين كفلتهموهم و نعشتهموهم، فاخلعوا

ص: ٢٢١

١- ٢٠٢. أي: جاءت مره ثانيه أو سألت مره اخرى.

٢- ٢٠٣. أي: جاءت مره عاشره أو: سألت عشر مرات.

عليهم خلع العلوم فى الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام- على قدر ما اخذو عنهم من العلوم، حتى ان فيهم- يعنى فى الايتام- كمن يُخلع عليه مائه ألف خلعه، و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم.

ثم إن الله تعالى يقول: أعيّدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام، حتى تتموا لهم خلعتهم، و تضعّفوها لهم، فيتّم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم و يضاعف لهم، و كذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم.

ثم قالت فاطمه (عليها السلام): (يا أمه الله إن سلكه من تلك الخَلْع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مره» (١)).

٢- و عن دعوات الراوندى عن سويد بن غفله قال: أصابت عليّاً (عليه السلام) شدّه، فأّتت فاطمه (عليها السلام) رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فدقّت الباب، فقال: أسمع حسّ حبيبتى بالباب يا أم أيمن قومى و انظرى! ففتحت لها الباب فدخلت.

فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): لقد جئتنا فى وقت ما كنتِ تأتينا فى مثله؟ فقالت فاطمه: يا رسول الله ما طعام الملائكه عند ربنا؟

فقال: التحميد.

فقالت: ما طعامنا؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): و الذى نفسى بيده ما اقتبس فى آل محمد شهراً ناراً (٢) و أعلمك خمس كلمات علّمنيهن جبرئيل (عليه السلام)

ص: ٢٢٢

١- ٢٠٤. بحار الانوار كتاب العلم عن تفسير الامام العسكري (عليه السلام).

٢- ٢٠٥. اى: ما اشتعلت نار للطبخ فى بيوت رسول الله منذ شهر

قالت: يا رسول الله ما الخمس كلمات؟

قال: «يا رب الأولين و الآخرين، يا ذا القوه المتين و يا راحم المساكين و يا أرحم الراحمين».

فرجعت فلما أبصرها على (عليه السلام) قال: بأبى أنت و أمى ما وراءك يا فاطمه؟ قالت: ذهبت للدنيا و جئت للآخرة!

فقال على: خير أمامك، خير أمامك.

٣- و فى الكافى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: جاءت فاطمه تشكو إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بعض أمرها، فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) كَرَبَةً (١) و قال: تعلّمي ما فيها، و إذا فيها: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يؤذى جاره، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت.

٤- و قالت فاطمه (عليه السلام): من اصعد الى الله خالص عبادته، اهبط الله اليه افضل مصلحته (٢).

٥- و عن فاطمه بنت رسول الله قالت: سمعت ابي رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)- فيمرضه الذى قبض فيه يقول- و قد امتلأت الحجرة من اصحابه:- ايها الناس يوشك ان اقبض قبضاً يسيراً، و قد قدمت اليكم القول معذره اليكم، الا انى مخلف فيكم: كتاب ربى (عز و جل)، و عترتى اهل بيتى.

ص: ٢٢٣

١- ٢٠٦. كربه: اصل السعف، و قيل: ما يبقى فى اصوله فى النخلة.

٢- ٢٠٧. بحارالانوار ج ٧١ ص ١٨٤.

ثم اخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن، و القرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا على الحوض، فاسالكم ما تخلفوني فيهما.

قال القندوزي الحنفى: روى هذا الحديث ثلاثون صحابيا، و ان كثيرا من طرقه صحيح و حسن. (١).

٦- و قالت (عليها السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا» (٢).

٧- و عن فاطمه بنت رسول الله قالت: ما يصنع الصائم بصيام اذالم يصن لسانه و سمعه و بصره و جوارحه؟! (٣).

٨- و روى عن الشهيد زيد بن علي بن علي بن الحسين عن آبائه (عليهم السلام) عن فاطمه بنت النبی (صلى الله عليه و آله و سلم) قالت: سمعت النبی يقول: «ان فى الجمعه لساعه لا يوافقها رجل مسلم يسال الله (عز و جل) فيها خيرا الا اعطاها اياها».

قالت فقلت: يا رسول الله اى ساعه هذه؟

قال: اذا تدلى نصف عين الشمس للغروب».

قال: و كانت فاطمه (عليه السلام) تقول لخدامها: اصعدى على السطح، فاذا رايت نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فاعلمينى حتى ادعو (٤).

٩- و روى حسن بن حسن عن امه فاطمه بنت الحسين، عن فاطمه الكبرى بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قالت: قال رسول الله:

ص: ٢٢٤

١- ٢٠٨. ينابيع الموده للقندوزي الحنفى ص ٤٠.

٢- ٢٠٩. امالى الطوسى ج ١ ص ٣١٨.

٣- ٢١٠. مستدرک الوسائل كتاب الصوم.

٤- ٢١١. دلال الامامه للطبرى ص ٥، و رواه فى معانى الاخبار ص ٣٩٩ باختلاف يسير.

«لا يلو من الا نفسه من باب و فى يده غمر» (١).

١٠- و روى عن عبدالله بن الحسن عن ابيه عن فاطمه الكبرى (عليها السلام) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما التقى جندان ظالمان الا تخلى الله عنهما، و لم يبال ايها غلب، و ما التقى جندان ظالمان الا كانت الدائرة اعتاهما» (٢).

١١- عن فاطمه بنت الحسين عن فاطمه الكبرى (عليها السلام) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كل بنى ام ينتمون الى عصبته» (٣).

اقول: عصبه جمع عاصب، مثل: طلبه جمع طالب، و عصبه الرجل: بنوه و قرابته لاييه، و انما سموا عصبه لانهم عصبوا به، اى: احاطوا به.

ص: ٢٢٥

١- ٢١٢. الغمر: الدسم و الزهومة من اللحم، و الحديث فى كتاب كشف الغمه ج ١ ص ٥٥٤.

٢- ٢١٣. كشف الغمه ج ١ ص ٥٥٣.

٣- ٢١٤. بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٢٨.

١٢- في الكافي بسنده عن ابي بصير، عن ابي عبد الله (الصادق) (عليه السلام) قال: قال ابي - الجابر بن عبد الله الانصاري -: ان لي اليك حاجه، فمتى يخفف عليك ان اخلو بك فاسلك عنها؟

فقال له جابر: اى الاوقات احببته.

فخلا به فى بعض الايام، فقال له: يا جابر! اخبرنى عن اللوح الذى رايتہ فى يد امى فاطمه (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) و ما اخبرتك به امى انه فى ذلك اللوح مكتوب؟

فقال جابر: اشهد بالله انى دخلت على امك، فاطمه (عليها السلام) فى حياه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهنتها بولاده الحسين، و رايت فى يديها لوحا اخضر ظننت انه من زمرد، و رايت فيه كتابا ابيض، شبه لون الشمس؛

فقلت لها: بابى انت و امى يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما هذا اللوح؟

فقلت: هذا اللوح اهداه الله الى رسوله (صلى الله عليه وآله) فيه اسم ابي و اسم بعلی، و اسم ابني، و اسم الاوصياء من ولدى، و اعطانيه ابي ليشربنى بذلك.

قال جابر: فاعطتني امك فاطمه (عليها السلام) فقراته و استنسخته.

فقال له ابي (الامام الباقر) فهل لك يا جابر ان تعرضه علي؟

قال: نعم.

فمشى معه ابي الى منزل جابر، فاخرج صحيفه من رق (١) فقال: يا جابر! انظر في كتابك لاقرأ انا عليك.

فنظر جابر في نسخه، فقراه ابي، فما خالف حرف حرفا.

فقال جابر: فاشهد بالله اني هكذا رايت في اللوح مكتوبا:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم

لمحمد نبيه و نوره و سفيره و حجابيه و دليله، نزل به الروح الامين من عند رب العالمين:

عظم - يا محمد - اسمائي، و اشكر نعمائي، و لا تجحد آلائي؛

اني انا الله، لا اله الا انا، قاصم الجبارين، و مديل المظلومين، و ديان يوم الدين

اني انا الله لا اله الا انا، فمن رجا غير فضلي، او اخاف غير عدلي عذبتة عذابا لا اعذبه احدا من العالمين؛

فاياي فاعبد، و على فتوكل، اني لم ابعث نبيا فاكلمت ايامه، و انقضت مدته الا جعلت له وصيا، و اني فضلتك على الانبياء و

فصلت وصيكت على الاوصياء، و اكرمتك بشبليكت و سبطيكت: حسن و حسين.

فجعلت حسنا معدن علمي بعد انقضاء مده ابيه.

و جعلت حسينا خازن وحيي، و اكرمته بالشهاده، و ختمت له بالسعاده، فهو افضا من استشهد، و ارفع الشهداء درجه،

ص: ٢٢٧

جعلت كلمتي التامه معه، و حجتى البالغه عنده، بعترته اثيت و اعاقب؛ اولهم: على سيد العابين، و زين اوليائي الماضين؛

و ابنه شبه جده المحمود: محمد الباقر علمي، و المعدن لحكمتي؛

سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد على، حق القول مني لا كرم من مثوى جعفر، و لا سرنه في اشياعه و انصاره و اوليائه.

انتجت بعده موسى، فتنه عمياء حندس، لان خيط فرضي لا ينقطع و حجتى لا تخفى، و ان اوليائي يسقون بالكاس لا اوفى؛

من جحد و احدا منهم فقد جحد نعمتي، و من غير آيه من كتابه فقد افترى على، و يل للمفترين، الجاحدين؛

عند انقضاء مده موسى عبدى و حبيبي و خيرتي في على وليي و ناصري و من اضع عليه اعباء النبوه، و امتحته بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينه التي بناها العبد الصالح (١) الى جنب شر خلقى؛ و اختتم بالسعاده لابنه على، وليي و ناصري، والشاهد في خلقى، و اميني على و حبيي،

اخرج منه الداعى الى سبيلى، و الخازن لعلمي، الحسن؛

ص: ٢٢٨

١- ٢١٦. المقصود: طوس، فقد دفن فيه الامام على الرضا (عليه السلام) جنب قبر هارون العباسي.

واكمل ذلك بابه: «م ح م د» رحمه العالمين، عليه كمال موسى، و بهاء عيسى، و صبر ايوب، فيذل اوليائي في زمانه، و تنهادى رووسهم كما تنهادى رووس الترك والديلم، فيقتلون، و يحرقون، و يكونون خائفين، مرعوبين، و جلين تصنع الارض بدمائهم، و يفسدو الويل و الرنه في نسائهم، اولئك اوليائي حقا.

بهم اذفع كل فتنه عمياء حنّس، و بهم اكشف الزلازل، و اذفع الآصار و الاغلال، او لئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه واولئك هم المهتدون».

قال عبدالرحمن بن سالم: قال ابوبصير: لو لم تسمع في دهرك الا هذا الحديث لكفاك، فضنه الا عن اهله (١).

ايها القارىء الكريم:

بعدا قرأت و عرفت من علم الزهراء و كثره اتصالها بالرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) هلم معى و استمع الى ما يذكره العقاد ثم اصحك او ابك:

ذكر العقاد فى كتابه: (فاطمه و الفاطميون) احاديث سقيمه استحسناها هو، و كانه اعجب بها، و من جملتها هذه الخرفه:

«و من فطره التدين فى وريثه محمد و خديجه انها كانت شديده التحرج فيما اعتقدته من اوامر الدين، حتى و همت ان اكل الطعام المطبوخ يوجب الوضوء، يظهر ذلك من حديث الحسن بن الحسن عن فاطمه حيث قالت: «دخل على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فاكل عرقا (٢) فجاء

ص: ٢٢٩

١- ٢١٧. الكافى ج ١ ص ٥٢٧.

٢- ٢١٨. العرق- بكسر العين و سكون الراء- اللحم الذى على العظم.

بلال بالأذان فقام ليصلي، فأخذت بثوبه فقلت: يا أبة ألا تتوضأ؟ فقال: مم أتوضأ يا بنيه؟ فقلت: مما مسّت النار. فقال لي: أو ليس أطيب طعامكم ما مسّت النار».

فهى فيما تجهله تتحرج و لا تترخص، و تؤثر الشده مع نفسها على الهواده معها» (١).

لا أدرى كيف أزيّف هذه الأكذوبه التى اختلقتها يد الهوى، و صاغتها ألسنه الكذب و الدجل؟!

و لا أطالب العقاد عن مصدر هذه الأسطوره، و لا عن كتاب ذكر هذه الأضحوكه، فالحديث منه عليه شواهد أنه كذب و افتراء بصرف النظر عن المصدر و الكتاب.

و لكنى اتساءل: ممن كانت الزهراء تأخذ معالم الدين؟!

و ممن كانت تتعلم أحكام الإسلام؟

أليس المصدر الأول لعلومها هو أبوها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟! و زوجها باب مدينه علم الرسول على بن أبى طالب؟!

و قبل هذين هو القرآن العظيم الذى نزل شىء منه فى بيتها؟

فمن أين جاءها هذا التوهم؟

من القرآن؟

من أبيها؟

من زوجها؟

و كيف كانت تجهل سيده نساء العالمين هذا الحكم الذى تكثر إليه

ص: ٢٣٠

الحاجه، و يعم به الابتلاء؟

فهل كانت السيده فاطمه تأخذ الأحكام من الكذابين الدجالين فتعلمت هذا الحكم منهم؟ و لهذا أخذت بثوب أبيها لتمنعه عن الصلاة بلا وضوء؟

أنا ما أدري، و لعل العقاد يدري، و لعل الذين اختلقوا هذه الأسطوره يدرون!

ص: ٢٣١

ان من جمله التعاليم الإسلاميه التي كانت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) تهتم بها غايه الاهتمام- هي المحافظه على شرف المرأه و حفظ كيانهها، عن طريق الحجاب و التستر، فالزهراء (عليها السلام) تعلم- حسب علم الاجتماع- أن ملايين الفضائح و الجرائم و المآسى تأتي عن طريق السفور و التبذل و الخلاء و الاختلاط، المسمى في زماننا هذا بالحرية و التقدم!! فإن كنت لا تصدق فأقرأ الجرائد و المجلات التي تصدر يومياً و أسبوعياً، في البلاد الإسلاميه و غير الإسلاميه، كي تعرف عدد الضحايا التي تقدمها الحضاره!.. و التقدم! و الحرية!

و لا تنس أن معشار هذه الفجائع و المآسى ما كانت تحدث للمرأه المسلمه يوم كانت تؤمن بالحجاب و العفاف و الحياء!

يوم كانت تؤمن بالحلال والحرام!

يوم كانت تأبى و ترفض أن ينظر إليها رجل أجنبى و احد!

فكيف أن تجعل جسمها و رأسها و وجهها محلاً لأنظار المئات بل الألوف من الرجال الأجانب، على اختلاف أديانهم و أهوائهم.

و لما ضاعت المفاهيم و القيم سقطت المرأة المسلمة إلى حيث سقطت، و بلغ بها الأمر إلى ما بلغ!.

و إليك هذين الحديثين اللذين تَضَمَّنَا إعجاب الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بكلام ابنته الطاهرة العفيفة فاطمة الزهراء حول المرأة، و تصديقه لها، و تقديره لرأيها:

روى أبو نعيم في (حليه الأولياء) ج ٢ ص ٤٠ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ما خيرٌ للنساء؟

فلم ندرِ ما نقول، فسار عليٌّ إلى فاطمة فأخبرها بذلك، فقالت: فهلاً قلت له: خير لهن أن لا يرين الرجال و لا يرونهن، فرجع - على إلى رسول الله - فأخبره بذلك.

فقال النبي... صدقت إنها بضعه مني.

الرواية بصورة أخرى:

عن علي (عليه السلام) أنه قال لفاطمة: ما خير للنساء؟

قالت: لا يرين الرجال و لا يرونهن.

فذكر ذلك للنبي فقال: إنما فاطمة بضعه مني.

و ذكر ابن المغازلي في مناقبه عن علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام) أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) استأذن عليها أعمى فحجبته فقال لها النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لم حجبتيه و هو لا يراك؟

فقالت: يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه و هو يشم الريح.

فقال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): أشهد أنك بضعه مني.

ص: ٢٣٣

لاشك ان للدعاء اهميه كبرى و اثرا بالغاً في حياه الانسان و سعادته، و قضاء حوائجه و استجابته دعائه و تحقق آماله.

و خاصه حينما تنسد الابواب في وجه الانسان و تفشل الوسائل و الطرق الماديه، فانه يفرع الى الدعاء و المناجاه بين يدي الخالق العظيم الذي هو على كل شىء قدير، كما قال سبحانه: «ادعوني استجب لكم».

بل ان الدعاء لا يختص بوقت الحاجه فقط، بل يجب ان يكون برنامجاً يومياً في حياط الانسان، لانه يودى الى توثيق علاقته بربه سبحانه، و يمنح الانسان صفاءً معنوياً و نورانيه قلبيه تحلق به الى سماء الكمال الانساني.

من هنا... و فقد كان اولياء الله سبحانه يستأنسون بالدعاء و يرتاحون اليه و ينسجمون معه تمام الانسجام.

هذا... و قد رويت عن السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) ادعيه كثيره، كانت تدعو بها ربها سبحانه.

و فيما يلي نذكر نماذج منها، تتميماً للفائده:

في كتاب مهج الدعوات للسيد ابن طاووس:

(ذكر ما نختاره من الدعوات عن سيدتنا و امنا المعظمه: فاطمه سيده نساء العالمين، بنت سيد المرسلين (صلوات الله عليهما و على عترتهما الطاهرين):

١- فمن ذالك دعاء علمها اياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) رويناه باسنادنا الى ابى المفضل محمد بن المطلب الشيباني فى الجزء الثالث من اماميه، باسناد نسبه الى مولانا الحسن بن مولانا على بن ابى طالب (عليهما السلام) عن امه فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) وجدناه باسناد صحيح:

ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال- للزهراء (عليها السلام)-: يا بنيه الا اعلمك دعاء لا يدعو به احد الا استجيب له، و لا يعرض لك الشيطان، و لا يعرض عنك الرحمن، و لا يزيغ قلبك، و لا ترد لك دعوه، و يقضى حوائجك كلها؟
قالت يا ابا! لهذا احب الى من الدنيا و ما فيها.

قال: تقولين:

«يا اعز مذكور و اقدمه قدما فى العز و الجبروت، يا رحيم كل مسترحم، و مفزع كل ملهوف اليه، يا راحم كل حزين يشكو به و حزنه اليه، يا خير من سئل المعروف و اسرعه اعطاء، يا من يخاف الملائكه- المتوقده بالنور- منه؛

اسالك بالاسماء التى يدعوك بهاجبرئيل و ميكائيل و اسرافيل الا اجبتنى و كشفت- يا الهى- كربتى، و سترت ذنوبى؛

يا من امر بالصيحه فى خلقه فاذا هم بالساهره يحشرون، و بذالك الاسم الذى اخيت به العظام و هى رميم، احى قلبى، و اشرح صدرى،

ص: ٢٣٥

يامن خصه نفسه بالبقاء و خلق لبريته الموت و الحياه و الفناء يامن فعله قول، و قوله امر، و امره ماض على مايشاء؛

اسالك بالاسم الذى دعاك به خليلك حين القى فى النار، فدعاك به فاستجبت له، و قلت: يا نار كونى بردا و سلام على ابراهيم؛

و بالاسم الذى دعاك به موسى من جانب الطور الايمن فاستجبت له؛ و بالاسم الذى خلقت به عيسى من روح القدس، و بالاسم الذى ثبت على داود، و بالاسم الذى وهبت لزكريا يحيى، و بالاسم الذى كشفت به عن ايوب الضر، و ثبت به على داود، و سخرت به لسليمان الريح تجرى بامره، و الشياطين و علمته منطق الطير؛

و بالاسم الذى خلقت به العرش و بالاسم الذى خلقت به الكرسي، و بالاسم الذى خلقت به الروحانيين و بالاسم الذى خلقت به جن و الانس، و بالاسم الذى خلقت به جميع خلقك، و بالاسم الذى خلقت به جميع ما اردت من شىء و بالاسم الذى قدرت به على كل شىء؛

اسالك بهذه الاسماء الا ما اعطيتنى سولى، و قضيت حوائجى يا كريم».

فانه يقال لك: يا فاطمه! نعم، نعم (١).

٢- و من ذالك دعاء آخر عن مولاتنا فاطمه الزهراء (صلوات الله عليها):

«اللهم قنعنى بما رزقتنى، و استرنى و عافنى ابدا ما ابقيتنى، و اغفرلى و ارحمنى اذا توفيتنى؛

اللهم لاتعينى فى طلب ما لا تقدرلى، و ما قدرته على فاجعله يسرا سهلا؛

ص: ٢٣٦

اللهم! كاف عني والدي- و كل من له نعمه على- خير مكافاه؛

اللهم! فرغني لما خلقتني له، و لا تشغلني بما تكفلت لي به، و لا تعذبني و انا استغفرك، و لا تحرمني و انا اسالك؛

اللهم! ذلل نفسي في نفسي، و عضم شانك في نفسي، و الهمني طاعتك، و العمل بما يرضيك، و التجنب عما يسخطك، يا ارحم الراحمين» (١).

٣- و من ذالك للحمى دعاء آخر لمولاتنا فاطمه الزهراء (عليها السلام): دخل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) على فاطمه الزهراء (عليها السلام) فوجد الحسن (عليه السلام) موعوكا (٢) فشق ذالك على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال يا محمد! الا اعلمك معاذه تدعوبها فينجلي عنه (الحسن) ما يجده؟

قال (النبي): بلى.

قال: قل:

«اللهم! لا اله الا انت العلي العظيم، ذو السلطان القديم و المن العظيم، و الوجه الكريم، لا اله الا انت العلي العظيم، ولى الكلمات التامات و الدعوات المستجابات، حل ما اصبح بفلان».

فدعا النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، ثم وضع يده على جبهته (الحسن) فاذا هو- بعون الله- قد آفاق (٣).

ص: ٢٣٧

١- ٢٢١. مهج الدعوات: ١٤١.

٢- ٢٢٢. موعوكا: مريضا.

٣- ٢٢٣. مهج الدعوات: ١٤١.

لقد اشتهر بين الشيعة- بكافه طبقاتهم من أهل العلم و غيرهم:- دعاء النور المروى عن سيدتنا فاطمه الزهراء (عليها السلام) و فى خلال هذه القرون ثبت بالتجارب- على مرّ التاريخ- أن لهذا الدعاء تأثيراً خاصاً للاستشفاء من الحُمى، و قد ذكره كثير من علمائنا فى كتب الأدعيه و الأحاديث، و منهم السيد ابن طاووس فى كتابه (مهج الدعوات).

و خلاصه الحديث ان السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) علّمت سليمان الفارسى (رضوان الله عليه) هذا الدعاء و قالت له: إن سَرَّكَ أن لا يمسَّكَ أذى الحُمى ما عشت فى دار الدنيا، فواظب على هذا الكلام الذى علّمنيه أبى: محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) كنت أقوله غدوه و عشيّه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذى هو مدبّر الأمور، بسم الله الذى خلق النور من النور، الحمد لله الذى خلق النور من النور، و أنزل النور على الطُور، فى كتاب مَسْطُور فى رَقٍّ منشور، بَقَدَرٍ مقدور، على نَبِيٍّ مَحْبُور، الحمد لله الذى هو بالعز مذكور، و بالفخر مشهور، و على السَّراء و الضَّرَّاء مشكور، و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين.

قال سلمان: و الله لقد علّمتُ أكثر من ألف إنسان فى مكه و المدينه كانوا مصابين بالحُمى، فبرئوا بإذن الله.

٥- و في (كشف الغمه): و عن عبدالله بن الحسن، عن امه فاطمه بنت الحسين، عن فاطمه (عليها السلام) قالت:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ دخل المسجد قال: «بسم الله، و الحمد لله، و صلى الله على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، و سهل لي ابواب رحمتك».

و اذا خرج قال مثل ذلك الا انه يقول: «اللهم اغفر لي ذنوبي، و سهل لي ابواب رحمتك».

و اذا خرج قال مثل ذلك، الا انه يقول: «اللهم اغفر لي ذنوبي، و سهل لي ابواب (رحمتك) و فضلك». (١).

٦- و عن زين العابدين (عليه السلام) قال: ضمنى والدى (عليه السلام) الى صدره يوم قتل، و الدماء تغلى، و هو يقول: يا بنى احفظ عني دعاء علمتني فاطمه (عليه السلام) و علمها رسول الله (صلى الله عليه وآله) و علمه جبرئيل (عليه السلام) في الحاجه و الهم و الغم و النازله اذا نزلت، و الامر العظيم الفادح قال: ادع:

«بحق و القرآن الحكيم، و بحق طه و القرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في الضمير، يا منفس عن المكروبين يا مفرج عن المغمومين يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج الى التفسير صل على محمد و آل محمد، و افعل بي...» تذكر الحاجه (٢).

٧- و عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:... ان فاطمه اتت اباها (صلى الله عليه وآله) سبأته اليمنى فوضعها على سننها التي تضرب و قال: «بسم الله و بالله، اسالك بعزتك و جلالك و قدرتك على كل شىء، ان مريم

ص: ٢٣٩

١- ٢٢٤. كشف الغمه ج ١ ص ٥٥٣.

٢- ٢٢٥. الدعوات للراوندى.

لم تلد غير عيسى روحك و كلمتك، ان تكشف ما تلقى فاطمه بنت خديجه من الضر كله» فسكن ما بها...» الى آخر حديث (١).

٨- و روى ان فاطمه (عليها السلام) زارت النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال لها: الا ازودك؟

قالت: نعم.

قال: قولي: (اللهم ربنا و رب كل شىء، مُنزل التوراه و الإنجيل و الفرقان، و فائق الحب و النوى، أعوذ بك من كل دابه أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شىء، و أنت الآخر فليس بعدك شىء، و أنت الظاهر فليس فوقك شىء، و أنت الباطن فليس دونك شىء، صل على محمد و على أهل بيته عليه و عليهم السلام، واقض عني الدين و أغنني من الفقر، و يسر لي كل أمر يا أرحم الراحمين) (٢).

٩- و عن علي (عليه السلام) قال ان فاطمه شكت الى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الارق (٣) فقال لها: قولي يا بنيه: (يا مشيع البطون الجائعه، و يا كاسى الجسوم العاريه، و يا ساكن العروق الضاربه، و يا منوم العيون الساهره، سكن عروقي الضاربه، و اذن لعيني نوما عاجلا).

قال (عليه السلام): فقالته، فذهب عنها ما كانت تجده (٤).

ص: ٢٤٠

١- ٢٢٦. مكارم الاخلاق ص ٤٠٦.

٢- ٢٢٧. مهج الدعوات ص ١٤٢، ذخائر العقبى للطبرى ص ٤٩ و فى: ان فاطمه (عليه السلام) سالت اباها خادما، فعلمها هذا الدعاء.

٣- ٢٢٨. الارق السهر.

٤- ٢٢٩. بحار الانوار ج ٧٦ ص ٢١٣.

١٠- و روى هذا دعاء عن السيده فاطمه (عليها السلام):

«اللهم بعلمك الغيب، و قدرتك على الخلق، احينى ما علمت الحياه خيرا لى، و توفنى اذا كانت الوفاه خيرا لى، اللهم انى اسالك كلمه الاخلاص، و خشيتك فى الرضا و الغضب، و القصد فى الغنى و الفقر، و اسالك نعيما لا ينفذ، و اسالك قره عين لا تنقطع، و اسالك الرضا بالقضاء، و اسالك برد العيش بعد الموت، و اسالك نظر على وجهك (١) و الشوق الى لقائك، من غير ضراء مضره، و لا فتنه مظلّمه، اللهم زيننا بزينة الايمان، و اجعلنا هداه مهديين يا رب العالمين» (٢).

ص: ٢٤١

١- ٢٣٠. من الثابت عقائديا و عقلا. ان رويه الله مستحيله فى الدنيا و الاخره، لان الرويه لا تكون الا للجسام، و الله تعالى ليس بجسم و لا مركب و لا يشغل حيزا و لا مكانا. فقول الزهرا (عليها السلام): «و اسالك النظر الى وجهك» معناه: النظر الى رحمه الله سبحانه و جميل صنعه و لطفه و احسانه.

٢- ٢٣١. بحار الانوار ج ٩٤ ص ٢٢٥.

النبي يخبر الزهراء عن أحداث المستقبل

من الطبيعي أن السيدة فاطمه (عليها السلام) مع منزلتها القريبه و مكانتها الخاصه عند ابيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)- كان النبي يخبرها عن المستقبل الخاص و العام.

ان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) الذى كان يخبر الناس عما سوف يجرى من بعده و يخبرهم عن أشراط الساعه، و علائم آخر الزمان و مشاهد القيامة.

أترأه لا يعلم بما سوف يجرى على أهل بيته من بعده، و على ابنته العزيزه: فاطمه الزهراء؟!!

أو ترأه يعلم ذلك و لا يخبرهم بما يتعلق بمستقبلهم و مصيرهم؟!!

نعم... كان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يخبر أهل بيته بما سيجرى عليهم من الناس من بعد وفاته مباشرة و بعد ذلك على طول خط التاريخ، فكم أخبر النبي (صلى الله عليه و آله) أصحابه و زوجاته بشهاده الحسين (عليه السلام)؟!

و من اليقين أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) أخبر ابنته الحبيبىه فاطمه بمصائبها و نوائبها و اضطهادها و ما يجرى عليها من المآسى.

و خاصه فى الأيام الأخره من حياته الشريفه، و على الأخص فى الليله الأخره و اليوم الأخير من حياته فقد ضاق المجال و حضرت الساعه الحرجه

ليكشف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النقاب عن الواقع لابنته و يخبرها بكل صراحه فيشرّها أنها لا تلبث بعده إلا قليلاً
ثم تلتحق بأبيها الرسول في الدرجات العلى و الرفيق الأعلى، ثم يخبرها بتبدل الأحوال و تغيير الأوضاع:

فقد روى عن عبدالله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاه بكى حتى بليت دموعه لحيته.

فقال له: يا رسول الله ما يبكيك؟

فقال: أبكى لذريتي، و ما تصنع بهم شرار أمتي من بعدى، كانى بفاطمه بنتى و قد ظلمت بعدى و هى تنادى يا ابتاه فلا يعينها
أحد من أمتى.

فسمعت ذلك فاطمه (عليها السلام) فبكت، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تبكين يا بتيه.

فقلت: لست أبكى لما يصنع بى من بعدك، و لكننى أبكى لفراقك يا رسول الله

فقال لها: أبشرى يا بنت محمد بسره اللحاق بى فإنك أول من يلحق بى من أهل بيتى. (1) و عن ابن عباس عن رسول الله
(صلى الله عليه وآله) أنه قال:... و إنى لما رأيتها (فاطمه) ذكرت ما يصنع بها بعدى، كأنى و قد دخل الذل بيتها و انتهكت
حرمتها، و غصب حقها، و منعت إرثها، و كسر جنبها، و أسقطت جنينها، و هى تنادى: يا محمداه. فلا تجاب، و تستغيث فلا
تغاث، فلا تزال بعدى محزونه مكروبه باكية، تذكر انقطاع الوحى عن بيتها مره، و تذكر فراقى أخرى، و تستوحش إذا جنّها
الليل لفقد صوتى

ص: ٢٤٣

الذى كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن ثم ترى نفسها ذليله بعد أن كانت فى أيام أبيها عزيزه.... الى آخره (١).

هذا و الأخبار و الأحاديث الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى إخباره أهل بيته بما يجرى عليهم من بعده- كثيره جداً- و آخر مره أخبر النبى أهل بيته (و هم على و الزهراء و الحسن و الحسين) فى مرض موته، و قبل وفاته (صلى الله عليه و آله و سلم) بساعات قلائل.

فقد روى عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى مرضه الذى قبض فيه، لفاطمه (عليها السلام): بأبى و أمى أنت! أرسلنى إلى بعلك فادعيه لى.

فقال فاطمه للحسين أو الحسن: انطلق إلى أبيك فقل: يدعوك جدى.

فانطلق إليه الحسين فدعاه. فأقبل على بن أبى طالب (عليه السلام) حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و فاطمه عنده و هى تقول:

و اكرباه لكربك يا أبتاه!

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمه، و لكن قولى كما قال أبوك على إبراهيم (٢): تدمع العينان و قد يوجع القلب، و لا نقول ما يسخط الرب، و إنا بك يا إبراهيم لمحزونون (٣).

و روى أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) دعا علياً و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) و قال- لمن فى بيته:- أخرجوا عنى. و قال- لأم

ص: ٢٤٤

١- ٢٣٣. بحار الانوار ج ٤٣ ص ١٧٢ عن امالى الصدوق / ٩٩.

٢- ٢٣٤. إبراهيم بن رسول الله، و امه ماريه القبطيه، تو فى و له من العمر سنه و نصف.

٣- ٢٣٥. تفسير فرآت بن ابراهيم، رواه عنه فى البحار ج ٢٢.

سلمه:- كوني على الباب فلا يقربه أحد.

ثم قال لعلی:- أدُّ منی. فدنا منه فأخذ بيد فاطمه فوضعها على صدره طويلاً و أخذ بيد علی بيده الأخرى، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام غلبته عبرته، فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمه بكاءً شديداً و علی و الحسن و الحسين (عليهم السلام) لبكاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت فاطمه: يا رسول الله قد قطعت قلبي، و أحرقت كبدي لبكائك يا سيد النبيين من الأولين و الآخرين، و يا أمين ربه و رسوله، و يا حبيبه و نبيّه.

مَن لولدى بعدك؟

و لذلّ ينزل بى بعدك؟ مَن لعلّى أخيك و ناصر الدين؟

من لوى الله و أمره؟

ثم بكت و أكبت على وجهه فقبلته، و أكبّ عليه علی و الحسن و الحسين (عليهم السلام) فرفع رأسه (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم، و يد فاطمه فى يده فوضعها فى يد علی و قال له: يا أبا الحسن وديعه الله و وديعه رسول الله محمد عندك، فاحفظ الله واحفظنى فيها، و إنك لفاعل هذا.

يا علّى هذه- و الله- سيده نساء أهل الجنة من الأولين و الآخرين، هذه- و الله- مريم الكبرى (١).

أما- و الله- ما بلغت نفسى هذا الموضع حتى سألت الله لها و لكم، فأعطانى ما سألته.

يا علّى أنفذ ما أمرتك به فاطمه، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل.

ص: ٢٤٥

و اعلم يا عليّ أني راضٍ عمن رضيت عنه ابنتي فاطمه، و كذلك ربي و ملائكته.

يا عليّ: ويل لمن ظلمها، ويل لمن ابتزّها حقها، و ويل لمن هتك حرمتها...

ثم ضمّ (صلى الله عليه و آله و سلم) فاطمه إليه و قبل رأسها و قال: فداك أبوك يا فاطمه... الى آخره (١).

و روى عن الامام الصادق (عليه السلام) - في حديث طويل -: ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال - لا بنته فاطمه (عليها السلام)....

«اما ترضين ان تنظري الى الملائكة على ارجاء السماء ينظرون اليك و الى ما تامرین به.

و ينظرون الى بعلك قد حضر الخلائق و هو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانعا بقاتل ولدك و قاتليك و قاتل بعلك....» الى آخر الحديث (٢).

ان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يخبر ابنته - بكل صراحه - بانها سوف تقتل، كما يقتل زوجها و ولدها ايضا.

و سوف تقرا - في فصل قادم - ما جرى على سيده النساء من المصائب و الآلام، التي ادت الى شهادتها و وفاتها.

و روى عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: قلت - لابي عبدالله (الصادق) (عليه السلام): اليس كان اميرالمومنين كاتب الوصيه، و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) المملی عليه، و جبرئيل و الملائكة المقربون (عليهم السلام) شهودا؟

قال: فاطرق (الامام الصادق) طويلا (٣) ثم قال (الامام) يا اباالحسن

ص: ٢٤٦

١- ٢٣٧. بحارالانوار ج ٢٢ / ٤٨٤.

٢- ٢٣٨. بحارالانوار ج ٤٤ ص ٢٥٦.

٣- ٢٣٩. و في نسخه: مليا.

(الكاظم) قد كان ما قلت، و لكن حين نزل برسول الله (صلى الله عليه و آله) الامر (١) نزل الوصيه من عند الله كتابا مسجلا نزل به جبرئيل مع امنا الله (تبارك و تعالى) من الملائكه.

فقال جبرئيل: يا محمد! مر باخراج من عندك. الا و صليت، ليقبضها منا، و تشهدنا بد فعل اياها اليه، ضامنا لها- يعنى عليها (عليه السلام).

فامر النبي (صلى الله عليه و آله) باخراج من كان فى البيت ما خلا عليا و اشهدت به عليك ملائكتي، و كفى بي - يا محمد- شهيدا؛

(قال الامام الصادق): فارتعدت مفاصل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: يا جبرئيل؛ ربى هو السلام، و منه السلام، و اليه و يعود السلام، صدق (عزوجل) و بر، هات الكتاب.

فدفعه اليه، و امره بدفعه الى اميرالمومنين (عليه السلام) فقال له: اقراه. فقراه حرفا حرفا؛

فقال النبي: يا على! هذا عهد ربى (تبارك و تعالى) الى، و شرطه على، و امانته، و قد بلغت و نصحت و اديت!

فقال على (عليه السلام): و انا اشهد لك- بابى و امى انت- بالبلاغ و النصيحة و التصديق على ما قلت، و يشهد لك سمعى و بصرى و لحمى و دمى!

فقال جبرئيل: و انا لكما على ذالك من الشاهدين.

ص: ٢٤٧

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي! اخذت وصيتي وعرفتني، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها؟

فقال علي (عليه السلام): نعم بابي انت وامى، على ضمانها، وعلى الله عونى وتوفيقى على ادائها.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي! انى اريد ان اشهد عليك بموافاتى بها يوم القيامة!!

فقال علي (عليه السلام): نعم، اشهد.

فقال النبى (صلى الله عليه وآله): ان جبرئيل وميكائيل فيما بينى وبينك آلان، وهما حاضران، معهما الملائكة المقربون، لاشهد هم عليك!

فقال: نعم، ليشهدوا، وانا- بابى انت وامى - اشهدهم!

فاشهدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

و كان فيما اشترط عليه النبى - بامر جبرئيل (عليه السلام) فيما امر الله به (عز وجل) ان قال له:

«يا علي! تفى بما فيها من مولاة من والى الله ورسوله، والبرائة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، وبالبرائة منهم على الصبر منك (و) على كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقى، وغصب خمسك (١) وانتهاك حرمتك؟

فقال: نعم، يا رسول الله.

قال اميرالمومنين (عليه السلام): والذى فلق الحبه، وبرا النسمه. لقد سمعت جبرئيل (عليه السلام) يقول للنبى:

«يا محمد! عرفه انه ينتهك الحرمه، وهى حرمه الله، وحرمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى ان تخضب لحيته من راسه بدم عيط!».»

ص: ٢٤٨

قال اميرالمومنين (عليه السلام) فصعقت حين فهمت الكلمه من الامين جبرئيل حتبى تسقط على وججهى، و قلت:

«نعم، قبلت و رضيت، و ان انتهكت الحرمة! و عطلت السنن، و مزق الكتاب (القران) و هدمت الكعبه، و خضبت لحيتى من راسى بدم عبيط، محتسابا بذا، حتى اقدم عليك».

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه و آله): فاطمه و الحسن و الحسين و اعلمهم مثل ما اعلم اميرالمومنين فقالوا مثل قوله؛

فختمت الوصيه بخواتيم من ذهب لم تمسه النار، و دفعت اى اميرالمومنين (عليه السلام).

قال الراوى: فقلت لابى الحسن (الكاظم) (عليه السلام): بابى انت و امى! الا تذكر ما كان فى الوصيه؟

فقال: سنن الله و سنن رسوله.

فقلت: اكان فى الوصيه توثبهم (١) و خلافهم على اميرالمومنين (عليه السلام)؟

فقال: نعم، والله، شيئاً شيئاً، و حرفاً حرفاً، اما سعت قول الله (عزوجل): «انا نحن الموتى و نكتب ما قدمنا و آثارهم و كل شى احصيناه فى امام مبين»؟

والله لقد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) لـاميرالمومنين و فاطمه (عليهما السلام): اليس قد فهمتما ما تقدمت به اليكما و قبلتماه؟

فقالا: بلى، و صبرنا على ما ساءنا و غاظنا (٢) كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى تلك الساعه الاخير

ص: ٢٤٩

١- ٢٤٢. التوثب: الاستيلاء على الشى ظلماً.

٢- ٢٤٣. الكافى ج ١ ص ٢٨١.

واضعاً رأسه على صدر عليّ (عليه السلام) وقلبه لا يطاوعه إلا أن يضمّ فاطمه إلى صدره مره بعد مره ودموعه تجري كالمنى حتى ابتلت لحيته الشريفه وابتلت الملاء التي كانت عليه، وأقبل الحسن والحسين يقبلان قدميه ويبكيان بأعلى أصواتهما

و أراد عليّ (عليه السلام) أن يرفعهما، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): دعهما يشمّاني وشمّهما، و يتزوّداني و أتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدى زلزالاً، و أمراً عضالاً، فلعن الله من يحيفهما، اللهم إني أستودعكما و صالح المؤمنين.

و لا تسأل عن بكاء السیده فاطمه الزهراء في تلك اللحظات و هي ترى أباه الرسول العظيم و والدها البار العطوف الحنون على أعتاب المتيه، فكانت تخاطب أباه بدموع جاريه: نفسي لنفسك الفداء و وجهي لوجهك الوقاء.

يا أبتاه ألا تكلمني كلمه فإني أنظر إليك و أراك مفارق الدنيا، و أرى عساكر الموت تغشاك شديداً.

فقال لها: بُنيه إني مفارقك، فسلام عليك مني.

و في كشف الغمه. ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني أنت المظلوم بعدى! و أنت المستضعف بعدى، فمن آذاك فقد آذاني، و من جفاك فقد جفاني، و من وصلك فقد وصلني، و من قطعك فقد قطعني، و من أنصفك فقد أنصفني، لأنك مني و أنا منك، و أنت بضعه مني و روحى التي بين جنبي.

ثم قال: إلى الله أشكو ظالميك من أمتي.

فما مضت سوى فتره قصيره إذ قام عليّ (عليه السلام) قائلاً: أعظم الله أجوركم في نبيكم فقد قبضه الله إليه.

فارتفعت الأصوات بالضججه و البكاء، فكان أعظم يوم فى تاريخ البشر، و أوجع صدمه على قلوب المسلمين، و لم ير يوم أكثر باكياً و باكيه من ذلك اليوم.

و هكذا مرّت تلك الساعه المُرّه العصيبه التى كانت أصعب ساعه فى حياه الزهراء. فكيف انقضت تلك الدقائق على قلب فاطمه و هى ترى أباهها مسجّى لا حراك به؟!

فكانت الزهراء تقول: يا أبتاه من ربه ما أدناه!

وا أبتاه جنه الفردوس مأواه!

وا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه!

وا أبتاه أجاب ربّاً دعاه (١).

و كان علىّ يقول: يا رسول الله!

و الحسنان يبكيان و يقولان: واجدّاه واجدّاه (٢).

و قام علىّ (عليه السلام) بتغسيل الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و تحنيطه و تكفينه و حضر وقت الصلاه عليه، فكانت السیده فاطمه الزهراء من جمله المصلّين على جثمان أبيها العظيم فى الوجهه الأولى (٣).

و إلى أن دفن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كان بكاء الزهراء مستمراً متصلاً و رجعت إلى بيتها و اجتمعت النساء فقالت: إنا لله و إنا إليه راجعون، انقطع عنا خبر السماء.

ثم قالت فى مرثيه أبيها أبياتاً نذكرها قريباً.

ص: ٢٥١

١- ٢٤٤. البخارى ج ٥ ص ١٥.

٢- ٢٤٥. المنتقى ص ١٧٨.

٣- ٢٤٦. الاحتجاج، للطبرسى.

و قالت لأنس بن مالك:- أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟

و فى كشف الغمه عن الإمام الباقر (عليه السلام): ما رؤيت فاطمه (عليها السلام) ضاحكه مستبشره منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى قبضت.

و فى روايه أخرى: إلا يوماً افترت بطرف نابها (١).

و عن عمران بن دينار: إن فاطمه لم تضحك بعد النبى حتى قبضت لِمَا لحقها من شدة الحزن على أبيها (صلى الله عليه و آله و سلم).

ص: ٢٥٢

فاطمه الزهراء بعد وفاه الرسول

فى كل يوم من أيام الدنيا آباء يموتون، و بناتهم يُفجعن بهم، و يبكين فى مصابهم، و يحزنّ لفقدهم إلا أن نسبه الحزن و البكاء و ألم المصيبه تختلف باختلاف الآباء و البنات، و باختلاف العلاقات الوديه بين الأب و ابنته، فهناك العدد الكثير من البنات اللاتى لا نصيب لهن من الآباء إلا الأبوه، فلا عطف و لا حنان و لا عطف، فكأنه لا معرفه بينهما و لا صله.

و هناك آباء يمطرون بناتهم بالعطف و الدلال و الاحترام و المحافظه على البنت لئلا تنخدش عواطفها. و لئلا يحدث شىء يمس بكرامتها.

و يجد الأب من ابنته نفس الشعور المتبادل و الاحترام و التقدير.

و فى هذه الصوره تكون العلاقات الوديه بين الأب و ابنته و ثيقه جداً، و على هذا تكون مصيبه الأب على قلب ابنته أليمه و عميقه.

و قد مر عليك موقف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من ابنته الطاهره فاطمه الزهراء (عليها السلام) و سوف يسهل عليك أن تدرك بان علاقه السيده فاطمه الزهراء بأبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و محبتها إياه لم تكن بدافع الأبوه و النبوه فقط، بل كانت السيده فاطمه تعتبره أباً عطوفاً، و والداً رؤوفاً، شقيقاً رحيماً.

و فى الوقت نفسه تعتبره رسول الله، و سيد الأنبياء و المرسلين، فهى تحترم أباهما كما تحترم المرأه المسلمه المومنه العارفه نبيها، و تعظمه أقصى

أنواع التعظيم، و أعلى درجات التفخيم و التجليل.

و السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) أعلم امرأه فى الإسلام، و أعرف أنثى بعظمه نبى الإسلام.

و بعد هذه المقدمة يتضح لنا أن مصيبه وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) سلبت عن ابنته الباره كل قرار و استقرار، و كل هدوء و سكون.

فالزهراء تعرف عظم المصاب، و مدى تأثير الواقعه فى الموجودات كلها.

و هنا تحدثنا فضّه خادمه الزهراء عن الحزن المسيطر على السيدة فاطمه بسبب وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) قالت:

«و لما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) افتجع له الصغير و الكبير و كثر عليه البكاء، و عظم رزؤه على الأقرباء و الأصحاب و الأولياء و الأحباب، و الغرباء و الأنساب.

و لم تلق إلّا- كل باكٍ و باكيه، و نادب و نادبه، و لم يكن فى أهل الأرض و الأصحاب و الأقرباء و الأحباب أشدّ حزناً و أعظم بكاءً و انتحاباً من السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) و كان حزنها يتجدد و يزيد، و بكائها يشتد، فجلست سبعة أيام لا يهدأ لها أنين، و لا يسكن منها الحنين، و كل يوم كان بكائها أكثر من اليوم الذى قبله.

فلما كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبراً، إذ خرجت و صرخت، و ضجّ الناس بالبكاء، فتبادرت النسوة، و أطفئت المصاييح لكيلا تتبين وجوه النساء.

كانت السيدة فاطمه تنادى و تندب أباهاً قائلة:

وا أبتاه! وا صفياء، وا محمداه! وا أباالقاسماه! وا ربيع الأرامل و اليتامى! من للقبله و المصلّى؟

و مَنْ لَا بِنْتِكَ الْوَالِهَةُ الْتَكْلِي؟

ثم أقبلت تعثر في أذيالها، و هي لا تبصر شيئاً من عبرتها، و من تواتر دمعها، حتى دنت من قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فلما نظرت إلى الحجره و وقع طرفها على المئذنه أغمى عليها، فتبادرت النسوه، فنضحن الماء عليها و على صدرها، و جبينها حتى أفاقت، فقامت و هي تقول:

رُفِعَتْ قُوتِي، و خَانَنِي جَلْدِي، و شَمِتَ بِي عَدُوِّي، و الْكَمْدُ قَاتِلِي. يَا أَبْتَاهُ بَقِيْتُ و الْهَيْهَ وَحِيدَهُ، و حِيرَانَهُ فَرِيدَهُ.

فقد انخمد صوتي، و انقطع ظهري، و تنغص عيشي، و تكدر دهرى. فما أجد - يا أبتاه - بعدك أنيساً لوحشتي، و لا راداً لدمعتي، و لا معيناً لضعفى، فقد فنى بعدك محكم التنزيل، و مهبط جبرئيل، و محل ميكائيل.

انقلبت - بعدك - يا أبتاه الأسباب.

و تغلقت دوني الأبواب.

فأنا للدنيا بعدك قاليه، و عليك - ما ترددت أنفاسي - باكيه.

لا ينفد شوقي إليك، و لا حزني عليك.

إن حزني عليك حزن جديد

و فؤادى و الله صبّ عنيد

كل يوم يزيد فيه شجونى

و اكتبابى عليك ليس يبيد

جلّ خطبى، فبان عنى عزائى

فبكائى فى كل وقت جديد

ان قلبا عليك يألف صبراً

أو عزاء فإنه لجليلد

ثم نادى:

يا أبتاه، انقطعت بك الدنيا بأنوارها، و ذوت زهرتها.

و كانت بيهجتك زاهره.

يا أبتاه! لا زلت آسفہ عليك إلى التلاق.

ص: ٢٥٥

يا أبتاه! زال غمضى منذ حقَّ الفراق.

يا أبتاه! مَنْ للأرامل و المساكين؟

و مَنْ للأمه إلى يوم الدين؟

يا أبتاه! أمسينا بعدك من المستضعفين!

يا أبتاه! أصبحت الناس عنا معرضين!

و لقد كنَّا بك معظَّمين فى الناس غير مستضعفين!

فأى دمه لفراقك لا تنهمل؟

و أى حزن بعدك لا يتصل؟

و أى جفن بعدك بالنوم يكتحل؟

و أنت ربيع الدين، و نور النبين

فكيف بالجبال لا تمور؟ و للبحار بعدك لا تغور؟

و الأرض كيف لم تتزلزل؟

رُميتُ- يا أبتاه- بالخطب الجليل

و لم تكن الرزيه بالقليل

و طُرِقتُ- يا أبتاه- بالمصاب العظيم، و بالفادح المهول

بكتك- يا أبتاه- الأملاك

و وقفتِ الأفلاك

فمنبرك بعدك مستوحش

و محرابك خال من مناجاتك

و قبرك فرح بمواراتك

و الجنه مشتاقه إلیک و إلی دعائک و صلاتک

یا أبتاه ما أعظم ظلمه مجالسک!!

فوا أسفاه علیک إلی أن أقدم عاجلاً علیک

ص: ۲۵۶

وَأَثَلْ أَبوالحسن المؤمن، أبوولديك الحسن و الحسين.

و أخوك و وليك، و حبيبك، و من ربّته صغيراً و آخيته كبيراً.

و أحلى أحبابك و أصحابك إليك

من كان منهم سابقاً و مهاجراً و ناصراً

و الثكل شاملنا! و البكاء قاتلنا! و الأسى لازمنا

ثم زفرت، و أنت أنيناً يخدش القلوب ثم قالت:

قَلَّ صبري و بان عني عزائي

بعد فقدى لخاتم الأنبياء

عين يا عين اسكبي الدمع سحاً

و يك لا تبخلي بفيض الدماء

يا رسول الإله يا خير الله

و كهف الأيتام و الضعفاء

قد بكتك الجبال و الوحش جمعاً

و الطير والأرض بعد بكى السماء

و بكاك الحجون و الركن و المشعر

يا سيدى، مع البطحاء

و بكاك المحراب و الدرس

للقرآن فى الصبح معلناً و المساء

و بكاك الإسلام إذ صار فى الناس

غريباً من سائر الغرباء

لو ترى المنبر الذى كنت تعلوه

علاه الظلام بعد الضياء

يا إلهى عجل وفاتى سريعاً

(فلقد عفتُ الحياه يا مولائى)

و أخذت فاطمه الزهراء (عليها السلام) شيئاً من تراب قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و جعلت تشمه و هى تقول:

ماذا على من شمّ تربه أحمد

إن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

قل للمغيب تحت أطباق الثرى

إن كنت تسمع صرختى و ندائيا

صُبت على مصائب لو أنها

صُبت على الأيام صرن لياليا

قد كنت ذات حمى بظلّ محمد

لا أخش من ضيم و كان حمى ليا

فاليوم أخضع للذليل و اتقى

ضيمى، و أَدفع ظالمى بردائيا

ص: ٢٥٧

فإذا بكت قمريه في ليلها

شجناً على غصن بكيت صباحيا

فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسى

و لأجعلن الدمع فيك و شاحيا (١).

و روى زيني دحلان في السيره النبويه هذه الأبيات لها في رثاء أبيها بعد دفنه (صلى الله عليه و آله و سلم):

اغبر آفاق السماء و كورت

شمس النهار و أظلم العصران

و الأرض من بعد النبی کئيبه

أسفا عليه كثيره الرجفان

فليكه شرق البلاد و غربها

و ليكه مضر و كل يمانی

و ليكه الطود المعظم جوّه

و البيت ذو الأستار و الأركان

يا خاتم الرسل المبارك ضوءه

صلّى عليك منزّل القرآن

ثم رجعت إلى منزلها، و أخذت بالبكاء و العويل.

و كانت (سلام الله عليها) معصبه الرأس، ناحله الجسم منهذه الركن، باكيه العين، محترقه القلب، يغشى عليها ساعه بعد ساعه.

و تقول لولديها: أين أبوكما الذى كان يكرمكما و يحملكما مره بعد مره؟

أين أبوكما الذى كان أشد الناس شفقه عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟

لا أراه يفتح هذا الباب أبداً، و لا يحملكما على عاتقه، كما لم يزل يفعل بكما!!

و لما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) امتنع بلال من الأذان قال: لا أؤذان لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و إن فاطمه (عليها السلام) قالت ذات يوم: إني أشتهى أن أسمع

ص: ٢٥٨

١- ٢٤٨. بحار الانوار ج ٤٣.

صوت مؤذن أبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأذان.

فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان فلما قال: الله أكبر الله أكبر ذكرت أباها وأيامه، فلم تتمالك من البكاء.

فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله شهقت فاطمه (عليها السلام) وسقطت لوجهها وغشى عليها.

فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال فقد فارقت ابنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت؟ فقطع أذنه، ولم يتمه،

فأفاقت فاطمه (عليها السلام) وسألته أن يتم الأذان فلم يفعل وقال لها: يا سيده النسوان إنني أخشى عليك مما تنزله بنفسيك إذا سمعت صوتي بالأذان. فأعفته عن ذلك (١).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): غسلت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قميصه. فكانت فاطمه تقول: أرني القميص. فإذا شمته غشى عليها. فلما رأيت ذلك غيبت (٢).

و روى عن الامام جعفر صادق (عليه السلام) انه قال عاشت فاطمه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة و سبعين يوماً، لم تركا شره ولا ضاحكه، تاتي قبور الشهداء في كل جمعه مرتين: الاثنين والخميس، فتقول: ها هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت فاطمه (عليها السلام) تاتي قبور الشهداء و تاتي قبر حمزه

ص: ٢٥٩

١- ٢٤٩. بحار الانوار جلد ٤٣ عن من لا يحضره الفقيه.

٢- ٢٥٠. مقتل الحسين للخوارزمي.

و تبكى هناك.

فلما كان في بعض الايام اتيت قبر حمزه فوجدتها تبكى هناك، فامهلتها حتى سكنت، فاتيتها و سلمت عليها و قلت: يا سيده النسوان قد-

والله- قطعت نياط قلبي من بكائك.

فقلت: يا ابا عمرو، و يحق لي البكاء، فلقد اصببت بخير الاءاء: رسول الله.

و اشوقاه الى رسول الله.

ثم انشأت تقول:

اذا مات يوما ميت قل ذكره

و ذكر ابي مذمات، والله، اكثر [\(١\)](#).

اقول: المستفاد من التاريخ و الاحاديث انا السيده فاطمه (عليها السلام) كانت تبكى - على ابيها- في بيتها، فلما منعوها عن البكاء، خرجت الى احد، فلما اشتد بها المرض صعب عليها الخروج الى احد، فكانت تخرج الى البقيع و بيت الاءازان- كما ستقرا ذلك-.

ص: ٢٦٠

أيها القارئ:

لقد وصلنا- في حديثنا هذا- إلى موضع حساس جداً، حساس تاريخياً و دينياً و عقائدياً، و لا أعلم ما يكون صدى هذه الجملات التي سأذكرها هنا؟!

و لا أعلم ردود الفعل التي تنشأ من مطالعه هذه الكلمات؟!

و لا أعرف نوعيه الحكم الذي سيحكم به القارئ عليّ؟!

و ما هي التهم التي سيوجهها إليّ؟

الطائفية؟ التفرقة؟ إثارة الفتنة؟ المس بكرامه الصحابه؟ و غيرها من الكلمات التي سأحظى بها من حضرات المطالعين!!

و لعلك- أيها القارئ- لا ترضى بهذه الحقائق، و تظنها كذباً و افتراءً ثم تحكم عليّ حكماً غيائياً بما جاد به لسانك و قلمك.

لا- يهمني هذا بمقدار ما يهمني أن تعلم أنني لا أذكر لك- هنا- شيئاً من المصادر الشيعيه، و لا من كتب الإماميه و إنما أذكر لك بعض القضايا من مصادر سنيه بحته محضه فقط، معتبره عند أهل السنه و الجماعه.

فإن كانت هذه الأخبار صحيحه و صادقه فنعم المطلوب.

و إن كانت سقيمه أى غير صحيحه فليست المسؤوليه عليّ.

و إنما المسؤوليه على تلك المصادر.

و بعباره أخرى: ليس الذنب ذنبى، بل الذنب ذنب التاريخ الذي ذكر

هذه الوقائع

و لو لا ثبوتها عند علماء السنه القدامى لما ذكروها فى صحاحهم المعتبره عندهم، المعتمده لديهم.

أيها القارئ:

أعود لأقول كلمتى الأخيره، ثم أدخل فى صميم الموضوع:

أقول: إننى أذكر لك المصادر و المدارك التاريخيه، فأفضل أن تراجعها كى تتأكد من صحه القول و النقل.

و بعد مطالعه هذا الفصل لك الحريه فى اختيار موقفك تجاه هذه الأحداث و تبقى أنت و ضميرك الحى، و وجدانك- و هو الذى تجده فى قراره نفسك- و ديانتك التى أنت معتنقها، و إيمانك بالله الذى أنت لاقيه، و الحق الذى هو فوق العاطفه و الميول و التقاليد.

و كم يؤسفنى أنى لا أملك حريه القلم و البيان لأسجل على هذه الصفحات الأحداث المؤلمه، و الظروف العصبيه، و العواصف الزعازع، و الساعات الحرجه التى مرت بآل الرسول و عترته الطيبه فى أقل من أسبوع من بعد وفاه (صلى الله عليه و آله و سلم).

نعم.. الحريه ممنوحه لكل أحد و لكل فئه إلا لآل رسول الله!!

و حريه الصحافه المتعارفه فى زماننا، و حريه الدفاع المسموح بها فى جميع المحاكم فى العالم، و حريه الرأى و الفكر المغترف بها فى الدول، هذه الحريات بكافه أنواعها موجوده، و لكن التحدث عن مصائب آل الرسول و تسجيل آلامهم و مآسيهم يعتبر ذنباً لا يغفر..

و الآن استمع إلى مايلى:

ذكر الأستاذ الفذ عبد الفتاح عبد المقصود فى كتابه (الإمام على بن أبى طالب) ص ٢٢٥:

ص: ٢٦٢

(... و اجتمعت جموعهم- آونه فى الخفاء و أخرى على ملاء- يدعون إلى ابن أبى طالب لأنهم رأوه أولى الناس بأن يلى أمور الناس، ثم تألبوا حول داره يهتفون باسمه و يدعونه أن يخرج إليهم ليردوا عليه تراثه المسلوب... فإذا المسلمون أمام هذا الحدث محالف أو نصير، و إذا بالمدينه حزبان، و إذا بالوحده المرجوّه شقان أو شكّا على انفصال، ثم لا يعرف غير الله ما سوف تؤول إليه فى نظر ابن الخطاب بالقتل حتى لا تكون فتنه و لا يكون انقسام؟!

كان هذا أولى بعنف عمر إلى جانب غيرته على وحده الإسلام، و به تحدّث الناس و لهجت الألسن كاشفه عن خلجات خواطر جرت فيها الظنون مجرى اليقين، فما كان لرجل أن يحزم أو يعلم سريره ابن الخطاب، و لكنهم جميعاً ساروا وراء الخيال، و لهم سند مما عرف عن الرجل دائماً من عنف و من دفعات و لعل فيهم من سبق بذهنه الحوادث على متن الاستقراء، فرأى بعين الخيال قبل رأى العيون، ثبات علىّ أمام و عيد عمر لو تقدم هذا منه يطلب رضاه و إقراره لأبى بكر بحقه فى الخلافه، و لعله تمادى قليلاً فى تصور نتائج هذا الموقف و تخيل عقابه فعاد بنتيجته لازمه لا معدّى عنها، هى خروج عمر عن الجاده، و أخذ هذا المخالف العنيد بالعنف و الشدّه!

و كذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلك النهار، و هو يسير فى جمع من صحبه و معاونيه إلى دار فاطمه، و فى باله أن يحمل ابن عمّ رسول الله- إن طوعاً و إن كرهاً- على إقرار ما أباه حتى الآن.

و تحدث أناس بأن السيف سيكون وحده متن الطاعه!... و تحدث آخرون بأن السيف سوف يلقى السيف!..

ثم تحدث غير هؤلاء و هؤلاء بأن «النار» هى الوسيله المثلى إلى حفظ الوحده و إلى (الرضا) و الإقرار!... و هل على ألسنه الناس عقال يمنعها أن

تروى قصه حطب أمر به ابن الخطاب فأحاط بدار فاطمه، و فيها على و صحبه، ليكون عده الإقناع أو عده الإيقاع؟....

على أن مثل الأحاديث جميعها و معها الخطط المدبره أو المرتجله كانت كمثّل الزبد، أسرع إلى ذهاب و معها دفعه ابن الخطاب!....

أقبل الرجل، محنقاً مندلع الثوره على دار على و قد ظاهر معاونوه و من جاء بهم فاقتموه أو أوشكوا على فاقتموها أو او شكوا على اقتحام، فإذا وجه كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن، على قسماته خطوط آلام، و فى عينيه لمعات دمع، و فوق جبينه عبسه غضب فائر و حنق نائر...

و توقف عمر من خشيه و راحت دفعته شعاعاً. و توقف خلفه - أمام الباب - صحبه الذين جاء بهم، إذ رأوا حيالهم صورہ الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيته الزهراء و غضوا الأبصار من خزي أو من استحياء، ثم ولت عنهم عزمات القلوب، و هم يشهدون فاطمه تتحرك كالخيال، وئيداً وئيداً بخطواتها المحزونه الثكلى، فتقترب من ناحيه قبر أبيها... و شخصت منهم الأنظار و أرهفت الأسماع إليها، و هى ترفع صوتها الرقيق الحزين النبرات، تهتف بمحمد الثاوى بقربها، تناديه باكيه مريه البكاء:

يا أبت يا رسول الله!... يا أبت يا رسول الله!...

فكأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغي، من رهبه النداء...

و راحت الزهراء و هى تستقبل المثوى الطاهر، تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «يا أبت يا رسول الله!... ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، و ابن أبى قحافه!؟...». فما تركت كلماتها إلا قلوباً صدعها الحزن، و عيوناً جرت دمعاً و رجالاً و دوا لو استطاعوا أن يشقوا مواطئ أقدامهم ليذهبوا فى طوايا الثرى مغيبين... الى آخر كلامه.

اقتطفنا هذه الجملات من كتاب الأستاذ عبدالفتاح الكاتب المصرى المعاصر.

و أما ما ذكره المؤرخون القدامى، و المحدثون المتقدمون فهناك بعض أقوالهم حول الموضوع:

فى العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٠ و تاريخ أبى الفداء ج ١ ص ١٥٦ و أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٧: «و بعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب و قال لهم: فإن أبوا فقاتلهم. و أقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمه فقالت: يا بن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمه».

و فى تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٨ و الإمامه و السياسيه ج ١ ص ١٣ و شرح ابن أبى الحديد ج ١ ص ١٣٤: دعا بالحطب و قال: و الله لتحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعه-: أو: لتخرجن إلى البيعه أو لأحرقنها على من فيها- فيقال للرجل: إن فيها فاطمه فيقول: و إن!!

و ذكر ابن قتيبه (١) فى (الإمامه و السياسه) ص ١٩: كيف كانت يبعه على بن أبى طالب (كرم الله وجهه).

قال: و إن! أبابكر (رضى الله عنه) تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند على (كرم الله وجهه) فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم و هم فى دار على، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب و قال: والذى نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها

ص: ٢٦٥

١ - ٢٥٢. هو الامام الفقيه ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينورى، من علماء القرن الثالث هجرى، له كتب كثيره، و من اشهرها هو هذا الكتاب المعروف بتاريخ الخلفاء و قد طبع عدة مرات فى مصر و العراق و لبنان.

فقيل له: يا أباحفص إن فيها فاطمه!

قال: وإن!

فخرجوا فبايعوا إلّا علياً فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج و لا أضع ثوبي (١) على عاتقي حتى أجمع القرآن. فوقفت فاطمه (رضى الله عنها) على بابها و قالت: لا عهد لى يقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) جنازه بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا و لم تردوا (٢) تروا- لنا حقاً؟!

و يقول محمد حافظ إبراهيم (شاعر النيل) فى قصيدته العمريه:

و قوله لعلّى قالها عمر

أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا بقى عليك بها

إن لم تباع و بنت المصطفى فيها

ما كان غير أبى حفص يفوه بها

أمام فارس عدنان و حاميهها

و ذكر مصطفى بك الديماطى فى شرحه على هذه القصيده ص ٣٨: و فى روايه لابن جرير الطبرى قال: حدثنا جرير عن مغيره عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل على و به طلحه و الزبير و رجال من المهاجرين فقال: و الله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعه فخرج عليه الزبير معلناً بالسيف فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.... الى آخر كلامه.

و قد روى الشهرستاني (٣) عن النّظام قال: إن عمر ضرب بطن فاطمه

ص: ٢٦٦

١- ٢٥٣. و فى نسخه: ردائى.

٢- ٢٥٤. و فى نسخه: ردائى.

٣- ٢٥٥. هو الامام الفقيه محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الشافعى، المذهب، من علماء القرن السادس الهجرى، و له كتب كثيره، و من اشهرها: كتاب الملل و النحل، و قد طبع عدّه مرات فى مصر و لبنان و العراق و غيرها.

يوم البيعه حتى أُلقت الجنين (المحسن) من بطنها، و كان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها. و كان فى الدار غير على و فاطمه و الحسن و الحسين (١). .

و روى مثل ذلك البلاذرى فى (أنساب الأشراف) ج ١ ص ٤٠٤، و الصدفى الشافعى فى كتاب الوافى بالوفيات ج ٥ ص ٣٤٧. و ذكر ابن خذابه- أو خرذابه-: قال زيد بن أسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمه حين امتنع على و أصحابه عن البيعه، فقال عمر لفاطمه: أخرجى من البيت أو لأ حرقنه و من فيه!!! قال: فى البيت على و فاطمه و الحسن و الحسين و جماعه من أصحاب النبى.

فقال فاطمه: أفتحرق على وُلدى؟

فقال: أى والله أو ليخرجن ولبايعن!!

هذا ما ظفرت به من المصادر المذكوره فى كتب أهل السنه و الجماعه، و لعل غيرى يجد أكثر من هذه المصادر فى كتب التواريخ.

بعد استعراض هذه النصوص التاريخيه انكشف لنا موقف بعض المسلمين تجاه أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و اتضح لنا أن بعض الأفراد لم يراعوا حرمة السیده فاطمه الزهراء و لا حرمة بيتها، و لا راقبوا كرامه زوجها أمير المؤمنين على، و لا كرامه ولديها، الحسن و الحسين (عليهما السلام) و لم يحفظوا فيهم حرمة الرسول الأعظم.

ص: ٢٦٧

فقد عرفنا من هذه النصوص أن العصابه جاءت لإخراج الإمام عليّ من بيته ليبيع أبا بكر، وقد سمعنا منهم التهديد بإحراق البيت و كل من فيه من آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

ما كانت السيده فاطمه الزهراء تنتظر أن ترى فى حياتها يوماً كذلك اليوم، و مأساه كنتلك المأساه، و إن كان أبوها الرسول قد أخبرها بذلك إجمالاً أو تفصيلاً، و لكن السماع شىء و الرؤيه شىء آخر، و تأثير المصيبه يختلف سماعاً و رؤيه.

إن كانت السيده فاطمه قد سمعت من أبيها الرسول أن الأمور سوف تنقلب عليها، و أن الأحقاد سوف تظهر بعد وفاه (صلى الله عليه و آله و سلم) فإنها قد شاهدت بعينها تلك الأحداث فقد هجم القوم على عرينها ليخرجوا زوجها من ذلك البيت الذى ما كان الرسول يدخله إلا بعد الاستئذان من فاطمه.

لا تستطيع الزهراء أن تسكت و تقف موقف المتفرجه.

و أيه عائله تسكت أو تهدأ إذا رأت عصابه تريد الهجوم على بيتها لإخراج رئيس العائله؟

فالخوف و الذعر و الاضطراب يبلغ أشده، و يسلب من العائله كلّ استقرار و هدوء، فالأطفال يصرخون باكين من هول الموقف، و الأصوات ترتفع فى تلك اللحظات الرهيبه.

كانت السيده فاطمه - قبل هجوم القوم خلف الباب و قد عصّبت رأسها بعصابه، و لم يكن عليها خمار، فلما هجم القوم لاذت السيده فاطمه خلف الباب لتستر نفسها عن أولئك الرجال، فعصروها عصره شديده، و كانت حاملاً فى الشهر السادس من حملها.

و هنا صرخت السيده صرخه من شدة الألم، لأن جنينها قُتل من

صدمه الباب، و لا تسأل عن مسمار الباب الذى نبت فى صدرها بسبب عصره الباب. و فى تلك اللحظات كان القوم قد ألقوا القبض على الإمام على و هم يريدون إخراجهم من البيت، و هنا حالت السيدة فاطمه بين القوم و بين أن يُخرجوا زوجها بالرغم من الألم الشديد و اضطراب الجنين فى أحشائها.

و هنا صدر الأمر بضرب فاطمه حبيبته رسول الله و عزيزته.

إن أولاد فاطمه الزهراء الذين شاهدوا المعركة هكذا يقولون:

لقد قد خاطب الإمام الحسن (عليه السلام) المغيرة بن شعبه فى مجلس معاوية بقوله: «و أنت ضربت فاطمه بنت رسول الله حتى أدميتها، و ألفت ما فى بطنها، استدلالاً منك لرسول الله، و مخالفته منك لأمره، و انتهاكاً لحرمته، و قد قال لها رسول الله: «أنت سيده نساء أهل الجنة» و الله مصيرك إلى النار... إلى آخر كلامه (١).

و فى كتاب سليم بن قيس «... فاقبل عمر و ضرب الباب و نادى:

يا بن ابى طالب افتح الباب.

فقلت فاطمه (عليها السلام): يا عمر مالنا و لك، لا تدعنا و ما نحن فيه؟

فقال: افتحى الباب، و الا احرقنا عليكم!

فقلت (عليها السلام): يا عمر اما تتقى الله (عز و جل) تدخل على بيتى و تهجم على دارى؟!!

فابى ان ينصرف، ثم دعى عمر بالنار فاضرمها فى الباب ثم دفعه عمر، فاستقبلته فاطمه (عليها السلام) و صاحت: يا ابتاه يا رسول الله!!

ص: ٢٦٩

فرغ عمر سيف- و هو في غمده- فوجابه جنبها، فصرخت.

فرغ السوط فضرب به ذراعها، فصاحت: يا ابتاه لبئس ما خلفك ابوبكر و عمر.

فوثب على بن ابي طالب (عليه السلام) فاخذ بتلابيب عمر (١) ثم هزه فصرعه و وجا انفه و رقبتة (٢) و هم بقتله، فذكر قول رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ما اوصاه من الصبر و الطاعة فقال: «والذي كرم محمدا بالنبوه- يا بن صحاك!- لو لا كتاب من الله سبق، و عهد عهد الى رسول الله لعنمت انك لا تدخل بيتي...»

فارسل عمر يستغيث، فاقبل الناس حتى دخلوا الدار، فكاثروه (٣) و القو في عنقه حبلا.

فحالت بينهم و بينه فاطمه (عليها السلام) عند باب البيت،- فضربها قنفذ بالسوط، فماتت- حين ماتت- و إن في عضدها كمثل الدمليج (٤) من ضربته، فألجأها إلى عضاده بيتها و دفعها، فكسر ضلعاً من جنبها، فألقت جنيئاً من بطنها.

فلم تزل صاحبه فراش، حتى ماتت من ذالك شهيدة).

و في كتاب ارشاد القلوب: عن الزهرا (عليها السلام) قالت: «... فجمعوا الحطب على الباب و اتوا بالنار ليحرقوه و يحرقوناه، فوقفت بعضاده الباب، و ناشدتهم الله و بابي، ان يكفوا عنا، فاخذ عمر السوط من يد قنفذ

ص: ٢٧٠

١- ٢٥٨. تلابيب جمع تليب- و هو موضع الطوق و القلادة من الصدر، يقال: اخذ بتلابيبه اى: امسكه متمكناً منه.

٢- ٢٥٩. و جا: عصر و ضرب.

٣- ٢٦٠. فكاثروه اى: اجتمعوا على الامام (عليه السلام).

٤- ٢٦١. الدمليج: السوار في المعصم.

فضرب به عضدى حتى صار كالدملج، و ركل الباب برجله فردة على و انا حامل، فسقطت لوجهى و النار تسعر، فضربنى بيده حتى انتثر قرطى من اذنى، و جاء نى المخاض، فاسقطت محسنا، بغير جرم».

و قال الإمام الصادق (عليه السلام)... و كان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً، و مرضت من ذلك مرضاً شديداً... الى آخر كلامه (عليه السلام).

و هكذا يستفاد أن أكثر من واحد ضرب بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ان الضرب كان بالسوط تاره و بالسيف و هو فى غمده - تاره اخرى، مما سبب إجهاض الجنين.

و ترى الشعراء يتألمون من هذه المأساه المروّعه و يتحدثون عنها.

يقول أحدهم:

فأسقطت بنت الهدى و احزنا

جنينها ذاك المسمى محسنا

و يقول الآخر:

و الداخلين على البتوله بيتها

و المسقطين لها أعزّ جنين

و يقول الآخر:

أو تدرى ما صدر فاطم ما المسمار

ما حال ضلعها المكسور

ما سقوط الجنين؟ ما حمرة

العين و ما بال قرطها المشور

و يقول الآخر:

و لست أدري خبر المسمار

سل صدرها خزانة الأسرار

استنجدت السيده فاطمه بخادمتها فضه و صاحت يا فضه! إليك فخذيني و إلى صدرك فاسنديني، و الله لقد قتلوا ما في أحشائي!!

أسرعت فضه واحتضنت السيده فاطمه لتحملها إلى الحجره، و لكن الجنين سقط قبل وصول الزهراء إلى الحجره.

ص: ٢٧١

و المعروف أن آلام الإجهاد أشد من آلام الولادة، فكانت حبيبته رسول الله فاطمه تن أنيناً يوجع كل قلب، و يُبكي كل عين، فالطفل فارق الحياة و أمه تنظر إليه.

و لكن القوم لم يعيروا اهتماماً بما جرى على سيده النساء و ابنه سيد الأنبياء، بل أخذوا زوجها العظيم، بعد أن نزعوا عنه السلاح، و تركوه أعزلاً و ألقوا حبل سيفه في رقبتة يقودونه من بيته إلى المسجد بكل عنف و قسوة ليبيع (١).

هنا يقف القلم عن الجري، و يخرس اللسان عن بيان و شرح تلك اللحظات التي مرّت بذلك الرجل الغيور، صاحب الحميه و الإباء.

ذلك البطل الإسلامي المجاهد العظيم.

ذلك الإمام الذي كانت الزهراء أغلى عنده من كل غال و نفيس و أعز من كل موجود، و أشرف من كل إنسان بعد الرسول.

و ينظر سلمان إلى ذلك المنظر المذهل و يقول: أيصنع ذا بهذا؟ و الله لو أقسم على الله لانتبطت ذه على ذه (٢).

ص: ٢٧٢

١- ٢٦٢. و العجب: ان معاويه يشمت بالامام على (عليه السلام) بهذا الماساه و يكتب اليه: و تقاد الى كل منهم كما يقاد الجمل المخشوش حتى تباع كارها... الى آخره كلامه / شرح ابن ابي الحديد ج ٤. فاجابه الامام (عليه السلام)... و قلت انى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى اباع، و لعمر والله لقد اردت ان تذم فمدحت، و ان تفضح فافتضحت، و ما على المسلم من غضاضه فى ان يكون مضلوما، لم يكن شاكا فى دينه، و لا مرتابا بيقينه، و هذه حجتي الى غيرك قصدها، و لكنى اطلقت لك بقدر ما سنح من ذكرها... الى آخر كلامه (عليه السلام) / نهج البلاغه باب كتبه (عليه السلام).

٢- ٢٦٣. اى انطبقت السماء على الارض. و الحديث فى بحار الانوار ج ٤٣.

قف بنا لنبكي على على، و هو يسمع صرخات زوجته فاطمه!! و يسمع أصوات ولديه و بنتيه الصغار و هم يولولون، ينظرون إلى أمهم تاره و إلى أبيهم أخرى، لا يدرون ما يصنعون؟ هل يلتفون حول أمهم و يسمعون أنينها من صدمه الباب و سقط الجنين؟ أو يرافقون أباهم و قد ازدحم حوله الرجال يدفعونه في ظهره و يقاومون امتناعه.

حيره و أيه حيره؟!

يريد على أن يسعف زوجته ينظر إليها و هي في تلك الحاله، و لكن حبل السيف في رقبتة، و لكن الرجال يدافعونه، و صرخات الأطفال قد سلبته كل قرار.

ينظر يمينا و شمالا، ينادى: واحمزتاه، و لا حمزه لى اليوم، و جعفره و لا جعفر لى اليوم!!

ارتفعت أصوات النساء- الواقفات فى الطريق- بالبكاء و العويل، و ما الفائده من صياح النساء أمام القوه؟ و هل تلين تلك القلوب من صرخات النساء و صياحهن. فتحت السيده فاطمه عينها حينذاك، و لعلها أفاقت على صراخ أطفالها المذعورين! و قالت: يا فضه! أين على؟!!

قالت- و هي باكيه:- أخذوه للمسجد!!

نسيت فاطمه آلامها، و قامت و كلها آلام و أوجاع، و لكنها استعادت شجاعتها لهول الموقف و لذلك الظرف العصيب.

فلنترك السيده فاطمه تستعد للخروج لأنقاذ زوجها من تلك الورطه

ص: ٢٧٣

و لتدارك ذلك الموقف، و لنذهب إلى المسجد النبوي لنرى. ما جرى على الإمام عليّ؟؟

نعود إلى ما ذكره ابن قتيبة في (الإمامه والسياسه) ص ١١:

و ذكروا أن علياً أتى أبوبكر و هو يقول: أنا عبدالله و أخو رسوله.

ف قيل له: بايع أبوبكر.

فقال:

أنا أحق بهذا الأمر منكم.

لا أبايعكم، و أنتم أولى بالبيعة لي.

أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرايه من النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)

و تأخذونه من أهل البيت غصباً؟؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لمكان محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) منكم؟؟ فأعطوكم المقاده، و سلّموا إليكم الإمارة؟

و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار:

نحن أولى برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حياً و ميتاً.

فأنصفونا- إن كنتم تخافون- من أنفسكم.

فقال له عمر: أنت لست متروكاً حتى تباع.

فقال له عليّ: احلب حلباً لك شطره!!

اشدد له اليوم ليرده عليك غداً.

و الله يا عمر لا أقبل قولك و لا أبايعه.

فقال له أبوبكر: فإن لم تباعني فلا أكرهك.

فقال عليّ: يا معشر المهاجرين الله! الله! لا- تُخرجوا سلطان محمد في العرب من داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و تدفعوا أهله عن

مقامه فى الناس و حقه.

فو الله يا معشر المهاجرين! لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فيه القارئ لكتاب الله، الفقيه فى دين الله، العالم بسنن رسول الله...).

هذا ما يرويه ابن قتيبه فى كتابه (الإمامه والسياسه).

و أما ما يرويه العياشى فى تفسيره ٢/ ٦٧:

«... أخرجوه من منزله ملتبساً، و مزّوا به على قبر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: (يا بن أم أن القوم استضعفونى و كادوا يقتلونى) فقال له عمر: بايع.

قال علىّ: فإن أنا لم أفعل فَمَه؟

قال له عمر: إذن و الله أضرب عنقك!

قال علىّ: إذن- و الله- أكون عبدالله المقتول و أخا رسول الله.

و فى روايه: إذن و الله تقتلون عبدالله و أخا رسول الله.

فقال عمر: أما عبدالله فنعم، و أما أخو رسول الله فلا.

و فى روايه: و أما أخو رسول الله فما نقر لك بهذا.

فقال (عليه السلام): أتجحدون أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) آخى بينى و بينه؟

قال: نعم.

و جرى- هناك- حوار شديد و كلام طويل بين خليفه رسول الله علىّ (عليه السلام) و بين تلك الزمره.

و عند ذلك وصلت فاطمه إلى المسجد، و قد أخذت بيد ولديها: الحسن و الحسين، و ما بقيت هاشميه إلاّ و خرجت معها، فنظرت السيده فاطمه إلى زوجها أبى الحسن و هو تحت التهديد بالقتل، فأقبلت تعدو

ص: ٢٧٥

و تصيح: خلّوا عن ابن عمّى!!

خلّوا عن بعلى!! و الله لأكشفن عن رأسى و لأضعن قميص أبى على رأسى و لأدعون الله عليكم.

و فى روايه: فوالذى بعث محمداً بالحق لئن لم تخلّوا عنه لأنشرن شعرى و لأضعن قميص رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) على رأسى، و لأصرخن إلى الله تبارك و تعالى، فما ناقه صالح بأكرم على الله منى. و لا الفصل بأكرم على الله من ولدي (١).

و فى روايه العياشى: قالت: يا أبا بكر أتريد أن ترملى من زوجى؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرن شعرى، و لأشقن جيبى، و لآتين قبر أبى، و لأصيحن إلى ربى!! فأخذت بيد الحسن و الحسين و خرجت تريد قبر النبى (صلّى الله عليه و آله و سلم).

و فى روايه أخرى: قالت: ما لى ولك يا أبا بكر؟ تريد أن تؤتم ابنى، و ترملى من زوجى؟

و الله لو لا أن تكون سيئه لنشرت شعرى و لصرخت الى ربى.

بهذا الفعل؟ أتريد أن تنزل العذاب على هذه الأمه؟

فقال علىّ لسلمان: أدرك ابنه محمد....

أقبل سلمان و قال: يا بنت محمد إن الله بعث أباك رحمه فارجعى!

فقالت: يا سلمان يريدون قتل علىّ!! ما علىّ صبر، فدعنى حتى آتى قبر أبى فأنشر شعرى، واشق جيبى و لصيح الى ربى.

ص: ٢٧٦

فقال سلام: انى اخاف ان يخسف بالمدينه، و على بعثنى اليك يامرڪ ان ترجعى الى بيتك و تنصرفى.

فقلت (عليه السلام): اذن ارجع و اصبر، و اسمع له و اطيع (١).

و فى كتاب (احتجاج الزهراء) للرضوى النجفى ص ١٤٠: فاقبل على مهر و لا الى السيده فاطمه، فلما وصل اليها لجعلت فاطمه تقبل اكتافه و تقول له- بدموع جاريه:-

«روحى لروحك الفداء، و نفسى لنفسك الوقاء، يا اباالحسن ان كنت فى خير كنت معك، و انت كنت فى شر كنت معك».

و خلاصه الحديث ان السيده فاطمه ما رجعت الى البيت الا و اخذت زوجها معها و انقذته من تلك الزمره، و خلصته من اخذه البيعه منه.

ص: ٢٧٧

أحسن كلام نفتح به هذا البحث، وأصدق حديث نبدأ به هذا الموضوع هو كلام الله تعالى، و من أصدق من الله قىلاً؟ و من أصدق من الله حديثاً؟

قال تعالى: «فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١).

هذه الآية كما تراها خطاب من الله (عز و جل) إلى حبيبه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) يأمره أن يؤتى ذا القربى حقه، فمن ذو القربى؟ و ما هو حقه؟

لقد ذكرنا- فى آيه القربى أو آيه الموده- أن المقصود من القربى هم أقرباء الرسول و هم على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) فيكون المعنى: و أعطِ ذوى قرباك حقوقهم.

روى عن أبى سعيد الخدرى و غيره أنه لما نزلت هذه الآية على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أعطى فاطمه فدى كاً و سلمه إليها، و هو المروى عن الإمام الباقر و الإمام الصادق (عليهما السلام) و هو المشهور بين جميع علماء الشيعة. و قد ذكر ذلك من علماء السنه عدد كثير بطرق عديده، فمنها:

صرح فى (كنز العمال) و فى مختصره المطبوع فى الهامش من كتاب

ص: ٢٧٨

(المسند) لأحمد بن حنبل في مسأله صله الرحم من كتاب (الأخلاق) عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: (وآت ذاالقربى حقه) قال النبي (ص): يا فاطمه لك فذك. قال: رواه الحاكم في تاريخه.

و في ص ١٧٧ من الجزء الرابع من تفسير (الدر المنثور) للسيوطي أنه أخرج البزار و أبويعلى وابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية: (فآت ذاالقربى حقه) أقطع رسول الله (ص) فاطمه فذكاً.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج: وقد روى من طرق مختلفه غير طريق أبي سعيد الذي ذكره صاحب الكتاب: أنه لما نزل قوله تعالى: (فآت ذاالقربى حقه) دعا النبي (ص) فاطمه فأعطاها فذك.

ما هي فذك؟

التحدث عن فذك يشمل الموارد الآتيه:

ما هي فذك؟

٢- هل كانت فذك لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) خاصه أم للمسلمين عامه؟

٣- هل دفع الرسول فذكاً إلى ابنته فاطمه الزهراء نحلّه و عطيه في حياته أم لا؟ ٤- هل يورث رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أم لا؟

٥- هل كانت السیده فاطمه الزهراء تتصرف في فذك في حياه أبيها الرسول أم لا؟ ١- أما الأبّه على السؤال الاول: فقد ذكر اللغويون أقوالهم في فذك:

ص: ٢٧٩

و فى المصباح: فذك - بفتحين - بلده بينها و بين مدينه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يومان، و بينها و بين خير دون مرحله، و هى مما أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و فى معجم البلدان للحموى، باب الفاء و الدال:- فذك:- بالتحريك، و آخره كاف - قريه بالحجاز، بينها و بين المدينه يومان، و قبل ثلاثه، أفاءها الله على رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى سنه سبع صلحاً، و ذلك أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لما نزل خير و فتح حصونها و لم يبق إلا ثلاث، و اشتد بهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يسألونه أن ينزلهم على الجلاء، و فعل، و بلغ ذلك أهل فذك فأرسلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يصلحهم على النصف من ثمارهم و أموالهم، فأجابهم إلى ذلك فهو مما لم يوجف عليه بخيل و لا - ركاب فكانت خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

٢- و اما الاجابه على السؤال الثانى - و هو: هل كانت فذك خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟ فقد قال تعالى: (و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا - ركاب و لكن الله يسلط رسله على من يشاء و الله على كل شىء قدير، ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب، و لكن الله يسلط رسله على من يشاء و الله على كل شىء قدير، ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل) (١).

قوله تعالى: «أفاء الله» أى: ردّ الله ما كان للمشركين على رسوله بتمليك الله إياه، «منهم» أى من اليهود الذين أجلاهم.

«فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب» أو جف خيله أى أزعجه فى

السير، و الركاب هنا- الإبل، و المعنى ما استوليتم على تلك الأموال بخيولكم أى ما ركبتم خيولكم و إبلكم لأجل الاستيلاء عليها.

«و لكن الله يسلط رسله على من يشاء» أى يمكن الله رسله من عدوهم من غير قتال، بأن يقذف الرعب فى قلوبهم، فجعل الله أموال بنى النضير لرسوله خالصه يفعل بها ما يشاء، و ليست من قبيل الغنائم التى توزع على المقاتلين.

«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» أى من أموال كفار أهل القرى «فله» «و للرسول» أى جعل تلك الأموال ملكاً لرسوله «و لذى القربى» يعنى قرابه النبى «و اليتامى و المساكين و ابن السبيل» من القربى.

روى الطبرسى عن ابن عباس قال: نزل قوله: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى...» فى أموال كفار أهل القرى، و هم بنو قريظه و بنو النضير و هما بالمدينه و فدك و هى من المدينه على ثلاثه أميال، و خير و قرى عرينه و ينبع جعلها الله لرسوله، يحكم فيها ما أراد، و أخبر أنها كلها له، فقال أناس: فهلاً قسّمها؟ فنزلت الآية.

و قد مر عليك كلام الحموى فى معجم البلدان حول فدك أنها مما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب فكانت خالصه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و اما الاجابه على السؤال الثالث، فقد مرّ عليك ما ذكره المحدثون فى تفسير قوله تعالى: «و آت ذا القربى حقه» إن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أعطى فاطماً فدكاً.

و هاك مزيداً من الأدله حول الموضوع تأكيداً لهذا البحث:

ذكر ابن حجر فى الصواعق المحرقة، و الشيخ السمهودى فى تاريخ المدينه أن عمر قال: إني أحدثكم عن هذا الأمر: إن الله خصّ نبيه فى هذا

الفى ء بشى ء لم يعطه أحداً غيره فقال: «ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير» فكانت هذه خالصه لرسول الله... الى آخره.

إذا: فالمستفاد من مجموع الآيات والروايات أن فدك كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خالصه، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى فاطمه فدكاً بعنوان النحلة والعطية بأمر الله تعالى حيث أمره بقوله: «وآت ذا القربى حقه».

والجواب على السؤال الرابع ياتيكم بعد قليل.

٥- واما الاجابه على السؤال الخامس: فيستفاد من تصريحات المؤرخين والمحدثين أن السيدة فاطمه الزهراء كانت تتصرف في فدك، وأن فدك كانت في يدها.

فمنها تصريح الإمام أمير المؤمنين بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب الذى أرسله إلى عثمان بن حنيف وهو عامله على البصرة فإنه ذكر فيه «... بلى كانت في أيدينا فدك، من كل ما أظلت السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله... الى آخره (١)».

و ذكر ابن حجر في (الصواعق المحرقة) في الباب الثانى: إن أبا بكر انتزع من فاطمه فدكا... الى آخر كلامه.

و معنى كلام ابن حجر أن فدك كانت في يد الزهراء (عليها السلام) من عهد أبيها الرسول فانتزعها أبو بكر منها.

وقد روى العلامة المجلسى عن كتاب (الخراج): فلما دخل رسول

ص: ٢٨٢

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة - بعد استيلائه على فدك - دخل على فاطمه (عليها السلام) فقال: يا بني إن الله قد أفاء أبيضك على أبيضك بفدك، واختصه بها، فهي له خاصة دون المسلمين، أفعّل بها ما أشاء، وإنه قد كان لأُمّك خديجه على أبيضك مهر، وإن أباك قد جعلها لك بذلك، وأنكحها لك ولولدك بعدك.

قال: فدعا بأديم و دعا بعلى بن أبى طالب فقال: أكتب لفاطمه بفدك نحله من رسول الله.

فشهد على ذلك على بن أبى طالب و مولى لرسول الله و أم أيمن.

و لما توفى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و استولى أبوبكر على منصبه الحكم و مضت عشره أيام. و استقام له الأمر بعث إلى فدك من أخرج و كيل فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

كانت فدك للسيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) من ثلاثه وجوه:

الوجه الأول: أنها كانت ذات اليد، أى كانت متصرفه فى فدك، فلا يجوز انتزاع فدك من يدها إلا بالدليل و البينه، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «البينه على المدعى، و اليمين على من أنكر» و ما كان على السيدة فاطمه أن تقيم البينه لأنها ذات اليد.

الوجه الثانى: أنها كانت تملك فدك بالنحله و العطيه و الهبه من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الوجه الثالث: أنها كانت تستحق فدك بالإرث من أبيها الرسول.

و لكن القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثه، فقد طالبوها بالبينه، و طالبوها بالشهود على النحله، و أنكروا و راثه الأنبياء.

و بإمكان السيدة فاطمه أن تطالب بحققها بكل وجه من هذه الوجوه.

و لهذا طالبت بفدك عن طريق النحلة أولاً، ثم طالبت بها عن طريق الإبرث ثانياً كما صرّح بذلك الحلبي في سيرته ج ٣ ص ٣٩ قال: إن فاطمه أتت أبابكر بعد وفاه رسول الله (ص) وقالت: إن فدك نحله أبي، أعطانيها حال حياته. و أنكر عليها أبوبكر و قال: أريد بذلك شهوداً فشهد لها علي، فطلب شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن فقال لها: أبرجل و امرأه تستحقينها؟

و ذكر الطبرسي في الاحتجاج: فجاءت فاطمه (عليها السلام) إلى أبي بكر ثم قالت: لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله؟ و أخرجت و كيلى من فدك و قد جعلها لى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بأمر الله تعالى؟

فقال: هاتى على ذلك بشهود، فجاءت أم أيمن فقالت: لا أشهد يا أبابكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أنشدك بالله أأنت تعلم أن رسول الله قال: أم أيمن امرأه من أهل الجنة؟

فقال: بلى.

قالت: فاشهد أن الله (عز و جل) أوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «و آت ذا القربى حقه» فجعل فدك لها طعمه بأمر الله تعالى.

فجاء علي (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً و دفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال: إن فاطمه ادّعت في فدك و شهدت لها أم أيمن و علي، فكتبته لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمه، فتفل فيه فمزقه، فخرجت فاطمه (عليها السلام) تبكى.

و فى سيره الحلبي ج ٣ ص ٣٩١ أن عمر أخذ الكتاب فشقه.

ص: ٢٨٤

و روى عن الامام الصادق (عليه السلام) ان السیده فاطمه (عليه السلام) جاءت الى أبى بكر - بامر من الامام اميرالمومنين (عليه السلام) - و قالت له: ادعيت مجلس أبى و انك خليفه، و جلست مجلسه، و لو كانت فدك لك و استوهبتها منك لوجب عليك ردها على.

فقال صدقت.

و دعا بكتاب فكتب فيه بارجاع فدك، فخرجت و الكتاب معها، فلقبها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذى معك؟

قالت: كتاب كتب لى ابوبكر برد فدك.

فقال: هلميه الى.

فابت ان تدفعه اليه، فرفسها برجله.. ثم لطمها، ثم اخذ الكتاب فخرقه (١).

فقالت: بقرت كتابى بقر الله بطنك (٢).

حوار ساخن بين الامام على و أبى بكر

نعود إلى ما ذكره الطبرسى قال: فلما كان بعد ذلك جاء على (عليه السلام) إلى أبى بكر و هو فى المسجد و حوله المهاجرون و الأنصار فقال: يا أبابكر لم منعت فاطمه ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قد مَلَكَته فى حياه رسول الله؟

فقال أبوبكر: هذا فى ء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها و إلا فلا حق لها فيها فيه!

ص: ٢٨٥

-
- ١ - ٢٦٩. الاختصاص للشيخ المفيد، الشافى للسيد المرتضى ص ٢٣٦ / تلخيص الشافى للطوسى ص ٤٨، و ذكر ابن حجر العسقلانى - فى لسان الميزان ج ١ ص ٢٦٨، و الذهبى فى ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٣٩: ان عمر رفس فاطمه...
 - ٢ - ٢٧٠. وفاه الصديقه الزهراء للمقرم ص ٧٨.

فقال عليّ: يا أبا بكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله في المسلمين؟

قال: لا.

قال (عليه السلام): فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه فأدّعت أنا فيه من تسأل البيه؟

قال: إياك أسأل.

قال (عليه السلام): فما بال فاطمه سألتها البيه على ما في يديها، وقد ملكته في حياه رسول الله و بعده، ولم تسأل المسلمين البيه على ما ادّعوها شهوداً كما سألتني على ما ادّعت عليهم؟؟

فسكت أبو بكر فقال: يا علي دعنا من كلامك، فإننا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلاّ فهي فيء للمسلمين، لا حقّ لك ولا لفاطمه فيه!!

فقال عليّ (عليه السلام): يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟

قال: نعم.

قال: أخبرني عن قول الله (عزّ و جلّ) «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا». فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟

قال: بل فيكم!

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بفاحشه ما كنت صانعاً بها؟

قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نساء المسلمين!!!

قال عليّ: كنت إذن عند الله من الكافرين!

قال: ولم؟

قال: لأنك رددت شهادة الله بالطهاره و قبلت شهاده الناس عليها،

كما رددت حكم الله و حكم رسوله أن جعل لها فذك و زعمت أنها فى ء للمسلمين و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): البينه على المدعى، و اليمين على من ادعى عليه.

قال: قدمدم الناس، و أنكر بعضهم بعضاً، و قالوا: صدق - و الله - على.

و قد روى العلامة فى كشكوله عن المفصل بن عمر عن أبى عبدالله (الصادق) (عليه السلام) روايه لا تخلو من فائده نذكرها بصورة موجزه قال:

لما قام أبوبكر بن أبى قحافه بالأمر نادى مناديه: من كان له عند رسول الله دين أو عده فليأتنى حتى أقضيه.

و جاء جابر بن عبدالله و جرير بن عبدالله البجلي، و ادعى كلُّ منهما على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فأنجز أبوبكر لهما.

فجاءت فاطمه إلى أبى بكر تطالب بفذك و الخمس و الفى ء فقال: هاتى بينه يا بنت رسول الله.

فاحتجت فاطمه (عليها السلام) بالآيات و قالت: قد صدقتم جابراً بن عبدالله و جرير بن عبدالله البجلي و لم تسألوهما البينه و بينتى فى كتاب الله. و أخيراً طالبوها بالشهود، فبعثت إلى على و الحسن و الحسين و أم أيمن و أسماء بنت عميس و كانت تحت أبى بكر (أى زوجه أبى بكر) و شهدوا لها بجميع ما قالت. فقالوا: أما على فزوجها، و أما الحسن و الحسين فابناها و أما أم أيمن فمولاتها، و أما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبى طالب فهى تشهد لبنى هاشم، و قد كانت تخدم فاطمه و كل هؤلاء يجرون إلى أنفسهم.

فقال عليّ: أما فاطمه فبضعه من رسول الله و من آذاها فقد آذى رسول الله، و من كذّبها فقد كذّب رسول الله.

و أما الحسن و الحسين فابنا رسول الله و سيدا شباب أهل الجنة، من كذّبهما فقد كذّب رسول الله، إذ كان أهل الجنة صادقين.

و أما أنا فقد قال رسول الله: أنت منى و أنا منك، و أنت أخى فى الدنيا و الآخرة، و الراد عليك هو الراد عليّ من أطاعك فقد أطاعنى، و من عصاك فقد عصانى.

و أما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله بالجنة، ودعى لأسماء بنت عميس و ذريتها. فقال عمر: أنتم كما و صفتهم به أنفسكم، و لكن شهادته الجارّ إلى نفسه لا- تقبل ل! فقال عليّ: إذا كنا نحن كما تعرفون و لا تنكرون و شهادتنا لأنفسنا لا تقبل و شهادته رسول الله لا- تقبل فإننا لله و إنا إليه راجعون، إذا ادّعينا لأنفسنا تسألنا البيّنه فما من معين يعين، و قد و ثبتم على سلطان الله و سلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بينه و لا حجه، و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

ثم قال لفاطمه: انصرفى حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين.

و لما رأت السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام) أن القوم أبطلوا شهودها الذين شهدوا لها بالنحله و لم تنجح مساعيها، جاءت تطالب حقها عن طريق الإرث، و اتخذت التدابير اللازمة لتقوم بأكبر حمله دعائيه واسع النطاق و هى تعلم أن السلطه لا تخضع للدليل الواضح و البرهان القاطع، فقد قال الشاعر: و آيه السيف تمحو آيه القلم.

و كل قوم تحكم فيهم الدكتاتوريه فإن المنطق فاشل و لا يجدى فائده.

و كل للسيدة فاطمه هدف آخر، و هو يتحقق قطعاً، و هدفها تسجيل مظلوميتها فى سجل التاريخ، و كشف الغطاء عن أعمال القوم و نواياهم، فقررت أن تذهب إلى المسجد و تخطب خطبه تتحقق بها أهدافها الحكيمه.

ص: ٢٨٩

السر في مطالبه فاطمه الزهرا بفدك

من الممكن ان يقال: ان السيده فاطمه الزهرا الزاهده عن الدنيا و الحياه ما الذى دعاها إلى هذه النهضه و إلى هذا السعى المتواصل و الجهود المستمره فى طلب حقوقها؟

و ما سبب هذا الإصرار و المتابعه بطلب فدك و الاهتمام بتلك الأراضى و النخيل مع ما كانت تتمتع به السيده فاطمه من علو النفس و سمو المقام؟

و ما الداعى إلى طلب الدنيا التى كانت أزهد عندهم من عفته عزز، و أحقر من عظم خنزير فى فم مجذوم، و أهون من جناح بعوضه؟

و ما الدافع بسيده نساء العالمين أن تتكلف هذا التكليف، و تتجشم هذه الصعوبات المجهده للمطالبه بأ راضيها و هى تعلم أن مساعيها تبوء بالفشل و أنها لا تستطيع التغلب على الموقف، و لا تتمكن من انتزاع تلك الأراضى من المغتصبين؟؟

هذه اسئله يمكن أن تتبادر إلى الأذهان حول الموضوع.

الجواب: أولاً: إن السلطه حينما صادرت أموال السيده فاطمه الزهراء و جعلتها فى ميزانيه الدوله (بالاصطلاح الحديث) كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت، أرادوا أن يحاربوا علياً محاربه اقتصاديه، أرادوا أن يكون على فقيراً حتى لا يلتفت الناس حوله، و لا يكون له شأن على الصعيد الاقتصادى، و هذه سياسه أراد المنافقون تنفيذها فى حق رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) حين قالوا: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا (١).

ثانياً: لم تكن أراضي فدك قليلة الإنتاج، ضئيلة الغلات بل كان لها وارد كثير يعبأ به، بل ذكر ابن أبي الحديد أن نخيلها كانت مثل نخيل الكوفة في زمان ابن أبي الحديد.

و ذكر الشيخ المجلسي عن كشف المحجّه أن وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنه، و في روايه أخرى سبعين ألف دينار و لعل هذا الاختلاف في واردها حسب اختلاف السنين.

و على كل تقدير فهذه ثروه طائله واسعه، لا يصح التغاضي عنها.

ثالثاً: إنها كانت تطالب (من وراء المطالبه بفدك) بالخلافه و السلطه لزوجها على بن أبي طالب، تلك السلطه العامه و الولايه الكبرى التي كانت لأبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي، مدرّس المدرسه الغريه ببغداد فقلت له: أكانت فاطمه صادقته؟

قال: نعم

قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدك و هي عنده صادقته؟

فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنّاً مع ناموسه و حرّمته و قله دعابته قال: لو أعطّاها اليوم فدك، بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافه و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار، و الموافقه بشيء، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقته فيما تدّعى، كائناً ما كان من غير حاجه إلى بينه و شهود.

ص: ٢٩١

رابعاً: الحق يُطلب ولا يُعطى، فلا بد للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه، لأنه حقه، حتى وإن كان مستغنياً عن ذلك المال وزاهداً فيه، وذلك لا ينافي الزهد وترك الدنيا، ولا ينبغي السكوت عن الحق.

خامساً: إن الإنسان وإن كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فإنه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه، ويحفظ به ماء وجهه ويصل به رحمه، ويصرفه في سبيل الله كما تقتضيه الحكمة.

أما ترى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أزهد الزهاد كيف انتفع بأموال خديجه في سبيل تقوية الإسلام؟ كما مرَّ كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) حول أموال خديجه.

سادساً: قد تقتضى الحكمة أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب، فإن الأمر لا يخلو من أحد وجهين:

إما أن يفوز الإنسان ويظفر بما يريد وهو المطلوب و به يتحقق هدفه من المطالبه.

و إما أن لا يفوز في مطالبته فلن يظفر بالمال، فهو إذ ذاك قد أبدى ظلامته، وأعلن للناس أنه مظلوم، وأن أمواله غصبت منه.

هذا و خاصه إذا كان الغاصب ممن يدعى الصلاح و الفلاح، و يتظاهر بالديانة و التقوى، فإن المظلوم يعرفه للأجيال أنه غير صادق فيما يدعى.

سابعاً: إن حملة المبادئ يتشبثون بشتى الوسائل الصحيحة لجلب القلوب إليهم، فهناك من يجلب القلوب بالمال أو بالأخلاق أو بالوعود و أشباه ذلك.

و لكن أفضل الوسائل لجلب القلوب (قلوب كافه الطبقات) هو التظلم و إظهار المظلوميه فإن القلوب تعطف على المظلوم كائناً من كان، و تسمثر من الظالم كائناً من كان.

و هذه خطه ناجحه و ناجعه لتحقيق أهداف حملة المبادئ الذين يريدون إيجاد الوعي فى النفوس عن طريق جلب القلوب إليهم.
و هناك أسباب و دواع أخرى لا مجال لذكرها.

لهذه الأسباب قامت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) و توجهت نحو مسجد أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لأجل المطالبه بحقها.

إنها لم تذهب إلى دار أبى بكر ليقع الحوار بينها و بينه فقط، بل اختارت المكان الأنسب و هو المركز الإسلامى يومذاك، و مجمع المسلمين حينذاك، و هو مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

كما و أنها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين و الأنصار و لم تخرج وحدها إلى المسجد، بل خرجت فى جماعه من النساء، و كأنها فى مسيره نسائيه، و قبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعه رسول الله و حبيبته، و علّقوا سترّاً لتجلس السيدة فاطمه خلف الستر، إذ هى فخر المخدرات و سيده المحجبات.

كانت هذه النقاط مهمه جداً، و استعداد أبوبكر لاستماع احتجاج سيده نساء العالمين، و ابنه أفصح من نطق بالضاد و أعلم امرأه فى العالم كله. خطبت السيدة فاطمه الزهراء خطبه ارتجاليه، منظمه، منسّقه، بعيدة عن الاضطراب فى الكلام، و متّزهة عن المغالطه و المراوغه، و التهريج و التشنيع.

بل و عن كل ما لا يلائم عظمتها و شخصيتها الفدّيه، و مكانتها الساميه.

و تُعتبر هذه الخطبه معجزه خالده للسيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام)

و آيه باهره تدل على جانب عظيم من ثقافته الدينيه التى كانت تتمتع هذه الصديقه

و أما الفصاحه و البلاغه، و حلاوه البيان، و عذوبه المنطق، و قوه الحجه، و متانه الدليل، و تنسيق الكلام، و إيراد أنواع الاستعاره بالكنايه، و علو المستوى، و التركيز على الهدف، و تنوع البحث، فالقلم وحده لا يستطيع استيعاب الوصف، بل لا بدّ من الاستعانه بذهن القارئ.

كانت السيده فاطمه مسلّحه بسلاح الحجّه الواضحه و البرهان القاطع، و الدليل القوى المقنع، و كان المسلمون الحاضرون فى المسجد ينتظرون كلامها، و يتلهّفون إلى نتيجه ذلك الحوار و الاحتجاج الذى لم يسبق له مثيل إلى ذلك اليوم.

جلست السيده فى المكان المعدّ لها خلف الستر، و لعل دخولها يومذاك كان لأول مره بعد وفاه أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم).

فلا عجب إذا هاجت بها الأحزان، و أنّت أنّه.

إننى أعجز عن التعبير عن تحليل تلك الأنّه، و مدى تأثيرها فى النفوس.

أنّه واحده فقط - بلا كلام - تهيج عواطف الناس، فيجهش القوم بالبكاء.

أنا ما أدري ما كانت تحمل تلك الأنّه من المعانى؟

و لماذا أجهش الناس بالبكاء؟

و هل الأنّه الواحده تُبكي العيون، و تُجرى الدموع و تُحرق القلوب؟

هذه ألغاز لا أعرف حلّها، و لعل غيرى يستطيع حلّ هذه الألغاز!!!

قبل ان تذكر خطبه الزهرا (عليها السلام) لا اباس ان تذكر رواه الخطبه و مصادرها من كتب الشيعة و اهل السنه، لنعلم مدى اهميه هذه الخطبه لدى اهل البيت (عليهم السلام) باعتبارها وثيقه تاريخيه تثبت مظلوميه اهل البيت (عليهم السلام) و مدى الاضطهاد و العنف و الكبت الذى قام به بعض الافراد تجاه اسره رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لا ندعى اننا استوعنا جميع المصادر، بل ذكرنا ما عثرنا عليه من الوثائق التاريخيه:

- ١- السيد المرتضى علم الهدى- المتوفى سنه ٤٣٦ هـ- فى كتاب الشافى، يروى هذه الخطبه باسناده عن عرويه عن عائشه.
- ٢- السيد ابن طاووس فى كتاب (الطرائف) باسناده عن الزهرى عن عائشه.
- ٣- الشيخ الصدوق باسناده عن زينب بنت على (عليهما السلام).
- ٤- و يروى بطريق آخر باسناده عن زيد بن على الشهيد عن عمته زينب بنت على عن امها فاطمه الزهراء (عليهم السلام).
- ٥- و هكذا يروى باسناده عن احمد بن محمد بن جابر عن زينب بنت على (عليهما السلام).
- ٦- ابن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغه يروى عن كتاب (السقيفه) تاليف احمد بن عبدالعزيز الجوهري باربعه طرق:

أ- باسناده عن رجال من اهل البيت عن زينب بنت علي (عليهما السلام).

ب- باسناده عن الامام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام).

ج- باسناده عن الامام الباقر محمد بن علي (عليه السلام).

د- باسناده عن عبدالله بن الحسن بن الحسن (عليه السلام).

٧- علي بن عيسى الاربلى فى كتابه (كشف الغمه) يروى عن كتاب (السقيفه) للجوهري.

٨- المسعودى فى (مروج الذهب) يشير الى هذه الخطبه.

٩- الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج).

١٠- احمد بن ابى طاهر فى كتاب (بلاغات النساء).

الى غير هؤلاء ممن يطول الكلام بذكرهم.

و اسناد هذه الخطبه الى السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) من الامور المسلمه عند اهل العلم من المؤرخين و غيرهم.

و نقل ابن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغه عن السيد المرتضى انه قال: و اخبرنا ابو عبدالله المرزبانى عن على بن هرون عن عبيدالله بن احمد عن ابيه قال ذكرت لابي الحسين زيد (الشهيد) بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب (عليهم السلام) كلام فاطمه عند منع ابى بكر اياها فدك و قلت له: ان هؤلاء يزعمون انه مصنوع و انه من كلام ابى العيناء، لان الكلام منسوق البلاغه.

فقال لى: رايت مشائخ آل ابى طالب يروونه عن آبائهم، و يعلمونه اولادهم، و قد حدثنى ابى عن جدى يبلغ بها فاطمه على هذه الحكايه، و قد رواه مشائخ الشيعة و تدارسوه قبل ان يوجد جد ابى العيناء.

و قد حدث الحسين بن علوان عن عطيه العوفى انه سمع عبدالله بن

الحسن بن الحسن يذكر عن ابيه هذا الكلام ثم قال ابوالحسين زيد: و كيف ينكرون هذا من كلام فاطمه و هم يروون من كلام عائشه عند موت ابيها

ما هو اعجب من كلام فاطمه و يحققونه؟ لو لا عداوتهم لنا اهل البيت!!

هذا بعض ما ظفر به من المصادر لخطبه سيده النساء، و لعل غيرنا من الباحثين يجد المزيد من المصادر لهذه الخطبه.

ص: ٢٩٧

اختارت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) لخطبتها هذا الأسلوب للبدايه و النهايه

إنها لم تكتف بالتركيز على مطالبه حقها فقط، بل انتهزت الفرصه لتفجر للمسلمين عيون المعارف الإلهيه، و تكشف لهم محاسن الدين الإسلامى، و تبين لهم علل الشرائع و الأحكام و ضمناً تهيب الجو لكلامها المقصود و هدفها المطلوب.

و هذه رؤوس أقلام الخطبه و مواضيعها:

الحمد و الثناء على الله.

التوحيد الاستدلالي.

النبوه.

التحدث عن العهد الجاهلى.

إنجازات الرسول.

توجيه الخطاب إلى الحاضرين.

التحدث عن القرآن.

بيان علل الشرائع و فلسفه الإسلام.

الدخول فى صميم الموضوع.

حوادث فتره الرساله.

موقف زوجها العظيم من تلك الأحداث.

بيان انقلاب الحكم ضد آل الرسول.

بيان تخاذل المسلمين تجاه أهل البيت

توجيه الخطاب إلى رئيس الدولة حول الإرث.

إقامه الأدله و البراهين.

توجيه العتاب إلى الأنصار و توبيخهم.

جواب رئيس الدولة.

تزييف كلامه و تفنيد مغالطاته.

اعتذار رئيس الدولة.

توجيه الخطاب إلى الحاضرين.

شكوى إلى رسول الله.

و سوف نذكر الخطبه فى الخطبه فى حلقات يتخللها شرح موجزها.

ص: ٢٩٩

روى عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه، أنه لما أجمع أبوبكر على منع فاطمه فذك، و بلغها ذلك.

لاثت خمارها على رأسها (١). و اشتملت بجلبابها.

و أقبلت في لمه من حفدتها و نساء قومها (٢).

تطأ ذيلها (٣).

ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (٤).

حتى دخلت على أبي بكر.

و هو في حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم (٥) فنيطت دونها ملاء (٦).

فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم بالبكاء فارتج المجلس ثم أمهلت هنيهة (٧) حتى إذا سكن نشيج القوم و هدأت فورتهم (٨).

ص: ٣٠٠

١- ٢٧٢. لاثت: شدت و الخمار: ثوب يغطي به الرأس.

٢- ٢٧٣. الله -بضم اللام و تخفيف الميم -: الجماعة، الحفده، الخدم.

٣- ٢٧٤. كناية عن شدة التستر.

٤- ٢٧٥. ما تنقص مشيتها عن مشيه أبيها من حيث الوقار و الكفيه.

٥- ٢٧٦. الحشد: الجماعة.

٦- ٢٧٧. نيطة: علقت و الملاء: الأزار و الثوب اللين الرقيق.

٧- ٢٧٨. و في شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٢١١: ثم أمهلت طويلاً.

٨- ٢٧٩. النشيج: صوت البكاء مع التوجع. و الفوره: الشده.

افتتحت الكلام بحمد الله و الثناء عليه، و الصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها.

فقلت (عليها السلام):

الحمد لله على ما أنعم.

و له الشكر على ما ألهم.

و الثناء بما قدّم.

من عموم نعم ابتداها.

و سبوغ آلاء أسداها (١).

و تمام منن و الاها.

جمّ عن الإحصاء عدّها (٢).

و نأى عن الجزاء أمدّها (٣).

و تفاوت عن الإدراك أبدّها.

و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها (٤).

و استحمد إلى الخلائق بإجزالها.

و ثنى بالندب إلى أمثالها (٥).

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

كلمة جعل الإخلاص تأويلها.

و ضمّن القلوب موصولها (٦).

ص: ٣٠١

١- ٢٨٠. سبوغ النعم: اتساعها.

٢- ٢٨١. جم: كثر.

۳- ۲۸۲. نای: بعد، و هکذا تفاوت.

۴- ۲۸۳. ندبهم: دعاهم و الاستتراده: طلب زیاده الشکر. و هکذا استحمد.

۵- ۲۸۴. ثنی بالندب: ای کما انه ندبهم لاستزادهم کذاکک ندبهم الی امثالها من موجبات الثواب.

۶- ۲۸۵. جعل القلوب محتویه لمعنی کلمها التوحید.

و أنار فى التفكير معقولها.

الممتنع من الأبصار رؤيته.

و من الألسن صفته.

ومن الأوهام كيفيته.

ابتدع الأشياء لا من شىء كان قبلها (١).

و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلها (٢).

كوّنها بقدرته، و ذراها بمشيئته (٣).

من غير حاجه منه إلى تكوينها.

و لا فائده فى تصويرها.

إلا تثبيتاً لحكمته و تنبيهاً على طاعته.

و إظهاراً لقدرته، و تعبّداً لبريته.

و إعزازاً لدعوته.

ثم جعل الثواب على طاعته.

و وضع العقاب على معصيته.

زياده لعباده من نعمته (٤).

و حياشه لهم إلى جنته (٥).

و أشهد أن أبى محمداً عبده و رسوله.

اختاره و انتجبه قبل أن اجتبله (٦).

ص: ٣٠٢

۲- ۲۸۷. الاحتذاء: الاقتداء. و حذو النعل بالنعل ای قطع النعل على مثال النعل و قدرها.

۳- ۲۸۸. ذراها: خلقها.

۴- ۲۸۹. زیاده: منعا.

۵- ۲۹۰. حياشه لهم: سوفهم.

۶- ۲۹۱. اجتبله: فطره.

و اصطفاه قبل أن ابتعثه.

إذ الخلائق بالغيب مكنونه.

و بستر الأهاويل مصونه.

و بنهايه العدم مقرونه.

علماً من الله تعالى بمآثل الأمور (١).

و إحاطه بحوادث الدهور.

و معرفه بمواقع المقدور.

ابتعثه الله إتماماً لأمره.

و عزيمة على إمضاء حكمه.

و إنفاذاً لمقادير حتمه.

فرأى الأمم فرقا في أديانها.

عكفاً على نيرانها.

و عابده لأوثانها.

منكره لله مع عرفانها.

فأنار الله بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ظلمها (٢).

و كشف عن القلوب بهمها (٣).

و جلى عن الأبصار غممها (٤).

و قام في الناس بالهدايه.

و أنقذهم من الغوايه.

- ١- ٢٩٢. المائل: جمع مآل- اى المرجع.
- ٢- ٢٩٣. ظلم: جمع ظلمه.
- ٣- ٢٩٤. البهم: جمع بهمه و هى مشكلات الامور.
- ٤- ٢٩٥. الغمم- جمع غمه- الشىء الملتبس المستور.

و بصّرهم من العمايه.

و هداهم إلى الدين القويم.

و دعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفه و اختيار. و رغبه و إثار.

فمحمّد (صلى الله عليه و آله و سلم) من تعب هذه الدار فى راحه.

قد حفّ بالملائكه الأبرار.

و رضوان الرب الغفّار.

و مجاوره الملك الجبّار.

صلى الله على أبى.

نبیه، و أمينه على الوحى و صفیه.

و خيرته من الخلق و رضیه.

و السلام عليه و رحمہ الله و بركاته.

ص: ٣٠٤

الحمد لله على ما أنعم» إن شكر المنعم واجب شرعاً و عقلاً و عرفاً، يستحق الحمد على ما أنعم الظاهريه كالحياه و الصحه و نحوها.

«و له الشكر على ما ألهم» من النعم الباطنيه، كالعلم و المعرفه، و الغرائز التى ألهم الإنسان و غير الإنسان إيّاها، فإن الإلهام إلقاء فى القلب و النفس كالتلقين، و هو تعليم على وجه لا سبيل لأحد للوقوف عليه.

«و الثناء بما قدّم» لله تعالى نعم قد أخرها إلى الدار الآخره، و هى الجنه و نعميها و غير ذلك و لله تعالى نعم قد قدّمها فى هذه الدنيا، قدّمها على بقيه النعم، و إليك بعض التفصيل:

«من عموم نعم ابتداها» النعم العامه التى ابتداها الله تعالى كالماء و الهواء و التراب و النار، و قبلها نعمه الإيجاد و الخلق، و النعم الابتدائيه كالجاذبيه فى الأرض، و المسافه المعينه المحدوده بين الأرض و القمر، و بين الأرض و الشمس و الغطاء الجوى المحيط بالكره الأرضيه المسمى بالطبقه التتروجينيه، و غير ذلك ممّا علم به البشر و ما لم يعلمه، ابتداها الله قبل أن يستحقها البشر.

«و سبوغ آلاء أسداها» الآلاء السابغه أى النعم الشامله الكامله التامه، و أسداها: أعطائها، كنعمه الأعضاء و الجوارح و المشاعر و المدارك التى يشعر و يدرك بها الإنسان و غير الإنسان.

«و تمام منن و الاها» المنن: جمع منّ. و هى النعمه و العطيّه و الإحسان،

و ليس المقصود- هنا- المنة بمعنى المنّ و هو عدّ الإحسان الذى نهى الله تعالى عنه بقوله: «وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» و قال: «و لا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى» و والاها من الموالاة و هى المتابعة فى الإعطاء، أى نعمه بعد نعمه، فالنعم الإلهيه متواصله متواتره.

«جم عن الاحصاء عددها» اى كثرت نعم الله سبحانه، فعجز الناس عن احصائها و عدّها، كما قال سبحانه: «و ان تعدوا نعمه الله لا تحصوها».

«و نأى عن الجزاء امدّها» الامد: الغايه و منتهى الشىء، فلعل المعنى: ان الانسان لا يستطيع ان يجارى ربه على نعمه و اياديه.

«و نأى عن الجزاء امدّها» الامد: الغايه و منتهى الشىء، فلعل المعنى: ان الانسان لا يستطيع ان يجازى ربه على نعمه و اياديه.

«و تفاوت عن الادراك ابدّها» كذلك لا يملكن للانسان ان يدرك النعم الالهيه. «و نديهم لا سترادتها بالشكر لا اتصالها» ان الشكر يوجب زياده النعمه و دوامها و اتصالها، كما قال سبحانه: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

«و استحمد الى الخلائق باجزالها» كذلك الحمد يوجب المزيد من الخيرات و البركات الالهيه.

«و ثنى بالندب الى امثالها» اى: انه تعالى ندب عباده و دعاهم الى الاستزاده من موجبات الخير والرحمه، كالانفاق فى سبيل الله و العطف

«و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمه جعل الإخلاص تأويلها» المقصود أن كلمه: (لا إله إلا الله) يعود معناها إلى الإخلاص، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «و كمال توحيد الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه» فقد قيل: إن المقصود من الإخلاص هو جعله خالصاً من النقائص كالجسم و العرض، و ما شاكلهما من النقائص، و كمال الإخلاص له نفى الصفات، أى الصفات الزائده على ذاته لأن كل موجود متصف بصفه، و صفته غير ذاته، فالإنسان غير العلم، و العلم

غير الإنسان و لكن الله تعالى علمه عين ذاته، و بقيه صفاته كلها عين ذاته، و لهذا الموضوع بحث مفصل عند العلماء مذكور فى الكتب الكلاميه.

«و ضَمَّنَ القلوب موصولها» أى إن الله تعالى ألزم القلوب المعنى الذى تصل إليه كلمه (لا- إله إلا- الله) و هو معنى التوحيد الفطرى، أى جعل القلوب على هذه الفطره، قال تعالى: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» و الفطره: المله، و هى الدين الإسلام و التوحيد، و هى التى خلق الناس عليها و لها و بها، و معنى ذلك أن الله تعالى خلقهم و ركبهم و صوّرهم على وجه يدل على أن لهم صانعاً قادراً عالماً حياً قديماً واحداً، لا يشبه شيئاً، و لا يشبهه شىء.

«و أنا فى الفكر معقولها» أى بسبب التفكير و التعقل أوضح الله المعنى الذى يوصل إليه بعد التدبر و التعمق، أى معنى كلمه التوحيد، و المقصود منه التوحيد النظرى، و قد مضى الكلام عن التوحيد الفطرى، و معنى التوحيد النظرى: التفكير فى الدلائل و البينات، و النظر فى الآيات فى الآفاق و فى أنفسهم.

«الممتنع عن الأبصار رؤيته» حيث أن الله تعالى ليس بجسم، و لا- جوهر و لا- عرض، و العين لا تدرك و لا ترى إلا الأجسام و الأ-عراض، و هى الأمور التى تعرض الجسم، كالألوان و الطول و العرض و ما شابه ذلك، و بما أن الإدراك بالبصر إنما يتحقق بانعكاس صور المرئى فى عدسه العين، أو اتصال أشعه العين إلى ذلك الشىء المرئى، و حيث أن الله تعالى ليس بجسم فلا يمكن انعكاسه فى العين، و لهذا من المستحيل أن تدركه العيون و لا يمكن لأى موجود أن يرى الله تعالى و يدركه بالعين، لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، كما قال تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» و قال سبحانه «لن ترانى» و «لن» لنفى الابد. و ليس هذا الامتناع خاصاً بالرؤيه، بل بجميع الحواس الظاهره كالسامعه و الشامه و الذائقه و اللامسه.

و من المؤسف جداً أن بعض طوائف المسلمين يعتقدون أن الله تعالى جسم، و يصرّحون بهذا الاعتقاد الفاسد الساقط عبر الإذاعات، رافعين أصواتهم: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا و هو راكب على حمار!!

و ليس هذا ببعيد من طائفة أصول دينهم و فروعه محمول على أكتاف رجل يصفونه بالكذب و التزوير و التلاعب، و اختلاق الروايات و إسنادها إلى رسول الله و غيره، و يكتبون أن عمر بن الخطاب ضربه بالدرّة و منعه عن الحديث لكثرة الأكاذيب التي كان يخلّقها و يصوغها في بوتقه الدجل و التزوير.

و سمعت أيضاً من بعض مدّعى العلم - عبر الإذاعة -: أن الرسول رأى ربه ليلة المعراج رؤيه عين.

يا للكفر، يا للإلحاد، يا للزندقة، يا للجهل.

القرآن يقول: لا تدركه الأبصار، و الجاهل يقولون: تدركه الأبصار، يتركون كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و يخأخذون بقول مخلوق إن لم نقل إنه كذاب فهو جاهل يخطئ و يصيب.

و إذا كان بعض المسلمين يجهلون أو ينحرفون عن التوحيد - الذي هو أصل الدين - فكيف بالنبوه و الإمامه و المعاد؟

و كيف بفروع الدين و الأحكام الفقهيه و الأمور الدينيه و القضايا الشرعيه؟

«و من الألسن صفته» أى لا- يمكن و صف الله تعالى كما لا يمكن رؤيته، و كيف يستطيع الإنسان أن يصف شيئاً لم يره، و لم يحيط به إحاطه؟! كما قال على (عليه السلام): «ليس لصفته حد محدود، و لا نعت

موجود» لأن صفائه عين ذاته، فكما إنه لا يمكن إدراك ذاته كذلك لا يمكن إدراك صفاته التي هي عين ذاته.

«و من الأوهام كيفيته» إن الله تعالى جعل للإنسان قوى باطنية، و هي الحواس الخمس الباطنية، و هي الذاكره و الحافظه و الواهمه و المفكره و الحس المشترك و الواهمه هي القوه التي تدرك بها الأشياء الجزئية، كأن يتصور الإنسان امرأه جميله، أو قصرأً شاهقاً أو حديقته غناء، أو ما شابه، و كل ما تصوّره الإنسان أو توهمه فهو مخلوق، و لا يستطيع الإنسان أن يتصور الخالق تصوّراً صحيحاً حقيقياً، أى لا يستطيع أن يعلم كيف هو؟ و هو تعالى لا يكتيف بكيف؟ أى لا يمكن تصوّر الكيفيه فى ذاته.

«ابتدع الأشياء لا من شىء كان قبلها» أى خلق الله الكائنات لا من ماده، أى أوجدها و ما كانت موجوده.

و يقول الماديون: لا يمكن أن يوجد شىء إلا من ماده، و الماده أصل الأشياء.

فإذا سألتهم: و الماده من أى شىء وجدت؟ و أين وجدت؟ و من أوجدها؟ تراهم يسكتون و لا يحIRON جواباً، لأنهما إذا قالوا: إن الماده وجدت من غير ماده. قلنا لهم: فما المانع أو توجد الموجودات الأخرى من غير ماده؟ و إذا قالوا: إن الماده وجدت من ماده أخرى نسألهم: الماده الأخرى من أى شىء وجدت؟ و هكذا و هلمّ جراً.

فالاعتقاد بأن الله تعالى خلق الأشياء لا من شىء أفضل و أسلم من نظريات الماديين.

«و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلها» أو جد الله تعالى الأشياء لا من ماده و لا من شىء بلا اقتداء بأحد فى تصويرها.

انظر إلى الاختراعات الحديثه إنما اقتدى مخترعوها بأشياء أخرى، صنعوا الطائر حينما نظروا إلى الطيور و كيفيه طيرانها، و كيف
تلتصق رجلها إلى بطنها وقت الطيران، و ترسل رجلها حين الهبوط.

و صنعوا الغواصه البحريه حينما نظروا إلى السمكه تغوص فى الماء متى شاءت، و تطفو على الماء متى أرادت.

و هكذا التطورات فى المصانع و المعامل كلها من احتذاء أمثالها، و الاقتداء بأشباهاها و لكن الله تعالى أو جد الكائنات بلا احتذاء
و لا اقتداء و لا اتباع بموجودات أخرى مماثله و مشابهه لتلك الكائنات.

«كونها بقدرته» أوجد الله تعالى الأشياء بقدرته الجامعه الكامله، بدون مشاركه من أحد، بقدرته و قوته و تمكنه على الإيجاد و
التكوين، لا باستعمال الأدوات و الآلات.

«و ذراها بمشيئته» أى خلقها بإرادته دون قوله: و حسب إرادته فى الكيفيه و الصوره و الشكل و الهيئه و العدد، و بقيه
الخصوصيات، خلقها بمشيئته بلا إجبار، و بإرادته التى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

و قد جاء فى دعاء الامام زين العابدين (عليه السلام): «... و مضت على ارادتك الاشياء، فهى بمشيئتك - دون قولك - موتمره، و
بارادتك - دون نهيك - منزجره...». «من غير حاجه منه إلى تكوينها» أى إن الله تعالى خلق الكائنات بلا حاجه منه إلى إيجادها
و تكوينها مثل أن يستأنس بهم، أو يستعين بهم فى الأمور، فله تعالى الكمال الكامل بجميع معنى الكلمه، و لا طريق للاحتياج
إلى ذاته المقدسه.

«و لا فائده له فى تصويرها» أى لم تكن لله تعالى فائده فى إحداث

تلك الصور و الأشكال و الهيئات، فإذا نفينا الحاجه و الفائده فى التكوين و التصوير ينبغى أن نعلم السبب فى ذلك، لأن الفعل بلا سبب لغو، و تعالى الله عن ذلك.

«إلا تثبتاً لحكمته» و فى نسخه (تبييناً) و على كل تقدير، فالمعنى أن المقصود من الإنشاء و التكوين و الإيجاد هو إظهار الحكمة الإلهيه، و هو تعالى يعلم تلك الحكمة البالغه التى اقتضت إيجاد الكائنات، و لعل من تلك الحكمة إن الله تعالى خلق الكائنات لكى يعرف.

«و تنبيهاً على طاعته» أى خلق الخلائق. كى يتبهم على وجوب طاعته، و الانقياد لأوامره، لقوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» و الإطاعه و العباده إنما تحصل بعد المعرفه و ما قيمه العباده بغير معرفه؟ و ما قيمه المعرفه بدون إطاعه و عباده؟

«و إظهاراً لقدرته» قدره الله تعالى كانت موجوده، و إنما أراد إظهار شىء من قدرته فخلق الجمادات و النباتات و الحيوانات و الإنسان، و أودع فى كل واحد من هذه الموجودات آيات من القدره، فخلق الكواكب و المجرات، و الأفلاك و السماوات، و خلق الكريات الحمر و البيض فى الدم، و خلق الذره و جعل لها قوائم، إلى غير ذلك مما يطول الكلام بذكره.

و ملخص القول: إن كل موجود من الموجودات تتجلى و تظهر فيه قدره الله على الإبداع.

«و تعبداً لبريته» خلق الله الموجودات كى ينقادوا لأوامره، و ينزجروا عن نواهيه، و العباده هى الانقياد و الطاعه.

«و إعزازاً لدعوته» أى خلق الله الأشياء لتكون تقويه للبراهين و الحجج التى يستدل بها الداعون إلى الله تعالى من الأنبياء و غيرهم.

(ثم جعل الثواب على طاعته) الإنسان لا يندفع نحو العمل إلا بدافعين: دافع الرغبة و هو الطمع لجلب الخير، و دافع الرهبة و هو الخوف من المكروه، فالتاجر يتجر طلباً للمنافع و خوفاً من الفقر، و الطالب يتعلم و يدرس طلباً للثقافه أو الوظيفه، و هرباً من الجهل الذى يحول بينه و بين الصعود إلى مدارج الكمال.

و الإنسان لا ينقاد و لا يطمع إلا طمعاً فى الأجر و الثواب، و خوفاً من العذاب و العقاب.

و انطلاقاً من هذه الحكمة جعل الله الثواب و هو الأجر مع التقدير و الاحترام جزاء للطاعة و الانقياد.

«و وضع العقاب على معصيته» أى جعل قانون العقوبه للعاصين، المخالفين لأوامره المتجاوزين لأحكامه.

لماذا؟

«زيادة لعباده من نعمته» وضع الله تعالى قانون العقوبه لفى الدنيا،و العذاب فى الاخره لاجل ردع العباد و منعهم عن ارتكاب الأعمال التى توجب نعمته أى عقوبته.

«و حياشاً لهم إلى جنته» أى جعل الثواب و العقاب لمنع العباد عن المعاصى، و سوقهم إلى طريق الجنة، أى الأعمال التى يستحق الإنسان بها الجنة، و قد مرّ معنى الحياشه فى شرح الكلمات.

«و أشهد أن محمداً عبده و رسوله» أفترت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) بالشهادتين بعد أن شرحت كلامها شرحاً كافياً حول التوحيد، فانتقلت إلى ذكر النبوه و ما يدور فى هذا الفلك، فاعترفت لأبيها- أولاً- بالعبوديه الكامله أى الانقياد و الخضوع لله تعالى، و هى درجه يبلغها الإنسان باختياره مع العلم أن النبوه مرتبه تحصل للنبي بغير سعى

ص: ٣١٢

ثم اعترفت له بالرساله، أى إنه نبى مرسل من عندالله تعالى إلى الخلائق بشريعه سماويه.

و من المؤسف أن كلمه (الرساله) صارت تستعمل - فى زماننا- فى كل مبدأ حق أو باطل، و فى كل فكره صحيحه أو سقيمه.

«اختاره و انتجبه قبل أن أرسله» انتقاه الله من أهل العالم كما ينتقى أحدا الفرد الكامل الممتاز من أفراد عديده، فالفاكهه الواحده نختارها من مئات أمثالها بعد أن نرى فيها المزايا المتوفره المستجمعه فيها، المفقوده فى غيرها، من حيث الحجم و اللون و النضج و الطعم و النوع و ما شابه ذلك.

و هكذا اختار الله محمدا (صلّى الله عليه و آله و سلم) قبل أن يرسله، أى إن أهليه الرسول- و استحقاقه لهذا المنصب الخطير و هو النبوه- كانت ثابتة و معلومه عندالله تعالى قبل أن ينزل الرسول إلى ساحه العمل و الجهاد و الدعوه إلى الله، و ما كانت- هناك- حاجه للاختبار و الامتحان حتى تظهر مواهبه و استعدادده و تقبله للمسؤوليه، بل كان الله يعلم كفاءه الرسول لهذا العبء الثقيل.

«و سَمَّاه قبل أن اجتباه» أى سماه الله محمداً قبل أن يخلقه أو سَمَّاه (كالخطيبه)يقال فى حقها: (سَمَّيت لفلان) أى تقرّر تزويجها من فلان، فالمعنى- و لا مناقشه فى الأمثال- أن الله تعالى قد قرّر فى سابق علمه أن يكون محمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) رسول الله، أو سَمَّاه الله لأنبيائه قبل أن يخلقه.

«و اصطفاه قبل أن ابتعته» أى اختاره الله تعالى قبل أن يرسله نبياً.

«إذ الخلائق بالغيب مكنونه» إن الله تعالى اصطفى محمداً و اختاره و اجتباه فى الوقت الذى كانت الخلائق و هم الناس غير موجودين، بل كانوا فى الغيب مخفين مستورين، أى كانوا فى علم غيب الله، و ما كان

لهم وجود فى الخارج بحيث ما كان يمكن إدراكهم.

«و بستر الأهوايل مصونه» هذه الجملة تفسير لما قبلها، و الأهوايل: جمع أهوال و هى جمع هول، و هو الخوف و الأمر الشديد و المقصود: وحشه ظلمات الغيب.

«و بنهايه العدم مقرونه» نهايه الشئ ء حدوده و آخره، و المقصود أن الخلاق كانت بعيده عن الوجود أى كانت معدومه.

«علماً من الله بمآئل الأمور» من ذلك الوقت اختار الله محمداً (صلّى الله عليه و آله و سلم) بسب علمه بعواقب الأمور و ما ترجع إليه الأمور، كان الله يعلم عواقب البشر، و عواقب حالاتهم و شؤونهم، و عواقب رساله النبى و بعثته، و مواهبه و كفاءته للرساله بسبب اتصافه بالأخلاق الحميده و الصفات الجميله، و لهذا اختاره للرساله من ذلك الوقت.

و قد صرحت أحاديث كثيره جداً مرويه عن رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم): أن أول ما خلق الله نور محمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) و هكذا قوله (صلّى الله عليه و آله و سلم): إن الله خلق نورى و نور على قبل أن يخلق آدم أو قبل أن يخلق السماوات و الأرض باثنتى عشر ألف سنه أو أربعة و عشرين ألف سنه، و غيرها من الروايات الوارده فى الكتب المعبره.

«و إحاطه بحوادث الأمور» و بسبب إدراكه تعالى جميع ما يدرك من الوقائع التى تحدث و تتجدد على مر الأعوام و القرون.

«و معرفه بمواقع المقدور» و بسبب معرفته بأزمته الأمور و أمكنتها التى قضاها، و المصالح التى رآها تعالى.

«ابتعثه الله إتماماً لأمره» بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) إتماماً للحكمة التي خلق الله الأشياء لأجلها، ولعل المقصود هو ختم النبوة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

«و عزيمه على إمضاء حكمه» وإرادته قويه أكيدته لإنفاذ حكمه وقضائه، وتقديره في خلقه.

«و إنفاذاً لمقادير حتمه» وإجراء لمقدورات الواجب التي لا يمكن إسقاطها، وهي المقادير المحتومه التي لا تتغير ولا تتبدل.

و هنا نتحدث السيدة فاطمة الزهراء عن الحياه الدينيه و التفسخ العقائدى فى ذلك العهد:

«فرأى الأعمم فرقاً فى أديانها» رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل الأرض على أديان متفرقه، من يهود و نصارى و مجوس، و صابئه و ملاحده و زنادقه.

«عُكِّفًا على نيرانها» ملازمه على عباده النار، و مواظبه عليها، و هم المجوس الذين كانوا يقدسون النار إلى حد العباده، بل وبينون بيوتاً للنار، و يحافظون على إبقائها كي لا تنطفئ.

«عابده لأوثانها» جمع وثن و هم الصنم المصنوع من خشب أو حجاره أو غيرها من التماثيل فى كنائسهم و بيعهم، ينحنون أمامها، و يركعون و يسجدون لها بقصد العباده.

«منكره لله مع عرفانها» جاحده لله تعالى مع معرفتهم به تعالى كما قال (عزّ و جلّ): (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) و المقصود أنهم كانوا يعرفون الخالق و الصانع بالفطره و الوجدان و العقل، إذ أنهم كانوا يعلمون أن كل مصنوع لابد له من صانع، و يعلمون أن الكائنات مخلوقه و لم يدع أحد من المخلوقين أنه خلق الشمس و القمر و السماء و الأرض، فلا بد من

«فأنار الله بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ظلمها» أزال الله تعالى - بجهود الرسول و جهاده - تلك الظلمات - ظلمات تلك الأمم، ظلمات الكفر و الشرك و الجهل، أى إن الأدله و البراهين التى احتج بها الرسول كانت كفيه للقضاء على تلك النظريات التى تأسست عليها عباده النيران و الأوثان، و ليس المقصود أن الرسول قضى على جميع الأديان الباطله و العقائد الفاسده بمعنى إزالتها عن الوجود، بل أثبت أن الإسلام هو الحق و غيره باطل.

«و كشف عن القلوب بهمها» كشف الله - بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن القلوب مشكلاتها، و الأمور المخفيه المستوره عنها، كالاعتقاد بالتوحيد و الحشر و النشر فى القيامة، إذ كانت تلك الأمور من المشاكل الغامضه عندهم، و لكنها انحلت و انكشفت ببركه الرسول.

«و جلى عن الأبصار غممها» و كشف و أوضح عن العيون الظلمه المبهمه المستولىه عليها، و المقصود من الظلمه - هنا - الانحرافات العقائديه التى كانت كالظلمه على أعينهم و لهذا ما كانوا يبصرون الحقائق بسبب تلك الظلمه.

«و قام فى الناس بالهدايه» قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإراءه الطريق للناس و نصب لهم العلامات الداله على الحق و الحقيقه، على التوحيد و النبوه و المعاد.

«و أنقذهم من الغوايه» أنقذهم من الضلاله التى كانوا يعيشون فيها، و يموتون عليها، الضلاله فى العقائد، فى الأخلاق، فى الآداب و السلوك، فى العادات و التقاليد فكأنهم مغرقون فى البحر، فأنقذهم الرسول من الغرق، و أسعفهم من الهلاك.

«و بصّيرهم من العمايه» جعلهم أصحاب بصر و بصيره، فالأعمى - لغه - هو الذى لا يرى شيئاً، و الأعمى - مجازاً - هو الذى لا يدرك الحقائق كما هى، فإذا تعلم صار بصيراً.

«وهداهم إلى الدين القويم» للهداية معانى عديده، منها إراءه الطريق لمن لا يعرف الطريق، و منها الإيصال إلى المطلوب، و لقد قام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالهداية بكلا المعنيين: أراهم طريق السعاده و أوصلهم إلى سعاده الدنيا والآخرة.

«و دعاهم إلى الصراط المستقيم» أى الطريق الذى لا اعوجاج فيه، و هو الإسلام. «ثم قبضه الله إليه قبض رأفه و اختيار، و رغبه و إثارة» أى توفاه الله و أخذه إلى عالم الآخرة بسبب الرأفه لا الغضب و السخط، و باختيار منه لا بإجبار و إكراه أو باختيار من الله تعالى له الآخرة و إرادته منه تعالى، و فضل له الآخرة على الدنيا كما قال (عز و جل): (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى). «فمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) من تعب هذه الدار فى راحه» من مشاكلها و نوائبها، و ما كان يرى فيها من أنواع الأذى و المخالفه، فإن الموت راحه لأولياء الله، و إن حياه الأنبياء حياه متعبه لأنها جهود و جهاد، و مشقه و عناء.

«قد حُفَّ بالملائكه الأبرار» الذين حَفَّوا به و التفتوا حوله، و رافقوا روحه الطاهره إلى الرفيق الأعلى إلى أعلى عليين.

«و رضوان الرب الغفار» الذى شمله فى ذلك العالم بصوره أوسع، لأن الدنيا تضيق عن ظهور جميع آثار رضى الله، ولكن الآخرة واسعه المجال.

«و مجاوره الملك الجبار» فهو فى حفظ الله و ذماره و قريب من ثوابه و ألطافه. «صلى الله على أبى، نبيه و أمينه على الوحى و صفته» الأمين الذى أُؤتمن على الوحى و الرساله و صفته الذى اصطفاه من خلقه.

«و السلام عليه و رحمه الله و بركاته».

و فى نسخه: «فمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) فى راحه من تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكه الأبرار».

ثم انتقلت الى اهل المجلس و قالت:

أنتم - عباد الله - نصب أمره و نهيه (١) و حمله دينه و وحيه.

و أمناء: الله على أنفسكم (٢).

و بلغاؤه إلى الأمم (٣).

زعيم حق له فيكم.

و عهد قدمه إليكم.

و بقيه استخلفها عليكم.

كتاب الله الناطق.

و القرآن الصادق.

و النور الساطع (٤).

و الضياء اللامع (٥).

بينه بصائره، منكشفه سرائره (٦).

ص: ٣١٨

١- ٢٩٦. منصوبون لا وامره و نواهي.

٢- ٢٩٧. امناء: جمع امين.

٣- ٢٩٨. البلغاء - جمع بليغ، و المقصود - هنا: المبلغ.

٤- ٢٩٩. الساطع: المرتفع.

٥- ٣٠٠. اللامع: المضىء.

٦- ٣٠١. البصائر: جمع بصيره، و المراد - هنا: الاسرار الخفيه و اللطائف الدقيقه.

متجلیه ظواهره (١).

مغتبط به أشیاعه (٢).

قائد إلى الرضوان أتباعه.

مؤدّ إلى النجاه استماعه.

به تُنال حجج الله المنوره.

و عزائمه المفسره (٣).

و محارمه المحذره.

وبیناته الجالیه (٤).

و براهينه الكافیه.

و فضائله المندوبه (٥).

و رُخصه الموهوبه.

و شرائعه المكتوبه (٦).

فجعل الله الإیمان تطهيراً لكم من الشرك.

والصلاه تنزيها لكم من الكبر.

والزكاه تزكیه للنفس و نماء فی الرزق.

والصيام تشبيهاً للاخلاص.

والحج تشبيهاً للدين.

ص: ٣١٩

١- ٣٠٢. متجليه: منكشفه.

٢- ٣٠٣. الغبطه: ان تتمنى مثل حال المغبوط اذا كان بحاله حسنه.

٣- ٣٠٤. الغرائم - جمع عزيزه - الفريضة التي افترضها الله.

٤- ٣٠٥. الجالية: الواضحه.

٥- ٣٠٦. المندوبه: المدعو اليها.

٦- ٣٠٧. المكتوبه - هنا: الواجب.

و العدل تنسيقاً للقلوب (١).

و إطاعتنا نظاماً للملّة.

و إمامتنا أماناً للفرقة.

و الجهاد عزّاً للإسلام.

و الصبر معونه على استيجاب الأجر.

و الأمر بالمعروف مصلحه للعامة.

و برّ الوالدين وقايه من السخط.

و صلّه الأرحام منماة للعدد (٢).

و القصاص حقناً (٣) للدماء.

و الوفاء بالنذر تعريضاً (٤) للمغفرة.

و توفيه المكاييل (٥) و الموازين تغييراً للبخس.

و النهى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس.

و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه.

و ترك السرقة إيجاباً للعفّه.

و حرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبية.

فاتقوا الله حق تقاته، و لا تموتن إلّا و أنتم مسلمون.

و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه.

فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

ص: ٣٢٠

- ٢- ٣٠٩. منماه- على وزن مسحاه:- اسم آله للنمو، و لعلها مصدر ميمى للنمو.
- ٣- ٣١٠. حقنا: حفظا.
- ٤- ٣١١. تعريضا: اذا جعلته فى عرضه الشى ء.
- ٥- ٣١٢. المكاييل - جمع مكيال:- و هو ما يكال به و الموازين جمع ميزان. و البخس: النقص.

شرح انتقلت (عليها السلام) من ذكر النبوه الى ذكر ما تركه الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من الثقلين: الكتاب و العتره الذين يقومون مقام النبى فقالت:- و هى مخاطبه للحاضرين فى المسجد النبوى حينذاك:

«انتم- عبادالله- نصب امره و نهيه» كلمه: (عباد الله) جمله معترضة بين المبتدا والخبر، والمعنى: اخص بالخطاب عباد الله أنتم نصب أمره و نهيه، أى أنتم منصوبون لأوامره الله تعالى و نواهيه، لأنكم كنتم موجودين عند ورود الأوامر و النواهي، و الخطاب موجه إليكم.

«وحمله دينه و وحيه» أى الحاملون لأحكام الدين لمشاهدتكم سيره الرسول و الأحكام التى كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يصدرها، و أنتم الحاملون لآيات القرآن حينما كان جبرئيل ينزل بها على الرسول يعلمكم إياها.

«و أمنا الله على أنفسكم» أنتم الذين ائتمنكم الله على دينه حتى تتلقوا الأحكام من الرسول ثم تلقوها إلى الأفراد الذين لم يتعلموا تلك الأحكام.

«و بلغاؤه إلى الأمم» لا شك أن العلوم تنتقل من جيل إلى جيل على مرّ القرون، و حيث أنكم عاصرتم الرسول و سمعتم أحاديثه و تعلمتم سنّته يجب عليكم أن تبلغوا تلك الأوامر و التعاليم و الأحاديث و السنن إلى

الأجيال القادمة، فأنتم مبلّغو الدين الإسلامى إلى الأمم القادمة و عليكم اداء هذه المسؤوليه العظمى تجاه الإسلام و المسلمين، فيجب عليكم أداء الأمانه سليمه من التلاعب، و تبليغ الأحكام كما أنزلها الله بدون تحريف أو تغيير. لأنكم الوسائل بين الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و بين بقيه المسلمين فإن أحسنتم الأداء فلکم الأجر الجزيل، و إن خنتم فى الأداء و التبليغ فعليكم أوزار كل انحراف يحدث فى الدين و فى المسلمين.

«زعيم حق له فيكم، و عهد قدمه إليكم، و بقيه استخلفها عليكم» هذه الجملات ذكرها أكثر رواه الخطبه، و لكنها لا تخلو من الاضطراب و الغموض، و لعل فى الكلام سقطاً و حذفاً و قد ذكر شراح الخطبه وجوهاً محتمله لهذه الكلمات لا تخلو من تكلف و تعسف، و لكن النتيجة و المقصود أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) عهد إليكم بما يجب عليكم، و ترك فيكم بقيه منه جعلها خليفه له عليكم، و معنى البقيه هو ما يخلفه الإنسان فى أهله من الآثار و اللوازم، و المراد أن الرسول ترك فيكم ما يسد الحاجة و يكفى الأمه الإسلاميه مهامها، و فى بعض النسخ: «و بقيه استخلفنا عليكم، و معنا كتاب الله» و هذه الجملة تشير إلى الحديث المشهور المعتبر عند المسلمين و هو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض (١)» و هنا نتحدث السيده فاطمه الزهراء عن أحد الثقلين و هو القرآن الكريم فقالت: «كتاب الله الناطق» أى المبين الموضح، كالإنسان الذى يتكلم بكل وضوح.

«و النور الساطع» قد ورد فى القرآن الكريم التعبير عن القرآن بالنور

ص: ٣٢٢

كقوله تعالى: «فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير» (١).

«و الضياء اللامع» و هو النور المشرق، لا النور الضئيل الخفى.

«بينه بصائر» أى واضحة حججه و براهينه فأدله التوحيد و النبوه و الإمامه و البعث فى يوم القيامة و غير ذلك من الأدله و البراهين تجدها واضحة عند أهلها، و عند كل من يعرف منطق القرآن، و يفهم المناسبه بين الدليل و المدلول، و العله و المعلول، استمع إلى قوله تعالى:

«لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» و قوله: «و ضرب لنا مثلاً و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مره و هو بكل خلق عليم» و قوله: «و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون» و قوله: «قل لئن اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً» و غيرها من الآيات التى هى أدله و براهين و حجج على ما ذكره الله تعالى.

«منكشفه سرائره» فى القرآن آيات واضحة الدلاله، ظاهره المعنى، و آيات تشتمل على معانى دقيقه و أسرار خفيه كأسرار الكيمياء الغيبية، أو الآيات المتشابهات، و هى كلها منكشفه و معلومه عند أولى الألباب، و الراسخين فى العلم.

«متجليه ظواهره» ظواهر القرآن واضحة كمال الوضوح.

«مغبط به أشياعه» أى إن أتباع القرآن يبلغون منزله عند الله بحيث يغبطهم الناس، أى يتمنى الناس الوصول إلى تلك الدرجات التى نالها

ص: ٣٢٣

الذين اتبعوا القرآن.

«قائد إلى الرضوان إتباعه» القرآن يقود إلى رضوان الله تعالى أو أتباع القرآن يقود إلى الرضوان و النتيجة واحده.

«مؤدّ إلى النجاه استماعه» أى الاستماع إلى القرآن يؤدي إلى النجاه كما قال تعالى: «و إذا قُرئ القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون» سيّما إذا كان مع الاستماع تدبّر و تعقّل، لأنّ الخوف من الله يحصل باستماع القرآن، و كذلك الرجاء به، و هكذا ينجو الإنسان من عذاب الله تعالى، فكم من كافرٍ أسلم بسبب استماع القرآن؟ و كم من مذنّب تاب؟ و كم من منحرف اعتدل و كم من شاكٍ استقام و تيقّن؟

«به تُنال حجج الله المنوّره» الحججه ما يحتج به الإنسان و يمكن الاستدلال و الاحتجاج به فى القضايا العقلية و الأحكام الشرعيه، و الأمور العرفيه.

«و عزائمه المفسّره» أى الواجبات التى فسرّها القرآن نفسه، أو النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أو أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لأن القرآن نزل فى بيوتهم، و أهل البيت أدري بما فى البيت، فسّروا أحكام العبادات و كيفيتها و الخصوصيات المتعلقة بها من الوضوء إلى الغسل إلى الصلاه إلى الصوم و الحج و الجهاد و غير ذلك من الواجبات.

«و محارمه المحذّره» حذّر الله تعالى فى القرآن عباده عن ارتكاب المحرّمات، حذّرهم بالعذاب الأليم فى الدنيا أو الآخره.

«و بيناته الجاليه» أى المحكمات الواضحه التى لا تحتاج إلى تأويل.

«و براهينه الكافيه» وفى نسخه: «و جُمَله الكافيه» أى المتشابهات المعلومه عند الراسخين فى العلم.

«وفضائله المندوبه» و هى الأمور المستحبه التى ندب الله تعالى عباده

إليها أى دعاهم إليها بدون إلزام كصلاه الليل و أمثالها.

«وَرُخِصَ الموهوبه» فى القرآن أحكام واجبه كما تقدم الكلام عنها، و مخيَّره و هى المستحبات التى يتخير الإنسان فيها.

«و شرائعه المكتوبه» شرائع: جمع شريعته، و هى ما شرَّع الله أى قرَّره لعباده من الدين تشبيهاً بمورد الماء، و المكتوبه هى الواجبه المفروضه.

ص: ٣٢٥

ثم انتقلت (عليها السلام) إلى ذكر الفلسفه الإسلاميه، أو علل الأحكام فى الشريعة الإسلاميه و ما هناك من فوائد و أسرار، و حَكَم فى التشريع الإسلامى التى هى للوقايه أكثر مما هى للعلاج، و قد قيل: «الوقايه خير من العلاج» و سيتضح لك ذلك، قالت (عليها السلام):

«فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك» و فى نسخه: «ففرض الله الإيمان» الآيات الوارده فى القرآن الكريم، الأمره بالإيمان بالله وحده، إنما هى لغرض التطهير من أرجاس الشرك بالله، فالشرك بمنزله المكروبات الضاره، و الإيمان تعقيم لها، فالشرك قذاره متعلقه بالأذهان، ملتصقه بالعقول، قد تلوثت بها القلوب، و الإيمان تطهير عام لإزاله تلك القذاره.

«والصلاه تنزيهاً لكم عن الكبر» المقصود من تشريع الصلاه هو القضاء على رزيله الكبر، لأن الصلاه خضوع و خشوع لله و ركوع و سجود و تذلل، و أكثر المصايين بداء الكبرياء هم التاركون للصلاه.

«و الزكاه تزكيه للنفس و نماءً فى الرزق» و فى نسخه: «و الزكاه تزييداً لكم فى الرزق» إنّما سُميت الزكاه لأنها تزكى الإنسان، استمع إلى قوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا» و قد جعل الله تعالى البركه و النمو فى إعطاء الزكاه، فيأذن الله للأرض أن تجود ببركاتها فيكثر الزرع و يمتلئ الضرع، و تتراكم الخيرات، و تتضاعف الثمار.

«و الصيام تثبيتاً للإخلاص» قد يمكن أن يصلى الإنسان قصد الرياء، و لا يمكن أن يصوم و يطوى نهاره جائعاً عطشاً، و يتحمل المشقه- لسبب الإمساك و الامتناع عما يشتهى- بقصد الرياء، فالصوم من أظهر العبادات الخالصة لوجه الله الكريم.

«و الحج تشييداً للدين» للحج فوائد و منافع معنويه لا تتحقق بغير الحج، فالحج عباره عن عدد كبير من المسلمين من بلاد بعيدة و أقطار عديده، من شرق الأرض و غربها و عن كل قطر يسكن فيه مسلم يستطيع الحج، فى أيام محدوده و أماكن معينه، على هيئات خاصه و كفيات مخصوصه، فيلتقى بعضهم ببعض، و يتعرّف المسلم الأفريقى بالمسلم الآسيوى، و يطلع المسلم الشرقى على أحوال المسلم الغربى و ما هناك من فوائد تحصل من تلك اللقاءات، أضف إلى ذلك الفوائد التى تعود إلى نفس الإنسان الحاج من الخضوع و التذلل لله، و التوبه و الاستغفار و غير ذلك مما يطول الكلام بذكره.

«و العدل تنسيقاً للقلوب» و فى نسخه: «و تنسيقاً للقلوب» لا أعرف لتعليل العدل تعريفاً أحسن و أكمل من هذا التعريف، لأن تنسيق القلوب تنظيمها كتنسيق خرز السبحه، و تنظيمها بالخيط، فلو انقطع الخيط تفرقت الخرز و تشتتت، و اختل التنظيم و زال التنسيق.

إن العدل فى المجتمع بمنزله الخيط فى السبحه، فالعدل الفردى و الزوجى و العائلى و الاجتماعى و العدل مع الأسره و مع الناس يكون سبباً لتنظيم القلوب و انسجامها بل و اندماجها، و إذا فقد العدل فقد الانسجام، و جاء مكانه التنافر و التباعد و التقاطع، و أخيراً التقاتل.

و ليست العداله من خصائص الحكّام و الولاه و القضاة، بل يجب على كل إنسان أن يسير و يعيش تحت ظلال العداله، و يعاشر زوجته و عائلته

و أسرته و مجتمعه بالعدالة إبقاءً لمحبه القلوب.

«و إطاعتنا نظاماً للمله» و فى نسخه: «و طاعتنا» كل أمه إذا أرادت أن تعيش لا بدّ لها من اختيار نظام حاكم سائد، و النظام كلمه واسعه النطاق، كثيره المصداق غزيره المعانى.

فالحكومات، و تشكيل الوزارات، و تنظيم الدوائر، و سنّ القوانين، و إصدار التعاليم فى شتى المجالات يقال لها: نظام. و لا بدّ- طبعاً- من تنفيذ النظام، و الخضوع و الانقياد له، و يقال له: التنظيم.

فإذا كان النظام صالحاً انتشر الصلاح فى العباد و البلاد، و إذا كان النظام فاسداً ظهر الفساد فى البر و البحر.

و الأمة الإسلاميه التى تعتبر نفسها فى طليعه الأمم الراقية المتحضره لا بدّ و أن يكون لها نظام، و إن الله تعالى جعل إطاعه أهل البيت (عليهم السلام) نظاماً للمله الإسلاميه، و معنى ذلك أن الله جعل القيادة العامه المطلقه العليا، و السلطه لأئمه أهل البيت الاثنى عشر (عليهم السلام) و هم عتره الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فقط، لا كل من يستلم زمام الحكم، أو يجلس على منصبه القيادة تجب إطاعته و تنفيذ أوامره.

و إنما جعل الله إطاعه أئمه أهل البيت نظاماً للمسلمين لأن الله تعالى زوّدهم بالمواهب، و منحهم الأهليه، و أحاطوا علماً بكل ما ينفع المجتمع و يضرّه، و بكل ما يصلح الناس و يفسدهم.

و جعلهم الرسول عدل القرآن بقوله (صلى الله عليه و آله و سلم): إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، و إنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.

و لقد سبق أن تحدثت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) عن القرآن و أنه بقيه استخلفها عليكم، ثم ذكرت بعض ما يتعلق بعظمه القرآن. ثم

انتقلت إلى ذكر فلسفه الإسلام ثم انتقلت إلى ذكر الثقل الثاني، و هم العتره، و هم أهل البيت، و هم أولو الأمر الذين أوجب الله إطاعتهم على العباد بقوله تعالى: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم».

فو الله لو أن المسلمين فسحوا المجال - من أول يوم - لأهل البيت و أطاعوهم لكانت الدنيا روحاً و ريحاناً و جنة نعيم، و كانت السعاده شامله لجميع طبقات البشر على مَرَّ القرون، و ما كانت تحدث المفسد و المجازر و المذابح على وجه الأرض، و ما كانت الأموال تسلب، و الأعراض تُهتك، و النفوس تزهق ظلماً، و ما كان الجهل و الأميه و التأخير و التفسخ منتشرًا بين الأمم الإسلاميه، و ما كان فى الأرض فقر و لا حرمان، و لا اضطهاد و لا جوع.

نحن لا- نزال فى شرح كلمات السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) و قد طال بنا الكلام هنا، لأن الموضوع يتطلب شيئاً من التفصيل مع العلم أننا لم نؤد حق المقام.

فالبحث عن القياده الإسلاميه أو الإمامه الصحيحه بحث واسع يحتاج إلى موسوعه كبرى، و تحليل و تحقيق شاملين كاملين.

«و إمامتنا أماناً للفرقه» و فى نسخه: «لَمِيّاً للفرقه» إمام على وزن كتاب هو المقتدى، انظر إلى إمام الجماعه كيف يقتدى به المأمومون فى أفعال الصلاه من قيام إلى ركوع و سجود و هكذا، فهو مقتدى فى أفعال محدوده، و لهذا يقال له: إمام صلاه الجماعه، أو إمام الجماعه فى الصلاه.

و الإمامه الكبرى التى هى الخلافه العظمى، منصب سماوى، و منزله تتعين من عند الله تعالى، لأنها تاليه للنبوه من حيث العظمه و الأهميه، انظر إلى أولياء الله كيف يسألون الله تعالى أن يبلغهم تلك المنزله الرفيعه و الدرجه الساميه.

فهذا إبراهيم الخليل (عليه السلام) يأتيه النداء من عند الله تعالى: «إني جاعلك للناس إماماً» أى المقتدى به فى أفعاله و أقواله، و أنه الذى يقوم بتدبير الأمم و سياستها و القيام بأمورها، و تأديب جناتها، و توليه و لاتها، و إقامة الحدود على مستحقيها و محاربه من يكيدها و يعاديها، و ليس المقصود من الإمامه - هنا - النبوه، لأن إبراهيم كان نبياً حينذاك و إنما أضاف الله له الإمامه إلى النبوه.

و أنت إذا أمعنت النظر فى قوله تعالى: «إني جاعلك» يتضح لك أن تعيين الإمام يجب أن يكون من عند الله، و لا يحق للناس أن يعينوا لأنفسهم إماماً حسب آرائهم الشخصيه و هو اياتهم الفرديه.

و إذا تدبرت بقيه الآيه تنكشف لك حقائق أخرى و هى قوله: «و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين» أى لما أخبر الله إبراهيم بالإمامه قال إبراهيم: «و من ذريتى» أى و اجعل من ذريتى من يوشح بالإمامه و بهذه الكرامه. قال تعالى: «لا ينال عهدى الظالمين» قال مجاهد: العهد الإمامه، و قد روى ذلك عن الإمامين: الباقر و الصادق (عليهما السلام) أى لا يكون الظالم إماماً للناس، و هذا يدل على عصمه الأئمه، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده (الذى هو الإمامه) ظالم، و من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه و إما لغيره.

و إذا تأملت فى هذه الآيات البينات يتضح لك أن المناصب السماويه و الوظائف الإلهيه ينبغى أن تكون من عند الله تعالى و تعيينه و جعله، تدبر فى قوله تعالى:

يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض (١).

ص: ٣٣٠

و جعلنا فى ذريته النبوه و الكتاب».

و لقد آتينا موسى الكتاب و جعلنا معه أخاه هارون وزيراً.

و جعلناهم أئمه يهدون بأمرنا» (١).

إنى جاعلك للناس إماماً» (٢).

«و اجعلنا للمتقين إماماً» (٣).

«و اجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى» (٤).

و غيرها من الآيات التى تتجلى فيها كلمه: (جعلنا) و (اجعلنا) و (جعلناهم) و ما أشبه ذلك.

و هنا تقول الزهراء (عليها السلام): «و إمامتنا» إنها تقصد إمامه الأئمه الاثنى عشر، و شخص زوجها العظيم أبا الأئمه علياً (عليه السلام).

«و الجهاد عزاً للإسلام» العزه لا تحصل إلا بالقوه، و تظهر القوه باستعمال السلاح و استعراض الجيش، و إظهار المعدات الحريه، و تجلّى البطولات و غير ذلك.

و أحسن استعراض للقوه و إثبات الشخصيه هو الجهاد فى سبيل الله، فالقوه و القدره و الإمكانيه و التضحيه، و مدى تعلق المسلمين بالمبدأ، و المواهب التى تظهر فى جبهات القتال، و تظهر النتيجة بالانتصار و الظفر و الغلبه على أعداء الدين، و استيلاء الخوف على كل مناهى للإسلام، و القوى لا يخضع إلا للقوه، لا للإنسانيه فقط، و لا للثروه فقط، بل للقوه، و هكذا تجتمع العزه للأئمه القويه، و للمبدأ الذى يعتنقه الأقوياء.

«و الصبر معونه على استيجاب الأجر» الصبر على المكاره من فقر

ص: ٣٣١

١- ٣١٦. الانبياء ٧٣.

٢- ٣١٧. البقره.

٣- ٣١٨. الفرقان.

٤- ٣١٩. طه: ٢٩.

إلى مرض إلى دين إلى سجن إلى مصيبه، يدل على التسليم لإرادة الله تعالى، و التسليم فضيله ساميه و منزله عاليه يستعين بها الإنسان الصابر على تحصيل الاجر الجزيل، و الثواب الأوفى، و بالصبر يتم فعل الطاعات و ترك السيئات.

«و الأمر بالمعروف مصلحه للعامة» فرض الله الأمر بالمعروف على كل مكلف فى حدود القدره و الإمكانيه بشروط معينه المذكوره فى محلها، و يعتبر نوعاً من الجهاد، و معنى ذلك أن كل فرد من أفراد المسلمين يعتبر نفسه مسؤولاً عن الدين مرتبطاً به، غير منفصل عنه، و هو تفسير عملى لقوله (صلى الله عليه و آله و سلم): «كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته» لأن الإسلام لا يؤمن باللامبالاه و بالانعزال عن المجتمع الدينى، لأن الإسلام يعتبر المسلمين أسرهم واحده مترابطه، و أمه واحده يربطها رباط الدين و العقيدة.

«و بر الوالدين و قايه من السخط» و فى نسخه: «و البر بالوالدين و قايه من السخطه» و معنى ذلك أن عقوق الوالدين يُسبب سخط الله و غضبه على العاق لوالديه، إذن يكون الإحسان إليهما سبباً للوقايه من غضب الله تعالى، و بعد إلقاء نظره على الآيات التى توصى برعايه حقوق الوالدين تتضح لنا أهميه هذا الجانب الأخلاقى:

«و وصينا الإنسان بوالديه حسناً...» (١).

«و يستلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلولوالدين....» (٢).

«و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً...» (٣).

«قل تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً و بالوالدين

ص: ٣٣٢

١- ٣٢٠. العنكبوت.

٢- ٣٢١. البقره ٢١٥.

٣- ٣٢٢. النساء.

«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما و قل لهما قولاً كريماً و اخفض لهما جناح الذل من الرحمه و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً» (٢).

«و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه و هنا على و هن و فصاله فى عامين أن أشكر لى و لوالديك إلى المصير. و إن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما و صاحبهما فى الدنيا معروفاً...» (٣). «و وصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً و وضعته كرهاً و حملة و فصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على و على والدى و أن أعمل صالحاً ترضيه و أصلح لى فى ذريتى إني تبت إليك و إني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون» (٤).

بعد الانتباه إلى هذه الآيات ينكشف لنا معنى كلامها (عليها السلام): و برّ الوالدين و قايه من السخط، و هذا البحث يتطلب مزيداً من الشرح و التفصيل، و لكننا اكتفينا بما تيسر.

«و صله الأرحام منماه للعدد» و فى نسخه: «و صله الأرحام منسأ للعمر، و منماه للعدد» إن للأعمال آثار طبيعیه و لا يمكن التخلف عنها- فالذى يصل رحمه- أى أقربائه الذين تجمعه و إياهم رحم من أرحام

ص: ٣٣٣

١- ٣٢٣. الانعام: ١٥١.

٢- ٣٢٤. الاسراء: ٢٣ و ٢٤.

٣- ٣٢٥. لقمان: ١٤- ١٥.

٤- ٣٢٦. الاحقاف: ١٥- ١٦.

الأمهات- باللسان أو باليد أو بالمال لا بد و أن يكون طويل العمر، كثير النسل و العدد، كثير المال، و لقد وردت أحاديث كثيره متواتره جداً حول صله الرحم، و إنها تزيد في الثروه و تؤخر الأجل (أجل الموت).

و كذلك قطع الرحم يسبب قصر العمر و زوال المال.

و لقد شاهدنا في عصرنا الكثير من الناس الذين و صلوا أرحامهم فدرّت عليهم الأيام خيرها و بركاتها، و كثير عددهم و نسلهم مع العلم أن مؤهلات التكاثر لم تكن متوفره فيهم.

و قد رأينا الكثيرين من أبناء زماننا الذين قطعوا أرحامهم- أى قطعوا العلاقات الوديه (بجميع أنواعها) مع أقربائهم- فكأنهم قطعوا جذور أعمارهم، و هدموا أسس حياتهم و بقائهم- بأيديهم فانقرضوا بعد أن افتقروا.

«و القصاص حقناً للدماء» لا يوجد في سجلات القوانين في العالم كله قانون المحافظه على حياه الناس كقانون القصاص، و لهذا قال تعالى: «و لكم في القصاص حياه يا أولى الألباب لعلكم تتقون» (١).

و العجب أن القضاء على حياه القاتل يعتبر إبقاءً و حفظاً لحياه الآخرين، إذ أن الإنسان- إذا يعزم على قتل أحد ظلماً- إذا علم أنه سوف يُقتص منه، و يُقتل، فإنه بالقطع و اليقين سيمتنع من الإقدام على الجريمة، و لكنه إذا علم أن جزاءه السجن، و في السجن الراحة و الأكل و الشرب، و رجاء شمول العفو، و التخفيف، أو دفع العوض و ما شابه ذلك من الرشوه و شفاعه الشافعين لدى السلطه الحاكمه، فعند ذلك تهون عنده الجريمة، و يستسهل الجنايه، و يقدم على إراقه الدماء البريئه ظلماً و عدواناً.

ص: ٣٣٤

إن قانون الكفار السائد في البلاد الإسلامية لا يؤمن بالقصاص من القاتل، و يزعم القانون أن القصاص لا يحيى المقتول فلا فائده في تكرار القتل، فوضعوا السجون و الأعمال الشاقة عقوبه للقاتل، و مع ذلك تجد السجون في العالم مليئه بالمجرمين المرتكبين لجريمه القتل، و تجد جرائم القتل في التزايد و التكاثر في كل زمان و كل مكان.

و العجب أن الله تعالى يخاطب العقلاء بقوله: «يا أولى الألباب» و يعقبه بجمله: «لعلكم تتقون» يخاطب الله تعالى العقلاء الذين يفهمون و يعقلون أن القصاص أحسن رادع و أقوى مانع عن القتل، و القصاص أفضل و أحسن من السجن و التعذيب و ما شابه ذلك.

و لكن القانون الإلهي أصبح مهجوراً متروكاً، و القانون الغربي هو القانون المفضل على أحكام الله تعالى، و بذلك فلتقر عيون المسلمين!!

و كيف يرجو المسلمون لأنفسهم السيادة و العزه و الاستقلال و هم أذئاب و أتباع لليهود و النصارى في أحكامهم و قوانينهم بل و حتى في تاريخهم فالتاريخ الهجري الإسلامي صار نسياً منسياً، و التاريخ الميلادي هو المعروف المتبع في البلاد الإسلامية حكومات و شعوباً؟!

هذا و الكلام طويل يحتاج إلى مجال أوسع و تفصيل أكثر و بعد ذلك ما الفائدة في بث هذه الآلام و المآسى؟

فهل يحصل تغيير في الأنظمه الحكوميه و القوانين المستورده عندهم؟

لا أظن ذلك!!

«و الوفاء بالنذر تعريضاً للمغفره» و في نسخه: «بالنذور» النذر هو المعاهده مع الله تعالى على فعل من الأفعال، فالوفاء بالنذر يعتبر وفاء بالمعاهده كما قال تعالى: «و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً

عظيماً» و الإنسان يجعل نفسه فى معرض المغفره عن طريق النذر و الوفاء بالنذر. «و توفيه المكاييل و الموازين تغييراً للبفس» أوجب الله تعالى على البائع و المشتري أن يراعى حقوق الناس، و أن لا- يبخس الناس أشياءهم، و أن يعاملوا- الناس بالأمانه و العداله، لا بالظلم و الخيانه، و ذلك بعدم التلاعب فى المكيال الذى يكال به الشىء من طعام و غيره أو الميزان الذى يوزن به الشىء. «والنهى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرفس» وفى نسخه: «والانتهاء عن شرب الخمر» لقد ذكرنا حول آيه التطهير معانى عديده للرفس، و الخمر تعتبر من أفراد الرفس و مصاديقه كما قال تعالى: «إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رفس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» و قد كتب الكثير من المسلمين و غيرهم كتباً و مقالات حول أضرار الخمر، و الجرائم المتولده منها، و الويلات التى تتكون منها، و نكتفى - هنا- أن نقول: بعد مراجعه معانى الرفس يتضح لك جانب كبير من مضار الخمره من الناحيه الصحيه و العقليه و الاجتماعيه و غير ذلك.

«و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه» و فى نسخه: «و اجتناب قذف المحصنات» إن الإسلام هو الدين الذى يحافظ على كرامات الناس، و يعتبر الإسلام المس بالكرامه نوعاً من أنواع الجريمه، و قد جعل لهذه الجريمه عقوبه دنيويه، و عذاباً فى الآخره.

إن إسناد الفجور إلى أهل العفه و الشرف من رجال أو نساء ليس بالشىء الهين و لا يسمح الإسلام أن يطلق الإنسان لسانه لهدر كرامه الناس، و هتك أعراضهم و نواويسهم.

و إذا نسب الإنسان نوعاً من أنواع الفجور إلى ما ليس معروفاً

بالفجور فلا بد من إثبات ذلك بإقامه البيه و الشهود، فإن عجز عن ذلك فسوف ينفذ فى حقه قانون العقوبات.

قال الله تعالى: «و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده و لا تقبلوا لهم شهاده أبداً و أولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا فإن الله غفور رحيم» (١).

و قال أيضاً: «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا و الآخرة و لهم عذاب عظيم» (٢).

و هنا يتضح معنى كلامها (عليها السلام): «و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه» أى انا لذى يجتنب قذف الناس أى إسناد الفجور إليهم فهو محجوب عن اللعنه و معنى اللعنه: البعد عن رحمه الله تعالى.

«و ترك السرقة إيجاباً للعفه» و فى نسخه: «و مجانبه السرقة» إن اليد تعتبر ثمينه غاليه ما دامت أمينه عفيفه، فإذا سرقت فقد خانت فصارت رخيصه لا كرامه لها، لأنها تجاوزت الحدود.

سأل أبو العلاء المعرى من السيد المرتضى علم الهدى (رضوان الله عليه):

يدٌ بخمس مئتين عسجد أوديت

ما بالها قطعت فى ربع دينار؟

أى أن اليد التى ديتها خمسمائه دينار ذهب، لماذا تقطع إذا سرقت شيئاً قيمته ربع دينار؟

فأجابه السيد المرتضى قائلاً:

عز الأمانه أغلاها، و أرخصها

ذل الخيانه، فافهم حكمه البارى

إذن فالسرقة تسلب العفه من اليد، أى صاحب اليد، و ترك السرقة

ص: ٣٣٧

١- ٣٢٨. النور: ٤- ٥.

٢- ٣٢٩. النور: ٢٣.

و فى كتاب (كشف الغمه) بعد قوله: «و مجانبه السرقة إيجاباً للعفه» هكذا: «و التنزه عن أكل أموال الأيتام و الاستيثار بفيئهم إجازة من الظلم. و العدل فى الأحكام إيناساً للرعيه» اليتيم هو الذى فقد أحد أبويه أو كليهما و هو صغير، و يرثهما التركه، و نظراً لصغر سنه لا يستطيع المحافظه على أمواله و تدبير أموره، و هنا يطمع فى أمواله ذوو الأطماع لأنهم استضعفوه، و لم يجدوا فيه القوه و القدره على المقاومه، فهناك الظلم الواضح و الاعتداء البغيض، و لكن الله تعالى قد قدر مصير هؤلاء الظالمين و جزاءهم فى الآخره، فقال تعالى: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً» فجعل الله الاجتناب عن أكل أموال اليتامى حفظاً من الوقوع فى الظلم الذى هذا جزاؤه و عقابه.

و أما جملة: «و الاستيثار بفيئهم» فالمقصود من الفى ء- هنا-: الغنيمه، أى خمس الغنائم أو ما أفاء الله على رسوله، و قد تقدم الكلام حول ذلك فى مدخل الخطبه و الآيات الوارده حول فذك.

«و عدل الحكام إيناساً للرعيه» لقد تقدم فى كلامها (عليها السلام) شى ء حول العدل بصورة عامه كالعدل بين الزوجات و بين الأولاد و بين الناس، و هنا تشير فى كلامها إلى عدل الحكام، و المقصود من الحكام- هنا- السلطه الحاكمه من الملك إلى الوزراء إلى الأمراء إلى رؤساء الدوائر و المحافظين و القضاة و الحاكمين، و أمثالهم من ذوى السلطه و القدره.

و من الطبيعى: أن أصحاب المناصب الخطيره يشعرون أو يتصورون بهاله من الكبرياء تحيط بهم، و على هذا الأساس يرون أنفسهم أجل قدراً و أعظم شأنًا و أرفع مستوى من غيرهم.

و أفراد الرعيه يشعرون بشىء من البعد الواسع و البون الشاسع بينهم و بين الطبقة الحاكمه، فلا يسمح لكل أحد أن يلتقى برئيس الدوله، أو يقابل موظفاً كبيراً، و خاصه إذا كان صاحب حاجه. و على الأخص إذا اعتدى عليه بعض الموظفين، و هذا يسبب التنافر بين الحكومه و بين الشعب. و بين جهاز الحكومه و المواطنين.

و لكن إذا سار الحكام على طريقه العداله و المحافظه على حقوق الضعفاء تجد أن روح الأمل قد تولدت فى نفس المظلوم، بل فى نفوس أفراد الرعيه، و ينظر الإنسان من أفراد الشعب إلى جهاز الحكم كما ينظر الولد إلى أبيه، و كما ينظر الطالب إلى المعلم، و كما ينظر المريض إلى الطبيب و الممرض، من حيث المحبه و التقدير. و بهذا يحصل الاستئناس بين أفراد الشعب و بين الطبقة الحاكمه، و يحصل التعاون و الإخاء و الألفه و المحبه و هكذا و هلم جرّاً.

و لو لا رعايه أسلوب الكتاب لطلال بنا الكلام حول هذا الموضوع الذى يشعر به أكثر الناس، و تتلهف إليه النفوس.

«و حرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبيه» لأن الشرك نوع من الكفر، و الواجب على العباد أن يعبدوا الله مخلصين له الدين.

ثم أنها ختمت هذا الفصل من كلامها بآيات مناسبه للموضوع، و هى قوله تعالى: «فاتقوا الله حق تقاته و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون».

«و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه فإنه» إنما يخشى الله من عباده العلماء».

خطبه فاطمه الزهراء

ثم قالت: أيها الناس!

اعلموا أني فاطمة!

و أبي محمد.

أقول عوداً و بدءاً (١).

و لا أقول ما أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً (٢).

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (٣).

فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم (٤).

و أخا ابن عمي دون رجالكم.

و لنعم المعزى إليه (٥) (صلى الله عليه و آله و سلم). فبلغ بالرساله، صادعاً بالنداره (٦).

مائلاً عن مدرجه المشركين (٧).

ص: ٣٤٠

١- ٣٣٠. عوداً و بدءاً: آخراً و اولاً.

٢- ٣٣١. شططاً: ظلماً و جوراً.

٣- ٣٣٢. التوبه: ١٢٩.

٤- ٣٣٣. تعروه: تنسبوه.

٥- ٣٣٤. المعزى اليه.

٦- ٣٣٥. صادعاً: مظهره: النذاره: الانذار و التخويف.

٧- ٣٣٦. مدرجه المشركين: طريقهم و مسلكهم.

ضارباً ثَبَجَهُم (١) ، آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ (٢) .

داعياً إلى سبيل ربه بالحكمه و الموغظه الحسنه.

يكسر الأصنام.

و ينكت الهام (٣) .

حتى انهزم الجمع و ولّوا الدبر.

حتى تفرّى الليل عن صبحه (٤) .

و أسفر الحق عن محضه (٥) .

و نطق زعيم الدين.

و خرست شقاشق الشياطين (٦) .

و طاح و شيط النفاق (٧) .

و انحلت عُقد الكفر و الشقاق (٨) .

و فُهِم بكلمه الإخلاص (٩) .

و نفرّ من البيض الخِماص (١٠) .

ص: ٣٤١

١- ٣٣٧. الشج- بفتح الثاء- و الباء-: الكاهل، و وسط الشىء.

٢- ٣٣٨. الكظم- بفتح الكاف و الظاء-: الفم او الحق او مخرج النفس.

٣- ٣٣٩. نكته على هامته: اذا القاه على راسه.

٤- ٣٤٠. تفرّى: انشق.

٥- ٣٤١. اسفر: اذا انكشف و اضاء. و المحض: الخالص.

٦- ٣٤٢. شقاشق- جمع شقشقه- و هى شىء يشبه الرثه يخرج من فم البعير اذا هاج يكون بمعنى القديد و هو اللحم المجفف فى الشمس.

٧- ٣٤٣. الوشيط: الاتباع و الخدم.

٨- ٣٤٤. الشقاق: الخلاف.

٩- ٣٤٥. فہتم: تلفظتم.

١٠- ٣٤٦. البيض - جمع ايض - و الخماص - جمع خميص - و هو الجائع. و في نسخه: «في نفر».

و كنتم على شفا حفرة من النار (١).

مذقه الشارب (٢) ، و نهزه الطامع (٣).

و قبسه العجلان (٤).

و موطئ الأقدام.

تشربون الطرق، و تقتاتون القد و الورق (٥).

أذله خاسئين.

تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم.

فأنقذكم الله تعالى بمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم).

بعد اللثيا و التى.

و بعد أن منى بئهم الرجال (٦) و ذؤبان العرب.

و مرده أهل الكتاب (٧).

ص: ٣٤٢

١- ٣٤٧. شفا حفرة: جانبها المشرف عليها.

٢- ٣٤٨. المذقه- بضم الميم- شربه من اللبن الممزوج بالماء.

٣- ٣٤٩. النهزه- بضم النون:- الفرصة.

٤- ٣٥٠. قبسه العجلان: الشعلة من النار التى ياخذها الرجل العاجل.

٥- ٣٥١. تقتاتون: تجعلون قوتكم. القد- بكسر القاف:- قطعه:- جلد غير مدبوغ، و يحتمل ان يكون بمعنى القديد و هو اللحم المجفف فى الشمس.

٦- ٣٥٢. منى- فعل ماضى مجهول:- ابتلى. و البهم- على وزن الغرف- جمع بهمه، و هو الشجاع الذى لا يهتدى من اين يوتى.

٧- ٣٥٣. مرده بفتح الميم و الراء و الدال:- جمع مارد و هو العاتى.

كَلِّمُوا أَوْقِدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ.

أَوْ نَجِّمِ (١) قَرْنَ لِلشَّيْطَانِ.

أَوْ فَغَرِّثِ (٢) فَاغْرِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

قَذِفْ أَخَاهُ فِي لَهْوَاتِهَا (٣).

فَلَا يَنْكُفِي حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ (٤).

وَيَخْمَدُ لَهَا بِسَيْفِهِ (٥).

مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ (٦).

مَجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ.

قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ.

سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.

مُشْمَرًا نَاصِحًا، مَجْدًا كَادِحًا (٧).

وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيهِ مِنَ الْعِيشِ (٨).

وَادْعُونَ فَكُهُونِ آمَنُونَ (٩).

ص: ٣٤٣

١- ٣٥٤. نجم فعل ماضى: طلع. و قرن الشيطان: اتباعه.

٢- ٣٥٥. فغر: فتح. فاغره فاها: اى فاتحه فمها.

٣- ٣٥٦. اللهوات جمع لهاة:- لحمه مشرفه على الحلق فى اقصى الفم.

٤- ٣٥٧. ينكفى ء: يرجع. يطأ: يدوس. صماخها: اذنها. باخمصه: بباطن قدمه.

٥- ٣٥٨. يخمد: يطفى ء. لَهَا: اشتعالها.

٦- ٣٥٩. المكدود: المتعب.

٧- ٣٦٠. شمر ثوبه: رفعه. مجد- بضم الميم و كسر الجيم:- مجتهد و الكادح: الساعى.

٨- ٣٦١. رفاهيه: سعه.

٩- ٣٦٢. مرتاحون. فاكهون: ناعمون.

تتربصون بنا الدوائر (١).

و تتوكفون الأخبار (٢).

و تنكصون عند النزال (٣).

و تفرون من القتال.

ص: ٣٤٤

١- ٣٦٣. الدوائر: العواقب: العواقب المذمومة و حوادث الايام.

٢- ٣٦٤. تتوكفون: تتوقعون بلوغ الاخبار.

٣- ٣٦٥. تنكصون: ترجعون و تتأخرون. و النزال: القتال.

الى هنا أنهت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) حديثها عن فلسفه الإسلام، و عن علل الشريعة الإسلاميه، ثم عرّجت على كلامها المقصود و هدفها المنشود، و هو المطالبه بحقها و التظلم من السلطه الحاكمه.

و قبل كل شىء و جّهت الخطاب إلى الشعب الحاضر فى المسجد، فى المؤتمر الإسلامى لأنهم بايعوا رئيس الدوله، و لم توجه الخطاب إلى رئيس الدوله لأنه هو أحد طرفى المحاكمه، و هو المقصود بالمخاصمه و الإدانه، و لهذا عرّفت نفسها للحاضرين كما هى الأصول المتبعه فى المحاكمات و لأنها الطرف الآخر للمحاكمه، و لأنها تمثل آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عترته الطيبين بل هى ملكه الإسلام، و المحاكمه وقعت بمحضر من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، و هم يومذاك من الشخصيات الإسلاميه البارزه المرموقه و من الوزن الثقيل.

و موضوع المحاكمه هى الأراضى و المقاطعات التى كانت تحت تصرّف السيدة فاطمه الزهراء منذ سنوات، ثم استولى عليها ابوبكر و صادرها بدون مبرر شرعى، و لهذا و جّهت السيدة فاطمه الزهراء كلامها إلى الحاضرين فى ذلك المؤتمر، فقالت:

«ايها الناس اعلموانى فاطمه» ذكرت اسمها للمستمعين، ذالك الاسم الذى لا يجهله احد، ذالك الاسم الذى سمعه الناس مرارا و تكرارا من فم الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) مشفوعا بالعواطف النبويه،

مقرونا بكل تجليل و تعظيم و تقدير.

و هذه الكلمه: «اعلمو انى فاطمه» تشتمل و تحتوى على عشرات الصفحات من الشرح. «و أبى: محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)» هذا النسب الشريف الأرفع، النسب الذى ليس فوقه نسب، النسب الذى هو مفخره الكون، و درّه تاج الوجود، و أشهر من الشمس.

نعم، إن فاطمه هى بنت محمد، سيد الأنبياء، أشرف الخلائق، أطهر الكائنات، أفضل المخلوقين.

نعم، بنت هذا العظيم تتكلم و تخطب. و تحتج و تتظلم.

لقد عرّفت نفسها لثلاثين قول قائل: ما عرفناها، و لماذا ما صرّحت باسمها؟ و لماذا لم تعرّف شخصها؟ و لماذا لم تذكر نسبها؟

و بهذا أتمّت الحجه، و لم تُبق لذى مقال مقالاً، ذكرت اسمها الصريح و نسبها الواضح تعريضاً و توبيخاً لهم.

نعم، إن فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) جاءت تطالب بحقوقها و أموالها التى صودرت و غصبت منها.

«أقول عوداً و بدءاً» أى أتكلّم آخرّاً و أولاً، و أولاً و آخرّاً، و أنا على يقين بما أقول.

و فى نسخه: «عوداً على بدء» و المعنى واحد.

«و لا أقول ما أقول غلطاً» و هو الخطأ فى الكلام من كذب و خديعه و مغالطه.

«و لا أفعل ما أفعل شططاً» لا أتكلّم جوراً و ظلماً و تجاوزاً عن الحد.

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم» افتتحت هذا البحث بذكر أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله) و أدمجت كلامها بكلام الله تعالى، و معنى الآية: إن الرسول من العرب، يشق و يعزّ عليه و قوعكم فى الشدّه لأجله، حريص على توفير وسائل السعاده لكم، بالمؤمنين من هذه الأمه رؤوف رحيم، كلمتان مترادفتان، معناهما العطف و اللطف و الحنان.

«فإن تعزوه و تعرفوه» أى تنسبوه، و تقولوا فيه إنه أبومَن؟ و أخومَن؟ و فى نسخه: «فإن تعزروه و توقروه» أى تعظموه.

«تجدوه أبى دون نساءكم» نعم، أنا ابنته الوحيدة، و هو أبى، و لا تشاركنى نساؤكم فى هذا النسب الطاهر الأعلى.

«و أخا ابن عمى دون رجالكم» نعم، إنه أخو زوجى، و لم يشارك أحد من رجالكم أبى فى الأخوه و ليس المقصود- هنا- أخوه النسب، بل الأخوة التى حصلت يوم المؤاخاه حينما أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله و سلم) بين أصحابه، أخى بينه و بين علىّ و كان الرسول ينوّه بهذه الأخوه فى شتى المناسبات و مختلف المجالات، و يركّز على كلمه: (أخى) كقوله (صلى الله عليه وآله و سلم): ادعوا لى أخى، و أين أخى؟ و أنت أخى، و إنه أخى فى الدنيا و الآخرة.

و كان علىّ (عليه السلام) يعتزّ بهذه الأخوه و المؤاخاه، و يذكرها نظماً و نثراً، و منه قوله (عليه السلام):

أنا أخو المصطفى لا شك فى نسبى

معه ربيت، و سبطاه هما ولدى

و قوله:

محمد النبى أخى و صنوى

و حمزه سيد الشهداء عمى

و قوله:

و من حين أخى بين من كان حاضراً

دعانى و آخانى و بين من فضلى

ص: ٣٤٧

و قوله: أنا عبد الله و أخو رسول الله، و أنا الصديق الأكبر و الفاروق الأعظم لا يقوله غيرى إلا كذاب (١).

«و لنعم المعزى إليه (صلى الله عليه و آله و سلم)» نعم المنسوب إليه و المتمى إليه، أنه أشرف من ينتسب إليه، و أظهر من ينتمى إليه، لأنه عله الإيجاد، و يؤمنه رُزق الورى.

«فبلغ رساله صادعاً بالنداره» بلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه مظهراً بالإنذار و التخويف بعذاب الآخرة.

«مائلاً عن مدرجه المشركين» و فى نسخه: «ناكباً عن سنن مدرجه المشركين» أى عدل عن طريقه المشركين و مسلكهم.

«ضارباً ثبجهم» أى كان الرسول ضارباً كواهل المشركين و ظهورهم، و المقصود جهاد الكفار و المشركين.

«آخذاً بأكظامهم» أى ممسكاً على أفواههم، أو مخارج أنفاسهم، و هى كناية عن إيقافهم عند حدّهم، و إحباط مؤامراتهم، و تفنيد أباطيلهم.

«داعياً إلى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه» كان يدعو إلى الله، لا إلى الدنيا، إلى سبيل ربه، لا سبيل غيره، و يراعى فى دعوته مستويات الناس، فيدعو بالحكمه و هى مقاله الموضحه للحق و المزيحه للشبهه، هذا بالنسبه للطبقه الواعيه المثقفه، و يدعو بالموعظه الحسنه و هى الخطابات المقنعه للنفوس، و العبر النافعه للحياه، و هذا بالنسبه للطبقه العامه.

و يجادلهم بالتى هى أحسن، و هى أحسن طرق المجادله و التفاهم، و إقامه الأدله و البراهين بالنسبه للمعاندین.

«و يكسر الأصنام» التى كان المشركون يعبدونها و يعتبرونها آلهه من دون الله.

ص: ٣٤٨

«و ينكت الهام» و فى نسخه: «ينكس الهام» إشاره إلى قتال رؤساء الكفر، و أقطاب الشرك و قمعهم و إذلالهم، و هم الذين كانوا يؤججون نيران الحروب، و يثيرون الفتن أمثال: شبيهه و عتبه و أبى جهل و نظرائهم، أو إذلال المفسدين و المشاغبين، و فى نسخه: «ينكت الهام» أى يلقى الرجل على رأسه.

«حتى انهزم الجمع و ولّوا الدبر» أى استمر الكفاح و الجهاد سنوات عديده، تتكون خلالها الحروب و الغزوات و الاضطرابات حتى قضى الرسول على أصول الفتن و جرائم الفساد فانكسرت شوكة الكفار، و ضعفت معنوياتهم، و أخيراً حتى انهزم الجمع، أى جماعه الكفار و أدبروا فارّين.

«حتى تفرّى الليل عن صبحه» حتى انجلت ظلمات الكفر السوداء، و تجلى صبح الإسلام الأبيض الناصع.

«و أسفر الحق عن محضه» أى ارتفعت الحواجز الباطله التى حجبت الحق عن الظهور فأضاء الحق الخالص الذى لا يشوبه شىء من الباطل، و كلها كنايات عن تجمّع القوى الدينيه.

«و نطق زعيم الدين» تكلم رئيس الدين فيما يتعلق بأمور الدين و أمور المسلمين بكل حريه و صراحه.

«و خرس شقاشق الشياطين» قد ذكرنا فى شرح ألفاظ الخطبه أن الشقاشق - جمع شقشقه - شىء يشبه الرثه يخرج من فم البعير عند هيجانه، و المقصود من (خرست شقاشق الشياطين) هو تبخّر نشاطات المفسدين، و اختناق أصواتهم.

«و طاح و شيط النفاق» المقصود سقوط المنافقين عن الاعتبار، و فشل مساعيهم.

«و انحلت عُقد الكفر و الشقاق» أى فشلت المحاولات و المحالفات و الاتفاقيات التى قام بها الكفار و المخالفون ضد الإسلام و المسلمين كما فى غزوه الأحزاب.

«و فُهِتَم بكلمه الإخلاص» و تلفظتم بكلمه: (لا إله إلا الله) بألستكم.

«فى نفر من البيض الخماص» أى بيض الوجوه من النور، الضامرى البطون من التجوع بسبب الصوم. أو الزهد.

و يمكن أن يكون المقصود من هذين الوصفين أناساً معينين، و هم الصفوه من أصحاب النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أو أهل البيت (عليهم السلام).

«و كنتم على شفا حفرة من النار» بسبب الكفر و الشرك بالله العظيم.

ثم أشارت (عليها السلام) إلى الحياه الاجتماعيه التى كان الناس يعيشونها فى ذلك الوقت و هى الفوضويه و اختلال النظام، و الهرج الذى كان مستولياً على كافه جوانب الحياه، فقالت: «مذقه الشارب» إذا مرّ الإنسان الضمآن من مكان، و وجد ماءً ليس له مالک، أو له مالک و لكنه لا يستطيع الدفاع و المقاومة فانه فيطمع ذلك الإنسان أن يشرب من ذلك الماء و يبرّد غليله.

«و نهزه الطامع» و هكذا إذا مر الإنسان من مكان و وجد هناك طعاماً لا مالک له، أو مالکه ضعيف فترى الجائع يطمع فى ذلك الطعام. فينتهز الفرصه و يستوفى نصيبه من ذلك الطعام.

«و قبسه العجلان» هى الشعلة أو الجذوه من النار يأخذها الرجل المسرع إذا احتاج إليها.

«و موطئ الأقدام» و كنتم أذلاء، مستضعفين تدوسكم الأقوياء بأقدامها.

«تشربون الطرق» الماء الذى كنتم تشربونه هو الماء المتجمع فى

المستنقعات و الحفائر تدخلها الحيوانات، و تبول فيها الإبل، مع العلم أن النفوس الشريفة تستقدر هذا الماء و تمجّه، و لا ترضى به، و لكنه الجهل، و لكنه الإحساس بالنقص، و الخضوع للمذله و الهوان، كأنهم لم يعرفوا حفر الآبار، أو تفجير العيون، أو إيجاد القنوات تحت الأرض و لا تسأل عن مضاعفات هذه المياه و تلوثها بأنواع الجراثيم و الميكروبات.

هذا و لا- تزال الحياه بهذه الصفه موجوده فى بعض البلاد الإسلاميه المتأخره عن ركب الحضاره، كما نقرأ ذلك فى بعض الصحف و المجلات.

«و تقاتون القدّ و الورق» أى كان قوتكم و طعامكم من القد و هو اللحم أو الجلد اليابس و أوراق الأشجار، فالأراضى الواسعه الشاسعه قاحله جرداء، لا ضرع فيها و لا زرع و مفهوم الزراعه غير موجود عندكم.

«أذله خاسئين» الخاسئ هو المنبوذ المطرود الذى لا يُترك أن يدنو من الناس لحقارته.

«تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم» إن التفسخ و الانحلال يؤدى إلى اختلال الحياه الاجتماعيه و إلى الفوضويه و فقدان الأمن و الأمان، و سلب القرار و الاستقرار و الطمأنينه فى النفوس، فالقوى يطمع فى الضعيف، و الكثير يأكل القليل، و الغنى يستعبد الفقير، فلا يخاف أحد من القانون، و لا يهاب العقاب، و لا يخشى السلطه.

و نحن نرى أن حوادث الاختطاف و الاغتصاب و الاعتداء إنما تكثر فى البلاد التى لا يطبق فيها القانون على الجميع. و لا ينفذ إلا فى حق الفقير الضعيف فالدماء تراق و الأعراض تهتك، و الأموال تسلب، و الكرامات تُهدر، و هكذا و هلم جرّاً.

و قد اقتبست السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) هذه الآيه من

القرآن و أدمجتها فى حديثها عن العهد الجاهلى.

«فأنقذكم الله بأبى (محمد) (صلى الله عليه و آله و سلم)» إنه المنقذ الأعظم و المصلح الأكبر الذى أنقذ العباد من تلك الحياه التى كانت تشبه الجحيم، و أصلح البلاد من تلك المفساد و الويلات و المصائب و أحدث انقلاباً فى العقائد و النفوس و الأخلاق و العادات.

و لم تتحقق أهدافه إلا:

«بعد اللثى و التى» هذه الكلمه صارت مثلاً فى هذه المناسبه، أى استطاع الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يطهر المجتمع، و ينقذ الناس من مصائب الجاهليه بعد شق الأنفس، بعد أن تحلّ المشاكل و أنواع الأذى، بعد الضغط و الكبت و الاضطهاد.

«و بعد أن مُنى بِبَهم الرجال» استطاع الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) إنقاذ الناس بعد أن ابتلى بالرجال الأقوياء، و الأبطال الشجعان الذين أججوا نيران الحروب، و حاربوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بكل ما يملكون من حول و قوه و هم أكثر عدداً من المسلمين، و أكثر عدّه و عتاداً.

«و دُوبان العرب» إن الإنسان إذا تجرّد عن الإنسانيه و الأخلاق و الفضيله فانه ينزل إلى مرتبه الحيوانات، فإذا فقد الفهم و العلم فإنه يُشَبَّه بالحمار، و إذا فقد العاطفه و الرأفه فإنه يُشَبَّه بالسباع و الحيوانات المفترسه، فيصح أن يقال فى حقه: إنه ذئب.

و هكذا أولئك السفاكون الذين كانوا يستأنسون بالمذابح و المجازر التى كانوا هم السبب فى تكوينها، أولئك الذين كانت هو اياتهم إثارة الفتن

ص: ٣٥٢

و إيجاد الاضطرابات، أمثال أبى جهل و أبى سفيان و من يدور فى فلكهما،

و قيل: المقصود من الذؤبان- هنا- اللصوص و الصعاليك، أى السفله من الناس الساقطين.

ابتلى الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بهؤلاء المفسدين، ابدءً من غزوه بدر إلى غزوه أحد إلى الخندق إلى حنين و غيرها، تجد هؤلاء المفسدين كانوا فى طليعه أسباب الفتنه و الاضطرابات و المشاغبات، و حتى الحروب التى خاضها المسلمون مع اليهود كان هؤلاء هم السبب فى إثارتها.

«و مرده أهل الكتاب» إشاره إلى الحروب التى شبّ اليهود و النصارى نيرانها، أمثال: بنى النضير، و بنى قريظه و بنى قينقاع، و بنى الأصفر فى مؤته؛

إن أهل الكتاب- و هم اليهود و النصارى- لو كانوا يتبعون الكتاب السماوى الذى أنزل عليهم لما حاربوا الرسول؛ بل كانوا يسلمون على يديه فى المرحله الأولى، لأن أوصاف الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) مذكوره فى كتبهم، و كان من السهل عليهم المقارنه بين تلك الصفات و العلائم و بين الرسول، و عند ذلك كانوا يجدون تلك الصفات تنطبق على الرسول مائه بالمائه، و لكن مرده أهل الكتاب و هم العتاه المتجبرون الذين منعهم الكبرياء من الخضوع للحق استمروا على عتوهم و عنادهم و جحودهم.

«كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» كانوا يحيكون المؤامرات ضد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و يجمعون الجيوش و العساكر و يحضون القبائل و العشائر على محاربه الرسول، فكانت المساعى فاشله، و كان الانتصار و الغلبه و الظفر حليفاً للرسول.

و لو استعرضنا تاريخ حياه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) منذ

البعثه حتى الوفاء لظهر لنا جانب كبير من إحباط المؤامرات و الفشل الذريع الذى أحاط بأعداء الرسول.

«أو نَحْجِم قرن للشيطان» لو انكسر قرن الحيوان نبت له قرن آخر، و تقول السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام): إذا نهض أحد المفسدين للقيام بالأعمال الشيطانيه، و هى المعاكسات و المقاومات التى كانت المشركون يقومون بها ضد رسول الله

هذه الجملة على جملة: «كلما أوقدوا» أى كلما نجم قرن للشيطان أو «فغرت فاغره» أو فتحت حيه الكفر فمها لتوسع و تلدغ المجتمع الإسلامى.

«قذف أخاه فى لهواتها» أى كان الرسول يقضى على تلك النشاطات الجهنميه، و النعرات الشيطانيه، يقضى عليها بأخيه على بن أبى طالب (عليه السلام).

كان الرسول يأمر عليها أن يردّ عنه كتائب المشركين و عصابات المنافقين فكان على (عليه السلام) يخاطر بحياته، و يغامر بنفسه، و يستقبل أولئك الذئاب المفترسه، كان يقاتلهم وحده، و يخوض غمار الحرب، فيصح التعبير بقولها: «قذف أخاه فى لهواتها» فى فم الموت بين أنياب السباع تحت سيوف الأعداء، و الرماح الشارعه و السهام الجارحه.

«فلا- ينكفى حتى يطاء صماخها بأخمصه» لا- يرجع على (عليه السلام) من جبهه القتال حتى يسحق رؤوس الأعداء، و يدوس هامات الرؤساء بباطن قدمه، كالمصارع الذى يتزل إلى ساحه المصارعه فإذا تغلب على خصمه و صرعه فلا بدّ من أن يلصق المصارع ظهر خصمه أو رأسه على الأرض ليثبت أنه أنهى المصارعه بأوفى صورته.

كذلك على (عليه السلام) كان يهرول نحو الأعداء لا يعرف معنى

الخوف، و كأنه مستميت، و كأنَّ غريزه الحياه قد سُلبت عنه، و بيده صحيفه يقطر منها الموت، تراها راكمه ساجده، على الرؤوس، و الخواصر و كان يقعدَّ الأبدان نصفين طولاً أو عرضاً، و يفرى و يكسر و يهشم فى طرفه عين، و قبل أن تنفجر الدماء من العروق كانت العمليه قد انتهت.

«و يحمد لهبها بسيفه» كان يقضى على جرائم الفساد، و يقلع الأشواك عن طريق المجتمع البشرى، و يطفى لهيب الحروب بسيفه السماوى، و يمهد الطريق لكلمه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

«مكدوداً فى ذات الله» قد أخذ التعب و العناء منه كل مأخذ، كل ذلك لله و فى الله و لوجه الله و فى سبيل الله.

«مجتهداً فى أمر الله» المجتهد- فى اللغه- الذى يجهد نفسه أى يتعبها، كان على (عليه السلام) يبذل ما فى وسعه و طاقته و جميع إمكانياته لتحقيق أهدافه الساميه، و تحصيل أمنيته، و هى إعلاء كلمه الله.

«قريباً من رسول الله» ليس المقصود القرب المكانى، بل القرب المعنوى، من حيث قرابه النسب، و انسجام الروح، و اندماج النفس و اتحاد الاتجاه، و وحده النفس، فعلى (عليه السلام) نفس الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: «و أنفسنا و أنفسكم» و هل هناك قرابه أو نسب أقوى من هذا؟

«سيداً فى أولياء الله» و فى نسخه: «سيد أولياء الله» فيكون المقصود هو رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

«مشمراً ناصحاً، مجدداً كادحاً» هكذا تصف السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) زوجها العظيم، كأنه يشمر عن ثيابه نشاطاً و استعداداً للعمل للإسلام و لصالح الإسلام، فى سبيل إسعاد المسلمين. و بذل النصح، و هو حب الخير لهم، كان مجدداً فى العمل، ساعياً فيه، لا يمنعه التعب عن

نعم، كانت حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كلها جهوداً و جهاداً، و نشاطاً و إنتاجاً و إنجازاً و خدمه للإسلام و المسلمين، فمواقفه في جبهات القتال مشهوره، و أعماله الفدائيه في سبيل الإسلام مذكوره، و تفانيه و تضحياته في سبيل الله معروفه.

«و أنتم في رفاهيه من العيش و ادعون فاكهون آمنون» كان عليّ (عليه السلام) يستقبل الأخطار و الأهوال في الوقت الذي كان المسلمون بعيدين عن تلك الأخطار، مشغولين بأنفسهم يتمتعون بالراحه، و يتفكرون في تحصيل الملذات، و إشباع الرغبات، لا يعرفون معنى الخوف.

أين كان المسلمون ليله المبيت؟ تلك الليله التي طوّق المشركون دار رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم يريدون الهجوم عليه ليقتلوه؟ أما بات عليّ (عليه السلام) على فراش رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يفديه بنفسه و حياته و شبابه.

أين كان المسلمون يوم أحد حين انهزموا و تركوا الرسول في جبهه القتال، تحمل عليه عصابات الكفار و المشركين؟ و بقي عليّ (عليه السلام) يقاوم الأعداء حتى ضرب الرقم القياسي في المواساه و التضحيه، حتى هتف جبرئيل بفُتوّته و بسالته يوم هتف بين الأرض و السماء: لا فتى إلا عليّ و لا سيف إلا ذو الفقار.

و هكذا يوم حُنين، و هكذا يوم الخندق، و هكذا يوم خيبر. و هكذا هلم جراً.

قال عليّ (عليه السلام): «و لقد واسيته بنفسى في المواطن التي تنكص فيها الابطال، و تتأخر فيها الأقدام، نجده أكرمني الله بها...».

«تتربصون بنا الدوائر» كان بعض أولئك الأفراد مندسين في صفوف

المسلمين يتوقعون هلاك الرسول، و ينتظرون نزول المكاره و حلول الكوارث، برسول الله، و الدوائر و صروف الزمان، و العواقب السيئه، و تحوّل النعمه و زوالها و نزول البلاء.

«و تتو كفون الأخبار» تتوقعون وصول الأخبار الداله على هلاكنا.

«و تنكصون عند النزال، و تفرون من القتال» ففى يوم أُحد كانت المأساه من فرار المسلمين، و يوم حُنين كانت الفضيحه و يوم خيبر كان العار منطبعاً على جبهات المنهزمين،

و لا- تسأل عن يوم الخندق حين استولى الرعب على القلوب، و الفزع على النفوس حينما برز عمرو بن عبد ودّ، فكفى الله المؤمنين القتال بعلى (عليه السلام).

هذا و لو أردنا استعراض الأحداث التاريخيه بهذا الشأن لطال بنا الكلام و خرج الكتاب عن أسلوبه.

و خلاصه القول هذا موقف على (عليه السلام) تجاه الإسلام و الرسول، و هذه مواقف غيره من أولئك الشخصيات التى ظهرت شجاعتهم بعد وفاه الرسول! و برزت مواهبهم حين خلا لهم الجوى، و ساعدتهم الظروف على ما يحبون!.

ص: ٣٥٧

فلما اختار الله لنبّيه (صلى الله عليه وآله وسلم) دار أنبيائه.

و مأوى أصفياه.

ظهر فيكم حسكه النفاق (١).

و سمل جلباب الدين (٢).

و نطق كاظم الغاوين (٣).

و نبّغ خامل الأقلين (٤).

و هدرَ فنيق المبطلين (٥).

فخطر في عرصاتكم (٦).

و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه (٧) هاتفاً بكم.

فألفاكم لدعوته مستجيبين.

و للغرّه فيه ملاحظين (٨).

ص: ٣٥٨

١- ٣٦٧. الحسكه و الحسكيه: الشوكه.

٢- ٣٦٨. سمل الثوب: صار خلقاً. و الجباب. ثوب واسع.

٣- ٣٦٩. كاظم الغاوين: الساكت الضال الجاهل.

٤- ٣٧٠. ظهر من خفى صوته و اسمه من الاذلاء.

٥- ٣٧١. هدر البعير: ردد صوته في حنجرتة. الفهل من الابل.

٦- ٣٧٢. خطر: اذا حرك ذنبه.

٧- ٣٧٣. المغرز- بكسر الراء-: ما يختفى فيه.

٨- ٣٧٤. الغره- بكسر الغين- الانخداع. و ملاحظين: ناظرين و مراعين.

ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً.

و أحمشكم فألفاكم غصايا (١).

فوسمتم غير إبلکم (٢).

و أوردتم غير شربکم (٣).

هذا و العهد قريب.

و الکلم رحيب (٤).

و الجرح لما يندمل (٥).

و الرسول لما يُقبر (٦).

ابتداراً زعمتم خوف الفتنه (٧).

ألا في الفتنه سقطوا و إن جهنم لمحيطه بالكافرين.

فهيها منكم!

و كيف بكم؟

و أنى تؤفكون (٨).

و كتاب الله بين أظهركم.

أموره ظاهره.

ص: ٣٥٩

١- ٣٧٥. احمشكم: اغضبكم.

٢- ٣٧٦. الوسم: الكى، وسمه: كواه.

٣- ٣٧٧. الشرب- بكسر الشين -: النصيب من الماء.

٤- ٣٧٨. الکلم: الجرح. و رحيب: واسع.

٥- ٣٧٩. اندمل: تراجع الى البرء.

٦- ٣٨٠. يقبر: يدفن.

۷- ۳۸۱. ابتدارا: معاجله.

۸- ۳۸۲. توفکون: ای تصرفون.

و أحكامه زاهره.

و أعلامه باهره.

و زواجه لائحته.

و أوامره واضحه.

و قد خَلَّفتموه وراء ظهوركم.

أَرْغَبَهُ عَنْهُ تَرِيدُونَ؟

أَمْ بغيره تحكمون؟

بئس للظالمين بدلاً.

و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها (١).

و يسلس قيادها (٢).

ثم أخذتم تورون و قدتها، و تُهَيِّجُونَ جَمَرَتَهَا (٣).

و تستجيبيون لهتاف الشيطان الغوى.

و إطفاء أنوار الدين الجلى.

و إخماد سنن النبى الصفى.

تسرون حسواً فى ارتغاء (٤).

و تمشون لأهله و ولده فى الخمر و الضراء (٥).

ص: ٣٦٠

١- ٣٨٣. ريث: قدر.

٢- ٣٨٤. يسلس: يسهل.

٣- ٣٨٥. تورون: تخرجون نارها. تهيجون: تثيرون.

٤- ٣٨٦. ياتى المعنى فى شرح الخطبه.

٥- ٣٨٧. الخمر- بفتح الخاء و الميم -: ما يترك من الشجر و غيره.

و نصبر منكم على مثل حَزَّ المدي (١).

و وخز السنان فى الحشي (٢).

و أنتم- الآن- تزعمون أن لا إرث لنا.

أفحكم الجاهليه يبغون؟

و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟

أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحيه أنى ابنته.

أيها المسلمون! أأُغلب على إرثيه.

ص: ٣٦١

١- ٣٨٨. المدي- بضم الميم- جمع مديه و هى الشفره.

٢- ٣٨٩. الوخز: الطعن. و السنان: راس الرمح.

التحدث عن فتره الانقلاب

ثم انتقلت الى التحدث عن فتره الانقلاب الذى قام به الافراد بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فقالت:

«فلما اختار الله لنبه (صلى الله عليه و آله و سلم) دار أنبيائه».

ما أروع هذه الكلمه!

و ما أحسن هذا التعبير الراقى!

إذ أنها ما قالت: فلما مات النبى. بل قالت: «فلما اختار الله لنبه دار أنبيائه» و هى الدرجات العلا فى الجنه، فهناك الأنبياء، و هناك «مأوى أصفياه».

«ظهرت فيكم حسيكه النفاق» و فى نسخه: «حسكيه» و هى الشوكه، و يراد بها العداوه و هى عداوه النفاق، أى العداوه الحاصله بسبب النفاق.

«و سمل جلباب الدين» و فى نسخه: «أسمل» و فى بعض النسخ: «جلباب الإسلام» أى ظهرت آثار الاندراى على ثياب الإسلام، بعد أن كانت فى غايه الحسن و الجمال و الطراوه.

«و نطق كاظم الغاوين» و فى نسخه: «فنطق كاظم، و نبغ خامل» أى تكلم الذى ما كان يتجرأ أن يتكلم من جهه الخوف.

«و نبغ خامل الأقلين» و فى نسخه: «الآفلين» و المقصود بروز الأفراد الساقطين غير النابهين.

ص: ٣٦٢

«و هدر فنيق المبطلين» و في نسخه: «فنيق الكفر» أى رفع البعير- الفحل الذى لا يركب- صوته.

«فخطر فى عرصاتكم» أى مشى ذلك البعير مشيه المعجب بنفسه، مشيه الكبرياء و الغرور و كلها كنايات عن ظهور النفاق الكامن فى الصدور، و بروز النزعات و الاتجاهات التى كانت مختفيه فى عصر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و انقلاب الضعفاء العجزه أقوياء.

«و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم» تعتبر السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام). تلك الأحداث نوعاً من التجاوب مع الشيطان الرجيم الذى حلف بقوله: «لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» فالشيطان الذى كان فاشلاً فى عهد الرسول يوم كان الإسلام فى التقدم والقوه، الشيطان أخرج رأسه بعد أن كان مخفياً، أخرج رأسه كالقنفذ الذى يخرج رأسه عند زوال الخوف، و هتف بكم و دعاكم إلى نقض البيعه التى تمت يوم الغدير، و سلب الحقوق عن أهلها و أصحابها الشرعيين.

«فألفاكم لدعوته مستجيبين» و فى نسخه: «فوجدكم لدعوته التى دعا إليها مجيبين» أى حينما هتف بكم الشيطان وجدكم كما يجب، و صدق عليكم ظنه.

«و للغرّه فيه ملاحظين» أى وجد الشيطان فيكم تجاوباً شديداً، و قبولاً للانخداع كالإنسان الذى يقبل كل شىء يقال له، و يعمل كل شىء يؤمر به، بلا تفكر و لا تعقل فى الأمور.

«ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً» أمركم بالقيام به فوجدكم مسرعين دون تناقل.

و أحمشكم فألفاكم غضاباً» و فى نسخه: «فوجدكم غضاباً» أى

حملكم على الغضب، و حرّضكم عليه فوجدكم تغضبون لغضبه، أو تندفعون نحو الغضب على حسابه و لمصلحته، و المقصود: وجدكم الشيطان منقادين لأوامره، مطيعين له فى كل الأحوال.

«فوسمتم غير إبلکم» فكانت النتيجة أنكم عملتم ما لا يجوز لكم أن تفعلوه، و انتخبتم من ليس بأهل الانتخاب، و أعطيتكم مقاليد الأمور غير أهلها، و خوّلتم القيادة إلى غير أكفائها.

«و أوردتم غير شربکم» و فى نسخه: «و أوردتموها شرباً ليس لكم» كالراعى الذى ينزل إبله فى عين ماء ليست له، و المقصود إنكم أخذتم ما ليس لكم بحق من الخلافه، و المراد التصرفات الشاذة التى قام بها الناس فى تعيين الخليفه، و صرف الخلافه عن أهلها و أصحابها الشرعيين، لأن هذه التصرفات ليست من حق الناس، بل هى حق خاص لله سبحانه.

«هذا و العهد قريب» حدّث كل هذا التغيير و الحال أن العهد قريب، أى لم يمضِ زمن بعيد عن أيام الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) إذ من الممكن أن الدين يتغير، أو المسلمون ينسون الأوامر و التعاليم بسبب مرور الزمان، و لكن - هنا - ليس الأمر كذلك فإنه لم يمضِ على وفاه الرسول أسبوعان.

«و الكلم رحيب» و جراحه القلب بسبب وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لا- يزال فمها واسعاً، و هذا تعبير عن سعه الجراحه، و المقصود عظم المصيبه، و فظاعه الخطب.

«و الجرح لما يندمل» أى لم يلتئم جرح مصاب وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم).

«و الرسول لما يقبر» أى ظهرت بوادر الانقلاب قبل دفن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، بل فى تلك الساعات التى كان على (عليه السلام)

يغسِّل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويكفنه، فاجتمعتم و صنعتم ما صنعتم. «ابتداراً زعمتم خوف الفتنة» و فى نسخه: «بتداراً» أى أسرعتم إلى تلك الأعمال بكل استعجال، و تزعمون أنكم إنما فعلتم ما فعلتم وقايه عن وقوع الفتنة، و معنى زعم: ادَّعى شيئاً و هو يعلم كذبه، و معنى - زعمتم - هنا: ادَّعيتم أنكم فعلتم تلك الأفعال لثلاث- تقع الفتنة، و كنتم تعلمون أنكم كاذبون فى هذا الإِ دعاء.

«ألا- فى الفتنة سقطوا و أن جهنم لمحيطه بالكافرين» الفتنة أنتم، و أنتم الفتنة، و عملكم هو الفتنة المفسده، غصبتم الحقوق عن أهلها لأجل الوقايه من الفتنة حسب ادعائكم، و أى محنه أعظم من تغيير مجرى الإسلام، و تبديل أحكامه، و غضب حقوق أهل البيت، و معاملتهم بتلك القسوه و الخشونه؟؟

و كان من المناسب أن تقول السيده فاطمه: إلا فى الفتنة سقطتم. و لكنها ذكرت الآية الشريفه كما هى.

«فهيئات منكم» كلمه: «هيئات» معناها البُعد، و كأنَّها تستبعد تلك الأعمال منهم استبعاداً ممزوجاً بالتعجب من أنهم كيف أقدموا على تلك الأعمال، و مَنْ الذى يصدِّق أن تلك الحثاله من الناس يقومون بتلك الجرائم العظيمه بالرغم من تصريح القرآن، و تصريحات الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) و توصياته فى حق عترته و أهل بيته؟

«و كيف بكم؟!» تتعجب السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) من ذلك التبدل فى العقائد و السلوك أى كيف فعلتم هذه الأعمال؟ و كيف تليق بكم تلك الجنايات؟!

«وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ» أى إلى أين صَرَفَكُم الشيطان عن طريقَتكم المثلى، وحدا بكم إلى هذه الأعمال.

«وَكُتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ» أى و الحال أن القرآن لا- يزال موجوداً فيما بينكم، محفوفاً بكم، و فى نسخه: «و كُتَابُ اللَّهِ - عز و جل - بين أظهركم، قائمه فرائضه، واضحه دلائله، تیره شرائعه».

«أُمُورُهُ ظَاهِرُهُ» أى لا يوجد فى القرآن ما يوجب الشك و الارتياب، لأن أموره ظاهره. «و أَحْكَامُهُ زَاهِرُهُ» متلألئه مشرقه.

«و أَعْلَامُهُ بَاهِرُهُ» أى العلامات التى يستدل بها على القرآن غالبه النور و الضياء.

«و زَوَاجِرُهُ لَانْحَهُ» أى نواهيه التى تزجركم عن اتباع الهوى واضحه.

«و أَوَامِرُهُ وَاضِحُهُ» الأوامر التى تأمركم بإطاعتنا، و تعلّم الأحكام منا، و الانقياد لنا ظاهره.

«و قَدْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» يا للأسف! إن القرآن الموصوف بهذه الأوصاف صار اليوم منبوذاً وراء ظهوركم، لا تعملون به و لا تأخذون بقوله.

«أَرَاغِبُهُ عَنْهُ تَرِيدُونَ؟» هذا استفهام توبيخى، لأن الإنسان إذا ألقى الشىء وراءه فمعناه أنه لا يرغب إليه لهذا يدبر عنه.

تقول (عليها السلام) كأنكم رفضتم العمل بالقرآن، أو لا يعجبكم القرآن أى أحكامه التى تراحم هو اياتكم و أهدافكم.

«أَمْ بَغِيرُهُ تَحْكُمُونَ؟» أى تحكمون بغير القرآن من القوانين؟ إذ القرآن لا يصلح للعمل عندكم؟

«بُئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» بُئْسَ ذَلِكَ الْبَدَلُ الَّذِى أَخَذْتُمْ بِهِ بَدَلَ الْقُرْآنِ،

و هو الحكم الباطل.

«ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها و يسلس قيادها» و هنا شبهت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) الفتنه بالناقه أو الدابه الشارده التى يصعب قيادها، أى الاستيلاء عليها بالركوب تقول (عليها السلام) بعد استيلائكم على المقام الأسمى الأرفع الأعلى و هو مقام الخلافه لم تلبثوا حتى استتمت لكم الأمور، وهذا الاضطراب ثم شرعتم بالأعمال التخريبية.

«ثم أخذتم تورون و قدتها، و تهيجون جمرتها» أى شرعتم بإثارة الفتن كالذى ينفخ فى الجمره حتى تلتهب، أو يحرك الجمره حتى تشتعل و تظهر نارها، و تحرق الرطب و اليابس، و المقصود من ذلك تلك المآسى التى قام بها أولئك الأفراد من سلب الإمكانات من أمير المؤمنين (عليه السلام) و هجومهم على الدار، و ما جرى على السيدة فاطمه و زوجها و ولديها، ثم مصادره أملاكها و منعها عن الخمس و الفىء، و غير ذلك مما ذكره المؤرخون و ما لم يذكره...

و خلاصه القول: أنكم قمتم بجرائم متسلسله و متعدده، بعضها أفجع و أفظع من بعض.

«و تستجيون لهتاف الشيطان الغوى» لأن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، و يحدثنا القرآن الكريم عن كلام الشيطان الغوى: «و ما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى» (١) نعم إن الأعمال التى قامت بها رجال السلطه ضد آل الرسول لم تكن إجابته و استجابته لله و لرسوله، بل كانت استجابته للشيطان الغوى، و قد تقدم كلام

ص: ٣٦٧

شبيه بهذا فيما سبق.

«و إطفاء أنوار الدين الجلى» للدين الإسلامى أنوار يهتدى بها الناس، و هى محاسن الأحكام و القوانين الروحانيه التى يتمتع بها الدين، و يسعون لإطفاء تلك الأنوار.

«و إخماد سنن النبى الصفى» و فى نسخه: «إهماد» أى القضاء على طريقه الرسول و هنا تشبيه السنه النبويه بالنور، و تشبيه القضاء عليه بالإخماد.

«تسرون حسواً فى ارتغاء» هذه الجملة تشير إلى قضيه معروفه و هى إن اللبن - حينما يُحلب تعلوه رغوه فىأتى الرجل فيُظهر أنه يريد شرب الرغوه فقط، و لكنه يشرب الماء سراً، و بهذا يضرب المثل لمن يدعى شيئاً و يريد غيره.

فهو يشرب اللبن سراً و لكنه يدعى أنه يحسو الرغوه، فيقال: فلان يسرّ حسواً فى ارتغاء. و الارتغاء شرب الرغوه.

هكذا تخبر السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) عن الهدف الحقيقى لهؤلاء، أنهم يدعون شيئاً و لكنهم يريدون شيئاً آخر، يدعون الوقايه من وقوع الفتنة و لكنهم يريدون غلق بيت آل محمد، و القضاء على كيان أهل البيت.

«و تمشون لأهله و وُلده فى السراء و الضراء» و فى نسخه: «فى الخمر و الضراء» و الخمر - بفتح الخاء و الميم - هو ما يترك من الشجر و غيره، و الضراء - بفتح الضاد و تخفيف الراء -: الشجر الملتف، أو الأرض المنخفضه، و المقصود: أنكم تؤذون أهل رسول الله و أولاده بالمكر و الخديعه و بصوره سريه غير مكشوفه، و لهذه الغايه قطعتم عنهم موارد الرزق ليكونوا فقراء ضعفاء مسلوبي الإمكانات كى لا يميل إليهم أحد.

«و نصبر منكم على مثل حَزّ المدى» نحن نصبر منكم على الأذى و المكاره التى تصلنا منكم كمن يصبر على تقطع أعضائه بالسكين.

«و وخز السنان فى الحشى» و مثل مَنْ طعنوه بسنان الرمح فى أحشائه، أى ليست القضية سهله حتى يمكن التغاضى عنها و التناسى، بل هى مأساه كبيره، و جريمه عظيمه.

«و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا» و بعد هذا كله لتبرير موقفكم العدائى، و تغطيه أعمالكم تزعمون أى تدعون كذباً: أن لا إرث لنا من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تنكرون أهم الأمور و أوضح الأشياء فى الدين الإسلامى، و هو قانون الوراثة فى القرآن و السنه.

«أفحكم الجاهليه ييغون» و فى نسخه: «تبغون» أدمجت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) هذه الآيه فى حديثها كما هى عاداتها بسبب استئناسها بتلاوه القرآن، تقول: إن إنكار الوراثة ليس فى الحكم الإسلامى، فهل أعجبكم أن تحكموا بأحكام الجاهليه التى كانت تبعاً للأهواء الفرديه، منبعثه عن أغراض شخصيه، و هى حرمان البنات من الإرث، و تخصيص الإرث للذكور فقط.

«و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون» آيه أخرى أدمجتها فى حديثها، و هل يوجد حكم أو قانون أحسن من الحكم الصادر من الله تعالى عند الذين يوقنون بالله الحكيم؟ و يعتقدون بالإسلام؟

أليس القانون الإسلامى قد قضى على قوانين الجاهليه؟ فجعل الإرث للبنات و البنين؟

«بلى، تجلّى لكم كالشمس الضاحيه إنى ابنته» بلى.. الأمر واضح عندكم كالشمس التى تظهر فى ضحوه النهار، فى سماء صافيه لا سحاب فيها و لا ضباب، هكذا اتضح عندكم أنى ابنته قطعاً و بلا شك.

«أفلا تعلمون؟» هذه الأمور و هذه الحقائق؟ أو أفلا تعلمون أنى ابنته.

«أيها المسلمون» الحاضرون المستمعون إلى خطابي، يا من رشحتُم أبا بكر للخلافه! يا أمه محمد أنا بنت محمد، أنا ابنه رسول الإسلام.

«أُغلب على إرثيه» يغلبونني على أخذ إرثي و حقّي؟ و في نسخه: «أُبتزّ إرث أبيه» أيسلبونني إرث أبي؟ و الهاء - هنا - للوقف و السكون.

ص: ٣٧٠

يا ابن أبى قحافه!

أفى كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبى؟؟

لقد جئت شيئاً فزياً!! (١).

أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم؟

إذ يقول:

«و ورث سليمان داود» (٢).

و قال- فيما اقتص من خبر زكريا- إذ قال:

«فهب لى من لدنك ولياً يرثنى و يرث من آل يعقوب» (٣).

و قال:

«و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» (٤). و قال:

«ان ترك خيرا الوصيه للوالدين و الاقربين بالمعروف حقا على المتقين» (٥).

ص: ٣٧١

١- ٣٩١. فرىا: امرا عظيما او منكرا قبيها.

٢- ٣٩٢. النمل: ١٦.

٣- ٣٩٣. مريم: ١٩.

٤- ٣٩٤. الانفال: ٧٥.

٥- ٣٩٥. البقره: ١٨٠.

و زعمتم أن لا حظوه لى؟ (١).

و لا إرث من أبى!

أفخصكم الله بآيه أخرج أبى منها؟

أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟

أولست أنا و أبى من أهل مله واحده؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبى و ابن عمى؟

فدونكها مخطومه مرحوله (٢).

تلقاك يوم حشر ك.

فَنِعَمَ الْحَكَمَ اللَّهُ.

و الزعيم محمد.

و الموعد القيامة.

و عند الساعه يخسر المبطلون.

و لا ينفعكم إذ تندمون.

و لكل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يُخزيه، و يحلّ عليه عذاب مقيم. ثم رَمَتْ بِطَرْفِهَا نحو الأنصار فقالت:

يا معشر النقيبه.

و أعضاء المله.

و حَضَنَهُ الإسلام (٣).

ص: ٣٧٢

١- ٣٩٦. الحظوه: النصيب.

٢- ٣٩٧. ناقه مخطومه و مرحوله، الخطام- بكسر الخاء- الزمام و مرحوله من الرحل و هو للناقه كالسرج للفرس.

ما هذه الغمیزه فی حقّی؟ (١).

و السنّه عن ظلامتی؟

أما كان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أبی يقول:

«المرء یُحفظ فی وُلده»؟

سرعان ما أحدثتم.

و عجلان ذا إهاله.

ولکم طاقه بما أُحاول.

و قوه علی ما أطلب و أزاوِل (٢).

أتقولون: مات محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فخطب جلیل.

استوسع و هنه (٣).

واستنهر فتنه (٤).

و انفتق رتقه.

و أظلمت الأرض لغيبته.

و كسفت النجوم لمصيبته.

و أكدت الآمال (٥).

و خشعت الجبال.

و أضيع الحريم (٦).

ص: ٣٧٣

٢- ٤٠٠. ازوال: اقصد.

٣- ٤٠١. استوسع و هنه: اتسع غايه الاتساع و هنه و في نسخه: و هيه اى شقه و خرفه.

٤- ٤٠٢. كالمعنى المتقدم.

٥- ٤٠٣. اكدت: انقطعت.

٦- ٤٠٤. الحريم: ما يحميه الرجل و يقاتل عنه.

و أزيلت الحرمه عند مماته.

فتلك- و الله- النازلہ الكبرى (١).

و المصيبه العظمى.

لا مثلها نازله.

و لا بائقه عاجله (٢).

أعلن بها كتاب الله- جلّ ثناؤه- فى أفنيتمكم (٣).

فى ممساكم و مصبحكم.

هتافاً و صراحاً.

و تلاوه و ألحاناً.

و لقبه ما حلّ بأنبيائه و رسله.

حكم فصل، و قضاء حتم.

«و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزى الله الشاكرين» (٤).

ص: ٣٧٤

١- ٤٠٥. النازله: الشديده.

٢- ٤٠٦. البائقه: الداهيه.

٣- ٤٠٧. افنيتمكم: جمع فناء- بكسر الفاء- جوانب الدار من الخارج او العرصه المتسعه امام الدار.

٤- ٤٠٨. آل عمران: ١٤٤.

«يا بن أبى قحافه» هنا وجهت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) خطابها إلى رئيس الدوله، و لم تقل له: يا خليفه رسول الله لأن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يستخلفه، و لم تخاطبه بالكنيه «يا أبابكر» لأنه تعظيم له، و إنما قالت له: يا بن أبى قحافه. و سيتضح لك وجه هذا النسب، فى المستقبل فى شرح كلماتها مع زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام).

«أفى كتاب الله أن ترث أباك و لا- أرث أبى؟» بأى قانون ترث أباك إذا مات و لا أرث أبى إذا مات؟؟ هل تعتمد على كتاب الله فى منعى عن إرث أبى؟

«لقد جئت شيئاً فرياً» لقد جئت بافتراء عظيم، و كذب مختلق على القرآن.

لقد ذكرنا- فيما مضى- أن السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) كانت تستحق فداً عن طريق النحله و عن طريق الإرث، فلما طالبت بفدك عن طريق النحله و أقامت الشهود على ذلك صنعوا ما صنعوا و الآن جاءت تطالب بفدك عن طريق الميراث.

«أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم» أليس هذا القرآن موجوداً عندكم؟ فلماذا تركتم العمل به و طرحتموه وراءكم؟

«إذ يقول: و ورث سليمان داود» أليس هذا تصريحاً بقانون التوارث و الوراثه بين الأنبياء؟ أما كان سليمان و ابنه داود من الأنبياء؟

إن السیده فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فهمت من الآیه أن معنی: «و ورث سلیمان داود» هو إرث المال، و هكذا فهم أبوبکر و هكذا جمیع المسلمین الحاضرين يومذاك و هم يستمعون إلى كلام السیده فاطمه، هؤلاء کلهم قد فهموا أن المقصود من الإرث فی هذه الآیه هو إرث المال، و معنی ذلك أن سلیمان ورث أموال أبيه داود، و لم يفهموا غیر هذا.

و هكذا الكلام فی قوله تعالى- فيما اقتص من خبر زكريا-: «فهب لی من لدنك ولياً يرثني و يرث من آل يعقوب» إن زكريا (عليه السلام) سأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرثه المال.

و لكن بعد قرون عديده جاء المدافعون عن السلطه، فقالوا: فی تفسير الآيتين: ورث سلیمان داود العلم لا المال، و هكذا: ولياً يرثني العلم لا المال، و هم يقصدون بهذا التفسير تأييد الذين حرموا السیده فاطمه من ميراث أبيها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم).

و لا بأس أن نتحدث- بما تيسر- حول الآيتين لعنا نصل إلى نتیجه مطلوبه:

أولاً: لفظ الإرث و الميراث يستعمل شرعاً و عرفاً و لغه فی المال، فإذا قلنا: فلان وارث فلان. فالظاهر أنه وارثه فی المال. لا أنه وارثه فی العلم أو المعرفه، إلا إذا كانت هناك قرينه أى دليل يدل على إرث العلم و المعرفه كقوله تعالى: «و أورثنا بنی إسرائيل الكتاب» و قوله: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

فأما قوله: «و ورث سلیمان داود» فالمقصود إرث المال لا إرث العلم و الملك و ما شابه، لأن سلیمان كان نبياً فی حياه أبيه داود، كما قال تعالى- فی قصه الزرع الذى نفشت فيه غنم القوم- «فقهَّمنها سلیمان و كلاً آتينا

حكماً وعلماً...» (١) وقد ذكر الزمخشري في الكشف ج ٢٣ في تفسير قوله تعالى: «إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ» روى أن سليمان غزا أهل دمشق و نصيبين فأصاب ألف فرس، و قيل: ورثها من أبيه، و أصابها أبوه من العمالقه، و قال البيضاوى: و قيل أصابها أبوه من العمالقه فورثها منه فاستعرضها... الى آخر.

فإنك تجد أن سليمان ورث أباه داود تلك الخيول والأفراس، و ورثه غيرها من التركة و الأموال التي تركها داود، و بهذين القولين ثبت أن سليمان لم يرث العلم و النبوه من أبيه داود لأن سليمان كان نبياً في زمان أبيه داود كما كان هارون نبياً في زمان أخيه موسى بن عمران (عليهما السلام) و ثبت أيضاً أن سليمان ورث أباه داود المال.

و أما ما يتعلق بدعاء زكريا (عليه السلام) ربه: «فهب لى من لدنك ولياً يرثنى» فقد قال بعض الشواذ: يرثنى نبوتى، فهو يريد نفى الوراثة عن الأنبياء، و لكن الآية الكريمة بنفسها تكشف الحقيقة عن مراد زكريا. فقوله: «و اجعله رب رضيعاً» يدل على أنه ليس المقصود إرث النبوه لأنه يكون المعنى أن زكريا سأل ربه أن يهب له ولياً يرثه النبوه و يكون ذلك الولي مرضياً عند الله، و هذا كقول القائل: اللهم ابعث لنا نبياً واجعله عاقلاً مرضياً فى أخلاقه، و هذا لغو و عبث، و لا يستحسن من زكريا أن يسأل ربه أن يجعل ذلك النبى رضيعاً أى مرضياً فى أخلاقه، لأن النبوه أعظم من هذه الصفات، و جميع هذه الصفات تندرج تحت النبوه، و قد قال فخر الدين الرازى: إن المراد بالميراث فى الموضعين «الآيتين» هو وراثته المال.

و للمفسرين كلام حول دعاء زكريا (عليه السلام) لا بأس بذكره ملخصاً:

ص: ٣٧٧

قال الطبرسى فى «مجمع البيان» فى تفسير الآيه: و يقوى ما قلنا أن زكريا صرح بأنه يخاف بنى عمه بعده بقوله: «و إني خفت الموالى من ورائى» و إنما يطلب وارثاً لأجل خوفه، و لا- يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوه و العلم، لأنه (عليه السلام) كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل للنبوه، و أن يورث علمه و حكمته من ليس لهما بأهل، و لأنه إنما بُعث لإذاعه العلم و نشره فى الناس فكيف يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى بعثته؟

فإن قيل: إن هذا يرجع فى وراثه المال، لأن فى ذلك إضافه الضن و البخل إليه، قلنا: معاذ الله أن يستوى الأمران، فإن المال قد يُرزق به المؤمن و الكافر و الصالح و الطالح، و لا- يمتنع أن يأسى على بنى عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغى، بل فى ذلك غايه الحكمه، فإن تقويه الفساق و إعانتهم على أفعالهم المذمومه محظوره فى الدين، فمن عدّ ذلك بخلاً و ضناً فهو غير منصف و قوله: «خفت الموالى من ورائى» يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم و أفعالهم و معانى فيهم لا من أعيانهم..) انتهى كلامه.

لقد تلخص من مجموع الأقوال أن المقصود من الوراثه فى آيه سليمان بن داود و آيه زكريا هو وراثه المال، و النتيجة أن الوراثه كانت بين الأنبياء.

«و قال: و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» أى و ذووا الأرحام و القرابه بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم، و هذه الآيه عامه فى التوارث بين الأرحام و الأقارب.

«و قال: يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» أى

يأمركم الله و يفرض عليكم فى توريث أولادكم إذا مَتَّ للابن مثل نصيب البنتين و هذه الآيه أيضاً عامه فى جميع المسلمين بلا تخصيص للأنبياء إنهم لا يورثون أولادهم.

«وقال: إن ترك خيراً الوصيه للوالدين و الأقربين بالمعروف حقاً على المتقين» إن الآيه هكذا: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً...» أى إن ترك مالا و هذه آيه ثالثه عامه فى الوراثه و ليس فيها تخصيص للأنبياء أو نفى الوراثه بين الأنبياء.

«و زعمتم أن لا حظوه لى» أى ادَّعيتهم، و فى نفس الوقت تعلمون انكم كاذبون، ادعيتهم أن لا نصيب و لا منزله لى «و لا إرث من أبى» رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «و لا- رحم بيننا» و لا قرابه و لا صله، لأنكم أنكرتم الوراثه الثابته بينى و بين أبى، فقد أنكرتم كل صله و علاقته و قرابه بينى و بين أبى.

«أفخصكم الله بآيه أخرج منها أبى؟» و فى نسخه: «أفَحَكَمَ الله بآيه» إن آيات الإرث عامه و شامله لجميع المسلمين، فهل استثنى الله أبى من آيات الإرث فلا وراثه بين النبى و أهله؟

«أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان» فالكافر لا يرث المسلم؟

«أو لست أنا و أبى من أهل مله واحده؟» هل تشكون فى إسلامى و كونى مسلمه، و على شريعته الإسلام؟

يا للمصبيه!

لقد بلغ الأمر ببضعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ابنته الوحيدة و سيده نساء العالمين أن تتكلم هكذا، و تحتج بهذا المنطق؟ فإننا لله و إنا إليه راجعون.

«أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومته من أبى و ابن عمى؟» إن آيات الإرث عامه فإن كانت مخصَّصه للرسول كان الرسول يعلم ذلك،

ص: ٣٧٩

و يخبر ابنته مع العلم أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يخبر ابنته ولا غيرها من الناس بهذا الحكم الخاص، و هل من المعقول أن يُخفى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). هذا الحكم من ابنته مع شدة اتصالها به و كثره تعلقه بها، و شدة الحاجه إلى بيان الحكم لها لئلا تطالب بالإرث بعد وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

تقول السيدة فاطمه: أم تقولون: أنكم أنتم أعلم بالقرآن و آياته الخاصه و العامه من أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى نزل القرآن على قلبه؟

أم أنتم أعلم من ابن عمى على بن أبى طالب باب مدينه علم الرسول؟ إذا لو كان الأمر هكذا لكان زوجى يخبرنى، و ما كان يأمرنى أن أحضر فى المسجد و أطالب بحقوقى و إرث أبى.

هذه جميع الصور التى يمكن أن يتصورها الإنسان فى هذه المسأله، و كلها منتفيه، و إذن فالقضية سياسيه، و ليست دينيه، بل هى مؤامره ضد آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و محاربه اقتصاديه لتضعيف جانبهم الاقتصادى.

«فدونكها مخطومه مرحوله» إلى هنا كان الخطاب عاماً لجميع المسلمين الحاضرين فى المسجد و هنا وجهت خطابها إلى رئيس الدوله وحده، و قالت: «فدونكها» أى خذها، خذ فذك و شَبَّهت فذك بالناقه التى عليها رحلها و خطامها، و الرحل للناقه كالسرج للفرس، و الخطام: الزمام، و المقصود: خذ فذك جاهزه مهياً، و فى هذا الكلام تهديد، و هذا كما يقال للمعتدى: افعل ما شئت، و انهب ما شئت هنيئاً مريئاً.

و لهذا أردفت كلامها بقولها: «تلقاك يوم حشرک» إشاره إلى أن الإنسان يرى أعماله يوم القيامه قال تعالى: «و وجدوا ما عملوا حاضراً».

«فَنِعْمَ الْحَكَمَ اللَّهُ» في ذلك اليوم الحكم لله الواحد القهار، لا لك، الذي لا يجور، الذي لا يخفى عليه شىء من مظالم العباد.

«و الزعيم محمد» المحامى الذى يخاصمك هو سيد الأنبياء، و هو أبى، يطالبك بحق ابنته فاطمه.

«و الموعد القيامة» و هو يوم الفصل الذى كان ميقاتاً، و عند الله تجتمع الخصوم.

«و عند الساعة يخسر المبطلون» يخسر الذين ادّعوا الباطل، و ادّعوا ما ليس لهم. «و لا ينفعكم إذ تندمون» لا ينفع الندم فى ذلك اليوم، إذ الإنسان قد يندم فى الدنيا على عمله فينفعه الندم إذ إنه لا يعود إلى ذلك العمل، و لكن فى القيامة لا ينفع الندم إذ لا عمل هناك و إنما هو الحساب.

«و لكل نأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحلّ عليه عذاب مقيم» و هذا تهديد بعذاب الآخرة، الدائم المستمر.

ثم رَمَتْ بطرفها نحو الأنصار و هم أهل المدينة الذين نصرُوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لما هاجر من مكة إلى المدينة، و استنصرتهم بعد أن ذكّرتهم بسوابقهم المشرقة فى عهد الرسول.

و قالت: «يا معشر النقيبه» أيتها الطائفة النجيبه، و فى نسخه: «يا معشر الفتية» نسبت إليهم الفتوه و الشهامه كى تهيج عزائمهم و عواطفهم.

«و أعضاد المله» أعوان الدين.

«و حَضَنَه الإسلام» أيها المحافظون على الإسلام، احتضنتم الإسلام كما تحتضن المرأة ولدها أو كما يحتضن الطائر بيضه.

«ما هذه الغميزه فى حقى؟» ما هذا التغافل و السكوت عن حقى؟

«و السنه عن ظلامتى؟» السنه - بكسر السين - الفتور فى أول النوم.

و الظلامه: ما أخذهُ الظالم منك فتطلبه عنده، و تصف فاطمه الزهراء (عليها السلام) سكوتهم عن إسعافها بالسنه التى هى مقدمه للنوم الذى يفقد النائم فيه الشعور.

نعم، إنه موت الضمير، و تعطيل الإحساس، و ركود العاطفه، و فقد الإنسانيه.

«أما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أبى يقول: «المرء يُحَفِّظُ فى ولده؟» أى تحفظ كرامه الإنسان بحفظ كرامه أولاده و رعايه حقوقهم، كما قيل: «لأجل عين ألف عين تُكرم» أليس رسول الله أبى؟ ألسْتُ ابنته؟ أما ينبغى لكم أن تحترموا مكانتى لأجل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و فى نسخه: «أما كان لرسول الله أن يحفظ فى ولده؟» أما كان يستحق رسول الله أن تحفظ الامته كرامته فى أولاده و ذريته؟

«سرعان ما أحدثتم» تتعجب السيده فاطمه الزهراء من إسراعهم فى إحداث الأمور، و الاعتداء على آل الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

«و عجلان ذا إهاله» هذه الكلمه تشير إلى قضيه و يضرب بها المثل، و هى أن رجلاً كان له نعبه عجفاء هزيلة، يسيل مخاطها من منخريها، فقيل له: ما هذا؟ قال: سرعان ذا إهاله. و الإهاله: الشحم، أو الشحم المذاب، و تستعمل هذه الكلمه لمن يخبر بالشىء قبل وقته، و المقصود: إنكم دبّرتُم الأمور ضدّنا بكل استعجال و بكل سرعه.

«و لكم طاقه بما أُحاول» عندكم قدره و إمكانيه لإسعافى و مساعدتى و نُصرتى فى استرجاع حقوقى المغصوبه التى أقصد استردادها.

«و قوه على ما أطلب و أزاو» لستم ضعفاء عاجزين عن حمايتى و الدفاع عنى، فما عذركم، ما سبب سكوتكم؟ ما هذا التخاذل؟

«أتقولون: مات محمد» و مات دينه، و ماتت كرامته و حرمة، و ماتت المفاهيم المثلى، و خلى الجو؟

أهذا جرّأكم علينا أهل البيت؟

«فخطب جليل» فأمر عظيم شديد، لأن موت العظماء عظيم، و فى نسخه: «أتزعمون مات رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أيتم دينه، ها أن موته لعمرى خطب جليل».

ثم جعلت (عليها السلام) تصف فظاعه المصيبة و مدى عظمتها، و تأثيرها فى النفوس، فقالت:

استوسع و هنه» و فى نسخه: «استوسع وهيه» كالحصن الذى اتسع شقه «و استنهر فتقه» كالطعنه التى توسع الشق فى البدن.

«و انفتق رتقه» انشق المكان الملتئم منه، و الضمائر الثلاثه- فى وهنه و فتقه و رتقه تعود إلى الخطب.

«و أظلمت الأرض لغيبته» من الطبيعى أنه كان نوراً تستضىء به الأرض و من عليها و بوفاته أظلمت الأرض، و تجد فى القرآن آيات كثيره تعبّر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالنور كقوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين) (١).

«و كسفت النجوم لمصيبته» إن الضوء الذى تراه على وجه القمر و على بقية النجوم ما هو إلا انعكاس لنور الشمس على القمر و النجوم، فإذا زال نور الشمس انكسفت النجوم و زال عنها الضوء.

«و أكدت الآمال» أى انقطعت الآمال التى كانت منوطه برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بسبب وفاته، و ذلك كما يقال: خابت الظنون

ص: ٣٨٣

و انقطعت الآمال.

«و خشعت الجبال» من هول الفاجعه، و عظم الواقعه حتى الجمادات تتأثر بالحوادث العظيمه، كما قال تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشيه الله» (١).

«و أضيع الحريم» الحريم: ما يحميه الرجل و يقاتل عنه، و المقصود- هنا- حريم آل الرسول و هم عترته الطيبه.

نعم، ضاع حريمه أى ضياع! و انتهكت حرمة أى انتهاك!

«و أزيلت الحرمه عند مماته» و فى نسخه: «أدليت الحرمه عند مماته» أى غُلبت (بضم الغين و كسر اللام).

«فتلك- و الله- النازله الكبرى، و المصبيه العظمى» إن مصيبه وفاه العظماء تكون عظيمه، فكلما كانت عظمه المتوفى أكثر كانت مصيبه وفاته أعظم و أفجع، و لقد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أشرف مخلوق و أعظم إنسان، و أظهر كائن فبالطبع تكون وفاته نازله كبرى و مصيبه عظمى.

«لا مثلها نازله» لا توجد فى العالم مصيبه كبيره كمصيبه وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) لأنه لا يوجد فى العالم موجود كرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

«و لا- بائقه عاجله» أى لا مثلها داهيه فى القريب العاجل، إذ من الممكن أن تحدث فى العالم حادثه أعظم وقعاً من وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و هى حادثه قيام الساعه و قيام القيامة.

و لقد وصف الإمام على أمير المؤمنين (عليه السلام) مصيبه وفاه

ص: ٣٨٤

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «فنزّل بى من وفاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوه كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتى ما بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام، والقول والاستماع».

«أعلن بها كتاب الله - جل ثناؤه - فى أفنيتكم» أعلن القرآن الكريم بوفاه الرسول فى جوانبكم ونواحيكم، أى القرآن يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، وأصوات التلاوه مرتفعه من المسجد ومن البيوت والمساكن، وفى نسخه: «فى قبلتكم» والمقصود المسجد أو المصلّى الذى يتلى فيه القرآن.

«فى ممساكم ومصبحكم» مساءً و صباحاً كنتم تسمعون الآيات التى تخبر عن وفاه الرسول «هتافاً و صراخاً» كان الإعلان بوفاه الرسول بأنواع مختلفه: بالهتاف وهو القراءة مع الصوت والصراخ وهو القراءة بالصوت الشديد.

«و تلاوه و ألحاناً» بالتلاوه إذا كانت القراءة سريعه و بالألحان إذا كانت بتأمل و تأنى «و لقبه ما حلّ بأنبيائه و رسله حكم فصل، و قضاء حتم» إن الموت الذى حلّ بالأنبياء الذين كانوا قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من الأحكام المقطوع بها، التى لا شك فيها، و القضاء الذى لا يقبل التغيير، و المقصود: أن الموت هو سنّه الله فى عباده من أنبياء و غيرهم. ثم استدلت على كلامها بقول الله تعالى: «و ما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزى الله الشاكرين» و وجه

الاستدلال بالآية أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد مضت من قبله الأنبياء، ومات قبله المرسلون، إذا: فالموت ليس بشيء عجيب بالنسبة للرسول، بل على هذا جرت سنة الله في أنبيائه، إنهم يذوقون الموت كبقية الخلائق، وهذا لا يعني أنه إذا مات ماتت شريعته ومات دينه، وذهبت كرامته وحرمة.

«فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» أي فإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم بعد إيمانكم، فسمى الارتداد انقلاباً على العقب، والرجوع القهقري. «و من ينقلب على عقبيه» يرتد عن دينه «فلن يضر الله شيئاً» بل المضرة عائدة على المرتد «و سيجزى الله الشاكرين» المطيعين.

خطبه فاطمه الزهراء

إيهاً بنى قيله! (١).

أأهضم تراث أبيه؟

و أنتم بمرأى منى و مسمع.

و متندى و مجمع (٢).

تلبسكم الدعوه.

و تشملكُم الخبره (٣).

و أنتم ذوو العدد و العُدّه.

و الأداء و القوه.

و عندكم السلاح و الجُنّه.

توافيكم الدعوه فلا تجيبون؟

و تأتيكم الصرخه فلا تعينون؟

و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصلاح و النخبه التى انتخبتم، و الخيره التى اختيرتم (٤).

قاتلتم العرب، و تحمّلتم الكدّ و التعب (٥).

ص: ٣٨٧

١- ٤١٢. ايها: بمعنى هيهات او مزيدا من الكلام.

٢- ٤١٣. متندى: مجلس القوم.

٣- ٤١٤. الخبره: العلم بالشىء.

٤- ٤١٥. الخيره- بكسر الخاء و سكون الياء- المفضل من القوم.

٥- ٤١٦. الكد: الشده.

و ناطحتم الأمم.

و كافحتم البهيم (١).

لا نبرح أو تبرحون.

نأمركم فتأتمرون.

حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام.

و درّ حلب الأيام (٢).

و خضعت ثغره الشرك.

و سكنت فوره الإفك (٣).

و خمدت نيران الكفر (٤).

و هدت دعوه الهرج.

و استوسق نظام الدين.

فأنى حرّتم بعد البيان؟ (٥).

و أسررتم بعد الإعلان؟

و نكصتم بعد الإقدام؟ (٦).

و أشركتم بعد الإيمان؟

«ألا- تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم و همؤا بإخراج الرسول و هم بدأوكم أول مره أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين»
(٧).

ص: ٣٨٨

١- ٤١٧. البهم- جمع بهمه: الشجاع.

٢- ٤١٨. و فى نسخه: حلب البلاد.

٣- ٤١٩. و فى نسخه: فوره الشرك.

٤- ٤٢٠. و في نسخه: خبث نيران الحرب.

٥- ٤٢١. و في نسخه: افتاخرتم بعد الاقدام.

٦- ٤٢٢. و في نسخه: و ناكصتم بعد الشده، و جبنتم بعد الشجاعه عن قوم نكثوا ايمانهم.

٧- ٤٢٣. التوبه: ١٣.

ألا: قد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض (١).

و أبعدتم من هو أحقُّ بالبسط و القبض.

و خلوتم إلى الدعه (٢).

و نجوتم من الضيق بالسعه (٣).

فمجبتم ما وعيتم (٤).

و دسعتم الذى تسوَّغتم (٥).

فان تكفروا أُنتم و مَنْ فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد ألا: قد قلتُ ما قلت على معرفه منى بالخذله التى خامرتكم (٦) و الغدره التى استشعرتها قلوبكم (٧).

و لكنها فيضه النفس (٨).

و نفثه الغيظ (٩) و خَوَّر القنا (١٠).

و بَثَّ الصدر.

و تقدمه الحجه.

ص: ٣٨٩

١- ٤٢٤. الخفض: الراحه.

٢- ٤٢٥. الدعه: حفص العيش.

٣- ٤٢٦. و فى نسخه: الى السعه.

٤- ٤٢٧. مجبتم: رميتم و وعيتم: حفظتم.

٥- ٤٢٨. دسعتم: تقياتم و تسوغتم: شربتم بسهولة.

٦- ٤٢٩. خامرتكم: خالطتكم.

٧- ٤٣٠. استشعرتها: لبستها.

٨- ٤٣١. فاض صدره بالسر: باح به.

٩- ٤٣٢. كالدّم الذى يرمى به من الفم و يدل على القرحة.

١٠- ٤٣٣. ضعف النفس عن التحمل.

فدونكموها، فاحتقبوها دبره الظَّهرِ (١).

نقبه الخُفِ (٢).

بأقيه العار.

موسومه بغضب الله.

و شنار الأبدِ (٣).

موصوله بنار الله الموقده التي تطلع على الأفئدة.

فبعين الله ما تفعلون.

و سيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

و أنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فاعملوا إنا عاملون، و انتظروا إنا منتظرون.

ص: ٣٩٠

١- ٤٣٤. دونكموها: خذوها: دبره: مقروحه.

٢- ٤٣٥. نقبه الخف: رقيقه.

٣- ٤٣٦. شنار: العيب و العار.

«إيها! بنى قبيله» إيهاً بمعنى هيهات، و بمعنى الأمر بالسكوت، أو بمعنى طلب الزيادة من التحدث. يا أولاد قبيله، و هم الأوس و الخزرج، و قد تقدم الكلام عن شرحها.

«أأهضم تراث أبى؟» و فى نسخه: «أبيه» و قد تقدم أن الهاء - هنا - للوقوف و السكون و المعنى: هل يظلموننى فى إرث أبى؟

«و أنتم بمرأى منى و مسمع» و الحال أنتم فى مجلس و مكان يجمع بينى و بينكم، و المقصود: أنتم حاضرون و تسمعون كلامى و شكائيتى، و ترون حالى و مظلوميتى.

«تلبسكم الدعوه» تحيط بكم دعوتى و ندائى.

«و تشملكم الخبره» و يشملكم العلم و تعلمون الخبر، و فى نسخه: «الحيره» أى متحIRON أمام هذه المخاصمه.

«و أنتم ذوو العدد و العده» و أنتم أصحاب العدد الكثير و التأهب و الاستعداد، أى لستم قليلين حتى تعتذروا بقله العدد، بل أنتم ذو العدد الكامل.

«و الأداه و القوه» عندكم الوسائل و قدره و الإمكانيه لإسعا فى و نصرتى.

«و عندكم السلاح و الجُنه» و عندكم الأسلحه التى حاربتم بها و جاهدتم فى سبيل الله، و عندكم وسائل الدفاع.

«توافيكم الدعوه فلا تجيبون» تبلغكم دعوتي و استغاثتي فلا تجيبوني؟ «و تأتيكم الصرخه فلا تعينون» تأتيكم صرختي، صرخه المظلوميه و الاضطهاد فلا تعينوني؟

«و أنتم موصوفون بالكفاح» الجهاد فى سبيل الله، و استقبال العدو و مباشره الحرب.

«معروفون بالخير و الصلاح» و الأعمال الحسنه.

«و النخبه التى انتخبت» إن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انتخب المدينه و انتخبكم لهذه الغايات و الصفات.

«و الخيره التى اختيرت» و اختاركم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لنصرته، و لهذا هاجر إليكم.

«قاتلتم العرب» لأجل نصره النبى، و إعلاء كلمه الإسلام.

«و تحملتم الكد و التعب» فى الحروب و الغزوات، و مضاعفاتها من الحر و البرد، و التضحيه و تحمّل الجراح.

«و ناطحتم الأمم» قاتلتم الملل المختلفه من يهود و نصارى و غيرهم، كل ذلك دافعاً عن الرسول.

«و كافحتم البهم» قاتلتم الشجعان بدون ضعف و توانى.

«لا نبرح أو تبرحون» أى لا نبرح و لا تبرحون «نأمركم فتأتمرون» أى كنّا لم نزل آمريين و كنتم لأوامرنا مطيعين.

«حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام» أى قاتلتم و تحملتم و ناطحتم و كافحتم بصورة مستمره حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام حتى إذا انتظم أمر الإسلام بمساعينا و سبينا، و دارت رحى الإسلام دوراناً صحيحاً منتظماً.

«و درّ حلب الأيام» و كثرت الخيرات و الغنائم بسبب الفتوحات كاللبن الذى يدرّ أى يسيل بكثره من الثدى.

«و خضعت ثغره الشرك» ذلت رقاب المشركين و خياشيمهم للإسلام و سقطوا عن الاعتبار.

«و سكنت فوره الإفك» و هى غليان الكذب و هيجانه.

«و خمدت نيران الكفر» أى نيران الحرب التى كان الكفار يؤججونها.

«و هدأت دعوه الهرج» سكنت دعوه الفتنة و الباطل، و هدأت الإضطرابات.

«و استوسق نظام الدين» أى اجتمع و انتظم أمر الدين بعدما كان متشتتاً.

«فأئنّى حرتم بعد البيان؟» و الآن و بعد هذه المقدمات كيف تحيرتم بعد بيان الحاله و وضوحها عندكم، و كيف و قعتم فى وادى الحيره؟

«و أسررتكم بعد الإعلان؟» و كيف أخفيتكم أشياء كانت معلنه، أو كنتم تتجاهرون بها.

«و نكصتم بعد الإقدام» و كيف رجعتكم القهقرى بعد إقدامكم على الإسلام.

«و أشركتم بعد الإيمان؟» أشركتم بالله بمخالفتكم للرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فى أمر عترته.

«ألا تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم و همّوا بإخراج الرسول و هم بدأوكم أول مره أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين». أدمجت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) هذه الآيه فى حديثها، و إن كانت الآيه نزلت فى مشركى مكه الذين أرادوا إخراج رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من مكه أو نزلت فى اليهود و النصارى الذين نقضوا عهدهم و همّوا بإخراج الرسول من المدينه و على كل تقدير فإن السيده

فاطمه الزهراء (عليها السلام) تستنفرهم و تستنهضهم لنصرتها، و لا تقصد بكلامها هذا إثارة الفتنة، و لا إراقة الدماء، و لا تريد أن تقود جيشاً، أو تتزعّم حزباً، بل هي عارفه بأحوال الناس و اتجاهاتهم، عالمه بأن الأمر دبرٌ بليل، و لهذا قالت:

«ألا: قد أرى أن قد أخلدتُم إلى الخفض» أى أعلم أنكم قد أقمتُم على الراحة و سعه العيش.

«و أبعدتُم مَن هو أحق بالبسط و القبض» أبعدتُم الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الذى هو أحق و أولى بولاية الأمور، و التصرف فى قضايا الإسلام من غيره.

«و خلوتُم بالدعه» أى انفردتُم بالراحة و السكون.

«و نجوتُم من الضيق بالسعه» لأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يهادن، و لا يصانع، و لا يفضّل أحداً على أحد بالعطاء، و هذا ضيق بالنسبه لكم، و لهذا نجوتُم من هذا الضيق، و انتقلتُم إلى مَن هو طوع أمركم، سلس القياده، يفعل ما تشاءون، و يحكم بما تريدون.

«فمجبجتُم ما وعيتُم» أى رميتُم من أفواهكم ما حفظتُم.

«و دسعتُم الذى تسوّغتُم» أى تقيأتُم الشىء الذى شربتموه بسهولة و لذه، و المقصود الانسحاب عن الدين، و رفض الإيمان و لهذا أردفت كلامها هذا بهذه الآية.

«فان تكفروا أنتم و مَن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد» و لا تضرون إلا أنفسكم، و لا تخسرون إلا دينكم.

«ألا: قد قلت ما قلت على معرفه منى بالخذله التى خامرتكم» تقول: (عليها السلام) أنا أعلم اتجاهاتكم، و أعرف نفسياتكم، و حينما خطبت فيكم و استنهضتكم كنت أعلم بأنكم لا تنصروننى و لا تسعفوننى.

«و الغدره التى استشعرتها قلوبكم» استشعر الثوب إذا جعله شعاراً أى جعله متصلاً لجسده، ملاصقاً لبدنه، تقول (عليها السلام) أنا أعرف الغدر الملاصق بقلوبكم، الغدر الذى جعلتها قلوبكم شعاراً لها، و الغدر ضد الوفاء، أى لا أنتظر منكم الوفاء لمعرفتى بالغدره الموجوده فى قلوبكم.

«و لكنها فيضه النفس» أى تعبير عن الآلام فى النفس، فكما أن الإناء يفيض إذا امتلأ- بالماء كذلك النفس تفيض من كثره الحزن و استيلاء الهم.

«و نفثه الغيظ» ظهور آثار الغضب الموجود كالنزيف الذى يدل على القرحة فى الباطن «و خور القنا» أى ضعف الرمح، و المقصود عدم تحمّل لأكثر من هذه.

«و بثه الصدر» قال يعقوب (عليه السلام): «إنما اشكو بثى» أى همى، و هو الهم الذى لا يقدر صاحبه على كتمانها فيظهره.

«و تقدمه الحجه» إني خطبتُ فيكم، و قلتُ ما قلت لا- طمعاً فى نصرتكم، و لا- رجاءً فى حمايتكم، و إنما كان ذلك لأسباب نفسيه و دينيه، أما الأسباب النفسيه فقد ذكرتُها، و أما الأسباب الدينيه فهى تقدمه الحجه، أى إعلامكم بكل ما يلزم، و ذكر كل دليل و برهان و حجه على ما أقول، لثلاث تعذروا يوم القيامة، إنا كنا عن هذا غافلين أو ناسين، أو جاهلين، ما أبقيتُ لذى عذر عذراً، و لا- لذى مقال مقالاً عرّفت نفسى و نسبى لكم، و ذكرت ما يتعلق بالإمامه، و ذكرت حقى فى فدك، و استشهدت بالآيات البينات الثابته عندكم حول الميراث بصوره عامه و حول ميراث الأنبياء بصوره خاصه، و استنهضتكم لنصرتى و الطلب بحقى، فلم أجد فيكم مجيباً و لا مُعيناً.

«فدونكموها فاحتقبوها دبره الظهر» خذوا الخلافه و شدّوا عليها حقائبكم، و كأنها ناقه مجروحه الظهر، «نقبه الخف» رقيقه الخف.

«باقيه العار» دائمه الخزى فى الدنيا على مرّ التاريخ، و فى الآخرة و إلى الأبد.

«موسومه بغضب الله و شنار الأبد» على تلك الناقه علامه غضب الله و سخطه، و عليها علامه العار الأبدى الذى ينتهى بكم إلى:

«موصوله بنار الله الموقده التى تطلع على الأفئده» التى تتوقد و تؤجج نارها بصورة دائمه، النار التى تحرق الظاهر و الباطن، و تصل إلى الأفئده و القلوب. «فبعين الله ما تفعلون» إن الله تعالى يرى أعمالكم و أفعالكم و لا يغيب عنه و لا يخفى عليه شىء فكأنّ أفعالكم هذه بمحضر من الله تعالى.

«و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» و أى جزاء سيجازون و أى جحيم و عذاب سيصيرون إليه!!

«و أنا ابنه نذير لكم بين يدى عذاب شديد» إشاره إلى قوله تعالى: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً» أنا ابنه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) الذى أنذرتكم بعذاب الله الذى أعدّه للظالمين.

«فاعملوا إنا عاملون» اعملوا ما شئتم من ظلمنا فإننا عاملون ما يجب علينا من الصبر و التحمل «و انتظروا إنا منتظرون» انتظروا عواقب أفعالكم و نحن ننتظر عواقب الصبر على المحن.

ص: ٣٩٦

فاجابها ابو بكر (عبدالله بن عثمان) و قال:

يا ابنه رسول الله!

لقد كان أبوكِ بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً.

و على الكافرين عذاباً أليماً و عقاباً عظيماً.

إن عزوانه وجدناه أباكِ دون النساءِ (١).

و أخا إلفكِ دون الأخلاءِ (٢).

آثره على كل حميم (٣).

و ساعده فى كل أمر جسيم.

لا يحبّكم إلاّ كل سعيد.

و لا يبغضكم إلاّ كل شقى.

فأنتم عتره رسول الله الطيبون.

و الخيره المنتجبون.

على الخير أدلّتنا.

و إلى الجنه مسالكننا.

و أنت يا خيرہ النساء.

و ابنه خير الأنبياء.

ص: ٣٩٧

١- ٤٣٧. عزوانه: نسبناه.

٢- ٤٣٨. و فى نسخه: و اخا بعلك. و المعنى واحد.

٣- ٤٣٩. حميم: قريب.

صادقه في قولك.

سابقه في وفور عقلك.

غير مردوده عن حقك.

و لا مصدوده عن صدقك (١).

و الله ما عدوتُ رأى رسول الله!!! (٢).

و لا عملت إلا بإذنه.

و إن الرائد لا يكذب أهله (٣).

و إنى أشهد الله و كفى به شهيداً.

أنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول:

«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً و لا فضه و لا داراً و لا عقاراً و إنما نورث الكتاب و الحكمة، و العلم و النبوه، و ما كان لنا من طعمه فلو الى الأمر بعدنا، أن يحكم فيه بحكمه».

و قد جعلنا ما حاولته في الكراع و السلاح (٤).

يقاتل بها المسلمون.

و يجاهدون الكفار.

و يجالدون المردة الفجار (٥).

و ذلك بإجماع من المسلمين!!

لم أنفرد به وحدي.

ص: ٣٩٨

١- ٤٤٠. مصدوده: ممنوعه.

٢- ٤٤١. عدوت: جاوزت.

٣- ٤٤٢. الرائد: الذى يتقدم القوم، يبصر لهم الكلا و مساقط الثمار.

٤- ٤٤٣. الكراع- بضم الكاف:-جماعه الخيل.

٥- ٤٤٤. يجالدون: يضاربون.

و لم أستبد بما كان الرأى فيه عندي (١).

و هذا حالى و مالى.

هى لكى، و بين يديكى.

لا تزوى عنك (٢).

و لا تدخر دونك.

و أنت سيده أمه أيبكى.

و الشجره الطيبه لبنيك.

لا يدفع مالك من فضلك.

و لا يوضع فى فرعك و أصلك.

حكمك نافذ فيما ملكت يدای.

فهل ترين أن أخالف فى ذلك أباك (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

ص: ٣٩٩

١- ٤٤٥. استبد: انفراد بالامر من غير مشارك فيه.

٢- ٤٤٦. تزوى عنك: تقبض عنك.

الى هنا ذكرت السیده فاطمه الزهرا (عليه السلام) ما كان ينبغي لها ان تذكر، وادت ما يجب على اتم و اكمل ما يمكن، و هنا تصدى رئيس الدوله ليحييها:

فاجابها أبوبكر «عبدالله بن عثمان»: «يا ابنه رسول الله» سبحان الله! يعرفها و مع ذلك يكون موقفه ذلك الموقف.

«لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً أليماً و عقاباً عظيماً» هذا كله واضح، و ما المقصود من هذا الكلام؟

«إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء، و أخا إلفك دون الإخلاء» هذا تصديق لكلامها في أول الخطبه حيث قالت: «فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبى دون نسائك و أخا ابن عمى دون رجالكم».

«آثره على كل حميم» أى فضل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً على كل قريب.

«و ساعده فى كل أمر جسيم» إن علياً ساعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى كل امر عظيم.

«لا يحبكم الا كل سعيد، و لا يبغضكم الا كل شقى» اعتراف عجيب من قائله، ان صح اسناد هذا الكلام اليه.

«فانتم عتره رسول الله الطيبون، و الخيره المنتجبون» العتره التى لا يقبل كلامها و لا تمضى شهادتها فى قطعه من الارض، و الخيره التى تحملت اشد

أنواع الأذى من الناس!!

«على الخير أدلّتنا» جمع دليل و هو الهادى أى أنتم الهداه المرشدون إلى الخير.

«و إلى الجنة مسالكنا» أنتم طرق النجاه و الفوز بالجنة.

«و أنت - يا خيرہ النساء، وابنه خير الأنبياء - صادقہ فى قولك» لو كنتَ تعتبرها صادقہ فى قولها فلماذا لم ترد إليها حقها؟ لماذا سلبتها أموالها التى جعلها الله و رسوله لها؟

«سابقہ فى وفور عقلك، غير مردوده عن حقك و لا- مصدوده عن صدقك» فلماذا رددتها عن حقها أيها الرجل؟ و لماذا صددتها عن صدقها؟ ما هذا التناقض بين القول و الفعل.

«و الله ما عدوتُ رأى رسول الله» نعم، و الله لقد عدوتُ رأى رسول الله.

«و لا- عملتُ إلا- بإذنه» لا- و الله ما عملتُ بإذنه، لم يأذن لك رسول الله أن تغضب النحلہ التى أنحلها رسول الله ابنته فاطمه، أو تمنعها إرثها من أبيها.

«و إن الرائد لا يكذب أهله» هذا المثل فى غير مورده.

«و إنى أشهد الله و كفى به شهيداً» عجباً لحلم الله!!

هكذا يستشهد به فى الباطل؟

هكذا يتجرأ عليه؟

«إنى سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً و لا فضه و لا داراً و لا عقاراً، و إنما نورث الكتاب و الحكمة و العلم و النبوه، و ما كان من طعمه فلولوا إلى الأمر بعدنا أن يحكم فيه ما يحكمه».

الله يقول: الأنبياء يورثون. و رسول الله يقول: الأنبياء لا يورثون؟

أيهما الصحيح؟

ص: ٤٠١

و بعد هذا: أنت المدعى و أنت الشاهد و أنت الحاكم؟

و هل يوجد فى العالم حكم هكذا؟ أو قانون كهذا القانون؟!

أنت سمعت رسول الله يقول هكذا و ابنته لم تسمع ذلك منه؟!

الرسول أخبرك و ما أخبر ابنته التى كانت أراضى فذك بيدها و تحت تصرّفها؟

و أى كتاب ورّثه الرسول؟

القرآن؟ القرآن كان ملكاً للرسول حتى يورّثه؟ و هل النبوه تورث؟!

و هل كان نبى إذا مات تنتقل النبوه إلى أولاده و ورثته؟

و من الذى ورث النبوه من رسول الله؟!

و هل أنت ولى الأمر أم الذى ولى الله بقوله: «إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه و هم

راكعون» من ولى الأمر بعد الرسول؟!

أنت ولى الأمر أم الذى بايعته أنت يوم غدير خم بأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و سلّمت عليه بإمره المؤمنين؟ و هو على بن أبى طالب.

أترى أن تعلم هذا الحديث و على بن أبى طالب لا يعلم؟ و هو أكثر التصاقاً و أشد اتصالاً و التزاماً بالرسول، حسب اعترافاتك، و هو باب مدينه علم الرسول.

و إن كان النبى لا يورث فلماذا بقيت حجراته تحت تصرّف زوجاته؟ و لماذا لم تصدر تلك الحجرات؟

مع العلم أن تلك الحجرات كانت ملكاً لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بصريح قوله تعالى: «لا تدخلوا بيوت النبى» فيتيين أن البيوت كانت للرسول، فبأى قانون شرعى و بأى مبرر دينى سكنت زوجات

الرسول فى تلك الحجات إلى آخر حياتهن؟

و لماذا شمل التأميم السيده فاطمه عزيزه رسول الله و بضعته و لم تشمل زوجاته؟؟

«وقد جعلنا ما حاولته فى الكراع و السلاح يقاتل بها المسلمون، و يجاهدون الكفار، و يجالدون المردّه الفجار» و هل يجوز صرف الأموال المغصوبه، فى سبيل الله لتقويه المسلمين،

و هل كانت جيوش المسلمين بحاجه إلى هذه الأموال التى أخذت ظلماً؟

«و ذلك بإجماع من المسلمين» ما قيمه هذا الإجماع المناقض لكتاب الله؟

و أى إجماع هذا و آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عترته لا يعترفون بهذا الأمر و لا يوافقون بهذه التصرفات؟

و هل ينفع الإجماع على الظلم و على مخالفه كتاب الله و سنه النبى؟

و كأن أبابكر أراد بكلامه هذا استماله قلوب المسلمين كى لا يخالفه أحد، و إلا فقد ثبت أن أبابكر هو المدعى الوحيد لحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» و لم يجمع المسلمون على صحه هذا الحديث المخالف لصريح كلام الله تعالى.

نعم فى كتاب (كشف الغمه): إنه لما ولى عثمان قالت عائشه: أعطنى ما كان يعطينى أبى و عمر.

فقال عثمان: لا أجد لها موضعاً فى الكتاب و لا فى السنه، و لكن كان أبوبكر و عمر يعطيانك من حصه أنفسهما، و أنا لا أفعل.

فقلت: فاعطنى ميراثى من النبى (ص).

قال: أليس جئت و شهدت أنت و مالك بن أوس النضرى أن رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لا يورث؟ فأبطلت حق فاطمه، و جئت تطليبه؟- الى آخره (1).

أقول: العجب أن شهادة عائشه بنت أبى بكر تقبل و شهادة فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقبل؟

و شهادة مالك بن أوس النضرى البوال على عقيبه تقبل و شهادة أمير المؤمنين على بن أبى طالب نفس رسول الله و أعز الخلق إليه لا تقبل!

اقرأ ثم احكم.

و بهذا اتضح لنا كلامه: «لم انفرد به وحدى، و لم أستبد بما كان الرأى فيه عندى» نعم، لم انفرد به وحده، بل ساندته و شهدت له ابنته عائشه صاحبه المواقف المشهوره اتجاه فاطمه و زوجها على.

«هذه حالى و مالى، هى لك و بين يديك، لا تزوى عنك و لا تدخر دونك» مجاملات فارغه لا حقيقه لها أصلاً، و ما أكثر هذه المجاملات عند رجال السياسه.

«أنت سيده أمه أبىك، و الشجره الطيبه لبنىك، لا يدفع مالك من فضلك، و لا يوضع فى فرعك و أصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يدائى» هذه الكلمات و إن كانت حقائق، إلا أنها استعملت للخداع، و التلون فى الكلام، و سياأتىك- فى المستقبل- كلام حول آراء السياسيين، و الأساليب التى يستعملونها حسب الظروف. «فهل ترين أن أخالف فى ذلك أباك (صلى الله عليه وآله وسلم)؟».

أيها الناس! إن أبابكر يجتنب مخالفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و لكن سيده نساء العالمين و بضعه رسول الله التى أذهب الله عنها

ص: ٤٠٤

الرجس و طهرها تطهيراً تخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

هل يقبل عقلك؟

هل يرضى وجدانك بهذا؟

و أية مخالفه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا خضع المسلم للقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؟

هل العمل بآيات المواريث بين الأنبياء يعتبر مخالفه لرسول الله؟

و هل تصديق كلام بنت رسول الله - المعصومه بصريح القرآن - و تصديق كلام زوجها على الذى كان نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون مخالفه لرسول الله؟

ماذا أقول إذا انقلبت المفاهيم، و انعكست الحقائق، و تبدلت المقاييس و تغيرت الموازين، و صار المنكر معروفاً و المعروف منكراً؟

الرجل يدعى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلاماً مخالفاً للقرآن، مناقضاً للشريعة الإسلامية، و آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و عترته الطيبة لا يعترفون بهذا الكلام، بل يكذبونه على ضوء القرآن، ثم يتورع الرجل «على زعمه» من مخالفه ذلك الكلام المفترى على الرسول.

و الآن استمع إلى ردّ السيدة فاطمه الزهراء لهذه المفتريات و الأكاذيب:

ص: ٤٠٥

قالت (عليها السلام):

سبحان الله.

ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتاب الله صادفاً (١).

ولا لأحكامه مخالفاً.

بل كان يتبع أثره.

و يقفوا سورة (٢).

أفجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور.

و هذا بعد وفاته شبيه بما بُغى له من الغوائل في حياته الغوائل - جمع غائله: الحادته المهلكه.

هذا كتاب الله حكماً عدلاً.

و ناطقاً فصلاً.

يقول:

«يرثني ويرث من آل يعقوب».

«و ورث سليمان داود».

فبين (عز و جل) فيما وزع عليه من الأقساط.

ص: ٤٠٦

١- ٤٤٨. صادفاً: معرضاً يقال: صدفت عن الحق اذا عرض عنه.

٢- ٤٤٩. يقفوا: يتبع.

و شرع من الفرائض و الميراث.

و أباح من حظ الذكران و الإناث.

ما أزاح عله المبطلين.

و أزال التظني و الشبهات في الغابرين (١).

كلاً، «بل سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ».

ص: ٤٠٧

١- ٤٥٠. التظني: اعمال الظن. الغابرين: الباقيين.

قالت: «سبحان الله» فى مقام التعجب، استعظماً لهذا الافتراء على رسول الله الصادق المصدق الذى ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (صلى الله عليه وآله وسلم).

«ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتاب الله صادفاً» ما كان الرسول معرضاً عن كتاب الله المجيد.

«و لا لأحكامه مخالفاً» بأن يقول شيئاً يخالف القرآن، و حديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» مخالف للآيات التى تصرّح بوراثه الأنبياء، و إنهم يرثون و يورثون.

حاشا نبى الله أن يخالف كلام الله «بل كان يتبع أثره» يسير مع القرآن و على ضوء القرآن و تحت ظلاله.

«و يقفو سورة» أى سور القرآن، و يتبعها سورة بعد سورة فكيف يقول شيئاً يخالف كلام الله، و يناقض أحكام الله؟

«افتجمعون إلى الغدر اعتلاً» عليه بالزور» تقول السيدة فاطمه (عليها السلام) قد جمعت بين جريمتين: جريمه الغدر و هى غصب فدك، و جريمه الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أى هل تضيفون إلى الغدر اعتذاركم على العذر بالكذب، و هذا كمن يقتل إنساناً ظلماً ثم يعتذر من عمله بأن المقتول كان سارقاً، فهو قد جمع بين جريمه القتل و جريمه الكذب و الافتراء.

«و هذا بعد وفاته شبيه بما بُغِيَ له من الغوائل في حياته» تقول (عليها السلام) ليس هذا بشئ جديد، فإن القيام ضد آل الرسول بعد وفاته يشبه المؤامرات و النشاطات المسعوره التي كانت ضده في حياته، فلقد أراد المنافقون أن يقتلوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ليله العقبه، و يُنفروا ناقتة على شفير الوادى لتسقط ناقة النبي في الوادى فيهلك رسول الله و التفصيل مذكور في محله، راجع تفسير قوله تعالى: «يحلِفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمه الكفر، و كفروا بعد إسلامهم و هموا بما لم ينالوا... الآية» (١).

«هذا كتاب الله حكماً عادلاً و ناطقاً فصلاً» هذا القرآن حال كونه حاكماً عادلاً، ناطقاً قاطعاً للخصومات، نجعله مرجعاً نتحاكم إليه، هذا القرآن يقول: «يرثني و يرث من آل يعقوب» في قصه زكريا و قد مر الكلام حول الآية.

«و ورث سليمان داود» قد ذكرنا ما تيسر أيضاً حول وراثه سليمان من داود (عليهما السلام).

و أنتم تقولون: إن رسول الله قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» كيف يخالف رسول الله القرآن؟ و كيف يعرض عن حُكم وراثه الأنبياء.

«فبين (عز و جل) فيما وزّع عليه من الأقساط».

«لقد بين الله تعالى فيما قسّم من نصيب كل من الورثه.

«و شرع من الفرائض و الميراث» الفرائض: هي الحصص المفروضه المقدّره للورثه كالنصف و الثلث و الربع و السُدس و الثمن كما هو مذكور في الكتب الفقهيّه.

ص: ٤٠٩

«وَأَبَاحَ مِنْ حِظِّ الذَّكَرَانِ وَالْإِنْثَاءِ» فِي شَتَّى مَرَاتِبِ الْوَرَثَةِ مِنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ وَالْأَبِّ وَالْأُمِّ وَالْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ وَالْمَرَاتِبِ الْمَتَّاعَةِ عَنْهُمْ.

«مَا أَزَاحَ عَنْهُ الْمُبْطِلِينَ» لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَشَرَعَ وَأَبَاحَ مَا فِيهِ الْكَفَايَةُ لِإِزَالِهِ أَمْرَاضِ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَكُلِّ مَنْ جَاءَ بِالْبَاطِلِ.

«وَأَزَالَ التَّظَنِّيَّ وَالشَّبْهَاتِ فِي الْغَابِرِينَ» لَمْ يَبْقَ مَجَالٌ لِلشَّكِّ وَالشَّبْهِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَجْيَالِ الْمَوْجُودَةِ أَوِ الْآتِيَةِ.

«كَلَّا» لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، أَوْ كَمَا تَدَّعُونَ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ مَلْتَبَسًا عَلَيْكُمْ.

«بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا» بَلْ زَيَّنَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ حُبَّ الرِّئَاسَةِ وَكَرْسَى الْحُكْمِ، وَمَنْصِبَهُ الْقُدْرَةِ، فَانْسَبْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى يَتَحَقَّقَ هَدْفُكُمْ، وَتَنَالُوا غَايَتَكُمْ.

«فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» نَصْبِرْ وَنُسْتَعِينُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَحْمِلِ هَذِهِ الْمَآسِي وَالْمَصَائِبِ.

وَالْآنَ اسْتَمِعْ إِلَى دِفَاعِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ نَفْسِهِ، وَانْتَبِهْ إِلَى تَبَدُّلِ الْكَلَامِ، وَتَذْدِيقِ الْمُنْطَقِ، وَتَغْيِيرِ الْأَسْلُوبِ، وَعَدَمِ الْإِهْتِمَامِ بِالتَّنَاقُضِ فِي الْكَلَامِ.

جواب أبي بكر

فقال ابوبكر:

صدق الله و صدق رسوله

و صدقت ابنته

أنتِ معدن الحكمة

و موطن الهدى و الرحمة

و ركن الدين

و عين الحجة

لا أبعدُ صوابك

ولا أنكر خطابك

هؤلاء المسلمون بينى و بينك

قلّدتنى ما تقلّدت

و باتفاق منهم أخذتُ ما أخذت

غير مكابر و لا مستبد

و لا مستأثر

و هم بذلك شهود

ص: ٤١١

لما زِيَّفت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) الحديث الذى اختلقه أبوبكر و نسبته إلى الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و أبطلت ذلك الادعاء بالأدلة القاطعه و الحجج الساطعه، عجز أبوبكر عن تفنيد الحجج و البراهين التى استدلت بها السيدة فاطمه. و لهذا دخل من باب آخر، كى لا يتحمل المسئوليه هو وحده، بل تكون المسئوليه على المسلمين الذين وافقوا على تصرفاته، فقال «صدق الله و صدق رسوله و صدقت ابنته» تصديق لآيات المواريث بين الأنبياء، و تصديق للرسول الذى لا يخالف القرآن و كأنه ينسحب عن الحديث الذى نسبته إلى النبى «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» و تصديق لكلام بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و سلم)

«أنت معدن الحكمه، و موطن الهدى و الرحمه، و ركن الدين و عين الحجه» اعترافات عجيبيه تدل على التنازل و الانسحاب «لا أبعدُ صوابك و لا- أنكر خطابك» إقرار بصواب قولها، و اعتراف بصدق خطابها و كلامها، و لكن كله سورى أى باللسان لا بالعمل فالزهراء صادقه القول فى ادعائها فذك، لا- يشك أحد فى ذلك و لكن السلطه المعترفه بصدق كلامها لا تردّ إليها حقوقها، لماذا؟ و كيف؟ «هؤلاء المسلمون الحاضرون بينى و بينك هم قلدونى ما تقلدت» و هذا اعتراف صريح منه أنه لم يصل إلى الخلافه بالنص و التعيين من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

و آله و سلم) و إن رسول الله لم يستخلفه، بل المسلمون قلّدوه الخلافة.

«و باتفاق منهم أخذت ما أخذت» أنظر إلى تبدّل المنطق فقد قال أولاً: إنه استولى على فدك عملاً بقول الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم): «نحن معاشر الأنبياء... الى آخره»، و بعد أن أبطلت السيده فاطمه هذا الكلام تشبّث بوسيله أخرى، و هى اتفاق المسلمين على غضب فدك. مَن هم المسلمون الذين اتفقوا على أخذ أبى بكر فدك؟

بنوهاشم؟ أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟ رؤساء الصحابه أمثال: سلمان و المقداد و عمار و أبى ذر و نظرائهم؟

إن كلمه: «و باتفاق منهم أخذت ما أخذت» هى عباره اخرى عن كلمته السابقه: «و ذلك بإجماع المسلمين» و قد ذكرنا قيمه ذلك الإجماع و قس عليها قيمه هذا الاتفاق منهم على أخذ فدك فاطمه.

«غير مكابر و لا مستبد و لا مستأثر و هم بذلك شهود» حينما استشهد أبوبكر بالمسلمين كان لزاماً على السيده فاطمه أن توجه عتاباً لاذعاً إليهم:

ص: ٤١٣

فاطمه الزهراء توجه الخطاب إلى الحاضرين

معاشر الناس.

المُسْرَعِ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ.

المُغْضِيهِ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ (١) أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا؟

كَلَّا، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَصَاتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ.

وَلَبِئْسَ مَا تَأْوَلْتُمْ.

وَسَاءَ مَا بِهِ أُشْرْتُمْ.

وَشَرُّ مِنْهُ اعْتَصْتُمْ.

لِتَجِدَنَّ - وَاللَّهِ - مَحْمَلَهُ ثَقِيلًا.

وَعَبْئَهُ وَبِئَلَّا (٢).

إِذَا كَشَفَ لَكُمْ الْغَطَاءَ وَبَانَ مَا وَرَاءَهُ الضَّرَاءُ.

وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ، وَخَسِرَ هُنَاكَ الْمَبْطُلُونَ.

ص: ٤١٤

١- ٤٥٢. المغضيه: الساكتة الراضيه.

٢- ٤٥٣. الغب- بكسر الغين -: العاقبه.. الوبيل: الشديد الثقيل.

و جهت السيده فاطمه عتابها الاخير الى تلك الجماهير المتجمهره التي كانت تستمع الى ذلك الحوار الحاد و قالت:

«معاشر الناس المسرعه إلى قيل الباطل» أى القول الباطل، أى أسرعتم إلى قول باطل إذ أنكم قلّعدتم هذا الرجل ما قلّعدتم، و اتفقتم معه - حسب ادعائه - على غضب حقوقي.

«المغضيه على الفعل القبيح الخاسر» الإغضاء هو إدناء الجفون على العين، كالذى ينظر إلى الأرض أو ينظر في حجره، كناية عن السكوت و الرضا بالفعل القبيح الخاسر الذى هو سبب خسران صاحبه.

«أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟» هل نسيتم الآيات النازله فينا؟ أو لم تفهموا الآيات التى تلوتها فى وراثه الأنبياء؟ أم قلوبكم مقفله مغلقه فلا تنفتح لكلام الله و أحكامه فى القرآن؟

«كلاً» ليس السبب عدم التدبر فى القرآن «بل ران على قلوبكم ما أسأت من أعمالكم» أى غلب على قلوبكم و غطّاها سوء أعمالكم كالحجاب الكثيف، كما تغطّى الخمره عقل شاربها فلا يفهم و لا يشعر، و تختل عنده الأمور.

«فأخذ بسمعكم و أبصاركم» كالغفله المستوليه على القلب، المؤثره على السمع و البصر، فلا يسمع الغافل الصوت و لا يبصر الشئ بسبب انشغال قلبه و غفلته.

«و لبئس ما تأوّلتم» فى آيات القرآن و أحكام الإسلام و تغييرها عن مجراها الحقيقى «و ساء ما به أشرت» تقصد التعاون و الاتفاق على غضب حقوق آل محمد (عليهم السلام).

«و شرّ ما منه اعتضتم» أى ساء ما أخذتم به عوضاً عما تركتم أى بئس الباطل الذى أخذتموه عوضاً عن الحق، و كلها كنايات و إشارات يفهمها الأذكياء.

«لتجدن- و الله- محمله ثقيلاً- و غبه و بيلاً» إشاره إلى المسؤوليه الكبرى يوم القيامة، و الحمل الثقيل و الأمر الشديد الذى يعاقبون عليه أشد العقاب، و يعدّون عليه أشد العذاب.

«إذا كشف لكم الغطاء» إذ تمّ و انتقلتم إلى عالم الجزاء.

«و بان ما وراءه الضراء» و ظهر لكم الشىء الذى وراءه الشده.

«و بدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، و خسر هنالك المبطلون» و هكذا أدمجت السيدة فاطمه حديثها و خطابها مع الآيات المناسبه للمقام.

لقد أتمت السيدة فاطمه الحجه على الجميع، و أدّت ما عليها من الواجبات، و سجلت آلامها فى سجل التاريخ و الآن:

شكوى الى رسول الله

ثم عطفت على قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قالت:

و قالت

قد كان بعدك أنباء و هنبثه (١)

لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب (٢).

ص: ٤١٦

١- ٤٥٤. الهنبثه: الامر الشديد المختلف.

٢- ٤٥٥. الخطب- بضم الخاء و الطاء- جمع خطب- بفتح الخاء- و هى المصائب الشديده.

إنا فقدناك فقد الأرض و ابلها (١)

و اختل قومك فاشهدهم و قد نكبوا (٢) .

و كل أهل له قُربى و منزله

عند الإله على الأدينين مقترب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم (٣)

لما مضيت و حالت دونك التُّرب

تجهمتنا رجال و استُخف بنا

لما فُقدت، و كل الإرث مغتصب (٤) .

و كنت بدرأ و نوراً يُستضاء به

عليك تنزل من ذى العزه الكتب

و كان جبريل بالآيات يؤنسنا

فقد فُقدت، فكل الخير مُحْتَجِب

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما مضيت و حالت دونك الكُتب (٥) .

إنا رُزينا بما لم يُرز ذو شجن (٦)

من البريه لا عجم و لا عرب

و فى ناسخ التواريخ زياده هذه الأبيات:

سيعلم المتولى ظلم حامتنا

يوم القيامه ائنى سوف ينقلب

و سوف نبكيك ما عشنا و ما بقيت

له العيون بتهمال له سكُّ

و قد رزينا به محضاً خليقته

صافى الضرائب و الأعراق و النسبُ

فأنت خير عباد الله كلهم

و أصدق الناس حين الصدق و الكذبُ

و كان جبريل روح القدس زائرنا

فغاب عنا فكل الخير محتجبُ

ضاقَت على بلادٌ بعد ما رحبتُ

وسيم سبطاك خسفاً فيه لى نصَّبُ

و فى كشف الغمه: و غيره: ثم عطفت على قبر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فتمثّلت بقول هند بنت أثنائه: قد كان بعدك.. الى آخره.

ص: ٤١٧

١- ٤٥٦. الوابل: المطر العزيز الكثير.

٢- ٤٥٧. نكبوا: عدلو عن الطريق.

٣- ٤٥٨. نجوى - هنا -: الاحقاد.

٤- ٤٥٩. مغتصب: مغضوب.

٥- ٤٦٠. الكتب - بضم الكاف و الثاء - جمع كتيب و هو الرمل.

٦- ٤٦١. رزينا: من الرزية و هى المصيبة. و الشجن: الحزن.

وقيل: هذه الأبيات لهند بنت أبان بن عبدالمطلب تمثلت بها السيدة فاطمه، و على كل فقد ألقت السيدة فاطمه نفسها على قبر أبيها و هي تنشد هذه الأبيات. و فى كشف الغمه: فما رأينا أكثر باك و لا باكيه من ذلك اليوم.

و لما ايست السيدة الزهراء (عليها السلام) من ابى بكر و استعاده حقوقها المغتصبه منه رجعت الى دارها و هى تقول: «اللهم انهما ظلما بنت نبيك حقها، فاشدد و طاتك عليهما» (١).

و فى صحيح البخارى - كتاب الخمس -...: فغضبت فاطمه بنت رسول الله، فهجرت ابابكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت.

و روى مثله مسلم فى صحيحه - كتاب الجهاد و السير فى باب قول النبى: لا نورث - و رواه البيهقى فى السنن ج ٦ ص ٣٠٠، و احمد بن حنبل فى مسنده ج ١ ص ٦، و ابن سعد فى طبقات الصحابه ج ١٨، و غيرهم.

ص: ٤١٨

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغه: لما سمع أبوبكر خطبتها المذكوره و ما وقع بين الناس من الاختلاف و الهمهمه في سوء تلك المقدمه و خاف أن تنعكس القضيه شق عليه ذلك فصعد المبر فقال:

أيها الناس! ما هذه الرعه إلى كل قاله؟ أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله؟ ألا! من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم، إنما هو ثعالبه، شهيدته ذنبه، مربّ لكل فتنه هو الذى يقول: كزوها جذعه بعد ما هرمت. يستعينون بالضعفه و يستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها البغى ألا: إنى لو أشاء لقلت: و لو قلت لبُحت، إنى ساكت ما تُركت.

ثم التفت إلى الأنصار فقال: يا معشر الأنصار قد بلغنى مقاله سفهائكم و أحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأويتم و نصرتهم، ألا: إنى لست باسطاً يداً و لساناً على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل.

ثم قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى و قلت له: بمن يعترض؟ فقال: بل يصرح.

قلت: لو صرح لم أسئلك.

فضحك فقال: لعلى بن أبى طالب!!

قلت: هذا الكلام كله لعلى يقوله؟

قال: نعم إنه المُلْك يا بنى.

قال: هتفوا بقول عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم. فسألته عن غريبه (أى شرح الكلمات) فقال:

أما الرعه - بالتخفيف - أى الاستماع والإصغاء. و القاله: القول. و ثعاله: اسم الثعلب، مثل ذؤاله للذئب. و شهيد دَنَبه: أى لا شاهد له على ما يدّعيه إلا بعضه و جزء منه، وأصله مَثَل: قالوا: إن الثعلب أراد أن يُغري الأسد بالذئب فقال له: إنه قد أكل الشاه التى كنت أعددتها لنفسك، و كنت حاضراً، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع دَنَبه و عليه دم. و كان الأسد قد افتقد الشاه، فقبل شهادته، و قتل الذئب. و «مربّ»: ملازم، من أربّ بالمكان و (كروها جذعه): أعيدوها إلى الحال الأولى يعنى الفتنة و الهرج و «أم طحال» امرأه بغى فى الجاهليه يضرب بها المثل، فيقال: أزنى من أم طحال.

اقول: نحن لا نقول شيئاً على هذه الكلمات التى استعملها أبوبكر فى آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عترته الطاهره الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و لا نعاتبه على أدبه فى المنطق و تعبيره فى الكلام!.

و لكن نقول: قرّت عينك - يا رسول الله - فهكذا يقال فى حق ابنتك و عزيزتك و حبيبتك فاطمه الزهراء!! و هكذا يقال فى حق أخيك و خليفتك و وزيرك و حامل لوائك: أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب!!

و كل هذا على منبرك و فى مسجدك و فى جوار مرقدك.

قرّت عيناك يا أبافاطمه الزهراء و بشراك بل بشريان!! فهذه كرامه أهل بيتك، و عترتك عند أبى بكر و أشباهه!

و فى الدر النظيم للشيخ جمال الدين الشامى قال- بعد خطبه فاطمه (عليها السلام) فى المسجد و كلام أبى بكر:- فقالت أم سلمه «رضى الله عنها» حين سمعت ما جرى لفاطمه (عليها السلام):

ألمثل فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقال هذا القول؟؟!!

هى و الله الحوراء بين الإنس، و النَّفْس للنفس، رُبِّيت فى حجور الأتقياء، و تناولتها أيدي الملائكة، و نمت فى حجور الطاهرات، و نشأت خير نشأه، و ربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حَرَمَ عليها ميراثه و لم يُعلمها؟ و قد قال الله تعالى: «و أنذر عشيرتَك الأقرين» أفأنذرهما و خالفت متطلبه؟؟!!

و هى خيرَ النسوان و أم سادة الشَّبَّان، و عديله مريم، تَمَّتْ بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرِّ و القَرِّ، و يوسدها يمينه و يلحفها بشماله.رويداً و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بمرأى منكم، و على الله تردون واهاً لكم، فسوف تعلمون).

قال: فَحُرِّمَتْ عطاءها تلك السنه!

رجوعها إلى الدار و كلامها مع زوجها

ثم انكفأت (عليها السلام) (١).

و أمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها إليه (٢).

و يتطلع طلوعها عليه.

فلما استقرت بها الدار قالت لأمر المؤمنين (عليه السلام):

يا بن أبي طالب.

اشتملت شمله الجنين (٣).

وقعدت حجره الظنين (٤).

نقضت قادمة الأجدل (٥).

فخانك ريش الأعزل (٦).

هذا ابن قحافه يبتزني نحله أبي (٧).

ص: ٤٢٢

١- ٤٦٣. انكفأت: رجعت.

٢- ٤٦٤. يتوقع: ينتظر.

٣- ٤٦٥. اشتمل الثوب: اذا اداره على الجسد. و الشملة-بكسر الشين-: ما يشتمل به، و المقصود هنا: مشيمه الجنين، و هى محل الولد فى الرحم.

٤- ٤٦٦. الحجره- بضم الحاء-: البيت. و بضم الحاء و سكون الجيم ثم الزاء: هو المكان الذى يحتجز فيه. و الظنين: لبعثهم.

٥- ٤٦٧. نقضت: ضد ابرمت. و القادمة- واحده القوادم- و هى مقادير ريش الطائر. و الاجدل: الصقر.

٦- ٤٦٨. خانك من الخيانه. و فى نسخه: خاتك: اى انقض عليك.

٧- ٤٦٩. يبتزنى: يسلبنى بالقهر و الغلبه. و النحله- بكسر النون-: العطيه، و النحليه تصغيرها.

و بُلِّغَهُ ابْنِي (١).

لقد أجهر في خصامي (٢).

و ألفتِه الألد في كلامي (٣).

حتى حبستني قبله نصرها (٤).

و المهاجره و صلها (٥).

و غَضَّت الجماعة دوني طرفها.

خرجت كاظمه، و عدت راغمه (٦).

أضرعتَ خدك يوم أضعتَ خدك (٧).

افترست الذئاب و افترشت التراب.

ما كففتَ قائلًا و لا أغنيتَ باطلاً (٨).

و لا خيار لي (٩).

ليتني متُّ قبل هيتني (١٠).

ص: ٤٢٣

١- ٤٧٠. البلغه: ما يتبلغ به من العيش و يكتفى به.

٢- ٤٧١. اجهر: اعلن بكل وضوح. و في نسخه: اجهد: اى جد و بالغ.

٣- ٤٧٢. الفيته: وجدته. والالد: شديد الخصومه، و في نسخه: اجهد في ظلامى والد في خصامتي.

٤- ٤٧٣. حبستني: منعتني. و قبله: اسم ام الاوس و الخزرج. و هما قبيلتان من الانصار.

٥- ٤٧٤. المهاجره: المهاجرون. و صلها: عونها. اى حبسني.

٦- ٤٧٥. كاظمه: متجرعه الغيظمع الصبر.

٧- ٤٧٦. اذلت، واضعت حدك: اهملت قدرك و في نسخه: جدك و هو الحظ.

٨- ٤٧٧. ما كففت: ما منعت.

٩- ٤٧٨. لاخيار لي: لا اختيار لي.

١٠- ٤٧٩. هيتني - بكسر الهاء - مهانتني.

و دون ذلّتی.

عذیری الله منک عادياً و منک حامياً.

ویلائی فی کل شارق.

مات العمد و وهن العصد.

شکواى إلى أبی.

و عدواى إلى ربی.

اللهم أنت أشدُّ قوه و حولاً.

و أحدُّ بأساً و تنکیلاً.

فقال أميرالمؤمنین (علیه السلام):

لا ویل علیک.

بل الویل لشانئک.

نهی عن وجدک یا بنه الصفوه (١).

و بقيه التّبوه.

فما و نیت عن دینی (٢).

و لا أخطأت مقدورى.

فإن كنت تریدین البُلغه فرزقک مضمون (٣).

و کفیلک مأمون.

و ما أعدّ لک خیر مما قُطع عنک.

فاحتسبى الله.

فقال: حسبى الله. و أمسکت.

۱- ۴۸۰. نه نهی: کفی، وجد ک: حزن ک.

۲- ۴۸۱. ونیت: عجزت.

۳- ۴۸۲. البلغه- بضم الباء-: الکفایه.

كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ينتظر السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) زميلته في الجهاد، و شريكته في الآلام و الآمال.

ينتظر رجوعها من ساحه الجهاد، من مسجد أبيها.

من المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى أكبر مركز إسلامى يومذاك.

رجعت و هى مرهقه بأتعاب الجهاد المتواصل. و حياتها كلها جهاد.

رجعت و هى منتصره، و إن كانت- فى الوقت نفسه- مغلوبه على أمرها مظلومه مهضومه، منكسره القلب، متعبه الأعصاب، حزينه.

انتصرت لأنها أعلنت للجماهير، للأجيال، للتاريخ أنها مظلومه، مغضوب حقها أنها أدانت السلطه بالخطأ المكشوف، بالاعتداء المقصود.

انتصرت لأنها عزّفت الإسلام كما ينبغى.

تحدثت عن النقاط الرئيسيه فى الإسلام، عن التوحيد عن النبوه و الإمامه، و علل الأحكام، و فلسفه الشريعه الإسلاميه، و بكل ما يدور فى هذا الفلك الواسع الشاسع.

و وصلت إلى بيتها، و قد بقى الشوط الأخير من أشواط الجهاد.

رجعت لتكشف حقيقه أخرى لأهل العالم. للتاريخ.

و اختارت- لكشف الحقيقه- هذه الطريقه و هذا الأسلوب أسلوب الحوار مع زوجها. الحوار الذى يشبه العتاب.

و فى الوقت نفسه تتحدث عن الأحداث، عن موقف السلطه يومذاك. عن موقف المسلمين الذين استولت عليهم الحيره و الدهشه و الدهول. الضمائر تؤنبهم، و الإحساس بالألم يُجرى دموعهم، الخوف من السلطه يخرسهم، فهم فى ذهول.

يرون شيئاً، و يسمعون أشياء:

يرون رئيس الدوله، و هو يدعى أنه يمثل صاحب الشريعه الإسلاميه.

و يسمعون من ابنه صاحب الشريعه (فاطمه) الآهات، و كلمات التظلم و السخط على الحكام.

شكوى من فاطمه الى على

رجعت إلى الدار لتكشف موقف زوجها العظيم تجاه تلك الأحداث، فقالت: «يا بن أبى طالب».

ربما يتصور بعض أهل العلم - من الخطباء و غيرهم - أن الزهراء تحدّث زوجها العظيم بهذا التحدى الصريح اللاذع.

إذ إنها تخاطبه بكلمه: «يا بن العم» أو «يا أباالحسن» أو «يا على» أو ما أشبه ذلك من الكلمات التى تناسب للزوجه أن تخاطب بها زوجها.

فيحملون هذا التحدى على مدى تأثرها من الأحداث، و تألمها مما جرى.

أقول: سبحان الله! و أى منقصه فى هذا الخطاب؟!

و أى عار فى هذا النسب؟!

أبوطالب:

شيخ الأباطح، سيد أهل مكه، حامى الرسول، مفخره التاريخ، عظيم

ص: ٤٢٦

قريش، كبير بنى هاشم فى عصره.

أبو طالب:

الشجاع الذى هابه المشركون، البطل الذى ظلَّ الرسول يدعو إلى الله، تحت حمايه ذلك البطل.

أبو طالب:

رجل الحميّه، مثال الفتوه و الشهامه، بطل الغيره و العاطفه.

فما المانع أن يقال لشبله البار و نجله العظيم: يا بن أبى طالب؟!!!

أليس معنى: «يا بن أبى طالب» يا بن العظمه و السياده؟

يا بن الشرف و المجد؟

يا بن البطوله و البساله؟

يا بن الحميّه و الحفاظ؟

يا بن الفضيله، بل الفضائل كلها؟

أليس معناه هذا؟؟؟

نعم، إنها قالت: «يا بن أبى طالب» و كأنها تهيج عزائمه.

و كأنها تستنهضه للنجده، و تذكره بنسبه الشريف الأرفع.

تذكره أنه ابن أبيه.

كأنها تقول له: إن أبائك أسعف أبى، و وقف له وقفه المدافع المستميت فلماذا لا تدافع عنى؟ لا تسعفى؟

ثم ذكرته بسوابقه البطوليّه، و مواقفه العظيمه، و إقدامه فى جبهات القتال، و تحطيمه الأُسُود، و طحنه الأبطال طحن الرحى. ثم قارنت بين ماضيه و حاضره، و قالت:

«اشتملت شمله الجنين» الجنين المحبوس فى غشاء المشيمه، لا يستطيع أن يعمل شيئاً.

«و قعدت حجره الظنين» المتهم، الذى يجلس فى بيته فراراً من الناس، و خوفاً أن يلتقى به أحد، و فى نسخه: «حجره الظنين».

«نقضت قادمه الأجل» كنت - فيما مضى - تكسر أجنحه الصقور، و هى بمنزله العمود الفقرى فى الطائر.

«و خانك ريش الأعزل» صرت - فى الحال - أعزلاً، لا سلاح لك، ضعيفاً حتى اعتدى عليك أفراد ليسوا فى العير و لا فى النفير، و كأنها تتعجب من سكوته فى أول الأمر و عدم قيامه بطلب الحق، و فى نسخه: «خاتك» أى انقضَّ عليك.

ثم وضعت النقاط على الحروف، و شرحت الموضوع بالتفصيل، فقالت:

«هذا ابن أبى قحافه».

كلمه «ابن أبى قحافه» معاكسه و مغايره تماماً لكلمه «ابن أبى طالب» من حيث المغزى و المفهوم.

أما كان عبدالله بن جذعان صاحب المضيف فى الطائف؟

أما كان أبوقحافه يحمل أوانى الطعام من المطبخ إلى المضيف؟

أما كان يدعو الناس للطعام بأمر عبدالله بن جذعان؟

ابن أبى قحافه «يَبْزَنى نَحله أبى» يسلبنى عطيه والدى.

«و بُلغه ابْنى» و هى ما يكتفى به ولدائى: الحسن و الحسين لمعيشتهما من غلات فذك و العوالى، أو من الخمس و الفى ء.

«لقد أجهر فى خصامى» أعلن فى مخاصمتى، و تجاوز الكلام حدّ التفاهم و الاستدلال، و بلغ حدّ العناد و الخصومه، فالحجه و الدليل فى المنطق غير مقبول، و التفاهم غير ممكن، لأنه أنكر قانون الميراث، و التوارث بين الأب و ابنته.

«وَأَلْفَيْتَهُ الْأَلَدَّ فِي كَلَامِي» لِأَنَّهُ افْتَرَى عَلَى الرَّسُولِ بِحَدِيثِ يَنَافِي الْقُرْآنَ وَهُوَ الْمَدْعَى، وَهُوَ الشَّاهِدُ، وَهُوَ الْحَاكِمُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَى مَا يَدَّعِي.

«حَتَّى حَبَسْتَنِي قَيْلَهُ نَصْرَهَا» إِنَّ الْأَنْصَارَ وَهُمْ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ ابْنَا قَيْلِهِ، وَهِيَ أُمُّهُمَا قَدْ تَرَكُوا نَصْرَتِي بَعْدَ مَوَاقِفِهِمْ فِي نَصْرِهِ الْمُسْلِمِينَ، تَرَكُوا نَصْرَتِي لِأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مَلُوكِهِمْ.

«وَالْمُهَاجِرَةُ وَصَلُّهَا» أَيِ امْتَنَعَ الْمُهَاجِرُونَ (وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ) عَنْ وَصَلِيٍّ وَإِسْعَا فِي وَهْنًا نَكْتَهُ لَطِيفُهُ: فِي اسْتِعْمَالِ الْوَصْلِ فِي مُقَابِلِ الْهَجْرِ.

«وَغَضَّيْتُ الْجَمَاعَةَ دُونِي طَرَفَهَا» يَا لِلرَّزِيهِ، يَا لِلْهَضْمِيهِ! إِنَّ بَقِيَّةَ النَّاسِ الْحَاضِرِينَ فِي الْمَسْجِدِ أَيْضًا أَعْرَضُوا عَنِّي وَاتَّبَعُوا غَيْرَهُمْ فِي التَّخَاذُلِ وَكَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَنِي. «فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ» كَيْ يَدَافِعَ عَنِّي، وَيَضُمَّ صَوْتَهُ إِلَى صَوْتِي، أَوْ يَدْفَعُ عَنِّي اعْتِدَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَيَمْنَعُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَفِي نَسْخِهِ: «وَلَا شَافِعَ».

«خَرَجْتُ كَاطِمَهُ، وَعَدْتُ رَاغِمَهُ» خَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْمَسْجِدِ كَاطِمَهُ لِلْغَيْظِ مُتَجَرِّعَةً لِلْأَلَمِ، وَرَجَعْتُ إِلَى الدَّارِ وَقَدْ عَجَزْتُ عَنِ الْإِنْتِصَارِ.

«أَضْرَعْتُ خَدَّكَ يَوْمَ أَضْعَتُ خَدَّكَ» كَأَنَّهَا تَعْتَبِرُ سَكُوتَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَمَامَ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ نَوْعًا مِنَ التَّنْذِيلِ بِسَبَبِ كِبَرِ النَّفْسِ، وَعَدَمِ اسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ، وَعَدَمِ إِظْهَارِ الْقُدْرَةِ.

«افْتَرَسَتْ الذَّنَابَ وَافْتَرَشَتْ التَّرَابَ» هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَفْسِيرُ وَتَفْصِيلُ لِلْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ، لِأَنَّ الرَّجُلَ الْبَاطِلَ الْمَقْدَامَ الَّذِي يَفْتَرِسُ الذَّنَابَ أَيْ يَجْدُلُ الْأَبْطَالَ وَيَقْتُلُ الشُّجْعَانَ كَيْفَ يَبْلُغُ بِهِ الْأَمْرَ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ يَفْتَرِشُ التَّرَابَ لِلْجُلُوسِ أَوْ النَّوْمِ، أَيْ لَيْسَ لَهُ فَرَّاشٌ يَجْلِسُ عَلَيْهِ سِوَى التَّرَابِ، وَهُوَ مُنْتَهَى الْفَاقَةِ وَالْبُؤْسِ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: «افْتَرَسَتْ الذَّنَابَ وَافْتَرَسَتْكَ الذَّنَابُ» أَيْ

صرت فريسه للضعفاء.

«ما كففت قائلاً- و لا- أغنيت باطلاً» يمكن أن يكون قولها: «ما كففت و لا أغنيت» بصيغه المتكلم أى ما كففت أنا، و يمكن أن يكون بصيغه الخطاب أى ما كففت أنت. و على الوجه الأول فالمعنى: لم أستطع أن أمنع قائلاً عن قوله، و أن أصرف باطلاً، و فى بعض النسخ: «و لا أغنيت طائلاً» أى ما فعلت شيئاً نافعاً، أى ما ينفعك السكوت و القعود.

و على الوجه الثانى: «إنك لم تدفع عنى قائلاً، و لم تصرف عنى باطلاً».

«و لا خيار لى» أى لا قدره لى على الدفاع و استرجاع الحق، أو لا اختيار لى فى المقاومة و المكافحه أكثر من هذا، لأننى امرأه، و المرأه محدوده فى تصرفاتها و إمكانياتها.

«ليتنى متُّ قبل هينتى و دون ذلتى» حقّ لها أن تتمنى الموت قبل أن ترى ذلك الجفاء من أمه أبيها، من تلك الأفراد الذين كوّنهم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و منحهم العز و السياده، و أنقذهم من شفا جرف الهلكات.

قبل أن تشاهد الذل و الهوان من ذلك المجتمع الجاف الذى لا يؤمن بالقيم و لا بالكرامه.

«عذيرى الله منك عادياً و منك محامياً» لهذه الجملة احتمالات:

الأول: الله يعتذر منك بسبب إسائتى إليك أو إيدائك بهذا النوع من الكلام. الثانى: عذرى أنك قصرت فى إعانتى و حمايتى. و هناك احتمالات أخرى بعيده جداً.

ص: ٤٣٠

«ويلای فی کل شارق» ویلای: کلمه تقال عند الشده و المصیبه فهی إذن تدل علی شده حال قائلها من حیث التألم و التوجع، تقول (عليها السلام): ویلای فی کل صباح تشرق فيه الشمس.

و فی نسخه: «ویلای فی کل شارق ویلای فی کل غارب» أى فی کل صباح و مساء و عند کل شروق و کل غروب، بسبب المصیبه، و هی:

«مات العمد و وهن العضد» أى مات الذى كان یسند به و یعتمد علیه فی الأمور و بموت العماد ضعف العضد، ای: بموت الرسول ضعف الامام امیرالمومنین (عليهما السلام) «و فی نسخه: «و ذل العضد».

«شکواى الی ابی» ای: لیس لی احد اشکو الیه ماجرى علی سوى ابی (ص).

«و عدواى الی ربی» ای: من الله اطلب النصره و الانتقام

«اللهم انت اشدقوه و حولاً فی الدفع و المنع، و لا حول و لا قوه الا بالله». «واحد باسا و تنکیلا» ای: اشد عذاباً و عقوبه.

انتهی کلام الصدیقه فاطمه الزهرا (عليها السلام) حول الاحداث و موقف السلطه و الناس منها.

و کان الامام یستمع الی شکواها... الی آلامها... الی کلماتها المنبعثه من قلب ملتهب و نفس متالمه!..

الامام علی یخفف عنها الآلام

و الان: آن للامام ان یجیبها علی کلامها، و یذكر موقفه تجاه تلك القضايا و البوقائع التى المت بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)،

ص: ۴۳۱

فقال لها:

«لا ويل عليك» هذا جواب من الإمام على كلامها حيث قالت: «ويلاي» فيقول الإمام لها: «لا ويل عليك» أى لا ينبغي أن تقولى «ويلاي».

«بل الويل لشائنك» لمبغضك الذى خسر الدنيا والآخرة، الويل لعدوك الذى ظلمك، و كسر قلبك و آذاك.

«نههى عن نفسك يا بنه الصفوه» أى: كُفّى و امنعى نفسك عن الحزن و الغضب يا ابنه الذى اصطفاه الله و اختاره على العالمين.

«و بقيه النبوه» أنت بضعه النبى، و قد أودى النبى من أمته، كما قال (صلى الله عليه و آله و سلم): ما أودى نبى بمثل ما أوديت.

أنت - يا فاطمه - بعض من ذلك الكل، و جزء من سيد الرسل. فاصبرى على ما أصابك. ثم أنه (عليه السلام) ذكر موقفه، و بين تكليفه الشرعى اتجاه تلك الأحداث فقال: «فما و نيتٌ عن دينى» أى: ما عجزت عن القيام بما يجب، و ما ضعف دينى و اعتقادى، أى لم أصنع شيئاً استحق عليه اللوم و العتاب، لأننى مأمور بالصبر و السكوت، لأن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أمرنى بالصبر إن لم أجد أعواناً، و ليس غصب فدك و العوالى بأعظم من غصب الخلافة و الاستيلاء على منصبه الحكم، و الجلوس على مسند السلطه.

«و لا أخطأت مقدورى» أى: ما تركت ما دخل تحت قدرتى و إمكانيتى، كأنه (عليه السلام) يعتذر عن سبب تقاعده عن نصرتها.

و المقدور - هنا - ليس المقدور العقلى بل المقدور الشرعى، و لنضرب لذلك مثلاً: المريض الذى يضره استعمال الماء للاغتسال و الوضوء قادر على استعمال الماء عقلاً و عاجزاً شرعاً، و أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يستطيع

ص: ٤٣٢

أن ينهض و يحمل سيفه و يهاجم المغتصبين، و يقتل منهم أفراداً لا يتجاوزون العشره و يستولى على فذك و العوالى، و على الحكم.

أما قتل على (عليه السلام) يوم بدر حوالى خمس و ثلاثين رجلاً من الشجعان؟ مع العلم أن رجال السلطه يومذاك لم يكونوا بأشجع من الذين حضروا يوم بدر لمحاربه رسول الله.

هذه القدره العقلية المتوفره للإمام (عليه السلام).

و أما القدره الشرعيه: فإن علياً إذا نهض لأجل القضاء على أولئك الأفراد فمعنى ذلك وقوع الفتن و المصائب و الاضطرابات الداخليه و اتساع نطاق الفتنه و خاصه و أن هناك أفراداً يتربصون بالإسلام و ينتهزون الفرصه للإطاحه بذلك الدين الذى كان غضاً جديداً لم تستقر أركانه بعد، و لم يضرب بجرانه الأرض.

أضف إلى ذلك وصيه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لعلى (عليه السلام) بالصبر و السكوت.

إذن: فالأفضل التضحيه بذك و العوالى، و السكوت عن المغتصبين رعايه للإسلام و حفظاً للدين من الضياع و الانهيار.

«إن كنت تريدن البلغه» أى: إن كان هدفك من مطالبه الأراضى هو البلغه و هى ما يتبلغ به من العيش بمقدار الكفاف لك و لأولادك.

«فرزقك مضمون» و الضامن هو الله الذى تكفل رزق كل ذى روح.

«و كفيك مأمون» و هو الله تعالى لا يخلف و عده فيما تكفله و ضمنه.

«و ما أعد لك» من الأجر. و تهياً لك من الثواب فى الآخره و العظمه يوم القيامه و الدرجات العاليه التى أحرزتها فى مقابل هذه المصائب

و الاضطهاد و المظلوميه.

«أفضل مما قطع عنك» من الأراضى، و أفضل مما منعوک من حقوقک.

«فاحتسبى الله» اصبرى طلباً لرضاه.

«فقلت: حسبى الله. و أمسكتُ» امتثلت أمر إمامها، و أطاعت زوجها، و قالت: حسبى الله. أى: الله كافئى، و عليه أعتمد فى أمورى. و سكتت و رضيت «سلام الله عليها».

ص: ٤٣٤

خطبه الزهراء فى نساء المهاجرين والأنصار

قال سويد بن غفله:

لما مرضت فاطمه (عليها السلام) المرضه التى توفيت فيها

اجتمع إليها نساء المهاجرين و الأنصار يُعُدُّنَهَا

فقلن لها: كيف أصبحت من علَّتكَ يا ابنه رسول الله؟

فحمدت الله، و صلّت على أبيها، ثم قالت:

أصبحتُ - و الله - عائفهً لدنيا كنَّ (١).

قاليه لرجالكن (٢).

لفظتْهم بعد أن عجمتْهم (٣) و شنتْهم بعد أن سَبَرْتهم (٤).

فقبِحاً لفلول الحد (٥).

و اللعب بعد الجدّ (٦).

و قرع الصفاه، و صدع القناه (٧).

ص: ٤٣٥

١- ٤٨٣. عائقه: كارهه.

٢- ٤٨٤. قليه: مبيغضه.

٣- ٤٨٥. لفظتْهم: رميت بهم. عجمتْهم: مضغتْهم.

٤- ٤٨٦. شنتْهم: ابغضتْهم. سبرتْهم: عرفت عمقهم، اى تاملتْهم.

٥- ٤٨٧. فلول الحد: ثلمه حد السيف.

٦- ٤٨٨. الجد - بكسر الجيم - ضد الهزل و اللعب.

٧- ٤٨٩. قرع الصفاه: ضرب الصخره الملساء، و صدع القناه: استرخاء الرمح. و قيل الصدع: الشق.

و خطل الآراء، و زلل الأهواء (١).

و بئس ما قدّمت لهم أنفسهم.

أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون (٢).

لا جرّم لقد قلدتهم ربقتها (٣).

و حملتهم أوقتها (٤).

و شنت عليهم عارها (٥).

فجدعاً و عقراً و سُحقاً للقوم الظالمين (٦).

و يحهم!

أتى زحزوها عن رواسى الرساله (٧).

و قواعد النبوه و الدلاله (٨).

و مهبط الروح الأمين (٩).

و الطيين بأُموَر الدنيا و الدين (١٠) إلا: ذلك هو الخسران المبين

ص: ٤٣٦

١- ٤٩٠. خطل الآراء: فسادها. و زلل الأهواء: انحراف الميول و الرغبات.

٢- ٤٩١. المائدة: ٨٠.

٣- ٤٩٢. قلدتهم: جعلت فى اعناقهم، ربقتها: حبلها.

٤- ٤٩٣. حملتهم اوقتها: حملتهم الثقل و المسئوليه.

٥- ٤٩٤. شنت ارسلت. و العار: السبه و العيب.

٦- ٤٩٥. الجدع- بفتح الجيم:- قطع العنف. و العقر- بفتح العين:- الجرح. و السحق: البعد و كلها فى مقام الدعاء عليهم.

٧- ٤٩٦. زحزوها: نحوها. و الرواسى: الثوابت.

٨- ٤٩٧. قواعد البيت: اسسه.

٩- ٤٩٨. مهبط الروح الامين: محل نزول جبرئيل.

١٠- ٤٩٩. الطيين: الحاذق الفطن العارف.

و ما الذى نَقَمُوا من أبى الحسن؟ (١).

نَقَمُوا منه - و الله - نكير سيفه (٢).

و قَلَّه مبالاته بحتفه (٣).

و شدّه و طأته و نكال وقعته (٤).

و تنمّره فى ذات الله (عز و جل) (٥).

و الله لو تكافؤوا عن زمام نَبَذَه رسول الله إليه لا عتلقه (٦).

و لَسَارَ بهم سيرا سُجْحَالاً (٧).

يكلم خشاشه (٨).

و لا يتعتع راكبه (٩).

و لأوردهم منهلاً نَمِيراً، صافياً رَوِياً، فضفاضاً تطفح ضفّته، و لا يترنق جانباه (١٠).

و لأصدرهم بِطَاناً (١١).

ص: ٤٣٧

١- ٥٠٠. نَقَمُوا منه: عابو و كرهو.

٢- ٥٠١. نكير سيفه: لا يعرف سيفه: لا يعرف و لا يفرق بين الشجاع و غيره.

٣- ٥٠٢. الحتف: الهلاك.

٤- ٥٠٣. و طأته: اخذته. و نكال و قعته: اصابه صدمته.

٥- ٥٠٤. التنمر: الغضب، و المقصود من ذات الله اى لوجه الله.

٦- ٥٠٥. تكافؤ: صرف بعضهم بعضا. و الزمام: مقود البعير. او الخليط الذى يشد فى ثقب انف البعير.

٧- ٥٠٦. السير السجح: السهل اللين.

٨- ٥٠٧. لا يكلم: لا يجرح. و الخشاش - بكسر الخاء - الخيط الذى يدخل فى عظم انف البعير.

٩- ٥٠٨. يتبع راكبه: يقلق و يتحرك حركه عنيفه.

١٠- ٥٠٩. المنهل: محل ورود الماء العذب السائغ النامى للجسد، و الروى: الكثير. و الفضفاض: الواسع. تطفح: تمتلىء حتى

تفيض. ضفّته: جانباه. يترنق: يتكدر.

١١- ٥١٠. بطانا: عظام البطون من كثره الشرب.

و نصح لهم سرّاً و إعلاناً

و لم يكن يحلّى من الغنى بطائل (١).

و لا يحظى من الدنيا بنائل (٢).

غير رىّ الناهل (٣).

و شبعه الكافل (٤).

و لبّان لهم الزاهد من الراغب

و الصادق من الكاذب

«و لو أنّ أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (٥).

«و الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبيهم سيئات ما كسبوا و ما هم بمعجزين» (٦).

إلا: هلّمّ و استمع

و ما عشت أراك الدهر عجباً!

و إن تعجب فعجب قولهم!!

ليت شعري إلى أيّ سناد استندوا؟ (٧).

و على أيّ عماد اعتمدوا؟

ص: ٤٣٨

١- ٥١١. يحلّى: يصيب و يستفيد. و الطائل: كثير الفائدة.

٢- ٥١٢. يحظى: يظفر. و النائل: العطاء.

٣- ٥١٣. الناهل: العطشان.

٤- ٥١٤. الكافل هنا: المحتاج الى الطعام.

٥- ٥١٥. سورة الاعراف: ٩٤.

٦- ٥١٦. سورة الزمر: ٥٢.

٧- ٥١٧. ليت شعري: ليتنى علمت. و السناد- بكسر السين -: ما استندت اليه من حائطا او غيره.

و بَأْيَهُ عَرَوْهُ تَمَسَّكُوا؟

و على أَيِّهِ ذَرِيَّتَهُ أَقْدَمُوا و احْتَنَكُوا؟ (١).

لبئس المولى و لبئس العشير

و بئس للظالمين بَدَلًا

استبدلوا- و الله- الذُّنَابَا بالقَوَادِمِ (٢).

و الْعُجْزُ بِالكَاهِلِ (٣).

فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنْعاً (٤).

ألا: إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون.

ويحهم!!

«أفمن يهْدِي إلى الحقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أم من لا يَهْدِي إلَّا أن يُهْدَى فما لكم كيف تحكمون»؟ (٥).

أما: لعمري! لقد لَقَحْتُ (٦).

فَنَظَرَهُ رِيثِمًا تُنْتَجِ (٧).

ثم احتبلوا ملء القعب دماً عبيطاً (٨).

و ذَعَا فَا مَبِيداً (٩).

ص: ٤٣٩

١- ٥١٨. احتنكو: استولو.

٢- ٥١٩. الذناب: ذنب الطائر. القوادم: ريشات فى مقدم الجناح.

٣- ٥٢٠. العجز- بفتح العين و ضم الجيم- الموخر من كل شىء، و الكاهل: ما بين الكتفين.

٤- ٥٢١. رغماً: كناية عن الذل. و المعاطس: جمع معاطس (مكان العطسه) و هو الانف.

٥- ٥٢٢. سورة يونس: ٣٥.

٦- ٥٢٣. لقحت: حملت.

٧- ٥٢٤. فمهله. ريثما: مقدار ما. و تنتج: تلد.

٨- ٥٢٥. القعب: اناء ضخم. و الدم العييط: الطرى.

٩- ٥٢٦. الذعاف: السم السريع الفناء. و المبيد: المهلك.

هنالك يخسر المبطلون

و يعرف التالون غبّ ما أسَّسه الأولون (١).

ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً (٢).

و اطمئنوا للفتنه جاشاً (٣).

و أبشروا بسيف صارم

و سطوه معتد غاشم (٤).

و هرج شامل (٥).

و استبداد من الظالمين (٦) يدع فيئكم زهيداً (٧).

و جمعكم حصيداً (٨).

فيا حسرة لكم (٩).

و أنى بكم؟ (١٠).

و قد عميت عليكم (١١).

ص: ٤٤٠

١- ٥٢٧. التالون: التابعون. و الغب: العاقبة.

٢- ٥٢٨. طابت نفسه عن كذا: رضيت به من غير كراهه.

٣- ٥٢٩. الجاش: القلب.

٤- ٥٣٠. المعتدى: الجائر. و الغاشم: الظالم.

٥- ٥٣١. الهرج: الفوضى، و القتل، و اختلاط الامور.

٦- ٥٣٢. الاستبداد: التفرد بالشئ من غير منازع.

٧- ٥٣٣. الفىء: الخراج و الغنيمه. و زهيدا: قليلا.

٨- ٥٣٤. جمعكم: زرعكم.

٩- ٥٣٥. الحسرة: التهلف على الشئ الفات.

١٠- ٥٣٦. كيف يصنع بكم.

أَنْزِلْكُمْ مَوْهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ؟؟

قال سويد بن غفله: فأعادت النساء قولها على رجالهن

فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين، و قالوا:

يا سيده النساء.

لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد (١).

و نُحْكِمَ الْعَقْدَ لِمَا عَدَلْنَا إِلَى غَيْرِهِ!!!

فقالت:

إليكم عنى!

فلا عذر بعد تعذيركم (٢).

ص: ٤٤١

١- ٥٣٨. نبرم العهد: نبايع لابي بكر.

٢- ٥٣٩. التعذير هو التفصير ثم الاعتذار. و التفصير:التوانى عن الشى ء.

لا- نعلم- بالضبط- السبب الحقيقي و الدافع الأصلي الذى دعا بنساء المهاجرين و الأنصار لعياده السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام)، فهل كان هذا بإيعاز من رجالهن فما الذى دعا أولئك الرجال لإرسال نساءهن إلى دار السيده فاطمه؟ أو هل حصل الوعى عند النساء و شعرن بالتقصير بل الخذلان لبنت رسول الله، فانتشر هذا الشعور بين النساء فأنتج ذلك حضورهن للعياده للمجامله أو إرضاء لضمائرهن المتألمه لما حدث و جرى على سيدته النساء؟؟

أو كانت هناك أسباب سياسيه فرضت عليهن ذلك فحضرن لتلطيف الجو و تخفيف توتر العلاقات بين السيده فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و بين السلطه الحاكمه فى ذلك اليوم؟

خاصه و أن الموقف الاعتزالى الذى اختارته السيده فاطمه لنفسها، و انسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خالياً عن التأثير، بل كان جالباً لانتباه الناس، و بالأخص حين خرج الإمام أمير المؤمنين السيده فاطمه يطوف بها على بيوت المهاجرين و الأنصار تستنجد بهم و تستنهضهم فلم تجد منهم الإسعاف بل وجدت منهم التخاذل، و قد مرّت عليك نتيجة الحوار الذى جرى بين السيده فاطمه الزهراء و بين معاذ بن جبل، و عرفت موقف ابنه من ذلك الرد السئ.

و على كل تقدير فلا يعلم- أيضاً- عدد النساء اللاتى حضرن عند السيده فاطمه الزهراء و هى طريحه الفراش، و لكن المستفاد أن العدد لم يكن قليلاً

بل كان العدد كثيراً يعبأ به.

فانتهزت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) الفرصه، و استغلّت اجتماع النساء عندها لأن تضع النقاط على الحروف، و تكتب فى سجل التاريخ الأعمال البشعه التى قام بها بعض المسلمين تجاه عتره نبهم و ذريته الطاهره. و النساء يشكّلن نصف المجتمع أو أكثر من النصف، و كل امرأه مرتبطه برجلٍ من زوج أو أب أو أخ أو ابن، فهى بإمكانها أن تقوم بدورٍ فعّال فى المجتمع و خاصه فى حقل الدعايه و الإعلام و النشر.

فلماذا تسكت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) فى هذا الاجتماع و لماذا لا تذكر استيائها من أولئك المتطرفين؟

«قلن لها: كيف أصبحت من علّتك يا ابنه رسول الله؟».

هكذا جرت العاده و الآداب أن العائد يسأل المريض عن صحته و علته، فيجيبه المريض عما يشعر به من المرض و الألم.

و لكن السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) لم تجبهن عن مرضها و تدهور صحتها، بل أجابتهن عن آلامها النفسيه، و مصائبها الشخصيه فالتحدث عن هذه الأمور أولى و أوجب من التحدث عن أحوالها الصحيه لأن لتلك المصائب هى التى جرّت العلّه و المرض إلى السيدة فاطمه و سلبتها العافيه و الصحه، فالتحدث عن السبب أولى من التحدث عن المسبب و الإخبار عن العلّه أفضل من الإخبار عن المعلوم.

و هنا أجابت السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) على أسئله النسوه كما تقتضى الحال.

و لا تتعجب إن كانت السيدة فاطمه ما نسيت أصول الفصاحه و البلاغه و الأدب الرفيع و المستوى الأعلى بسبب انحراف صحتها بل قالت:

ص: ٤٤٣

«أصبحتُ - و الله - عائفه لدنيا كن» نعم، إنها تبدى تنفرها عن حياه الدنيا و كراحتها لذلك المجتمع الذى لا يؤمن بالقيم.

«قاله لرجالكن» و يحق لها أن تبدى اشمئزازها و غضبها على رجال المدينه، الذين كان موقفهم تجاه السيده فاطمه الزهراء موقفاً سليماً للغايه، فلقد مرَّ عليك أنهم أبدوا انزعاجهم من بكاء السيده فاطمه الزهراء على فقد أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و لم يتجاوبوا معها. فى إسعافها و الوقوف معها.

«لفظتهم بعد أن عجمتهم» أى رميتهم من فمى بعد أن عضضتهم، كما يرمى أحداً اللقمه من فمه و يشمئز منها.

«و شنتهم بعد أن سبرتهم» أى أبغضتهم و مللتهم بعد أن اختبرتهم، و كرهتهم بقلبي بسبب سوء تصرفاتهم.

«فقبحاً لفلول الحد» شَبَّهت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) رجال أهل المدينه بالسيف الذى انثلم حدّه فلا يقطع، إشاره إلى قعودهم عن نصرتها، و خذلانهم إياها، فكأنها (عليها السلام) تستقبح فيهم سكوتهم عما جرى على بنت نبيهم من الظلم و الاضطهاد.

«و اللب بعد الجد» و المقصود: عدم المبالاه بالحق بعد اهتمامهم بذلك، فإنهم كانوا جادّين فى نصره الإسلام، و لكن الآن صاروا و كأنهم يلعبون ألعاباً سياسيه.

و قرع الصفاه» و المراد: التذلل و الانقياد لكل من قادهم:

«و صدع القناه» و فى نسخه: «خور القناه» إشاره إلى استرخاء الرمح بسبب انشقاقه، و ينبغى أن يكون الرمح صلباً حتى يمكن الطعن به. و إذا كان الرمح رخواً لا يمكن أن يُطعن به.

«و خطل الآراء» و فى نسخه: «أفون الرأى» و فى نسخه أخرى: «خطل القول» و على كل تقدير فهو إشاره إلى انحراف آرائهم و فسادها، و شذوذ مواقفهم السلبيه، و الإيجابيه.

أما مواقفهم السلبيه فهى تجاه أهل بيت نبيهم (عليهم السلام) و عدولهم عن أهل البيت إلى غيرهم، و أما الإيجابيه فاعترافهم بالسلطه المناوئه لآل الرسول. «و زلل الأهواء» ما أقبح تلك الرغبات المنحرفه التى لعبت بمقدرات المسلمين على مرّ التاريخ و على مرّ القرون، و تلك العثرات المنبعثه عن اتباع الأهواء الضاله المضله، و من مشتبهات الأنفس.

«و بُئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون» هذه الآيه من سوره المائده آيه (٨٠) و قبلها: «لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون».

إنها (عليها السلام) أدمجت هذه الآيه فى حديثها للمناسبه بين الموردين، و يظهر وجه المناسبه بالمقارنه بين الآيات و بين موقف أولئك المتخاذلين. «لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها» أنها (عليها السلام) تلقى المسؤوليه-

مسؤوليه الأجيال كلها- على أعناق أولئك الأفراد، إذ أنها لما حضرت فى المسجد و خطبت، و أتمت الحجه على الحاضرين و استنجدت بالمهاجرين و الأنصار فثبت التكليف الشرعى فى حقهم، و حيث أنهم لم ينصروها فهم مسؤولون عن مضاعفات ذلك الخذلان أمام الله و أمام التاريخ.

«و حَمَلْتُهُمْ أَوْقَتَهَا» أى حَمَلْتُهُمْ ثَقُلَ المسؤوليه و شومها.

«و شَنَنْتُ عَلَيْهِمْ عَارَهَا» شَنَنْتُ الْمَاءَ عَلَى التَّرَابِ: أَرْسَلْتُهُ وَ صَبَبْتُهُ بِصُورِهِ مُتَفَرِّقَةً، وَ فِى نَسْخِهِ: «سَنَنْتُ» أَيْ صَبَبْتُ بِصُورِهِ مُتَّصِلَةً غَيْرَ مُتَفَرِّقَةٍ، وَ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَالْمَعْنَى: أَنَّ عَلَيْهِمْ سَبَّهُ التَّارِيخِ وَ عَارَ الْأَبَدِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْجَفَاءِ الَّذِى أَبَدَوْهُ تَجَاهَ أَهْلِ الْبَيْتِ.

«فَجَدَعًا وَ عَقْرًا وَ سَحَقًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» وَ فِى نَسْخِهِ أُخْرَى: «فَجَدَعًا وَ عَقْرًا وَ بُعْدًا» هَذِهِ كَلِمَاتُ دَعَاءٍ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لآلِ الرَّسُولِ، وَ الظُّلْمُ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِى غَيْرِ مَا وَضِعَ لَهُ، وَ الظُّلْمُ عَلَى دَرَجَاتٍ وَ مَرَاتِبٍ، فَهَنَّاكَ الظُّلْمَ بِالنَّمْلَةِ، وَ هَنَّاكَ الظُّلْمَ بِالْأَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عِبْرَ التَّارِيخِ، وَ الظُّلْمَ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ يَرْضَى اللَّهُ لِرِضَاهُمْ، وَ يَغْضِبُ لِعُزْبِهِمْ.

وَ يَسْتَحِقُّ الظَّالِمُونَ أَنْ يَدْعَى عَلَيْهِمْ بِالْجَدْعِ وَ الْعَقْرِ وَ التُّبْعِدِ، فَيَقَالُ: جَدَعَهُمُ اللَّهُ جَدَعًا وَ عَقَرَهُمُ اللَّهُ عَقْرًا، وَ مَعْنَاهُمَا: قَطَعَ اللَّهُ أَيْدِيَهُمْ وَ آذَانَهُمْ وَ شَفَاهُمْ وَ جَرَحَ اللَّهُ أَبْدَانَهُمْ.

«وَيُحِبُّهُمْ» وَيُحِبُّ: كَلِمَةٌ تَسْتَعْمَلُ فِى مَقَامِ التَّعَجُّبِ، وَ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا الْوَيْلُ.

«أَتَنَى زَحْزَحُوهَا عَنْ رِوَاسِي الرِّسَالَةِ؟» وَ فِى نَسْخِهِ: «زَعَزَعُوهَا» تَتَعَجَّبُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مِنْ سُوءِ اخْتِيَارِهِمْ، أَيْ كَيْفَ نَحْوًا خِلَافَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ) عَنْ مَوَاضِعِهَا الثَّابِتَةِ الَّتِى هِىَ بِمَنْزِلَةِ الْجِبَالِ

لحركة الأرض و سيرها بصورة منظمه و حفظها من الاضطراب!؟

«و قواعد النبوه» القواعد: جمع قاعده و هى - هنا- الأساس للبناء، فكما أن البناء إذا بنى على غير أساس ينهدم فكذلك الخلافه إذا وُضعت فى غير موضعها اللائق بها تنهار معنوياً، و يختل نظامها، و تضطرب أركانها.

«و مهبط الروح الأمين» كان جبرئيل يهبط فى بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و بيوت أهل بيته، و بيت فاطمه مهبط الروح الأمين.

«و الطبين بأمر الدنيا و الدين» الفطن الحاذق بأمور الدنيا المتعلقة بالحياه، و كذلك القضايا المتعلقة بالدين فى جميع المجالات و شتى الأحكام، و تقصد بذلك أهل بيت الرسول (عليهم السلام) و تخص زوجها الحكيم العظيم الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام).

«ألا: ذلك هو الخسران المبين» أى و الله، خسران واضح خسرتة الأمة الإسلاميه فى جميع مجالات حياتها من الحياه الفرديه و الزوجيه و العائليه و الاجتماعيه و الاقتصاديه و الصحيه و السياسيه و العمرانيه و الدينيه و الدنيويه و الأخرويه.

كل ذلك حين سلبت الأمة السلطه و القدره من أهل بيت الرسول، و تصرّف فى القياده الإسلاميه أفراد كانوا هم و الإسلام على طرفى نقيض، إذ كان الإسلام شيئاً، و هم كانوا شيئاً آخر.

فكانت إراقه الدماء البريئه أسهل و أهون عندهم من إراقه الماء.

و التلاعب بالأحكام الإلهيه و القوانين الإسلاميه كالتلاعب بالكره و غيرها من الألاعيب.

إن المآسى التى شملت الأمة الإسلاميه (عبر التاريخ) مما تقشعرّ منها

الجلود، و تضطرب منها القلوب، كل ذلك من جزاء القياده غير الرشيده التى تسلمها أفراد من هذه الأمة.

و ليس فى هذا الكتاب مجال لاستعراض تلك المجازر الجماعية، و المذابح المؤلمة التى قام بها بعض حكام المسلمين على مر التاريخ الإسلامى.

فقد ستروا الكره الأرضيه بقشره من المقابر التى ضمت الآلاف المؤلفه من النفوس البريئه التى كانت ضحايا لأهواء أفراد، و فداءً لكراسيهم و مناصبهم و ملذاتهم و أما الكبت و الاضطهاد و الحرمان و الجوع و البؤس الذى ساد العباد و البلاد فحدث و لا حرج.

نعم، هذا هو الخسران المبين، و لا يزال الحبل ممدوداً حتى اليوم و بعد اليوم.»و ما الذى نقوموا من أبى الحسن؟ أى: أى شىء عابوه من الإمام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب حتى نحوّه عن السلطه، و قدّموا غيره عليه؟

نقصاً فى العلم؟

أو جهلاً فى الفتيا؟

أو سوءاً فى الخلق؟

أو عاراً فى الحسب؟

أو ضعفاً فى الدين؟

أو عدم كفاءه فى الأمور؟

أو جنبناً فى النفس؟

أو خِسَّةً فى النسب؟

أو قلّه فى الشرف؟

أو بخلاً بالمال؟

أو أى عيب فى مؤهلاته و كفاءاته؟

كل ذلك لم يكن، بل كان على (عليه السّلام) أعلم هذه الأمه جمعاء، و هو باب مدينه علم الرسول و أقضاهم فى الفتوى.

و أشبه الناس خلقاً بالرسول الذى كان على خلق عظيم.

و ابن شيخ الأباطح: أبى طالب، مؤمن قریش

و أعبد الناس فى هذه الأمه

و أشجعهم نفساً، و أقواهم قلباً، و أكثرهم جهاداً

و كتله من الفضائل

و فى أوج الشرف و العظمه

و أسخاهم كفاً، و أبدلهم للمال

إذن: فما هو السبب فى صرف الخلافه عنه إلى غيره؟

إن السیده فاطمه (عليها السلام) تجيب على هذا السؤال، و تقول:

«نقموا منه- و الله- نكير سيفه» أى عابوا شدّه سيفه، و المقصود أن علياً كان قد قتل فى الحروب و الغزوات رجالاً هؤلاء و أسلافهم، و حطّم شخصياتهم، فكانوا يكرهونه بسبب سيفه الخاطف للأرواح.

«و قله مبالا-ته بحتفه» أى عدم اهتمامه و اكترائه بالموت، فالمجاهد الذى ينزل إلى جبهه القتال ينبغى أن يكون قليل المبالاة بالموت، فكما أنه يقتل كذلك يُقتل، و كان على (عليه السلام) يقول: و الله لا يبالى ابن أبى طالب أوقع على الموت أو وقع الموت عليه.

«و شدّه و طأته و نكال وقعته» يقال: فلان شديد الوطأه أى شديد الأخذ و شديد القبض، و المقصود قوه العضلات و معرفه القتال.

و نكال الوقعه أى كان يصنع صنيعاً يحذّر غيره و يجعله عبره له، فكانت ضربته و صدمته للأعداء نكالاً أى يورث الحذر و العبره للآخرين.

«و تنمّره فى ذات الله (عز و جل)» النمر شديد الغضب، إذا غضب

لنفسه لم يبال: قلّ الناس أم كثروا، ولا يرده شىء، ولا يحول دون هدفه حائل ولا يمنعه مانع، والرجل الشجاع الذى يجاهد بلا مبالاه ولا خوف، بل بكل غضب وشجاعه يقال فى حقه: تنمّر، أى صار شبيهاً بالنمر فى الاقتحام.

لقد تخلص من كلامها (عليها السلام) أن سبب انحراف الناس عن على (عليه السلام) كان لأغراض شخصيه، وأمراض نفسيه متأصله فى قلوبهم.

فلقد قتل على (عليه السلام) يوم بدر وأحد وحنين والخندق وغيرها عدداً كبيراً لا يستهان به من أقطاب الشرك، ورجالات الكفر، وشخصيات الجاهليه، أمثال: عتبه وشيبه والوليد وعمرو بن عبدودّ وعقبه بن الوليد وغيرهم، وأكثر قبائل العرب كانت موتوره بسيف على (عليه السلام).

وحتى، وبعد أن أسلمت تلك القبائل كانت رواسب الحقد والعداء كامنه فى نفوسهم.

والنجاح الكبير الذى أحرزه على (عليه السلام) فى جميع المجالات من الطبيعى أن يهتج الحسد فى القلوب، والتقدم الباهر الذى كان من نصيب على (عليه السلام) فى شتى الميادين كان فى قمّه فضائله.

فالآيات القرآنيه التى نزلت فى حقه

و الأحاديث النبويه التى شملته دون غيره

و الموفقيه التى حازها على (عليه السلام) وحده

و خصائصه التى امتاز بها عن غيره من العالمين

كان لها أسوأ الأثر، فى النفوس المريضة

و كانت تلك الرواسب والآثار كامنه فى الصدور، كأنها نار تحت رماد حتى تو فى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و خلا الجو،

و ارتفع المانع فعند ذلك زال الرماد، و ظهرت النار، و جعلت تلتهب و تشتعل. بالله عليك انظر:

لقد مرّ عليك أن جماعه من الصحابه خطبوا السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) من أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فرفضهم النبي، و حينما خطبها على من الرسول و إذا به جد الترحيب و التجاوب على أحسن ما يمكن.

أليس هذا مما يهيج الحسد فى النفوس؟

و يأمر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) أبابكر أن يذهب إلى مكه بسوره البراءه ليقرأها على أهل مكه، و يخرج أبوبكر بالسوره متوجهاً نحو مكه، فينزل جبرئيل على الرسول قائلاً: إن ربك يأمرك أن تبّلع هذه السوره بنفسك، أو يُبلّغها رجل منك. فيأمر النبي علياً أن يتوجه نحو مكه، و يتولى قراءه السوره على أهل مكه، و يأمر أبابكر بالرجوع.

أليس هذا الأمر يهيج الحسد فى القلوب؟

و هكذا و هلم جرّاً، سرّ مع على (عليه السلام) عبر تاريخ حياته، تجده المقدّم على غيره فى كافه المجالات.

و يمطره جبرئيل بآيات من الذكر الحكيم تقديراً لبطولاته، و تنوياً لإنجازاته، و تقبلاً لصدقاته، و مدحاً لخدماته.

و المسلمون يقرأون تلك الآيات آناء الليل و أطراف النهار راضين أو مرغمين. و من العجيب: أن علياً كان يخوض غمار الحروب بأمر الرسول، و لأجل التحفظ على حياه الرسول، الرسول الذى كان الإسلام متمثلاً و متجسداً فيه و قائماً به، فكيف كان الناس يكرهون علياً و هو الجندى و لا يكرهون الرسول و هو القائد للجيش؟!

فى البحار عن أبى زىء النحوى قال: سألت الخلىل بن أءمء العروضى فقلت: لىم هجر الناس علىاً (علىه السلام) و قرءاه من رسول الله (صلى الله علىه و آله و سلم) قرءاه، و موضعه من المسلمىن موضعه، و عناؤه فى الإسلام عناؤه؟؟

فقال: بهر- و الله- نورؤه أنوارهم، و غلبهم على صفو كل منهل، و الناس إلى أشكالهم أمىل، أما سمعت الأول ىقول:

و كل شكلٍ لشكله ألفٌ

أما ترى الفىل ىألف الفىلا

و أنشدنا الرىاشى عن العباس بن الأءنف:

و قائل كىف تهاجرتما؟

فقلت قولاً فىه إنصاف:

لم ىك من شكلى فهاجرته

و الناس أشكال و ألاف

و قال ابن عمر لعلى (علىه السلام): كىف تحبك قرىش و قد قتلت فى يوم بدر و أءء من ساءاتهم سبعىن سىءاً، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاهم؟

فقال أمىرالمؤمنىن (علىه السلام):

ما تركت بدر لنت مذىقاً

و لا لنا من خلقنا طرىقاً

و من الواضح أن الأمور لىست عىوباً و نقائص حتى ىكره الناس علىاً بسببها.

و معنى كلام الزهراء (علیها السلام): «نقموا منه و الله نكىر سىفه» من باب قول الشاعر:

و لا عىب فىهم غىر أن سىوفهم

بهنّ فلول من قراع الكئاب

و المقصوء: أنهم عابوا علىاً على فضائله و مناقبه، و على انجازاته و خدماته و على شجاعته و تضىحاته، و جهاده و بطولاته، و لىست هذه عىوباً حتى ىعاب على علیها.

هذا و من المؤسف أن الموضوع يناسب الشرح و التفصيل أكثر من

ص: ٤٥٢

هذا ولكن رعايه لأسلوب الكتاب نرجئ البحث إلى فرصه أخرى أو كتاب آخر.

«و الله لو تكافؤا عن ذمام نبذه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إليه لا عتلقه».

شبهت السیده فاطمه (عليها السلام) المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية بالقافله، و شبهت الخلافه و القيادة الإسلامية بالزمام و هو المقود، أى الحبل الذى يقاد به البعير، و شبهت علياً (عليه السلام) بالدليل الذى يتقدم القافله، و يأخذ بزمام البعير ليقود المسيره.

و لم تنس السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام) أن تقول: «نبذه رسول الله إليه» أى إن القيادة الإسلامية إنما صارت لعلی (عليه السلام) بأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حين قام فى الناس رافعاً صوته: «من كنت مولاه فعلى مولاه». و بعد هذا تقسم بالله قائلة: «و الله» فالمسأله مهمه و عظيمه جداً جداً و تستحق أن يقسم الإنسان بالله لأجلها.

«لو تكافؤا» أى كفؤا أيديهم، أى منع بعضهم بعضاً، بحيث لو أراد أحدهم تناوله منعه الآخرون «لا عتلقه» أى اعتلق على (عليه السلام) الزمام، أى قام بالواجب كما ينبغى و قاد المسيره على أحسن ما يتصور، و أفضل ما يرام.

ثم و صفت (عليها السلام) نتائج تلك القيادة الرشیده لو كان يفسح لها المجال، و ذكرت الفوائد و المنافع و الخيرات و البركات التى كانت تعم الأمة الإسلامية على مرّ القرون و الأجيال فقالت:

«ثم لساَر بهم سيراً سجعاً» أى سار القائد بالمسيره سيراً ليناً سهلاً، بكل هدوء و طمأنينه، فإن البعير إذا سار بالراكب سيراً عنيفاً فلا بدّ و أن

الراكب يتأذى من الحركة العنيفه، و تتحطم أعصابه لما فى ذلك من الإزعاج و القلق.

ثم البعير نفسه يتألم حينما يجاذبه الراكب الجبل الذى قد دخل فى ثقب أنفه و ربما يجرح أنفه أيضاً، فيتأذى الراكب و المركوب، و لكن السيده فاطمه تقول: «لا- يكلم خشاشه، و لا- يتنعج راكبه» و فى نسخه: «و لا يكل سائره و لا يمل راكبه» أى الجبل أو الخشب الذى جعل فى أنف البعير و يقال له «الخشاش» لا يجرح أنف البعير، و لا يتزعج راكب البعير، و المقصود: سلامه الراكب عن كل مشقه حال السير.

«و لأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً» و فى نسخه: «منهلاً رويّاً» إن الدليل الذى يتقدم القافله لا بد و أن ينزل بهم منزلاً حسناً، و مكاناً لائقاً للراحه، على شاطئ نهرٍ أو عين ماء، ليأخذوا حاجتهم من الماء، و يسقوا دوابهم و غير ذلك.

تقول السيده فاطمه (عليها السلام): كان على (عليه السلام) يقود المسيره إلى منهل نمير و المنهل: المورد أى محل ورود الإبل. و النمير: العذب، النابع من عين لا ينقطع مأوها. و الفضفاض: الواسع.

«تطفح ضفتاه، و لا يترنق جانباه» النهر إذا كان ممتلئ يفيض جانباه و إذا كان عذباً لا يتكدر جانباه بالطين كما هو المشاهد من تكدر الماء بالطين على جوانب النهر، بل و حتى البحر.

فالكثرة والسعه فى المجرى و العذوبه و النظافه و عدم التلوث بالطين و غيره من صفات ذلك الماء.

و كلها إشارات و كنايات إلى الحياه السعيده التى كان الناس يعيشونها لو كان الأمر بيد الإمام أمير المؤمنين، فالخيرات كانت تشمل أهل الأرض،

و العدل يسود المجتمع، و السلامه كانت تعم الجميع، و الرفاهيه و الاستقرار و الطمأنينه و الأمان و الحريه- بمعناها المعقول- و السعاده فى الدنيا، و النعيم فى الآخره كان من نصيب الجميع.

«و لأ صدرهم بطاناً» و كانت نتيجة ذلك الورود هو الصدور من المنهل، و الخروج من ذلك المورد بالبشع و الارتواء، فلا جوع و لا حرمان، و لا فقر و لا مسكنه.» و نصح لهم سرّاً و إعلاناً النصيح: حُب الخير، و عدم الغش، و المعنى: أن علياً كان يسعى فى إسعادهم و جلب الخير لهم بصوره سريه و علنيه، أى ما كان يطلب من وراء تلك القياده إلاّ الخير للناس لا لنفسه.

«و لم يكن يحلّى من الغنى بطائل، و لا يحظى من الدنيا بنائل، غير رىّ الناهل و شبعه الكافل» و هنا تذكر السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) موقف زوجها من تلك القياده و الزعامه العامه.

قبل كل شىء: ينبغى أن لا- ننسى أن فى العالم أفراداً يحبون القياده و الرئاسة لأنفسهم، أى يحبون ليحكموا على الناس، و يتصرفوا كما يشاءون و كما يريدون، و يحبون الرئاسة لأنها وسيله تحقيق أهدافهم و أمنياتهم الشخصيه فهم يتنعمون من وراء تلك الرئاسة بشتى أنواع النعم، و يختارون لأنفسهم أفضل حياه.

و هناك أفراد «و قليل ما هم» يحبون الرئاسة و القياده ليخدموا الناس، و يصلحوا المجتمع، و يجلبوا الخير و السعاده للشعوب، ليعيش الناس آمنين مطمئنين، و لتكون لهم حياه مشفوعه بالراحه و الخير و النعيم.

إن هذه الطائفه من أولياء الله لا يشعرون بالنقص فى أنفسهم كى يكملوا أو يستروا ذلك النقص بالفخفخه و الجبروت بل إنهم يشعرون بالكمال فى أنفسهم، فهم فى غنى عن الناس، و الناس بحاجه إليهم، إن

هؤلاء لو حكموا لنفعوا الناس و أصلحوهم، و آمنوا حياتهم من جميع نواحيها.

و فى الوقت نفسه لا يستفيدون و لا ينتفعون من حطام الدنيا، و لا تطيب نفوسهم أن يتنعموا بأموال الفقراء، و يبنوا قصورهم على عظام الضعفاء، إنهم يحملون نفوساً أبيه و أنوفاً حميّه، و أرواحاً طيبه تستنكف التنازل إلى هذا المستوى السافل.

بعد هذا يتضح لنا كلام السيده فاطمه (عليها السلام) حول موقف زوجها تجاه قياده لو كان يفسح له المجال، و لا يغلق عليه الطريق.

تقول: «و لم يكن يحلى من الغنى بطائل» أى لو كان على (عليه السلام) يتسلم زمام الحكم ما كان يستفيد من اموال الناس لنفسه فائده كثيره، و ما كان يصيب من بيوت الاموال و كنوز الثروه لنفسه خيراً.

«و لا يحظى من الدنيا بنائل» ما كان ينال من ثروات الدنيا بالعطاء سوى مقدار إرواء نفسه من العطش، و إشباع عائلته من الجوع.

احفظ هذه الجملة و انظر إلى حياه الحكام و السلاطين فى العالم، تجدهم يسكنون أفخم المساكن، و يلبسون أفخر الملابس، و يأكلون ألذّ المأكّل، و يركبون أحسن المراكب و يؤثثون بيوتهم بأغلى الأثاث، و يعيشون أفضل المعيشه. و لا تسأل عن الذخائر التى يدّخرونها ليوم ما؟!؟؟

كل ذلك من بيت المال، و كل ذلك من أموال الدوله و أموال الشعب!!

نعم، إن السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) هكذا تعرّف زوجها، و التاريخ الصحيح يصدّق كلامها و الواقع يؤيد ادعائها.

فلقد حكم الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) أربع

سنوات و شهوراً، فكانت حياته هكذا مائه بالمائه.

فلقد كتب (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف كتاباً يقول فيه: «ألا- وإن إمامكم قد اكتفى من دنيا بطمريه، و من طعمه بِقُرْصيه... فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، و لا ادّخرت من غنائمها و فراً، و لا أعددت لبالي ثوبى طمراً، و لا حزت من أرضكم شبراً بلى، كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلتها الخضراء، فشحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس قوم آخرين... الى آخر كلامه (عليه السلام).

و هنا سوال لا بد من الاجابه عليه و هو: اذ كان الامام على (عليه السلام) بهذه الا و صاف التى ذكرتها الزهراء (عليها السلام) و وصفته بها.. فلماذا- حينما حكم على الناس، و تسلّم القياده و جلس على منصبه الخلافة- حدثت الاضطرابات الداخليه، و الحروب الأهليه الداميه، و المشاكل و المصائب و المذابح التى شملت الأمة الإسلاميه فى عهده؟؟

نجيب على هذا بما يلى:

لا- شك أن المجتمع الإسلامى فى عهد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) كان مجتمعاً صالحاً من جميع النواحي، و لكن الذين حكموا المجتمع بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) خلال ربع قرن قد غيروا و بدّلوا و تصرّفوا تصرفات غير مرضيه.

و لو ألقيت نظره إمعان على تاريخ الحكام الذين تسلّموا السلطه بعد الرسول مباشرة خلال خمس و عشرين عاماً لرأيت كميه وافر من الأوامر و الفتاوى و الأحكام المضادّه للشريعه الإسلاميه من الكتاب و السنه، من تغيير الوضوء و الأذان و كيفيه الصلاه و عدد ركعاتها إلى الحج إلى الجهاد إلى النكاح و إلى الطلاق و هكذا و هلمّ جرّاً.

و لو أردنا أن نذكر الشواهد و الأمثله لهذه المواضيع لطال بنا الكلام،

و لكننا نكتفى - هنا- بمثال واحد كنموذج، و لك ان تقبس من هذا المثل بقيه الامثله:

مجزره خالد بن الوليد

خرج خالد بن الوليد بجيشه الى قبيله من قبائل المسلمين تسمى: بنى جذيمه. و كان فى تلك القبيله رجل من المسلمين اسمه: مالك بن نويرة، قد اسلم على يد النبى و شهد له رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالجنه و شهد عمر بن الخطاب بإسلامه فقتله خالد بن الوليد بغير ذنب، سوى ذنب واحد، و هو أن زوجته كانت من أجمل نساء قومها و قد رآها خالد بن الوليد و طمع فيها، و لم يجد طريقه للاستيلاء عليها سوى قتل زوجها البريىء فقتله خالد، و فى نفس الليله زنى بزوجه.

و حينما رجع خالد إلى المدينه لم يجد أى عقاب أو عتاب من رئيس الدوله يومذاك.

هذا هو المتفق عليه بين المؤرخين بلا- استثناء، مع العلم أن الإسلام لم يسمح بنكاح المعتده ما دامت فى العده، و الرجل لم يتزوج بها.

هذه المأساه التى تجدها فى أكثر التواريخ، ترى كم تشتمل هذه الفاجعه من إهدار الدماء البريئه و هتك الأعراض، و ارتكاب الجرائم، و التلاعب بكرامات الناس و مقدراتهم؟

و كم تتبدل نظره الناس إلى الدين و إلى الدوله الإسلاميه؟

و قد مرَّ عليك موقف هؤلاء تجاه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الوحيدة العزيزه و اتجاه زوجها العظيم، و ولديها الحسن و الحسين (عليهم السلام)؟

إن الإسلام و القيادة الإسلاميه و صلت إلى يد على (عليه السلام) و هى مفككه العرى، محطمه الجوانب، مشوهه السمعه.

و أراد الإمام على (عليه السلام) أن يصلح تلك المفاصد، و أن يعيد الإسلام إلى طريقه السوى و يلبسه حلّه القداسه و الجمال، و إذا به يجد أصحاب المطامع يقومون ضده، و يشهرون سيوفهم فى وجهه، فتكوّنت الحروب الداخليه و قامت المجازر على قدم و ساق.

و اعلم ان الذين اقاموا الحروب الداخليه و وضعوا نواتها الاساسيه هم اربعة فقط: طلحه و الزبير و عائشه و معاويه.

و كان زبير و طلحه يهدفان الوصول الى الحكم من خلال اثاره الاضطراب فى حكمه خليفه رسول الله، و قد اتخذوا عائشه ذريعه لذلك.

اما معاويه فكان يهدف المحافظه على كرسيه فى الشام، كما صرخ هو بذلك فيما بعد.

و قد ذكرنا الشىء اليسير من تلك المآسى فى الجزء الأول و الثانى و الثالث من شرح نهج البلاغه.

و أنت إذا راجعت و قارنت فسوف تنكشف لك أمور، و تتضح لك أسرار.

نحن لا زلنا فى شرح الخطبه:

«و لبيان لهم الزاهد من الراغب» إن السيده فاطمه (عليها السلام) لا تزال توالى حديثها عن زوجها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وإنه لو كان يستلم القيادة كان يقنع من الدنيا بالشىء اليسير اليسير، و ذلك بمقدار

إرواء عطشه و إشباع عائلته، و عند ذلك كان يظهر للناس الزاهد الحقيقى الذى لا يطمع فى أموال الناس، يظهر الراغب الطامع الذى كان يخضم مال الله خضم الإبل نبتة الربيع و أمثاله.

«و الصادق من الكاذب» و ظهر لهم الصادق الذى يصدق فى أقواله و أفعاله من الكاذب الذى يكذب فى ادعاءاته و تصرفاته، وتكذب أفعاله أقواله و شعارته.

ثم إنها (عليها السلام) ختمت هذه المقطوعة من حديثها بالآية الكريمة، و طبقتها على هذه الأمة، فقالت: «و لو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (١).

ما أنسب هذه الآية بهذا المقام و ما أجمل هذا التشبيه فى هذا الكلام؟ و تقصد السيدة فاطمه أن الناس لو كانوا يقبلون كلام الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فى تعيين على بالخلافه و كانوا ينقادون له، لكانت الدنيا لهم روحاً و ريحاناً و جنة نعيم، و لكنهم خالفوه و اختاروا غيره، و بعملهم هذا كذبوا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تكذيباً عملياً، فسوف يشاهدون الويلات تنصب عليهم.

و أردفت هذه الآية بمثلها، فقالت: «و الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبيهم سيئات ما كسبوا و ما هم بمعجزين» (٢).

و سيأتيك القول بالتفصيل عن الويلات و المآسى التى انصبّت على الأمة الإسلامية من جرّاء تلك القياده الشاذه و مضاعفاتها.

«ألا هلم و استمع» و فى نسخه: «هلمن و استمعن» فعلى النسخه

ص: ٤٦٠

١- ٥٤٠. الاعراف: ٩٦.

٢- ٥٤١. الزمر: ٥١.

الأولى يكون الخطاب عاماً للجميع، و على النسخه الثانيه يكون الخطاب خاصاً بالنساء اللاتى حضرن عيادتها.

«و ما عشت أراك الدهر عجباً» أى كلما عشت أو مده عيشك فى الدنيا رأيت العجائب التى لا بالبال و لا بالخاطر.

«و إن تعجب فعجب قولهم» هذه الجملة من آيه فى سوره الرعد و هى: «و إن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد» اقتبست السیده فاطمه (عليها السلام) هذه الجملة من الآية و أدمجتها فى حديثها، و المقصود أن الناس يتعجبون من بعض الأمور و ليست بعجيبه، و لا تستحق التعجب، و هناك أمور و قضايا عجيبه ينبغى أن يتعجب منها، لأنها أمور لا تنسجم مع الشرع و لا مع العقل و لا الوجدان و لا الضمير، و لا تدخل تحت أى مقياس من المقاييس الصحيحه.

و الأمر العجيب هو ما يلى:

«ليت شعرى إلى أى سناد استندوا؟

و على أى عماد اعتمدوا؟

و بأيه عروه تمسكوا؟

و على أیه ذریه أقدموا و احتنكوا؟

إن الناس كانوا يستندون على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ينقادون له، و يعتمدون على أقواله، و يطيعون أوامره، لأنه مرسل من عند الله، و متصل بالعالم الأعلى، قد توفرت فيه الأهليه بجميع معنى الكلمه، فلا- عجب فى ذلك إذا خضع له الناس، و قدّموه على كل شىء، و لكن العجب كل العجب أن بعض الناس بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) تنازلوا إلى مستوى نازل جداً فسلموا القياده إلى أفراد لا توجد فيهم المؤهلات.

ص: ٤٦١

فالذى كان يستند و يعتمد على الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و يتمسك به كيف تطيب نفسه أو يرضى ضميره أن يعترف بالقياده الإسلاميه لأفراد ليسوا فى تلك المرتبه و تلك الدرجه؟!

تتعجب السيده فاطمه (عليها السلام) و يتعجب معها عقلاء العالم و أصحاب الضمائر الحيه و النفوس المعتدله و القلوب السليمه من تلك الانتخابات المخالفه لجميع المقاييس و النواميس و الموازين.

«و بأيه عروه تمسكوا» لقد ثبت عند المسلمين كلام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و إنكم لن تضلوا ما أن تمسكتم بهما» و معنى الحديث: أن الرسول أمر المسلمين أن يتمسكوا بالقرآن و العتره معاً، و لكن هؤلاء بأيه عروه تمسكوا و تعلقوا و اعتصموا؟!

«و على أيه ذريه أقدموا و احتنكوا؟» أيعلم هؤلاء من هى فاطمه الزهراء؟!

أيعلم هؤلاء ما منزله هذه الذريه الطاهره الشريفه التى هم أشرف أسره على وجه الأرض؟!

أيعلم هؤلاء ما صنعوا اتجاه أهل البيت:

الذين أمرهم الله بمودتهم بقوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا الموده فى القربى»؟!

الذين فرض الله طاعتهم على كل مسلم بقوله: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أُولى الأمر منكم»؟!

الذين مثَّلهم كمثَل سفينه نوح، من ركبها نجى، و من تخلف عنها هوى و غوى و هلك؟! الذين من أحبَّهم فقد أحب الله، و من آذاهم فقد آذى الله و من

أبغضهم فقد أبغض الله؟!

فوالله الذى لا إله إلا هو إنهم آذوا ذريه رسول الله و عترته و أهل بيته، و ظلموهم و أغضبوهم و اعتدوا عليهم، و هتكوا حرمتهم، و جرّوا الناس على إيدائهم.

بأى دين؟!

و بأيه شريعته؟!

و بأى مجوّز شرعى صنعوا ذلك الصنيع تجاه آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟!

أنا لا أدرى، و لعل القوم ينحتون الأعذار التى تبيح لهم هتك تلك الحرمات، و إهدار تلك الكرامات.

«و لبئس المولى و لبئس العشير».

اقتبست السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام) هذه الجملة من قوله تعالى «يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى و لبئس العشير» (١) أى أن الذى اختاروه للولاية بئس المولى و بئس العشير، و العشير هو الصديق الذى ينتخب للمعاشره.

«و بئس للظالمين بدلاً» هذه الجملة من قوله تعالى «و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه أفنتخذونه و ذريته أولياء من دونى و هم لكم عدو، بئس للظالمين بدلاً» (٢).

«استبدلوا- و الله- الذنابا بالقوادم و العجز بالكاهل».

من جملة العلوم التى لها الصداره على بقيه العلوم هو علم الاجتماع، و هو علم يبحث عن تقدم الأمم أو تأخرها، أسباب ضعفها أو

ص: ٤٦٣

١- ٥٤٢. الحج: ١٣.

٢- ٥٤٣. الكهف: ٥٠.

قوتها، و صلاحها و فسادها، و نتائج الصلاح و مضاعفات الفساد.

و من الوسائل التى كان لها التأثير فى توعية المجتمع نحو الخير و الشر، و نحو الصلاح أو الفساد، و تقرير مصير الشعوب: هو جهاز الدولة و جهاز الدين، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «طائفتان من أمتى إذا صلحتا صلح الناس، و إذا فسدتا فسد الناس: العلماء و الأمراء».

و فى ذلك اليوم كان جهاز الدولة و جهاز الدين جهازا واحداً، فالخليفة يُعتبر رئيس الدولة و رئيس الدين، و يدير دفة الحكم على الصعيدين: الدولى و الدينى. و إننا نجد الشعوب المتحضرة، المثقفة المتقدمة إنما و صلوا إلى القمة و حازوا التقدم فى كافة المجالات بسبب الأسره الحاكمه التى مهّدت لهم السبل، و هيأت لهم الوسائل و زوّدتهم بالتعليمات، و شجعتهم على العمل.

و هكذا نجد الشعوب المتأخره و المتفسخه- التى استولى عليهم الجهل و الفقر و المرض و الذل و الهوان و الخلاعه و المجون- هم ضحايا إهمال الحكام و أصحاب القيادة، و قد قيل: «الناس على دين ملوكهم».

و هنا تنتقل السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) إلى حديثها عن علم الاجتماع، فتقول:

«استبدلوا- و الله- الذنابا بالقوادم».

إن التشبيه فى الكلام له تأثير عجيب فى النفس، و تقريب المعنى إلى الذهن بصورة واضحة.

لقد شبّهت السيده فاطمه (عليها السلام) الأمه الإسلاميه بالطائر، و شبّهت القائد أو القياده بأجنحه الطائر، لأن الطائر لا يستطيع أن يطير إلاّ بجناحيه، و الجناح مركب من عشر ريشات كبار، و يقال لها «القوادم» و تحت تلك الريشات الكبار عشر ريشات صغار يقال لها «الخوافى» و على موضع

ذنب الطائر ريشات يقال لها: «الذنايا».

فالقوادم هي قوام الطيران، و لا- يمكن الطيران بغير القوادم، لأنها بمنزلة المحركات القويه في جناح الطائر التي تقلع الطائر و ترتفع بها عن الأرض و تحلق في الفضاء.

فالطائر إذا قطعت قوادمه لا يستطيع الطيران بالخوافي و هي الريشات الصغار، و لا بالذنايا، لأن الذنايا لا تستطيع حمل جسد الطائر و إقلاعه عن الأرض لعجز الذنايا و ضعفها.

«و العجز بالكاهل» العجز- بفتح العين و ضم الجيم:- من كل شىء مؤخره، و من الإنسان ما بين الوركين، و الكاهل ما بين الكتفين، و الكاهل أقوى موضع في البدن لحمل الأثقال.

و المقصود من هذين المثالين أو التشبيهين هو: أن القوم سَلَمُوا الأمور العظيمة، و المناصب الخطيره- و هي القياده- إلى من لا يليق بها، و لا يستطيع القيام بأمورها، لعدم توفر الإمكانيات فيه، و عجزه عما يتطلبه الأمر من العلم و العقل و التدبير، و ذلك بعد أن سلبوا تلك الإمكانيات من أصحابها الأكفاء ذوي اللياقه و الخبره و البصيره.

«إنهم باعوا علماً (عليه السلام) يوم الغدير بأمر من الله تعالى و رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم) و باختيار منهما، و لكنهم نكثوا عهدهم، و نقضوا بيعتهم، و بايعوا غيره الذي لا- يقاس بعلى (عليه السلام) علماً و شرفاً و فضلاً و سابقه و غير ذلك من المرجحات.

«فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون انهم يحسنون صنعا».

ان الزهرا (عليه السلام) تدعو على هؤلاء بالذل و الهوان، و هو

إرغام أنوفهم، و هم الذين يظنون أنهم مهتدون في أعمالهم، و مصلحون في تصرفاتهم.

و الحال: «ألا إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون» و هل يشعر المنحرف أنه منحرف شاذ؟

بل بالعكس، يتصور أنه هو المهتدى المعتدل المستقيم، و أنه على الحق و أن غيره على الباطل، و لا يؤثر فيه المنطق و لا ينفع فيه الدليل و البرهان. و هاتان الجملتان مقتبستان من قوله تعالى:

«قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» (١) و من قوله تعالى: «و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون» (٢).

ثم أدمجت آية أخرى في كلامها بالمناسبة فقالت:

«ويحهم! أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون» (٣).

هذه الآية الشريفة تشير إلى بحث الهداية، و المقارنه بين الذى يهدى إلى الحق، و يرشد الناس إلى الطريق و بين الذى لا يهدى و لا يعرف الطريق إلا أن يهدى، أى يهديه غيره، أيهما أحق بالاتباع؟ و أيهما يستحق أن يكون قائداً للأمم؟

و هنا تقصد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من هذه المقارنه أن علياً هو الرجل الكامل علماً و فضلاً و عقلاً، و مواهب، فهو أولى بالقياده، و أخرى بالاتباع من أفراد ليسوا فى المستوى المطلوب فى

ص: ٤٦٦

١- ٥٤٤. الكهف ١٠٤.

٢- ٥٤٥. البقره: ١١، ١٢.

٣- ٥٤٦. يونس: ٣٥.

العلم و العقل و التدبير و ما شابه ذلك من لوازم القيادة.

و التاريخ يثبت كلا الجانبين: جانب الكمال فى الامام على (عليه السلام)، و جانب النقص فى غيره.

«أما: لعمري! لقد لقحت» إن الميكروبات- التى تتكون فى البدن، و تنتج أمراضاً صعبه العلاج- إنما تبدأ من الجرثومه التى تدخل فى الدم، و هناك تتلاقح، و بمرور الزمان تنتشر الميكروبات فى الدم، و تؤثر على الكريات البيض و الحمر، و هناك الويلات، و هناك، الملاريا و الكوليرا، و هناك السرطان، و هناك المرض الذى يعم البدن و يشمل الجسد كله.

تقول السيدة فاطمه الزهراء: «أما لعمري! لقد لقحت» لقحت جرثومه الفتنة فى الأمة الإسلاميه، و الفتنة فى طريقها إلى التوسع و الانتشار.

«فنظره ريثما تنتج» أى انتظروا حتى تنتشر الميكروبات فى هيكل المجتمع الإسلامى، فبعد أن كانت القيادة الصالحه اللائقة تقود المسلمين و إذا بقياده معاكسه و مغايره لها تماماً تراحمها و تحل محلها.

و بعد أن كانت الأحكام الإسلاميه الطريه المعتدله تسود المجتمع الإسلامى إذ بأحكام منبعثه عن الهوى و عن آراء شخصيه متطرفه تقوم مقام تلك الأحكام.

و هكذا تتبدل المفاهيم، و تتغير المقاييس.

«ثم احتبلوا ملء القعب دماً عبيطاً».

ان الناقه إذا ولدت يُحلب منها اللبن، و لكن الفتنة إذا لقحت و أنتجت يحلب منها الدم لا اللبن، أى تتكون المجازر و المذابح، فبعد أن كان الدين الإسلامى دين الأمن و الحياه و السلام فى الواقع و إذا به ينقلب مفهومه لدى هؤلاء فيصبح دين الإباده و الهلاك، و الدمار و الفناء.

انظر إلى التاريخ الإسلامى الذى شوّه هؤلاء.

تجد أنهاراً من الدماء التي جرت من أجساد المسلمين!

و تجد التلال التي تكونت من جثثهم!

فمثلاً: ذكر المؤرخون أن عثمان بن عفان قام بأعمال منافية للقرآن و السنه، فعاتبه المسلمون على ذلك، و لكنه لم يرتدع بل استعمل العنف و القوه معهم ضرباً و سباً و تبعيداً و تهديداً.

و أخيراً اثارت أعماله في المسلمين هياجاً عاماً، و كانت عائشه تهيج الناس ضده و هكذا طلحه و ابن العاص.

و أخيراً اثارت قتلوا عثمان.

و إذا بالذين كانوا يحرضون الناس ضده خرجوا يطلبون بدمه!! و قد قُتل عثمان في المدينه، و ذهب هؤلاء إلى البصره يطلبون بدمه، و بين المدينه و البصره أكثر من ألف كيلومتر، فأججوا نيران الحرب هناك، فقتل في حرب البصره خمس و عشرون ألف إنسان!

ثم نهض معاويه زاعماً أنه يطلب بدم عثمان، فقامت الحرب في منطقه سوريه بالقرب من مدينه حلب يقال لها «صفين» و هدأ القتال و على الأرض تسعون ألف قتيل!

ثم صارت واقعه النهروان فقتل فيها أربعة آلاف إنسان.

ثم خرج بسر بن أرطاه- من الشام و قصد المدينه و مكه و اليمن و في طريقه كان يقتل الناس، حتى قتل من شيعة علي (عليه السلام) في اليمن و غيره ثلاثين ألف إنسان!.

خذ القلم بيدك و احسب مجموع القتلى:

$$٢٥ / ٠٠٠ + ٩٠ / ٠٠٠ + ٤ / ٠٠٠ + ٣٠ / ٠٠٠ = ١٤٩ / ٠٠٠ .$$

هؤلاء القتلى، و لا تسأل عن الجرحى، و لا تسأل عن أرامل هؤلاء،

و أيتامهم، و مضاعفات تلك المآسى، و لا تسأل عن الدموع الجارية، و العيون الباكية، و القلوب الملتهبة، و الآهات و الأحزان التى جعلت تلك الحياه جحيماً على ذلك المجتمع بكافه جوانبه و نواحيه، كل ذلك فى خلال أربع سنوات!! و هل انتهت المأساه هنا؟

لا، بل هناك مآسى و مجازر و مذابح تقشعر منها الجلود، و سوف نذكر بعضها فى هذا الكتاب.

نعم، لا- تزال السيدهه فاطمه الزهراء (عليها السلام) تخبر عن الفجائع و الفضائع التى هى فى طريق الأمه الإسلاميه، و كامنه لها بالمرصاد.

ليس هذا التنبؤ إخباراً عن الغيب، بل إخبار عن نتائج الأعمال و مضاعفاتها، فالطبيب الحاذق إذا نظر إلى إنسان لا يراعى أصول الصحه فى مأكله و مشربه و تنفسه و يستعمل الأشياء الضاره فإن الطبيب يخبره بمصيره المظلم، و الأمراض الفتاكه التى تقضى على حياته من جزاء تلك الأعمال المنافيه لأصول الصحه العامه.

و كذلك السيدهه فاطمه الزهراء (عليها السلام) تنظر إلى ذلك المجتمع و سوء اختيار الأمه للقياده غير الصالحه، فتكشف لها العواقب السيئه التى يؤول إليها أمر الأمه الإسلاميه ببركات تلك القياده!!

تقول: «ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً» و فى نسخه: «طلاع القعب» أى القدح الكبير الضخم الذى يتفايض بالدم حتى يسيل منه، و المقصود كثره الدماء التى تُراق.

«و ذعافاً ممقراً مبيداً» أى احتلبوا الدم، و احتلبوا السم المرّ المهلك، و المقصود منها: النتائج السيئه التى عمّ شؤمها الإسلام و المسلمين من الولايات و المصائب التى انصبت على المسلمين.

«هنالك يخسر المبطلون» أى عند ذلك يظهر خسران المبطلين.

«و يعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأولون» يعرف الآخرون عاقبه الأعمال التى أسَّسها الأولون.

«ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً» يقال: طب نفساً: أى أسكن و اهدأ عن القلق و هذا كما يقال للظالم: قَرَّت عينك، أو بشراك و أمثالها من الكلمات التى يراد بها العكس فى الكلام لا الحقيقة.

«و اطمأنوا للفتنه جاشاً» أى فلتسكن للفتنه قلوبكم، و هذا أيضاً يراد به العكس، فإن القلب لا يسكن للفتنه و إنما يسكن للأمان و السلامه.

«و ابشروا بسيف صارم و سطوه معتد غاشم» هذه الكلمه على غرار قوله تعالى: «فبشَّروهم بعذاب أليم» و هذه الكلمه أو الجمله أيضاً على العكس.

«و هرج شامل» و فى نسخه: «و هرج دائم شامل» الهرج: الفتنة و الفوضى و اختلال الأمور.

«و استبداد من الظالمين» الاستبداد: الدكتاتوريه، و العمل على خلاف المقاييس و الموازين، لا تحت أى نظام أو قانون أو شريعته أو دين.

«يَدْعُ فيئكم زهيداً و جمعكم حصيداً» أى ذلك الاستبداد أو المقصود من ذلك جميع ما تقدم من قولها: سيف صارم و سطوه معتد غاشم و هرج و استبداد و مجموع هذه الأشياء يدع فيئكم زهيداً أى يجعل الغنائم و الخراج حقوقكم المالىه زهيداً أى قليلاً «و جمعكم حصيداً» و فى نسخه: «و زرعكم حصيداً» أى محصوداً، و المقصود أن السلطه التى تحكم عليكم يتصرفون فى غنائمكم حسب مشتهياتهم و يجزونها إلى أنفسهم فلا ترون منها إلا القليل، و يحصدون جمعكم أى جماعتكم بسيوفهم.

و كلها إخبارات بالمستقبل المظلم الذى كان بالمرصاد للمسلمين، و المآسى و الكوارث التى تنزل بهم، و الولايات التى تنصبّ عليهم!

و لقد تحقّق كل هذا: و هذا كله، لقد ابتلى المسلمون بفجائع و مذابح و مآسى لا يستطيع أحد أن يتصوّرها، فوالله أنّهم سوّدوا تاريخ الإسلام، و شوّوها سمعه هذا الدين، و إليك بعض تلك الحوادث شاهداً على ما نقول:

لقد ذكرنا- فيما مضى- بعض المجازر التى قام بها أصحاب الجمل و معاوية و الخوارج و بعض عملاء معاوية، و الآن استمع إلى غيرها:

لو أردنا أن نذكر- هنا ما جرى على الأُمّة الإسلاميه من الظلم و الجور و الضغط و الكبت و العنف و القسوة، و الاستبداد بالأموال و إراقه الدماء البريئه على أيدي حكام الجور لطلّ بنا الكلام جداً جداً، فإنّ التحدّث عن هذه المصائب و الفجائع يحتاج إلى موسوعه و موسوعه.

و لكننا رعايه لأسلوب الكتاب و بمناسبه التحدّث عما أخبرت به السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) من الولايات التى كانت بالمرصاد على طريق المسلمين الذين اختاروا تلك القياده التى ما أنزل الله بها من سلطان، و نبذوا وراءهم ولايه آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و سلبوهم قدره و الإمكانيه-.

نختار من بين المئات من الفجائع التى انصبت على أهل المدينه فجيعة واحده تقشعرّ منها الجلود، و تشمئز منها النفوس.

و قبل أن أذكر الواقعه لا بأس بذكر مقدمه تمهيديه كى تظهر نتائج تغيير القياده الإسلاميه عن مجراها و أسسها:

من الصحيح أن نقول: إن حكام الجور الذين جلسوا على كراسى الحكم، و قبضوا بأيديهم أزمّه الأمور و استولوا على رقاب البشر عن طريق السيف قد رفضوا العمل بالإسلام الذى جاء به محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)

فكانت تصرّفاتهم لا- تتفق مع القرآن الكريم ولا السنّة النبويه ولا منطق العقل ولا قانون الإنسانيه ولا نظام العدل ولا تعاليم الإسلام.

بل كانوا يحكمون على أموال الناس و دمائهم حسب رغباتهم الشخصيه و شهواتهم النفسيه، و إجابته للحرص و الجشع، و إطاعه لأهوائهم.

فالناس لا- كرامه لهم ولا- قيمه لحياتهم عند هؤلاء، و ليس المهم عند أولئك الحكام أن يعيش الناس برحاء و رفاه أو يموتوا جوعاً و فقراً و إنما المهم المحافظه على عرش الحاكم و إبقاء جبروته و إشباع شهواته و رغباته و ترفه و بذخه و لو كان مستلزماً لإراقه دماء الشعب المسلم البرىء المسكين، و ما قيمه المسلم و ما حرمة الإسلام أمام أهواء الحاكم الدكتاتورى الظالم السفّاك الذى لو كان يؤمن بالله و اليوم الآخر لكان سلوكه على خلاف تلك الأعمال المناقضه للدين الإسلامى.

و لعلك- أيها القارئ- تتصور و تظن أنّ فى كلامى هذا شيئاً من المبالغه و الإسراف، و لكنك لو اطلعت على تاريخ الأمويين و العباسيين و المجازر و المذابح الجماعيه التى قاموا بها لصدّقت كلامى بل و اعتبرت كلامى هذا أقل من القليل عن الواقع الذى مرّت به الأمه الإسلاميه عبر القرون!

إنهم جعلوا الحياه جحيماً و عذاباً أليماً على المجتمع الإسلامى الذى كان يعيش تحت سياطهم و سيوفهم!

و هاك مثلاً واحداً على بعض ما نقول:

واقعه الحره

بعث يزيد بن معاويه مسلم بن عقبه و كان أحد جبابره العرب

ص: ٤٧٢

و شياطينهم- بعثه إلى المدينة و معه ثلاثون ألف رجل (١)، و أوصى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة فقال: إذا ظهرت على أهل المدينة فأبْحها ثلاثاً، و كل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجنـد.

خرج الجيش نحو مدينة الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و تصدى خرج أهل المدينة لمقابله الجيش خارج المدينة، و التقى العسكران خارج البلده فى منطقـه يقال لها: «الحرّـه» و هناك وقعت الحرب، و قُتل من أهل المدينة المئات من أبناء المهاجرين و الأنصار و غيرهم من أهل المدينة، و انهزم الباقون متجهين نحو المدينة، الا ان جيش الشام يطاردهم حتى و صلوا المدينة و لاذ المسلمون بالحرم النبوى فجعل جيش الشام يقتل أهل المدينة عند قبر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى ساوى الدم قبر رسول الله!!

و بعد ذلك نادى المنادى فى جيش الشام بأمر قائدهم مسلم بن عقبة: هذه المدينة قد أبْحْتها لكم!!!

فما تظن بالجيش الفاتح الذى يُعطى له الحرية الكامله، و يرفع عنه كل مسؤوليه؟؟ لقد عمد الجيش إلى نهب الأموال و هتك الأعراض، و اقتضوا أكثر من ثلاثمائه عذراء، و وُلد فى تلك السنه ألف مولود لم يُعرف لهم أب.

و أستأذن القارئ لأقول له: حتى أن الرجل منهم كان يزنى بالمرأه المسلمه فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢).

و كان أفراد الجيش يدخلون بيوت أهل المدينة و ينهبون كل ما وجدوا فيها، و هجم أفراد منهم على دار أبى سعيد الخدرى- الذى كان من مشاهير أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان شيخاً كبيراً

ص: ٤٧٣

١- ٥٤٧. الامامه و السياسه ج ٢ ص ٧.

٢- ٥٤٨. كتاب تتمه المنتهى للقـمى.

قد كفّ بصره- فوجدوه جالساً على التراب، لأن طائفه من الجيش كانت قد نهبت داره قبل ذاك، و لما فتش الأفراد داره و لم يجدوا شيئاً ما أحبوا أن يخرجوا من داره بلا فائده فعمدوا إلى الشيخ الأعمى المسكين و نتفوا لحيته و شعر حاجبيه و هو يصرح و يقول لهم: أنا أبوسعيد الخدرى!! أنا صاحب رسول الله.

و لكنهم لم يعبأوا بهذه الأسماء، و وجدوا في بيته عدداً من الحمام فذبحوها و طرحوها في البئر و خرجوا من داره.

و دخل أحدهم دار امرأه قد نُهب كل ما فيها، فوجد الرجل تلك المرأة جالسه على الأرض و في حجرها طفلها يرتضع، فمدّ الرجل يده و أخذ برجل الطفل و جذبه من حجر أمه و الثدى في فمه و ضرب برأس الطفل الجدار فسال دماغه على الأرض و أمه تنظر إليه.

ثم جمع مسلم بن عقبة أهل المدينة و أخذ منهم الإقرار و الاعتراف بأنهم عبيد مملوكون ليزيد بن معاوية.

و بعد ذلك خرج الجيش من المدينة تاركاً وراءه الجثث و آلاف اليتامى و الأرمال، طعامهم البكاء و شرابهم الدموع، و فراشهم التراب، و متاعهم الآلام و الآهات و الذعر و العويل.

و توجه الجيش نحو مكة ليحرقوا الكعبة و يقتلوا الناس في المسجد الحرام لأجل القضاء على عبدالله بن الزبير المتحصن في المسجد الحرام الذي من دخله كان آمناً.

و لا تسأل عن الفجائع التي انصبت على أهل المدينة، فجيعة بعد فجيعة و مصيبة تلو الأخرى.

و أما ما قام به الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق فإنه يشيب الطفل و هو في المهد، و يورث الدهشه و الذعر في القارئ الذي يقرأ تلك

الإضبارة السوداء الشوهاء، و تستولى عليه حاله التهوُّع و التقَيُّؤ.

حتى قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمه بخبيثها و جننا بالحجاج لغلبناهم.

و قال عاصم: ما بقيت لله (عز و جل) حُرْمه إلّا و قد ارتكبتها الحجاج!

تطبيق الخبر مع الواقع

هذه نماذج قليلة و ضئيلة بالنسبه لما جرى و حدث، و بعد استعراض تلك الفجائع التى يملّ الإنسان الحياه حين قراءتها- تتضح لنا صحه ما أنذرت به السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) الجماعه التى استبدلت تلك القياده بقياده آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و يظهر لنا صدق كلامها حين المطابقه و المقارنه بين كلامها: «و ابشروا بسيف صارم، و سطوه معتد غاشم، و هرج شامل، و استبداد من الظالمين يدع فينكم زهيداً، و جمعكم حصيداً» و بين الحوادث و المآسى التى مرّت بها الأمه الإسلاميه.

و أخيراً ختمت السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) خطابها للنساء بهذه الجملات: «فيا حسره لكم» هذه الكلمه مأخوذه من قوله تعالى: «يا حسره على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزئون» فالمعنى: يا لكم من حسره و ندامه على ما فاتكم من الخير و الهدايه، و الأمن و الأمان و الأجر و الثواب فى الدنيا و فى الآخره.

«و أئنّى بكم؟» أى ما أدرى إلى ما يصير أمركم و قد انحترم عن طريق الهدايه، و وقعتم فى موارد الهلكه و الخسران.

«و قد عميت عليكم» خفيت عليكم الحقائق بسبب قلّه تدبّركم فيها

«أنلزمكموها و أنتم لها كارهون» هذه الجملة من قوله تعالى: «قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي و آتاني رحمه من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون» أى أتريدون منى أن أكرهكم على المعرفة و أُلجأكم إليها على كره منكم؟ هذا غير مقدور لى و إنما الواجب على أن أدلكم بالبينة و الطريق و ليس على أن أضطركم على معرفتها.

قطعت السيدة فاطمه شريط كلامها مع النساء - هنا- و قامت النساء و خرجن.

قال سويد بن غفله: «فأعادت النساء قولها على رجالهن، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين».

من المؤسف أن القضية مجمله مبهمه، فليس هنا تصريح بأسماء النساء و لا بأسماء الرجال الذين هم من وجوه المهاجرين و الأنصار.

و إنما الاستفادة من مجموع الأحداث أن النساء ما كنّ يعرفن الألعاب السياسيه و ما كنّ يعرفن اتجاه رجالهن فى تلك الفترة العاصفه، فحضرن عند السيدة فاطمه الزهراء لعيادتها، فخطبت فيهن السيدة الزهراء الخطبه التى مرت عليك، و صبت جام غضبها على رجالهن، و بعد انتهاء الخطبه قامت كل امراه و كأنها نائمه فاستيقظت، أو كانت غافله فانتبهت و حصل عندهن شىء من الوعى و الانتباه. و يعلم الله ما جرى بين تلك النساء و رجالهن من الصياح و النزاع بعد رجوعهن من عياده السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) بحيث جاء رجالهن إلى دار فاطمه معتذرين.

معتذرين عن أى شىء؟!

معتذرين عن تخاذلهم وتقاعدهم عن نصره آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!!

كأنهم لا يعلمون شيئاً، كأنهم لا يعرفون عن الأحداث شيئاً.

كأنهم لم يبايعوا علياً (عليه السلام) يوم الغدير، وذلك قبل وفاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بسبعين يوماً.

كأنهم لم يسمعوا خطبه الزهراء في المسجد واحتجاجها مع رئيس الدولة ومع المهاجرين والأنصار!!

كأنهم لم يسمعوا صرختها عند باب البيت.

و كأنهم ما كانوا بالمدينه و لم يعلموا شيئاً أبداً.

و كأنهم الآن عرفوا الحق فجاءوا معتذرين بأعذار تافهه تائهه بارده:

«وقالوا: يا سيده النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد و نُحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره».

استمع إلى هذا الاعتذار البعيد عن المنطق البعيد عن كل مقياس.

ما أدري أى شىء كان مفروضاً على أبى الحسن أن يذكره لهؤلاء؟

أما ذكر لهم الله تعالى قوله: «إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتُونَ الزكاه و هم راعون»؟

أما سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رافعاً صوته يوم الغدير: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم و ال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله؟

إلى غيرهما من الآيات نزلت فى حق على (عليه السلام) و كلمات الثناء و النصوص الصريحه التى سمعوها من فم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الداله على خلافه على بعده (صلى الله عليه وآله وسلم).

أى شىء يذكره علىّ لهم؟

فهل كان هناك شىء مستور أو غير معلوم عند أولئك الشخصيات فيحتاجوا إلى مَنْ يذكر لهم ذلك؟ أو يخبرهم به؟

و بعد هذا كله، أما احتج الإمام أمير المؤمنين عليهم - بأنواع الاحتجاج - يوم أخذوه من بيته إلى المسجد ليبيع أبا بكر؟

أما سمعوا؟!

أما علموا؟!

أما فهموا؟!

ثم انظر إلى كيفية الاعتذار و سخافه القول: «لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد و نحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره».

سبحان الله! أما أبرمتم العهد؟!

أما أحكمتم العقد يوم الغدير؟ و بايعتم علياً بالخلافه بأمر الله و أمر رسوله؟

فهل كنتم تلعبون يومذاك أو تستهزئون بالله و رسوله؟

فالعجب أنه جاز لكم أن تنقضوا ذلك العهد و تنكثوا ذلك العقد و لكن اليوم لا يجوز لكم النكث و النقض لتلك البيعه التى كانت هى نقضاً و نكثاً للبيعه السابقه التى بايعتم علياً يوم الغدير!!

نعم، هكذا اعتذروا، اعتذروا بهذه الأعذار المزيفه، و لهذا طردتم السيده فاطمه من بيتها، و قالت لهم:

«إليكم عنى» تباعدوا عنى، أمسكوا كلامكم عنى.

«فلا عذر بعد تعذيركم» التعذير: التقصير فى الاعتذار، و المعذر: المقصّر الذى يريك إنه معذور و لا عذر له، قال تعالى: «و جاء المعذرون

ص: ٤٧٨

من الأعراب ليؤذن لهم» (١).

لعل المقصود ليس لكم عذر صحيح بعد تعذيركم و تقصيركم.

«ولا أمر بعد تقصيركم» أى ليس لنا أمر معكم بعد هذه المواقف التى كانت لكم. و هكذا طردتهم السيده فاطمه من بيتها بعد أن زيّفت أعدارهم.

ص: ٤٧٩

١- ٥٤٩. سورة التوبه: ٩٠.

أيها القارئ الكريم! لقد قضينا معك برهه من الزمان فى رحاب كلمات السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) التى خطبت بها فى المسجد و فى بيتها و فى فراش العله و المرض، و قد تبين لك الكثير الكثير من الحقائق التى اشتملت عليها خطب السيدة الزهراء.

و قد ذكرنا لك بعض المصادر لخطبتها التى خطبت بها فى المسجد، و لا بأس أن نذكر - هنا - بعض مصادر خطبتها التى خطبت بها للنساء:

- ١- معانى الأخبار للشيخ ابن بابويه المتوفى سنه (٣٨١) ينتهى سند الخطبه إلى فاطمه بنت الحسين (عليهما السلام).
- ٢- و يروى أيضاً بإسناده عن عمر بن على بن أبى طالب (عليه السلام) يروى عن أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليهما السلام).
- ٣- الطبرسى فى الاحتجاج عن سويد بن غفله كما تقدم الكلام فى أول الخطبه.
- ٤- أمالى الشيخ الطوسى يروى بإسناده عن ابن عباس.
- ٥- دلائل الإمامه للطبرى يروى بإسناده عن الإمام على بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام).
- ٦- بلاغات النساء لأبى الفضل بن أبى طاهر يروى بإسناده عن عطيه العوفى.
- ٧- كشف الغمه للاربلى ص ١٤٧ يروى عن كتاب السقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى.
- ٨- ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه يروى أيضاً عن الجوهرى.
- ٩- أعلام النساء تأليف عمر رضا كحاله ج ٤ ص ١٢٣.
- ١٠- الشيخ المجلسى فى العاشر من كتابه بحار الأنوار ج ٤٣.

كان الانسب ان يكون هذا البحث قبل خطبها التي خطبت بها للنساء، و لكن رعايه لتوالى خطبها ذكرنا كما سلف.

كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يسير على خطه حكيمه تتفق مع العقل و المنطق و الدين، و ينتهز الفرص لإحقاق حقه و إثبات مظلوميته و إتمام الحجة على ذلك المجتمع، بل و تسجيلها فى سجل التاريخ، كى يعلم ذلك الشعوب التى جاءت بعد ذلك اليوم و إلى يومنا هذا و إلى ما شاء الله.

من الصحيح أن نقول: إن الإمام علياً (عليه السلام) كان يرى لزماً عليه أن يتم الحجة على الناس، و يبين لهم أن الخلافه من حقه الذى جعله الله و رسوله له، حتى إذا كان عالماً أن الناس لا يتجاوبون معه، و هكذا يبين لهم أن فدك من حق السيده فاطمه الزهراء.

فهو - شرعاً خليفه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سواء أذعن له الناس أو لم يذعنوا، و سواء خضع له المجتمع أو لم يخضع و هكذا إن فدك ملكٌ للسيدة فاطمه الزهراء سواء أعطوها حقها أو لا.

و السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) لها المكانه المرموقه و الشخصيه المشهوره فى ذلك المجتمع، فلا بأس لو أن السيده الزهراء تتكلف و تتجشم تأييد زوجها فى إثبات الحق و الحقيقه و المطالبه بحقها، فلا عجب إذا كانت ترافق زوجها العظيم، و ولديها سيدى شباب أهل الجنة، و تستنجد بالصحابه لئلا يكون للناس على الله حجه، لئلا يقولوا: كنا غافلين ناسين أو

جاهلين. و لماذا ما جاءنا عليّ ليدكرنا، ليخبرنا، ليعرفنا الحق و الحقيقه؟ و لهذا كان عليّ (عليه السلام) يحمل السيده فاطمه الزهراء علي أتان، فيدور بها أربعين صباحاً علي بيوت المهاجرين و الأنصار، و الحسن و الحسين معها، و هي تقول:

يا معشر المهاجرين و الأنصار، انصروا الله و ابنه نبيكم، و قد بايعتم رسول الله يوم بايعتموه أن تمنعوه و ذريته مما تمنعون منه أنفسكم و ذراريتكم. ففوا لرسول الله ببيعتمكم!

فما أعانها أحد، و لا أجابها و لا نصرها.

فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل! إني قد جئتكم مستنصره، و قد بايعت رسول الله علي أن تنصره و ذريته، و تمنعه مما تمنع منه نفسك و ذريتك، وإن أبابكر قد غضبني علي فذك و أخرج و كيلي منها.

قال: فمعي غيري؟

قالت: لا، ما أجابني أحد.

قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟

خرجت السيده من دار معاذ و هي تقول له: و الله لا أناز عنك الفصيح من رأسي حتى أريد علي الرسول الله.

و دخل ابن معاذ فقال لأبيه: ما جاء بابنه محمد إليك؟

قال: جاءت تطلب نصرتي علي أبي بكر، فإنه أخذ منها فداً.

قال: فما أجبتها؟

قال: قلت: و ما يبلغ نصرتي أنا و حدي؟

قال: فأبيت أن تنصرها؟

ص: ٤٨٢

قال: نعم!!

قال: فأى شىء قالت لك؟

قال: قالت لى: والله لا أنزعك الفصيح من رأسى حتى أرد على رسول الله.

فقال: أنا والله لا أنزعك الفصيح من رأسى حتى أرد على رسول الله.

و ذكر ابن قتيبة الدينورى فى (الإمامه و السياسه) ص ١٩: قال: و خرج على (كرم الله وجهه) يحمل فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) على دابه ليلاً- فى مجالس الأنصار تسألهم النصره، فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أن زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا به.

فيقول على (كرم الله وجهه) أفكنت أدع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى بيته لم أدفنه، و أخرج أنزع الناس سلطانه؟

فقال فاطمه: ما صنع أبوالحسن إلا ما كان ينبغى له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم.

ص: ٤٨٣

لا أعلم ماذا كان تأثير بكاء السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) في النفوس المريضة حتى شعروا بالانزعاج؟!

و هل بكاء امرأه جالسه في بيتها يسلب الراحة من تلك الشخصيات الفذه!!؟

لقد اجتمع شيوخ أهل المدينة و أقبلوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و وقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمه تبكى الليل و النهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فُرشنا، و لا بالنهار لنا قرار على أشغالنا و طلب معاشنا، و إنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكى ليلاً أو نهاراً.

فاقبل امام على حتى دخل على فاطمه الزهراء و هى لاتفيق من البكاء، و لا ينفع فيها العزاء فلما راته سكنت هنيه فقال لها: يا بنت رسول الله ان شيوخ المدينة يسالوننى ان اسالك اما ان تبكى ليلا او نهارا.

فقلت: يا أبا الحسن ما أقلّ مكثي بينهم! و ما أقرب مغيبى من بين أظهرهم فوالله لا أسكت ليلاً و لا نهاراً أو ألحق بأبى رسول الله (و صلى الله عليه و آله و سلم).

فقال (عليه السلام): افعلى يا بنت رسول الله ما بدا لك! (١).

نعم، إن شيوخ المدينة لا- يعرفون حق رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قدره و منزلته، فلو كانوا يعرفون ذلك لكانوا يشاركون ابنته

ص: ٤٨٤

الوحيد في البكاء و يساعدها في ذرف الدموع على أشرف ميت و أعز فقيد.

و يا ليتهم - حين لم يشاركوها و لم يساعدها - كانوا يسكتون و لا يمنعونها عن البكاء على مصائبها العظيمة.

و لكنهم معذورون، لأن السياسة فرضت عليهم أن يمنعوا حبيبه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) عن البكاء على سيد الأنبياء.

يحق للسيدة فاطمة أن تواصل البكاء على تلك الفاجعه العظمى و الكارثة الكبرى لأجل أناس لهم غايات و أهداف يعلمها الله تعالى.

فبنى لها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بيتاً نازحاً عن المدينة سُمِّي «بيت الأحران» (١) و كانت إذا أصبحت قدّمت الحسن و الحسين أمامها، و خرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها و ساقها بين يديه إلى منزلها.

فليهنأ أولئك المتزعجون عن بكاء فاطمة!! و لترتاح ضمائرهم، و ليناموا على فرشهم ليلاً نومه عميقه هنيئاً بدون أن يشعروا بالأذى من بكاء فاطمة العزيزة. و نرى - هنا - الشعراء يشيرون إلى هذه المأساه التي يظهر فيها الجفاء بأسوأ منظر.

يقول أحدهم:

منعوا البتول عن النياحه إذ غدت

تبكى أباه ليلها و نهارها

قالوا لها: قَرَى فقد آذيتنا

أَنَّى؟ و قد سلب المصاب قرارها

ص: ٤٨٥

١- ٥٥١. قل السمهودي في تاريخ المدينة ج ٢ ص ٩٥: ان الغزالي ذكر استحباب الصلاه في مسجد فاطمه (عليه السلام) بالبقيع، و قال غيره: انه المعروف «بيت الاحزان» لان فاطمه (عليه السلام) اقامت فيه ايام حزنها على ابيها.

و يقول الآخر:

و القائلين لفاطم: آذيتنا

من طول نوح دائم و حنين

و قد رأى أحد علمائنا- و هو السيد باقر الهندي- في المنام الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) فقال له الإمام مشيراً إلى هذه المأساة:

أتراني اتخذتُ لا و علاها

بعد بيت الأحران سرور؟

ص: ٤٨٦

أسفى عليها.

أسفى على شبابها.

أسفى على آلامها.

أسفى على قلبها المتوقد الملتهب.

أسفى على خاطرها المنكسر.

صارت طريحه الفراش، أخذ المرض و الهزال منها كل مأخذ.

و استولى الذبول على تلك الزهره الزهراء.

إنها لا ترجو العلاج و الدواء، و لا تأمل فى البقاء.

إنها تنتظر الموت، تنتظر التخلص من هذه الحياه.

تتمنى أن تلتحق بأبيها الرسول.

لقد اقتربت شمسها نحو الغروب.

لقد كادت شمعته الرسول أن تنطفئ .

لقد ضاقت الدنيا و ضيقت عليها.

تنظر إلى زوجها العظيم، جليس الدار، مسلوب الإمكانات، مغصوباً حقه.

تنظر إلى أملاكها قد صودرت، و إلى أموالها قد غصبت.

استغاثت فلم يغثها أحد، و استنصرت فلم ينصرها أحد.

منعوها عن البكاء على أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أشرف الآباء.

و عن الامام الباقر (عليه السلام) انه كان من دعائها فى شكواها: «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث فأغثنى، اللهم زحزحنى عن النار و أدخلنى الجنة و ألحقنى بأبى محمد.

فإذا قال لها أمير المؤمنين: عافاك الله و أبقاك. تقول: يا أبا الحسن ما أسرع اللحاق برسول الله (١).

و عن الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين (عليهما السلام) قال: لما مرضت فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) وصّت إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) أن يكتُم أمرها و يخفى خبرها، و لا يؤذن أحداً بمرضها، ففعل ذلك، و كان يمرّضها بنفسه و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسار بذلك.... الى آخر الحديث (٢).

يستفاد من هذا الحديث مدى تألم السیده فاطمه الزهراء من ذلك المجتمع الذى عرفت موقفه اتجاه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقد يكون الاستياء عميقاً، فى النفس كالجرح الغائر فى البدن الذى يطول بُرؤه أو لا يبرأ على مرّ الزمان.

و هكذا يزهد الإنسان المتألم فى المجتمع، و يختار الاعتزال عنهم، و بعد أن كان يستأنس بهم صار لا يحب الالتقاء بهم و التحدث معهم.

و إنما يدرك هذه الحاله كل من رأى الجفاء و القساوه من أقاربه أو أصدقائه أو مجتمعه، فإنه ينزعج حتى من رؤيتهم فكيف بالتحدث و المجالسه معهم، و قد يبلغ الأمر بالإنسان أن يملّ الحياه و يفضل الموت كى يستريح من الحياه التى يعيشها مع أهل الجفاء و القسوه.

ص: ٤٨٨

١- ٥٥٢. دلائل الامامه لابن جرير ص ٤٣ ص ٢١٧.

٢- ٥٥٣. بحار الانوار ج ٤٣ عن مجالس المفيد.

اختارت السيدة فاطمه زوجها العظيم ليقوم بتمريضها، و لا أعلم كيفيه تمريض الإمام إياها، فهل كان الإمام يصنع لها طعاماً يليق بالمرضى، أو يتولى هو أمور بيته بنفسه؟

و على كل تقدير، فقد كانت أسماء بنت عميس شرف التعاون في تمريض السيدة فاطمه، و لعل السبب في انتخابها لهذه المهمه هو أنه كانت العلاقات بين السيدة فاطمه الزهراء (عليها السلام) و بين أسماء بنت عميس وُدِّيَّه و طيبه للغاية، إلى درجه أنها كانت تعتبر نفسها من أسره بنى هاشم، و خاصه و أن جعفر بن أبى طالب.

و كانت هى بالذات امرأه عاطفيه، تؤمن بالوفاء و الإنسانيه، و تقدر الحقوق لأهلها. و تلتزم بالقيم و المفاهيم العليا.

و يستفاد من مطاوى التاريخ أنها كانت- بالإضافة إلى ذكائها الوافر و عقلها الوقاد- حسنه الأخلاق، طيبه المعاشره، و كانت السيدة فاطمه الزهراء تبادلها الحب و الموده و الشعور.

و لما قُتل جعفر بن أبى طالب فى غزوه مؤته و بلغ رسول الله الخبر بكى (صلى الله عليه و آله و سلم) و بكت الصحابه، و وصل الخبر إلى حجات الرسول فبكت الهاشميات، و أقبل الرسول و دخل على أسماء فدعى بأولاد جعفر و جعل يمسح على رؤوسهم، و يشمهم و يضمهم إلى صدره، فأحست أسماء بالشر و قالت: يا رسول الله هل بلغك شىء عن جعفر؟

فبكى الرسول و قال لها: احتسبى جعفر فقد قُتل. فبكت و صاحت. و أقبل الرسول إلى دار ابنته فاطمه و قال لها: اصنعى طعاماً لآل جعفر فإنهم مشغولون بالعزاء.

فعمدت السيدة فاطمه إلى الدقيق و عجنته و خبزت خبزاً كثيراً، و عمدت

إلى مقدار من التمر و أرسلت بالخبز و التمر إلى دار آل جعفر.

و الجدير بالذكر أن الرسول لم يأمر إحدى زوجاته و لا سائر الهاشميات بذلك فلعل السبب في ذلك أن الرسول أراد أن يكون هذا الثواب الجزيل من نصيب ابنته فاطمه.

أو أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) اختار لها هذا العمل نظراً للعلاقات الطيبة و السوابق الحسنه و الخدمات الجمه التي أسدتها أسماء بنت عميس إلى أهل بيت الرسول.

فلقد مرّ عليك أن أسماء حضرت عند السيده خديجه ساعه وفاتها، و أنها ساهمت في التدابير التي اتخذت في زواج السيده فاطمه الزهراء، بل و حضرت أسماء عند السيده فاطمه ساعه ولاده الإمام الحسين، و قامت بدور القابله المولّده و ساعدتها بعض النساء أيضاً.

و بالرغم من أنها تزوجت بأبى بكر بعد مقتل زوجها جعفر فإنها استمرت على و لاؤها، و لم تتغير قيد شعره، و حتى بعد وفاه الرسول، و موقف أبى بكر اتجاه أهل البيت كان موقفاً معروفاً.

و بالرغم من الحرب الباردة بين أهل البيت و بين السلطه المتمثله فى أبى بكر فإن أسماء بنت عميس لم تتأثر بعواطف زوجها، و تحدت السلطه تحدياً لا تنقضى عجائبه.

فكيف كان أبوبكر يسمح لها بالذهاب إلى دار على (عليه السلام) لخدمه الزهراء و خدمه أولادها؟

و كيف لم يأمرها بقطع علاقاتها مع أهل البيت فى تلك الظروف الخاصه؟

و على كل حال، فقد كانت السيده فاطمه الزهراء تستأنس بأسماء و تنسجم معها و تسكن إليها، و تبثُّ إليها آلامها، و كأنها أختها، و كأنها

أحب الناس إليها، و أقربهن إلى قلبها.

قالت لها السيدة فاطمه فى أواخر أيام حياتها: كيف أصنع و قد صرت عظماً و قد يبس الجلد على العظم؟

و فى روايه التهذيب عن أبى عبدالله الصادق (عليه السلام) قال..... و قالت فاطمه لأسماء: إني نحت و ذهب لحمى، ألا تجعلين لى شيئاً يسترنى؟

قالت أسماء: إني كنت بأرض الحبشه رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك، فإن أعجبك أصنع لك؟

قالت: نعم.

فدعت (أسماء) بسرير فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه ثم جلّلته ثوباً فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون.

فقالت: اصنعى لى مثله، استرينى سترك الله من النار.

و فى روايه الاستيعاب: فقالت فاطمه: ما أحسن هذا و أجمله لا تعرف به المرأة من الرجل.

و روى انها (عليها السلام) - لمارات ما صورته اسماء - تبسمت، و ما رويت مبتسمه - بعد ابوها - الا يومئذ.

ص: ٤٩١

انتشر خبر مرض السيدة فاطمه الزهراء فى المدينه، و سمع الناس بانحراف صحتها،و لم تكن تشكو السيده فاطمه الزهراء من داء عضال، بل الهموم و المصائب و الآلام هى التى ادت الى استيلاء الهزال و الذبول عليها.

و كثره البكاء على أبيها و على حياتها ساعدت على زوال الطراوه و النضاره عن وجهها.

و الجفاء و الخشونه و المواقف غير المشرفه التى شاهدها من بعض المسلمين، و انقلاب الأمور، و تبدل الأحوال و تغير الأوضاع السياسه و الاجتماعيه لان لها اكبر الاثر عليها.

و لقد حدث لها بين حائط دارها و الباب حوادث أدت إلى سقوط جينها.

و السياط التى أدمت جسمها الطاهر، و تركت فى بدنها آثاراً عميقه. و الضرب المبرح الذى ألّم جسمها و نفسها و روحها.

كل هذه الأمور ساهمت فى انحراف صحتها، و قعودها عن ممارسه أعمالها المتزليه.

انتشر خبر استياء السيدة فاطمه (عليه السلام) من السلطه، و نقيمتها على الذين آزرروا تلك السلطه، و نبذوا وراءهم جميع المفاهيم و القيم، و تناسوا كل آيه من القرآن نزلت في آل الرسول.

و أعرضوا عن كل حديث سمعوه من شفتي الرسول في حق السيدة فاطمه الزهراء و زوجها و ولديها.

و أخيراً تولد شىء من الوعي عند الناس، و عرفوا أنهم مخطئون في تدعيم السلطه الحاكمه التى لا تعترف بها أسره رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

تلك السلطه التى كان موقفها تجاه بنت الرسول موقفاً غير حسن.

و أخيراً انتبه أفراد السلطه للاستياء العام المستولى على القلوب من سوء تصرفاتهم.

فأرادو تغطيه أعمالهم و استدراك ما فات، لذلك قرروا أن يعودوا السيدة فاطمه الزهراء لاسترضائها، و عند ذلك ينتهى كل شىء، و تكون المأساه نسياً منسياً. هكذا تفكروا و تدبروا.

و قد رأينا في زماننا هذا الكثير من المجرمين الذين يعتدون على الأبرياء بالإهانه و التحقير و الاستخفاف و أنواع الظلم و التعذيب، ثم يأتون إلى المظلوم و يعتذرون منه سراً، و هم يحسبون أنهم يغسلون أعمالهم بالاعتذار.

و لكن السيده الزهراء كانت تعرف هذه الأساليب و تعلم كل هذه الأمور.

و إليك الواقعه- كما ذكرها ابن قتيبه في (الإمامه و السياسه ج ١ ص ٤) و عمر كحاله في (أعلام النساء) ٣ ص ٣١٤:

إن عمر قال لأبى بكر (رضى الله عنه): انطلق بنا إلى فاطمه فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمه فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسَلَّما عليها، فلم ترد عليهما- السلام.

فتكلم أبوبكر فقال: يا حبيبى رسول الله! و الله إن قرابه رسول الله أحبُّ إليّ من قرابتى و إنك لأحبّ إلى من عائشه ابنتى، و لو ددت يوم مات أبوك أنى متُّ و لا أبقى بعده، أترانى أعرفك و أعرف فضلك و شرفك، و أمنعك حقك و ميراثك من رسول الله؟

إلا أنى سمعت أباك رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: لا نورث، ما تركناه فهو صدقه.

فقلت: أرايتكما أن حدّثتما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تعرفانه و تفعلان به؟

فقالا: نعم.

فقلت: نشدتكما الله: ألم تسمعاً رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: رضا فاطمه من رضاي، و سخط فاطمه من سخطى، فمن أحب فاطمه ابنتى فقد أحبنى، و من أَرْضى فاطمه فقد أَرْضانى، و من أسخط فاطمه فقد أسخطنى؟

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

قالت: فإنى أشهد الله و ملائكته أنكما أسخطتمانى و ما أرضيتمانى،

ص: ٤٩٤

و لئن لقيت النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لأشكونكما إليه.

فقال أبوبكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه و من سخطك يا فاطمه. ثم انتحب أبوبكر يبكي، حتى كادت نفسه أن ترهق، و هي (فاطمه) تقول: و الله لأدعوك عليك في كل صلاه أصليها.

ثم خرج باكياً، فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقاً حليلته، مسروراً بأهله و تركتموني و ما أنا فيه، لا حاجه لى فى بيعتكم، أقيلوني بيعتى».

العياده بصوره أخرى

فى علل الشرائع: لما مرضت فاطمه (عليها السلام) مرضها الذى ماتت فيه أتاها أبوبكر و عمر عائدين، و استأذنا عليها فأبت أن تأذن لهما، فلما رأى ذلك أبوبكر أعطى الله عهداً أن لا يظله سقف بيت حتى يدخل على فاطمه و يترضاها، فبات فى الصقيع، ما أظله شىء، ثم إن عمر أتى علياً (عليه السلام) فقال له: قد أتيناه (فاطمه) غير هذه المره مراراً نريد الإذن عليها و هي تأبى أن تأذن لنا حتى ندخل عليها فنترضى، فإن رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل.

قال: نعم، فدخل على (عليه السلام) على فاطمه فقال: يا بنت رسول الله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت، و قد تردداً مراراً كثيره و رددتهم و لم تأذنى لهما، و قد سألتنى أن أستأذن لهما عليك.

ف قالت: و الله لا آذن لهما، و لا أكلمهما كلمه من رأسى حتى ألقى أبى فأشكوهما إليه بما صنعاه و ارتكباه منى؛

قال على: فإننى ضمنت لهما ذلك.

قالت: إن كنت ضمنت لهما شيئاً فالييت بيتك، و النساء تتبع

الرجال، لا أخالف عليك بشي ء، فأذن لمن أحببت.

فخرج عليّ فأذن لهما، فلما وقع بصرهما على فاطمه سلّما عليها، فلم تردّ عليهما، وحوّلت وجهها عنهما، فتحوّلا واستقبلا وجهها حتى فعلت مراراً وقالت: يا عليّ جاف الثوب و قالت - لنسوه حولها -: حوّلن وجهي!! فلما حوّلن وجهها حوّلا إليها فقال أبو بكر: يا بنت رسول الله إنما آتيناك ابتغاء مرضاتك و اجتناب سخطك، نسألك أن تغفري لنا و تصفحي عما كان منا إليك.

قالت: لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى أبي و أشكو كما إليه، و أشكو صنيعكما و فعالكما و ما ارتكبتما مني.

ثم التفتت إلى عليّ و قالت: إني لا أكلمهما من رأسي حتى أسألهما عن شي ء سمعاه من رسول الله، فإن صدقا رأيت رأبي.

قالا: اللهم ذلك لها، و إنا لا نقول إلا حقاً و لا نشهد إلا صدقاً.

فقالت: أنشدكما بالله: أتذكران أن رسول الله استخرجكما في جوف الليل بشي ء كان حدث من أمر عليّ؟

قالا: اللهم نعم.

فقالت: أنشدكما بالله هل سمعتما النبي يقول: فاطمه بضعه مني و أنا منها، من آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله، و من آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، و من آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟

قالا: اللهم نعم.

فقالت: الحمد لله. ثم قالت:

اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرنى: أنهما قد آذيانى فى حياتى و عند موتى. و الله لا أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربى فأشكو كما

إليه بما صنعتما به و بي، و ارتكبتما مني.

فدعا أبوبكر بالويل و الثبور و قال: ليت أُمى لم تلدني!!

فقال: عمر: عجباً للناس كيف ولّوك أمورهم و أنت شيخ قد خرفت!! تجزع لغضب امرأه و تفرح برضاها؟ و ما لمن أغضب امرأه؟ و قاما و خرجا.

قال: نعم.

قالت: فهل انت صانع ما أمرك؟

قال: نعم.

قالت: فاني انشدك الله ان لا يصلّيها على و لا يقوم على قبري (١).

أقول: لا- حابه إلى هذا البكاء المرّ الذي أو شكك على إزهاق الروح- على حد تعبير روايه ابن قتيبه- و لا- داعي بأن ينادي أبوبكر بالويل و الثبور و بإمكانه أن يرضى السیده فاطمه بأن يردّ إليها حقوقها، و يرفع يده عن أراضيها، و يعتذر عن أعماله.

و لكن الخليفه يريد أن يبقى على اعتدائه و على موقفه- الذي عرفته- بدون أي تنازل، و في نفس الوقت يريد أن ترضى عنه فاطمه الزهراء!؟.

لا أظن أن أيّ إنسان أو مسلم أو قانون أو شعب يرضى بهذا، و لا أظن أن شريعته أو ديناً أو ضميراً أو وجداناً أو منطقاً يقول بهذا، سوى منطق العنف و الضغط، و منطق القوه و القدره.

و لكن السیده فاطمه أقوى نفساً و روحاً من أن تخضع لهذا المنطق أو بالأحرى: أن تنخدع بهذه المظاهر!؟

ص: ٤٩٧

و هنا سؤال قد يتبادر إلى ذهن القارئ و هو: ما الذى دعا أبابكر أن يلين و يخضع هكذا؟

و ما دعا الزهراء أن تثبت على رأيها، و لا تتضعض عن موقفها؟ لقد أجاب الجاحظ على هذا السؤال، و كفانا مؤونه الجواب قال فى رسائله ص ٣٠٠ «... فإن قالوا: كيف تظن به ظلمها و التعدى عليها، و كلما ازدادت عليه غلظه ازداد لها ليناً و رقة حيث تقول له: و الله لا- أكلمك أبداً، فيقول: و الله لا- أهجرك أبداً، ثم يتحمل منها هذا الكلام الغليظ و القول الشديد فى دار الخلافه و بحضره قريش و الصحابه مع حاجه الخلافه إلى البهاء و التنزيه، و ما يجب لها من الرفعه و الهيبة، ثم لم يمنع ذلك عن أن قال معتذراً متقرباً كلام المعظم لحقها، المكبر لمقامها، الصائن لوجهها، المتحنن عليها: «ما أحد أعز على منك فقراً و لا أحب إلى منك غنى، و لكن سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه»؟؟

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءه من الظلم، و السلامه من الجور. و قد يبلغ من مكر الظالم و دهاء الماكر إذا كان أريباً و للخصومه معتاداً أن يظهر كلام المظلوم و ذلّه المنتصف، و حذب الوامق و مقت المحق... الى آخر كلامه».

ص: ٤٩٨

تعتبر السيدة ام سلمه من خير زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته و بعد مماته.. فلم تؤذ النبي بكلامها او تصرفاتها، و لم تتامر عليه مع ضراتها- كما حدث من بعضهن في قصه المغاير و نزول قوله تعالى: «يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك»-.

بل احسنت صحبته و معاشرته في حياته.

و بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت لها مواقف مشرفه و مشكوره تجاه آل رسول الله، و لم تنحرف عنهم في خضم الاحداث التي عصفت بهذه الذريه الطاهره، بل وقفت موقف المدافع و المحامي و الناصر، و شاركتهم في الآلام و الاحزان.

و لما مرضت السيدة فاطمه (عليها السلام) دخلت عليها ام سلمه عائده لها فقالت: كيف اصبحت عن لبتك (١) يا بنت رسول الله؟ قالت (عليها السلام): اصبحت بين كمد و كرب، فقد النبي و ظلم الوصى.

هتك- و الله- حجاب من اصبحت امامته مقتضيه، على غير ما شرع الله في التنزيل، و سنه النبي في التاويل، و لكنها احقاد بدرية، و ترات احديه (٢) كانت عليها قلوب النفاق متمكنه...» الى آخر كلامها (عليها السلام) (٣).

ص: ٤٩٩

١- ٥٥٥. و في نسخه: علتك

٢- ٥٥٦. ترات: جمه تره- كعده-: الانتقام.

٣- ٥٥٧. المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٠٥.

و الجدير بالذكر: ان السيدة ام سلمه هى الوحيدة- من بين زوجات النبى - التى جاءت لزياره فاطمه الزهراء (عليها السلام) و عيادتها و السؤال عن صحتها.

فاين كانت غيرها من الزوجات؟!

و لماذا لم يشاركنها فى الآلام- و هى البنت الوحيدة لرسول الله-؟!

هذا... و سوف تقرا ان السيدة فاطمه اوصت الى اميرالمومنين (عليهما السلام) ان يخبر ام سلمه بوفااتها.

ص: ٥٠٠

و دخلت عليها عائشه بنت طلحه فقالت: بابي انت و امي: مالذي يبكيك؟

فقالت (عليها السلام) لها: اسألتني عن هنه حلق بها الطائر و حفى بها السائر، و رفع الى السماء امرا، و رزئت فى الارض خبرا؟!!

ان قحيف تيم، و احيول عدى (١) جازيا اباالحسن فى السباق، حتى اذا تفريا بالخنق اسرا له الشنان (٢) و طوياه الاعلان.

فلما خبا نور الدين، و قبض النبى الامين، نطقا بفورهما، و نفثا بسورهما (٣) و ادالا بفدك (٤) فيالها لمن ملك.

انها عطيه الرب الاعلى للنجى الا و فى، و لقد نحلنيها (صلى الله عليه و آله و سلم) للصبيه السواغب من نجله و نسلى، و انها لبعلم الله و شهاده امينه.

فان انتزعا منى البلغه، و منعانى المظه، احتستبها يوم الحشر زلفه، و ليجدنهما آكلوها ساعره حميم فى لظى جحيم (٥).

ص: ٥٠١

١- ٥٥٨. قحيف تصغير قحف، باعتبار ان ابابكر هو ابى قحافه، و قحافه مشتق من القحف و هو جرف ما فى الاناء من ثريد و غيره، فهو كناية عن الجشع و الاكل و الشرب بنهم شديد/ لسان العرب- حرف الفاء. احيول: تصغير احول، و هو الذى فى عينه حول اى: تغيير.

٢- ٥٥٩. الشنان: البغضاء.

٣- ٥٦٠. الفور: الغليان و الاضطراب. نفث: تكلم، و منه: نفث الشيطان على لسانه. السور- بفتح السين و الواو- حده الشى و شدته.

٤- ٥٦١. ادالا: غلبا.

٥- ٥٦٢. كتاب الامالى للشيخ الطوسى ج ١ ص ٢٠٧.

اشتد المرض بسيده نساء العالمين، و ثقلت، فجاءها العباس بن عبدالمطلب عائداً، فقيل له، إنها ثقيه، و ليس يدخل عليها أحد، فانصرف إلى داره و أرسل إلى علي (عليه السلام) فقال لرسوله: قل له: يا ابن أخ! عُمَّكَ يقرئك السلام و يقول لك: لله قد فاجأني من الغم بشكاه حبيبه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قره عينه و عيني فاطمه ما هدّني، و إنني لأظنها أولنا لحوقاً برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يختار لها و يحبها و يزلفها لربه.

فإن كان من أمرها ما لا بدّ منه فاجمع - أنا لك الفداء - المهاجرين و الأنصار حتى يصيبوا الأجر في حضورها و الصلاه عليها، و في ذلك جمال للدين.

فقال علي (عليه السلام) لرسوله - و هو عمار: - أبلغ عمي السلام و قل: لا عدمتُ إشفافك و تحيتك، و قد عرفت مشورتك، و لرأيك فضله، إن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم تزل مظلومه، من حقها ممنوعه، و عن ميراثها مدفوعه، و لم تُحفظ فيها وصيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا رُعي فيها حقه و لا حق الله (عز و جل)، و كفى بالله حاكماً و من الظالمين منتقماً و أنا أسألك يا عم أن تسمح لي بترك ما أشرت به، فإنها و صتني بستر أمرها.

فلما بلغ الرسول كلام علي إلى العباس قال: يغفر الله لابن أخى فإنه

لمغفور له، إنّ رأى ابن أخى لا يُطعن فيه، إنه لم يولد لعبد المطلب مولود أعظم بركه من على إلاّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

إنّ علياً لم يزل أسبقهم إلى كل مكرمه، وأعلمهم بكل فضيله، وأشجعهم فى الكريهه، وأشدّهم جهاداً للأعداء فى نصره الحنيفيه، وأول من آمن بالله ورسوله (١).

ص: ٥٠٣

كانت السيدة فاطمه الزهراء فى ذلك اليوم- اليوم الأخير من حياتها- طريحه على فراشها المتواضع، وقد أخذ الهزال منها كل مأخذ، و ما بقى منها سوى الهيكل العظمى فقط.

نامت السيدة فاطمه فى ساعه من ساعات ذلك اليوم، و إذا بها ترى أباه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المنام، و لعل تلك المره هى الأولى و الأخيره التى رأت الزهراء أباه الرسول فى المنام.

رأت أباه فى قصر من الدر الأبيض، فلما رآها قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هلمى إالىَّ يا بُنَيَّه، فإننى إليك مشتاق!!

فقال: و الله إنى لأشد شوقاً منك إالى لقاءك.

فقال لها: أنت الليله عندى!!

انتبهت من غفوتها، واشتدَّت للرحيل إالى الآخرة، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدَّق الذى قال: «من رآنى فقد رآنى» سمعت منه نبأ ارتحالها فلا مجال للشك و التردد فى صدق الخبر.

فتحت عينها، و استعادت نشاطها، و لعلها كانت فى صحوه الموت و قامت لاتخاذ التدابير اللازمه، و اغتنمت تلك السويعات الأخيره من حياتها.

و يعلم الله مدى انشغال قلبها و تشتت فكرها فى تلك اللحظات، فهى مسروره بالموت الذى سوف يُحلُّ بها، فإنها تستريح من هموم الدنيا

و غمومها، و تلتحق بأبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) حيث الرفيع الأعلى و الدرجات العلا فى مقعد صدق عند
ملكك مقتدر، و تتحقق فى حقها البشرى التى زفّها إليها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يوم قال لها: أنت أول أهل بيتى
لحقاً بى.

و لكنها من ناحيه أخرى: يضطرم قلبها لأنها سوف تترك زوجها العظيم و كفؤها الكريم وحيداً غريباً فى هذه الحياه القاسيه، بلا
ناصر و لا معين سوى الله تعالى، فلقد كانت الزهراء خير محاميه و مدافعه و ناصره لزوجها فى تلك الأحداث، فمن الذى يقوم
مقامها إذا هى فارقت الحياه؟

و مما كان يؤلمها فى تلك السويعات أكثر و أكثر و كان يضغط على قلبها- أنها تفارق أطفالها الصغار، و كأنهم أفرار لم تنبت
أجنحتهم بعد، و قد ذكرنا (فيما مضى) أن من جمله أسمائها: الحانيه، لأنها ضربت الرقم القياسى فى الحنان و العطف على
أولادها، و كانت أكثر أمهات العالم حباً و شفقه على أطفالها الأعزاء.

إنها ستترك أفلاد كبدها أهدافاً لسهام هذا الدهر الخؤون الذى لا يرحم كبيراً و لا صغيراً، و لا وضيعاً و لا شريفاً، و خاصه و أنها
قد سمعت من أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) مرات عديده: أن آل رسول الله هم المستضعفون وأنهم سوف يرون
أنواع الاضطهاد و ألوان المصائب و الذل و الهوان، كما شاهدت هى ذلك بعد وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

و يعلم الله كيف كانت هذه الهواجس و الأفكار تهاجم قلبها المنكسر المتألم. و على كل حال: فالحزن هنا لا يجدى و لا ينفع، و
لا بد من الاستسلام للواقع المر، و التسليم لأمر الله و قضائه و لا بدّ من انتهاز هذه الفرصه القصيره

التي تمر مرّ السحاب.

أقبلت الزهراء تزحف أو تمشى مُتكاه على الجدار نحو الموضع الذى يوجد فيه الماء من بيتها، و شرعت تغسل أطفالها بيديها المرتعشتين، ثم دعت أطفالها و طففت تغسل رؤوسهم بالماء و الطين، لأنها لم تجد غسلاً غير الطين.

قف بنا لحظه!! لنبكي على هذه السیده التي قد اقترب أجلها، و هى تلمس رؤوس أطفالها و أبدانهم النحيفه، و كأنها تودعهم، و ما يدريك أنها- حينذاك- كانت تبكي بصوت خافت، و تتقاطر الدموع من جوانب عينيها الغائرتين، و تسيل على وجهها المنكسف لتغسل الذبول المستولى عليه.

و دخل الإمام على (عليه السلام) البيت، و إذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العله و هى تمارس أعمالها المنزليه.

رَقَّ لها قلب الإمام حين نظر إليها و قد عادت إلى أعمالها المتعبه التي كانت تجهدُها أيام صحتها، فلا عجب إذا سألها من سبب قيامها بتلك الأعمال بالرغم من انحراف صحتها؟

أجابته بكل صراحه: لأن هذا اليوم آخر يوم من أيام حياتي، قمت لأغسل رؤوس أطفالى و ثيابهم لأنهم سيصبحون يتامى بلا أم!!

سألها الإمام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا، فهى بذلك قد نعت نفسها إلى زوجها بما لا يقبل الشك.

وصايا فاطمه الزهراء

إذن، فالسیده فاطمه فى أواخر ساعات الحياه، و قد حان لها أن تكشف زوجها بما أضمرته فى صدرها (طيله هذه المده) من الوصايا التي يجب

ص: ٥٠٦

تنفيذها و لو بأغلى الأثمان و لا يمكن التسامح فيها أبداً، لأنَّ بها غايه الأهميه. كأنها قد فرغت من أعمالها المنزليه و عادت إلى فراشها و قالت: يا ابن عم!! إنه قد نُعيت إلَيَّ نفسي، و إننى لا أرى ما بى إلاَّ أننى لاحقه بأبى بعد ساعه، و أنا أُوصيك بأشياء فى قلبى.

قال لها على (عليه السلام): أوصينى بما أحببت يا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها، و أخرج من كان فى البيت، ثم قالت:

يا بن عم!! ما عهدتنى كاذبه و لا خائنه.

و ما خالفتك منذ عاشرتنى.

قال على (عليه السلام): معاذ الله!! أنتِ أعلم بالله، و أبرُّ و أتقى و أكرم، و أشدُّ خوفاً من الله من أن أُوبَّخَكَ بمخالفتى.

و قد عزَّ علىَّ مفارقتك و فقدكِ.

إلاَّ أنَّه أمر لا بدَّ منه.

و الله لقد جددتِ علىَّ مصيبه رسول الله، و قد عظمت وفاتك و فقدك فإنا لله و إنا إليه راجعون.

من مصيبه ما أفجعها و آلمها، و أمضَّها و أحزنها.

هذه مصيبه لا عزاء منها، و رزیه لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعه، و أخذ الإمام رأسها و ضمه إلى صدره ثم قال:

أوصينى بما شئت، فإنك تجديننى و فياً أمضى كل ما أمرتنى به، و اختار أمرك على أمرى.

فقالت: جزاك الله عنى خير الجزاء.

يا بن عم! أُوصيك أولاً:

أن تتزوج بعدى بابنه أختى أمامه، فإنها تكون لولدى مثلى، فإن الرجال لا بدَّ لهم من النساء.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، فإنهم عدوى و عدو رسول الله، و لا تترك أن يصلى على أحد منهم و لا من أتباعهم، و ادفنى فى الليل إذا هدأت العيون و نامت الأبصار (١).

الوصيه بصوره أخرى:

قالت: يا بن العم! إذا قضيت نحبي فغسلنى و لا تكشف عني، فإنى طاهره مطهره، و حنطنى بفاضل حنوط أبى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و صِلْ علىّ، و ليصل معك الأذننى فالأذننى من أهل بيتى و ادفنى ليلاً لا نهاراً، و سرّاً لا جهاراً، و عَفِّ موضع قبرى، و لا تُشهد جنازتى أحداً ممن ظلمنى.

يا بن العم! أنا أعلم أنك لا تقدر على عدم التزويج من بعدى فإن أنت تزوّجت امرأه اجعل لها يوماً و ليله، و اجعل لأولادى يوماً و ليله.

يا أباالحسن! و لا تُصح فى وجههما فيصبحان يتيمن غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدّا جدّهما و اليوم يفقدان أمّهما، فالويل لأُمّه تقتلهما و تبغضهما، ثم أنشأت تقول:

ابكنى إن بكيت يا خير هادى

و أسبل الدمع فهو يوم الفراق

يا قرين البتول أوصيك با

لنسل فقد أصبح حليف اشتياق

ابكنى و ابك لليتامى، و لا تنس

قتيل العدى بطف العراق

و عن الامام الباقر (عليه السلام) ان فاطمه (عليها السلام) - لما ارادت الوصيه - قالت لاميرالمومنين (عليه السلام):

يا اباالحسن: ان رسول الله عهد الى و حدثنى انى اول اهله لحوقا به،

ص: ٥٠٨

و لا بد مما لا بد منه، فاصبر لامر الله و ارض بقضائه (١).

و روى عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: لما حضرت فاطمه الوفاة، بكت، فقال لها اميرالمومنين: يا سيدى ما يبكيك؟
قالت: ابكى لما تلقى بعدى.

قال لها: لا تبكى، فو الله ان ذالك لصغير عندى فى ذات الله (٢).

و فى روايه: قالت لاميرالمومنين (عليه السلام): ان لى اليك حاجه يا اباالحسن؟ قال: تقضى يا بنت رسول الله.

قالت: نشدتك بالله و بحق محمد رسول الله ان لا يصلى على ابوبكر و عمر (٣).

و فى روايه عن على (عليه السلام) قال: «ان فاطمه (عليها السلام) اوصت الى و قالت:

ان هما صلياً على، شكوتك الى ابي، بمثل الذى اشكوهما (٤) هذه بعض وصايا السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) التى يتجلى فيها مدى تألمها من ذلك المجتمع، و مدى تدمرها من الجفاء القساة.

إنها اختارت أن تسجل اسمها فى طليعه أسماء المضطهدين المحرومين و أن تدوّن اسمها فى سجلّ المظلومين، حتى، اسمها رمزاً للمظلوميه

ص: ٥٠٩

١- ٥٦٥. بيت الاحزان للقمى ص ١٤٢.

٢- ٥٦٦. بحار الانوار ج ٤٣.

٣- ٥٦٧. بيت الاحزان للقمى ص ١٤٢.

٤- ٥٦٨. كتاب كامل البهائى لعماد الدين طبرى ص ٣١٣ هو من علما القرن السابع الهجرى و له مولفات كثيره فى اصول الدين و فروع و فضائل الائمه الطاهرين (عليهم السلام) و كان معاصراً للعلامه الحلى و المحقق الحلى (رضوان الله عليهم اجمعين).

و الحرمان، و ليكون تشييع جثمانها تعبيراً عن سخطها على السلطه و على كل من أيد تلك السلطه و اعترف بها و تعاون معها.
و إعلاناً عن غضبها على كل من وقف من الزهراء موقفاً سلبياً.

أوصت أن يُشيع جثمانها ليلاً و تجرى مراسيم التشييع - من التغسيل و التكفين و الصلاه و الدفن - في جوٍّ من الكتمان.
و أن لا يشترك في تشييع جنازتها إلا أفراد لم تتلوّث ضمائرهم بالانحراف و لم تسوّد صفحاتهم بالانجراف.
أفراد كان موقفهم تجاه السيده فاطمه - خلال فتره الانقلاب - موقفاً إيجابياً مشرفاً.

ص: ٥١٠

و لها وصايا أخرى لزوجها بأن يتعهد قبرها، و يقرأ القرآن عند مرقدها و غير ذلك مما ليست لها أهميه كالبنود السابقه من وصاياها.

ثم طلبت السيده فاطمه من أسماء بنت عميس الحنوط الذى جاء به جبرائيل من الجنه و قالت: يا أسماء ائتنى ببقية حنوط والدى من موضع كذا و كذا، فضعية عند رأسى (١).

و أما الحنوط و هو السدر و الكافور فقد روى عن على (عليه السلام) أنه قال: كان فى الوصيه أن يدفع إلى الحنوط فدعانى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قبل وفاته بقليل: فقال: يا على و يا فاطمه هذا حنوطى من الجنه دفعه الى جبرئيل و هو يقرؤ كما السلام و يقول لكما: اقسماه، و اعزلا منه لى و لكما.

فقلت فاطمه (عليه السلام): يا ابتاه لك ثلثه. و ليكن الناظر فى الباقي على بن ابى طالب.

فبكى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ضمها اليه و قال: موفقه، رشيده، مهديه، ملهمه.

ياعلى قل فى الباقي.

قال: نصف ما بقى، لها؛ و النصف الاخر لمن ترى يا رسول الله!!

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): هو لك (٢).

ص: ٥١١

١- ٥٦٩. بحار الانوار ج ٤٣.

٢- ٥٧٠. مستدرک الوسائل فى احكام الكفن.

ثم دعت السيدة فاطمه سلمى امرأه أبى رافع و قالت لها: هيئى لى ماءً.

و فى روايه: «اسكبى لى غسلاً» ثم دعت بثيابها الجدد فاغتسلت أحسن ما يكون، ثم قالت: افرشى فراشى وسط البيت (١).

أقول: لا أعرف السبب فى اغتسال السيدة فاطمه و تبديل ثيابها و هى فى أواخر ساعات الحياه، بل على أعتاب المنيه.

و لعل السبب فى ذلك (و الله العالم) أنها (عليها السلام) أرادت أن تغسل آثار الجروح الموجوده على عضدها و على ضلعها، تلك الجروح التى حدثت لها عند باب بيتها من الضرب، كما تقدم الكلام عنه.

و هكذا نزع الثياب الملطخه بالدماء و القيح، و لعلها (عليها السلام) أرادت أن تخفى ذلك عن ذويها الذين يحضرون ساعه تغسيلها.

و زعم البعض أنها اغتسلت عوضاً عن غسل الميت، بعد الموت، و أنها أوصت لأن لا تغسل بعد الموت.

و هذا عجيب من المحدثين كيف يذكرون هذه الأسطوره أو الأكذوبه؟ مع العلم أن غسل الميت إنما يجب بعد الموت لا قبل الموت.

نعم، بالنسبه للمحكوم عليهم بالقتل يغتسلون قبل تنفيذ حكم الإعدام عليهم، و ليس هذا المورد من تلك الموارد.

ثم أن الفقهاء إنما استدلوا على جواز تغسيل الزوج زوجته بعد الموت بتغسيل الإمام أمير المؤمنين زوجته السيدة فاطمه (عليها السلام) بعد وفاتها بحيث صار هذا الأمر أوضح من الشمس، و أشهر من أمس، فما فائده ذكر هذا القول الشاذ الذى لا يعاب به أحد؟

ص: ٥١٢

فاطمه الزهراء تفارق الحياه

انتقلت السيدة فاطمه (عليها السلام) إلى فراشها المفروش في وسط البيت، واضطجعت مستقبلة القبلة، واضعه يدها تحت خدّها بعد أن هيأت طعاماً لأطفالها. وقيل: أنها أرسلت بنتيها: زينب و أمّ كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلا تشاهدا موت أمّهما، كل ذلك من باب الشفقه والرأفه، والتحفّظ عليهما من صدمه مشاهدته المصيبة.

و يستفاد من بعض الأحاديث أن الإمام علياً و الحسن و الحسين (عليهم السلام) كانوا خارج البيت في تلك الساعه، و لعل خروجهم كان لأسباب قاهره و ظروف معينه.

و على كلّ حال... فانهم لم يحضروا تلك الدقائق الأخيره من حياه أمّهم، و إنما كانت أسماء حاضره و ملازمه لها، و يُستفاد من بعض الأحاديث أن خادمتها فضّه أيضاً حاضره.

حانت ساعه الاحتضار، و حاله النزاع، و انكشف الغطاء، و نظرت السيدة فاطمه نظراً حاداً ثم قالت:

السلام على جبرائيل.

السلام على رسول الله.

اللهم مع رسولك.

اللهم في رضوانك و جوارك و دارك دار السلام.

ص: ٥١٣

ثم قالت: أترون ما أرى؟

ف قيل لها: ما ترين؟

قالت: هذه مواكب أهل السماوات و هذا جبرئيل، و هذا رسول الله يقول: يا بنيه اقدمي، فما أمامك خير لك.

و فتحت عينيها.... ثم قالت: و عليك السلام يا قابض الأرواح عجل بي و لا تعذبني.

ثم قالت: إليك ربي لا إلى النار.

ثم غمضت عينيها، و مدت يديها و رجليها و فارقت الحياة.

فشقت أسماء جيبها، و وقعت عليها تقبلها و هي تقول: يا فاطمه إذا أقدمت على أبيك رسول الله فأقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

و دخل الحسن و الحسين فوجدوا أمهما مسجاة فقالا: يا أسماء ما يُنيمُ أمنا في هذه الساعة؟

قالت: يا بنى رسول الله ليست أمكما نائمه، قد فارقت الدنيا.

فألقي الحسن نفسه عليها يقبل رجلها و يقول: يا أماه كلميني قبل تفارق روحى بدنى.

و هكذا الحسين كان يقبل رجلها و يقول: يا أماه! انا ابنك الحسين!! كلميني قبل أن يتصدع قلبي فأموت.

قالت لهما أسماء: يا بنى رسول الله انطلقا إلى أبيكما فأخبراه بموت أمكما. فخرجا يناديان: يا محمداه!

اليوم جدد لنا موتك اذماتت امنا.

حتى إذا كانا قرب المسجد رفعنا أصواتهما بالبكاء.

فابتدر إليهما جمع من الصحابه و سألو هما عن سبب بكائهما؟

فقالا: أو ليس قد ماتت أُمنا فاطمه!

فوقع الإمام على (عليه السلام) على وجهه يقول: بمن الغزاء يا بنت محمد؟ كنت بك اتعزى فقيم الغزاء من بعدك؟

قال الراوى: ثم حمل على (عليه السلام) الحسين، حتى ادخلهما بيت فاطمه (عليه السلام) و عند راسها اسماء تبكى و تقول: و ايتامى محمد!

فلما نظر (عليه السلام) الى سيده النساء ميتة، مديده ورمى العمامه من على راسه، و الرداء من على منكبيه، و بكى بكاء شديدا.

ثم كشف (عليه السلام) عن وجهها، فاذا برقعته عند راسها، جاء فيها:

«.... يا على انا فاطمه بنت محمد، زوجنى الله منك، لاكون لك فى الدنيا و الآخرة.

انت اولى بى من غيرى.

حنطنى و غسلنى و كفنى بالليل، و صل على، وادفنى بالليل، و لا تعلم احدا.

و استودعك الله و اقرا على ولدى السلام الى يوم القيامة» (١).

ص: ٥١٥

ارتجت المدينه بالبكاء من الرجال و النساء، و دهش الناس كيوم قُبض فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و صاح أهل المدينه صيحه واحده، و اجتمعت نساء أهل المدينه فى دار السيده فاطمه، فرأينها مسجّاه فى حجرتها، و حولها أيتامها ييكون على أمهم التى فقدوها فى عنفوان شبابها، صرخت النساء صرخه كادت المدينه أن تترزعزع من صراخهن و هن يصحن: يا سيدتاه، يا بنت رسول الله (ﷺ) .

و أقبل الناس مسرعين و ازدحموا- مثل عُرف الفرس- على باب البيت، و على جالس، و الحسن و الحسين بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما.

و جاءت عائشه لتدخل فقالت أسماء: لا تدخلى. فكلّمت عائشه أبابكر فقالت: إن الخثعميه تحول بيننا و بين ابنه رسول الله و قد جعلت لها هودج العروس.

فجاء أبوبكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حملك على إن منعت ازواج النبى ان يدخلن على بنت رسول الله؟ و جعلت لها مثل

ص: ٥١٦

فقلت اسماء: ان فاطمه أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، و أريتها هذا الذي صنعت و هي حيه، فأمرتني أن أصنع لها ذلك.

قال أبوبكر: فاصنعي ما أمرك. ثم انصرف.

و أقبل ابوبكر و عمرالى على (عليه السلام) يعزيانه، و يقولان له: يا أباالحسن لا تسبقنا بالصلاه على ابنه رسول الله.

فلم يجبهما على (عليه السلام).

فقال عمر لابي بكر: ان عليا لا يجينا لشده حزنه (١).

كان الناس ينتظرون خروج الجنازه فأمر على (عليه السلام) أباذر- و قيل سلمان- فتادى: انصرفوا، فإن ابنه رسول الله قد أُخِّر إخراجها في هذه العشي (٢).

فقال عمر لابي بكر: انهم يريدون دفنها سرا، حتى لانشهد جنازتها (٣).

و هكذا تفرق الناس، و هم يظنون أن تشيع الجنازه سيكون صباح غدٍ، إذ أن السيده فاطمه الزهراء فارقت الحياه بعد صلاه العصر، أو أوائل الليل (٤).

مراسم التغسيل و التكفين

مضى من الليل شطره، و هدأت الأصوات، و نامت العيون، ثم قام

ص: ٥١٧

١- ٥٧٤. كامل البهائي لعماد الدين الطبري ج ١ ص ٣١١.

٢- ٥٧٥. اى: ان تشيع الجنازه سيتم في وقت متاخر من الليل، و لهذا قال: قد اخر اخرجها في هذه العيشه، و لم يقل: عن هذه العيشه. الا ان الناس فهمو من كلامه غير ما قصده.

٣- ٥٧٦. كامل البهائي لعماد الدين الطبري ج ١ ص ٣١١.

٤- ٥٧٧. بحارالانوار ج ٤٣.

الإمام لينفذ وصايا السيدة فاطمه.

حمل ذاك الجسد النحيف الذى أذابته المصائب حتى صار كالهلال.

حمل ذلك البدن الطاهر كى يُجرى عليه مراسم السُّنة الإسلامية.

وضع ذلك الجثمان المطهر على المغتسل، و لم يجرد فاطمه من ثيابها تلبية لطلبها، إذ لا حاجة إلى نزع الثوب عن ذلك البدن الذى طهره الله تطهيراً، و يكفى صب الماء على البدن، كما صنع ذلك فى تغسيل النبی الطاهر.

و هناك أسماء بنت عميس، تلك السيدة الوفية الطيبة التى استقامت على علاقاتها الحسنه مع أهل البيت - فهى تناول علياً الماء لتغسيل السيدة فاطمه.

يقول الإمام الحسين (عليه السلام): غَسَلَهَا ثَلَاثًا وَ خَمْسًا، وَ جَعَلَ فِي الْغَسْلَةِ الْآخِرَةِ شَيْئًا مِنَ الْكَافُورِ، وَ أَشْعَرَهَا مِثْرًا سَابِغًا دُونَ الْكُفَنِ (١) وَ هُوَ يَقُولُ:

اللهم إنها أمتك، و ابنه رسولك و صفيك، و خيرتك من خلقتك اللهم لُقْنَهَا حَجَّتَهَا، و أعظم برهانها، و أعل درجاتها، و اجمع بينها و بين أبيها محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) (٢).

و بعد الفراغ من التغسيل حملها و وضعها على أكفانها، ثم نَشَفَهَا بِالْبُرْدَةِ التى نشف بها رسول الله (٣) و حَنَطَهَا بِحَنُوطِ السَّمَاءِ الذى يمتاز عن حنوط الدنيا.

ثم لَفَّهَا فِي أَكْفَانِهَا، وَ كَفَّنَهَا فِي سَبْعَةِ أَثْوَابٍ (٤).

ص: ٥١٨

١- ٥٧٨. الشعار: ماولى شعر جسد الانسان دون ماسواه/ لسان العرب ج ٤ ص ٤١٢.

٢- ٥٧٩. مستدرک الوسائل باب تغسيل الميت ج ٢ ص ١٩٩ الطبعه الحديثه.

٣- ٥٨٠. مستدرک الوسائل، باب تغسيل الميت ج ٢ ص ١٩٩ الطبعه الحديثه.

٤- ٥٨١. مستدرک الوسائل، باب تغسيل الميت.

و إنما قام على (عليه السلام) بتغسيلها، و لم يكلف أحداً من النساء بذلك لأسباب:

١- تلبيه لطلبها، و تنفيذاً لوصيتها.

٢- إثباتاً لعصمتها و طهارتها، فإن تغسيل الميت يعتبر تطهيراً له، و أما بالنسبة للمعصومين فلا يسمح للأيدى الخاطئة أن تمتد لتغسيلهم، و إنما هو من واجبات المعصوم الخاصه أن يقوم بعملية التطهير، و قد مرّ عليك الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) حول كونها صدّيقه، و أن الصدّيقه لا يغسلها إلا صدّيق.

فكان الغرض من تلك الوصيه و تنفيذها إثبات عصمتها، و التنويه بذلك فى شتى المجالات و كافه المناسبات.

و يصرح الإمام (عليه السلام) بذلك حيث يقول: فغسّلتها فى قميصها و لم أكشفه عنها فو الله لقد كانت ميمونه طاهره مطهره... الى آخر كلامه (عليه السلام) (١).

و هناك أحاديث شاذة بلغت القمه فى الشذوذ، فمنها الحديث الذى يذكره الدولابى و غيره أن الزهراء (عليها السلام) اغتسلت قبل وفاتها، و أوصت أن لا يغسلها أحد بعد موتها، و أنها دفنت بلا تغسيل!!

و يأتى بعض علمائنا القدامى ليصحح هذا الخطأ، فيقول: فلعل ذلك كان من خصائصها (عليها السلام).

أقول: و هل تثبت أمثال هذه الأمور ب (لعل) و (ليت) و خاصه مع تصريح الروايات المعتمده و تواتر الأحاديث الصحيحه: أن علياً هو الذى تولّى تغسيلها؟

ص: ٥١٩

أضف إلى ذلك: إن تغسيل الميت المسلم واجب شرعاً.

وداعاً يا أمه

رأى الإمام أن يتامى فاطمه ينظرون إلى أمهم البارّة الحانيه، و هى تلفّ فى أثواب الكفن.

إنها لحظه فريده فى الحياه، لا يستطيع القلم وصفها.

إنها لحظه يهيج فيها الشوق الممزوج بالحنن.

إنه الوداع الأخير الأخير!!

هاجت عواطف الأب العطوف على أطفاله المنكسره قلوبهم، فلم يعقد الخيوط على الكفن، بل نادى - بصوت مختنق بالبكاء -: يا حسن يا حسين يا زينب يا أم كلثوم هلمّوا و تزودوا من أمكم، فهذا الفراق، و اللقاء فى الجنه!!

كان الأطفال ينتظرون هذه الفرصه و هذا السماح لهم لكى يودّعوا تلك الحوراء، و يعبروا عن آلامهم و أصواتهم و دموعهم المكبوتة المحبوسه، فأقبلوا مسرعين، و جعلوا يتساقطون على ذلك الجثمان الطاهر كما يتساقط الفراش على السراج. و نادى الحسان: واحسره لا تنطفىء أبداً، من فقد جدنا محمد المصطفى و امنا فاطمه الزهراء، يا ام الحسن يا ام الحسين اذا لقيت جدنا محمد المصطفى فاقرايه منا السلام و قولى له: انا بقينا بعدك يتيمن فى دار الدنيا.

كانوا يبكون بأصوات خافته، و يغسلون كفن أمهم الحانيه بالدموع، فتجففها الآهات و الزفرات.

ص: ٥٢٠

كان المنظر مشجياً مثيراً للحزن، فالقلوب ملتهبه، والأحاسيس مشتعله و العواطف هائجه، والأحزان تأثره.

و هنا حدث شىء يعجز القلم عن تحليله و شرحه، و ينهار أمامه قانون الطبيعة، و يأتى دور ما وراء الطبيعة، فالقضية عجيبه فى حد ذاتها، لأنها تحدّت الطبيعة و العاده:

يقول على (عليه السلام)- و هو إذ ذاك يشاطر أيتام فاطمه فى بكائهم و آلامهم- يقول: «أشهد الله أنها حنّت و أنت و أخرجت يديها من الكفن، و ضمّتهما إلى صدرها مليّاً».

إن كانت حياه السيده فاطمه الزهراء قد تعطلت فإن أحاسيسها و إدراكها لم تتعطل، و إن كانت روحها الطاهره قد فارقت جسدها المطهر فإن علاقه الروح لم تنقطع عن البدن بعد، فلروحها القويه أن تتصرف فى جسمها فى ظروف خاصه و موارد معينه.

كان ذلك المنظر العجيب مثيراً لأهل السماوات الذين كانت أبصارهم شاخصه نحو تلك النقطه من بيت على (عليه السلام) فلا عجب إذا ضجت الملائكه و شاركت أهل البيت فى بكائهم.

فلا غرو إذا سمع الإمام على صوت أحدهم يهتف قائلاً: يا على! ارفعهما فلقد أبكيا ملائكه السموات و قد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

يتقدم الإمام ليرفع طفليه عن صدر أمهما، و عيناه تذرفان بالدموع.

الصلاه على الجنازه

و انتهت مراسيم التكفين و التحنيط، و جاء دور الصلاه عليها ثم الدفن. لقد حضر الأفراد الذين تقرر أن يشتركوا فى تشييع الجثمان و مراسم

الصلاه و غيرها، و هم الذين لم يظلموا فاطمه، و لم يسكتوا أمام تلك الأحداث، و لم يكن موقفهم موقف المتفرج الذى لم يتأثر بالحوادث.

لقد حضروا فى تلك الساعه المتأخره من تلك الليله خائفين مترقبين، إذ قد تقرر إجراء تلك المراسم ليلاً و سرّاً، و استغلال ظلمه الليل مع رعايه الهدوء و السكوت، كل ذلك لأجل تنفيذ وصايا السيده فاطمه الحكيمه.

لقد حضروا، و هم: سلمان، عمار بن ياسر، أبوذر الغفارى، المقداد، حذيفه، عبدالله بن مسعود، العباس بن عبدالمطلب، الفضل بن العباس، عقيل، الزبير، بريده، و نفر من بنى هاشم، و شيعوا جثمان فاطمه الزهراء- البنت الوحيدى التى تركها الرسول الأقدس بين أُمته- و كأنها امرأه غريبه حامله فقيره فى المدينه، لا يعرفها أحد.

و كأنها لم تكن المنزلز الرفيعه و الشخصيه المثاليه.

هؤلاء هم المشتركون فى تشيع جنازه سيدى نساء العالمين.

و تقدم الإمام على (عليه السلام) و صَلَّى بهم على حبيبى رسول الله، قائلاً: اللهم إنى راضٍ عن ابنه نبيك، اللهم إنها قد أوحشت فآنسها، اللهم إنها قد هُجرت فَصَلِّها، اللهم إنها قد ظُلِّمت فاحكم لها و أنت خير الحاكمين (١).

ثم صَلَّى ركعتين و رفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيك فاطمه أخرجتها من الظلمات إلى النور. فأضاءت الأرض ميلاً فى ميل.

صلى الإمام على (عليه السلام) عليها، إذ أنها كانت معصومه، فيجب أن يصلى عليها المعصوم، فالصلاه على الميت دعاء له بالرحمه. و أما بالنسبه للمعصوم فالدعاء له- أى الصلاه على جثمانه- من واجب المعصوم.

ص: ٥٢٢

هذا من الناحية الشرعية، و أما من ناحية العقل و الحكمه فإن السيده فاطمه الزهراء مع جلاله قدرها، و عظم شأنها ذهبت إلى دار رئيس الدوله يومذاك مطالبه بحقها، فكان موقف الرئيس معها كما عرفت.

ثم حضرت في المسجد و خطبت تلك الخطبه فلم تجد الإسعاف لا من الحاضرين في المسجد، و لا من رئيس الدوله، و قد مرّ عليك أن علياً (عليه السلام) كان يحملها إلى بيوت المهاجرين و الأنصار يستنجدهم لنصره الزهراء فلم يجد منهم إلا الجفاء.

و الكارثه التي حدثت عند باب بيتها تركت في جسمها آثاراً تدوم و تدوم و لا تزول. و مواقف المسلمين اتجاه ابنه الرسول كان لها أثر عميق في نفس السيده فاطمه لكونها إهانته صريحه لها، و ظلماً مكشوفاً و اعتداءً مقصوداً، و إهداراً لكرامتها، و تضييعاً لمقامها الأسمى.

و ليست هذه الأمور من القضايا التي تنسى أو تضيع، فلا بد من تنبيه المعتدين على فظاعه عملهم و تسجيل ذلك في سجل التاريخ، و ذلك عن طريق الاستنكار و التعبير عن الاستياء العميق عن تلك الأعمال.

و إن بنود الوصيه ترمز إلى أن الزهراء عاشت بعد أبيها ناقمه و غاضبه على أولئك الأفراد، و استمرت النقمه و الغضب حتى الموت و بعد الموت و إلى يوم يبعثون.

فلا ترضى السيده فاطمه أن يشيعها تلك العصابه، و لا أن يصلُّوا على جنازتها و لا يشهدوا دفنها، و لا يعرفوا قبرها.

لقد قرأت ان السيده (عليها السلام) اوصت الامام اميرالمومنين (عليه السلام) بان يدفنها ليلا، و ان لا يعلم احدا بموضع قبرها، بل يبقى قبرها مخفياً من يوم وفاتها إلى يوم الفصل الذي كان ميقاتاً ليجلب هذا العمل انتباه المسلمين و على الأخص الحجاج و المعتمرون الذين يزورون قبر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) في المدينه المنوره، و مراقدا الأئمه (عليهم السلام) في البقيع، و يتساءلون عن قبرها فلا يجدون لذلك أثراً و لا خبراً.

فالقبر كان و لا زال مجهولاً عند المسلمين، بسبب اختلاف المؤرخين و المحدثين، فهناك أحاديث تصرّح بدفنها في البقيع، و هناك روايات أنها دفنت في حجرتها و عند توسيع المسجد النبوى الشريف صار قبرها في المسجد.

فإن صح هذا القول فإن صُور القبور التى صَوَّرها الإمام فى البقيع كان لغرض المغالطه، و صرف الأنظار عن مدفنها الحقيقى.

و إن كان الإمام قد دفنها فى البقيع فالقبر كان و لا يزال مجهولاً.

و على كل تقدير: لقد حفروا القبر للسيدة فاطمه،

حفروا مرقداً لتلك الزهره الزهراء، و اللؤلؤة النوراء، و تقدّم أربعة رجال - و هم على و العباس و الفضل بن العباس و رابع (١) - يحملون ذلك الجسد النحيف (٢).

ص: ٥٢٤

١- ٥٨٤. مستدرک الوسائل باب الدفن.

٢- ٥٨٥. مستدرک الوسائل باب الدفن.

و نزل على (عليه السلام) إلى القبر لأنه ولي أمرها، و أولى الناس بأمورها، و استلم بضعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و أضجعها في لحدها، و وضع ذلك الخد الذى طالما تعفّر بين يدي الله تعالى فى حال السجود ذلك الخد الذى كان يقبّله رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى كل ليلة قبل أن ينام.

وضع ذلك الخد على تراب القبر و قال: يا أرض أستودعك و ديعتى، هذه بنت رسول الله.

و عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: ان اميرالمومنين (عليه السلام) لما وضع فاطمه بنت رسول الله فى القبر قال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله و بالله و على مله رسول الله محمد بن عبدالله (صلى الله عليه و آله و سلم).

سَلَّمْتُكَ أَيْتَهَا الصَّدِيقَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِكَ مِنِّى، و رَضِيتُ لَكَ بِمَا رَضَى اللَّهُ تَعَالَى لَكَ.

ثم قرأ: (منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تاره أخرى) (١).

ص: ٥٢٥

دفنوا اول شهيدہ من آل محمد.

لقد دفنو كتله من المواهب و الفضائل.

لقد اخفوا فى بطون التراب الحوراء الانسيه.

و سوى على (عليه السلام) قبرها، و كأنه فى تلك المراحل كان جرحه حاراً، فلا يشعر بالألم، و الإنسان قد يصاب بجراح أو كسر فلا يشعر بالألم فى وقته، و بعد مضى لحظات يشتد به الوجع، و يتركه يصرخ و يصيح.

كان جثمان السيده فاطمه نصب عين على فى تغسيلها وتكفينها و الصلاه عليها و دفنها، و الآن قد غابت الزهراء عن الأبصار، و اختفت عن الأعين.

لقد حان أن يشعر الإمام على بألم المصاب، و يشتد به الوجع أشد ما يمكن. كانت تلك اللحظات الحرجه من تلك الليله مؤلمه و مشجيه، فلقد كان قلب الإمام مضغوطاً عليه بسبب المصيبه.

لقد ماتت فاطمه الزهراء شهيده الاضطهاد، قتيله الظلم و الاعتداء.

و فَقَدَ الإمام بفقدها شريكه حياته، و أَحَبَّ الناس إليه و إلى رسول الله.

فَقَدَ سيدهً فى ريعان شبابها، و مقتبل عمرها، و نضاره حياتها.

فَقَدَ سيدهً انسجمت معه ديناً و دنيا و آخره.

فَقَدَ زوجةً شاركته فى مصائب حياته و مرارتها بكل صير.

فَقَدَ حوراء ليست من مستويات نساء الدنيا.

سوف لا يجد الإمام على وجه الأرض مثلها عصمه و نزاهه و تقوى و علماً و كمالاً و شرفاً، و فضائل و مكارم و غيرها.

فلا يمكن له أن يتسلى بامرأه أُخرى.

و مما زاد في المصيبة، و ضاعف في أبعاد الكارثة أن السيدة أوصت إلى زوجها أن يكون تشييع جثمانها ليلاً و سرّاً، و بإخفاء قبرها بحيث لا يكون لقبرها أثر و لا علامه.

شكوى الى رسول الله

و لهذا هاجت به الأحزان لما نفّض يده من تراب القبر فأرسل دموعه على خديه و حوّل وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ثم قال:

السلام عليك يا رسول الله عني (١).

السلام عليك عن ابنتك و زائرتك (٢).

و البائته في الثرى ببقعتك

و المختار الله لها سرعه اللحاق بك

قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى

و عفى عن سيده نساء العالمين تجلدي (٣).

إلا أن في التأسي لى بسنتك في فرقتك موضع تعز (٤).

فلقد وسدتك في ملحوده قبرك

بعد أن فاضت نفسك بين نحرى و صدرى

و غمضتك بيدى

ص: ٥٢٧

١- ٥٨٧. و في نسخه: السلام عليك يا رسول الله عني و عن ابنتك.

٢- ٥٨٨. و في نسخه: السلام عليك من ابنتك و حبيبتك و قره عينك و زائرتك.

٣- ٥٨٩. و في نسخه: و ضعف عن سيده النساء.

٤- ٥٩٠. و في نسخه: بسنتك، و الحزن الذى حل بى لفراقك موضع التعزى.

و تولّيت أمرَك بنفسى

بلى و فى كتاب الله لى أنعم القبول

إنا لله و إنا إليه راجعون

قد استرجعت الوديعه و أخذت الرهينه

و اختلست الزهراء (١).

فما أقبح الخضراء و الغبراء

يا رسول الله!!

أما حزنى فسرمد

و أما ليلى فمسهد

و هم لا يبرح من قلبى (٢).

أو (٣) يختار الله لى دارك التى أنت فيها (٤) مقيم

كمدّ مقّيح، و همّ مهّيج

سرعان ما فرّق الله بيننا

و إلى الله أشكو

و ستنبوك ابنتك بتضاfer (٥) أمّتك على

و على هضمها حقها

فأحفظها السؤال

ص: ٥٢٨

١- ٥٩١. و فى نسخه: اختلصت و اخلست.

٢- ٥٩٢. و فى نسخه: لا يبرح الحزن من قلبى.

۳-۵۹۳. و فی نسخه: الی ان یختار.

۴-۵۹۴. و فی نسخه: بها.

۵-۵۹۵. و فی نسخه: بتظاهر.

واستخبرها الحال

فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سيلاً

و ستقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين

و السلام عليكما (١) يا رسول الله

سلام مودّع

لا سئم و لا قال (٢).

فإن أنصرف فلا عن ملاله

و إن أقم فلا عن سوء ظن (٣) بما وعد الله الصابرين. واهاً واهاً!!

و الصبر أيمن و أجمل

و لو لا غلبه المستولين علينا

لجعلتُ المقام عند قبرك لزماً

و التلبث عنده عكوفاً (٤).

و لأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية

فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً!!

و يهتضم حقها قهراً!!

و يُمنع إرثها جهراً!!

و لم يَطل منك العهد (٥).

ص: ٥٢٩

١- ٥٩٦. و في نسخه: سلام عليك.

٢- ٥٩٧. و في نسخه: لا قال و لاسئم.

٣- ٥٩٨. و في نسخه: ظنى.

٤- ٥٩٩. و في نسخه: لجعلت المقام و اللبث لزاما معكوبا.

٥- ٦٠٠. و في نسخه: و لم يتباعد العهد.

و لم يخلق منك الذكر

فإلى الله- يا رسول الله- المشتكى

و فيك- يا رسول الله- أجمل الغزاء

فصلوات الله عليها و عليك و رحمه الله و بركاته (١).

و روى ان عليا (عليه السلام)- لمامات فاطمه كان (عليها السلام) و فرغ من جهازها و دفنها- رجع الى البيت فاستوحش فيه و جزع جزعا شديدا، ثم انشا يقول:

ارى علل الدنيا على كثيره

و صاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقه

و كل الذى دون الفراق قليل

و ان افتقادی فاطما بعد احمد

دليل على ان لا يدوم خليل (٢).

و روى عن الامام جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: لما ماتت فاطمه كان على يزور قبرها كل يوم، و اقبل ذات يوم فانكب على القبر و انشا يقول:

مالى مروت على القبور مسلما

قبر الحبيب فلم يرد جوابى (٣).

ص: ٥٣٠

١- ٦٠١. الكافي للكليني و المجالس للمفيد و الامالى للشيخ و نهج البلاغه للرضي.

٢- ٦٠٢. الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي ص ١٤٨.

٣- ٦٠٣. الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي ص ١٤٨.

و أصبح الصباح من تلك الليله فأقبل الناس ليشيعوا جنازه السيده فاطمه فبلغهم الخير أن عزيزه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد دفنت ليلاً و سرّاً.

و كان على (عليه السلام) قد سوّى فى البقيع صُور قبور سبعة أو أكثر، و حيث أن البقيع كان فى ذلك اليوم و إلى يومنا هذا مقبره أهل المدينه، لهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر السيده فاطمه، فأشكل عليهم الأمر، و لم يعرفوا القبر الحقيقى لسيده نساء العالمين، فضج الناس، و لام بعضهم بعضاً، و قالوا: لن يخلف نبيكم إلاّ بنتاً واحده، تموت و تُدفن و لم تحضروا وفاتها و الصلاه عليها، و لا تعرفوا قبرها؟!!!

فلقى المقداد ابابكر و قال له: انا قد دفنا فاطمه البارحه.

فقل عمر المقداد: يا ابابكر الم اقل لك انهم يريدون دفنها سرا؟

فقال المقداد: ان فاطمه اوصت هكذا، حتى لا تصليا عليها (١).

فجعل عمر يضرب المقداد على راسه و وجهه، و اجتمع الناس و انقذوه منه.

فوقف المقداد امامهم و قال:

«ان ابنه رسول الله ماتت والدم يجرى من ضلعها و ظهرها، بسبب الضرب و السوط الذى ضربتموها، و قد رايت ما صنعتُم بعلی، فلا عجب

ص: ٥٣١

إذا ضربتوني» (١).

فقال العباس: انها اوصت ان لا تصليا عليها.

فقال عمر: لا تتركون- يا بنى هاشم- حسدكم القديم علينا ابدًا!!

فقال عقيل: و انتم و الله لاشد الناس حسدا، و اقدم عداوه لرسول الله و اهل بيته.

ثم قال رجال السلطه: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلّي عليها، و نزور قبرها.

أرادوا تنفيذ هذه الخطه كي يزيفوا الخطه التي خططتها السیده فاطمه في وصاياها، و أن يجبطوا المساعي التي بذلها الإمام على (عليه السلام) في إخفاء القبر، و حرمان بعض الناس عن درك ثواب الصلاه على جنازه السیده فاطمه.

و إلا فما معنى نبش القبر لأجل الصلاه على الميت؟

أكانوا يظنون أن علياً دفن فاطمه بلا صلاه؟

هل من المعقول أن يظن أحد ذلك؟

و أى إسلام و أى دين و شريعته يبيح نبش قبر ميت قد صلى عليه ولّيه بأحسن وجه و أكمل صورته، صلى عليه بتصريح و وصيه منه؟؟!

إننى أعتقد أن جرّأهم على هذه المجازفه و خرق الآداب و تحطيم المعنويات هو استضعافهم لأُمير المؤمنين (عليه السلام) فكأنهم قد نسوا أو

ص: ٥٣٢

تناسوا سيف الإمام علي و بطولاته في جبهات القتال، و شجاعته التي شهد بها أهل السماء و الأرض.

إن كان الإمام أمير المؤمنين لم يجرد سيفه في تلك الأحداث و المآسى التي حدثت من بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لأجل توحيد كلمه المسلمين، و عدم تفرقهم عن الدين، فليس معنى ذلك أن يسكت عن كل شىء و أن يصبر على كل عظيمه و رزيه.

و بعبارة أخرى: إن كان علي (عليه السلام) مأموراً بالصبر في موارد معينه و مواطن محدوده فلا يعنى ذلك أن يتحمل كل إهانته و يسكت عليها.

و صل إلى الإمام خبر المؤامره التي يوشك أن تُنفذ، و كان للإمام (عليه السلام) قباء أصفر يلبسه في الحروب، لأن الملابس الفضفاضة الطويله العريضه لا تناسب القتال و إنما تتطلب الحرب ملابس تساعد على سرعه الحركه و الأعمال الحربيه، و كان ذلك القباء من ملابس علي (عليه السلام) الخاصه للحروب.

لبس الإمام القباء الأصفر، و حمل سيفه ذا الفقار و قد احمرت عيناه و درّت أوداجه من شدة الغضب، و قصد نحو البقيع.

سبقت الأخبار علياً إلى البقيع، و نادى مناديهم: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله: لئن حوّل من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الآخر.

تلقى الناس هذا التهديد بالقبول و التصديق، لأنهم عرفوا أن علياً صادق القول، قادر على ما يقول.

و لكن عمر استخف بهذا التهديد و الإنذار و قال: ما لك يا أبا الحسن! و الله لننبشّن قبرها و لنصلّي عليها!!

فَضْرَبَ عَلَى بِيَدِهِ إِلَى جَوَامِعِ ثَوْبِ الرَّجُلِ وَهَزَّهُ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، وَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ السُّودَاءِ! أَمَا حَقِّي فَقَدْ تَرَكْتَهُ مَخَافَهُ أَنْ يَرْتَدَّ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ، وَأَمَّا قَبْرِ فَاطِمَةَ فَوَالَّذِي نَفْسِي عَلَى بِيَدِهِ: لَنْ رُمَتْ وَأَصْحَابُكَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لِأَسْقِيَنَّ الْأَرْضَ مِنْ دِمَائِكُمْ!!

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا أَبَا الْحَسَنِ بِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ وَبِحَقِّ مَنْ فَوْقَ الْعَرْشِ إِلَّا خَلَّيْتُ عَنْهُ، فَإِنَا غَيْرُ فَاعِلِينَ شَيْئاً تَكْرَهُهُ.

فَخَلَّى عَنْهُ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَلَمْ يَعُودُوا إِلَى ذَلِكَ (١).

وَبَقِيَتْ وَصَايَا السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ بَاقِيَةً وَنَافِذَةً الْمَفْعُولُ حَتَّى الْيَوْمِ وَبَعْدَ الْيَوْمِ.

ص: ٥٣٤

١- ٦٠٦. بحار الأنوار ج ٤٣. باب ما وقع عليها من الظلم.

الامام على في تأبين الزهراء

إن كانت العاده و الإنسانيه قد قضت برثاء الميت، فإن السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) تستحق الرثاء بعد وفاتها كما تستحق الثناء في حياتها و بعد مماتها.

و الرثاء تعبير عن الشعور، و إظهار التوجع و التأسف على الفقيد، و بيان تأثير مصيبه فقده على الراثي.

و انطلاقاً من هذا المفهوم فإنه يجدر بالإمام على (عليه السلام) أن يرثي السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) و ييث آلامه النفسيه من تلك الفاجعه المؤلمه، فالإمام يشعر بألم المصائب أكثر من غيره، لأنه يقدر فقيدته حق قدرها، و تأثير الصدمه في نفسه أقوى و أكثر، فلا عجب إذا هاجت أحزانه فقال مخاطباً لسيده النساء فاطمه العزيزه بعد وفاتها قائلاً:

نفسى على زفراتها محبوسه

يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياه و إنما

أبكى مخافه أن تطول حياتى

و قال:

أرى علل الدنيا على كثيره

و صاحبها حتى الممات عليل

ذكرت أبا ودّى فبت كائننى

بردّ الهموم الماضيات و كيل

لكل اجتماع من خليلين فرقه

و كل الذى دون الفراق قليل

و إن افتقادی فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل

و قال:

فراقك أعظم الأشياء عندي

وفقدك فاطم أدهى الشكول

ص: ٥٣٥

سأبكي حسره و أنوح شجواً

على خَلّ مضى أسنى سيل

ألا يا عين جودی و أسعدینی

فحزنی دائم أبکی خلیلی

و قال:

حبيب ليس يعدله حبيبٌ

و ما لسواه فى قلبى نصيب

حبيب غاب عن عینی و جسمی

و عن قلبی حبیبی لا یغیب

و قال مخاطباً للسيدة فاطمه بعد وفاتها:

مالی وقفت على القبور مسلماً

قبر الحبيب فلم یردّ جوابی

أحبيب ما لك لا تردّ جوابنا

أنسیت بعدی خلهً الأحباب (١).

و فى كتاب الانوار العلويه (٢) ما ملخصه:

لما ماتت فاطمه (عليها السلام) احتجب الامام اميرالمومنين (عليه السلام) فى منزله عن الناس، و صار لا يخرج الا للصلاه و زياره قبر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

قال عمار: فمضيت الى دار سيدى و مولای اميرالمومنين، فاستاذنت عليه، فاذن لى، فلما دخلت عليه وجدته جالسا جلسه الحزين الكئيب و الحسن عن يمينه، و الحسين عن شماله، و هو ينظرالى الحسين و يبكى.

فلم املك نفسى دون ان اخذتنى العبره، و بكيت بكاء شديدا، فلما سكن نشيجى قلت:

سيدى اتاذن لى بالكلام؟

قال: تكلم يا ابا اليقظان.

قلت: سيدى انتم تامرون الناس باصبر على المصيبه، فما هذا الحزن الطويل...؟

ص: ٥٣٦

١-٦٠٧. بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢١٦.

٢-٦٠٨. بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢١٦.

فالتفت الى و قال: «يا عمار ان العزاء عن مثل من فقدته لعزيز، انى فقدت رسول الله بفقد فاطمه.

انها كانت لى عزاء و سلوه.

كانت اذا نطقت ملات مسامعى بصوت رسول الله.

و اذا مشت لم تخرم مشيته.

و انى ما احسست بفراق رسول الله الا بفراقها.

و ان اعظم ما لقيت من مصيبتها: انى لما وضعتها على المغتصل. وجدت ضلعا من اضلاعها مكسورا، و جنبها قد اسود من ضرب
السياط، و كانت تخفى ذلك على مخافه ان يشتد حزنى، و ما نظرت عيناي الى الحسن و الحسين الا و خنقتنى العبره، و ما نظرت
الى زينب باكيه الا و اخذتنى الرقه عليها....».

ص: ٥٣٧

ليس من العجيب أن يختلف المؤرخون في تاريخ وفاتها و مقدار عمرها كما اختلفوا في تاريخ ولادتها قبل البعثة أو بعدها، و هكذا الاختلاف في مقدار مكثها في الحياه بعد وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

فاليقوبى يروى أنها عاشت بعد أبيها ثلاثين أو خمسه و ثلاثين يوماً، و هذا أقل ما قيل في مدته بقائها بعد الرسول.

و قول آخر: أربعون يوماً.

و قول ثالث: خمسه و سبعون و هو الأشهر.

و رابع: خمسه و تسعون يوماً و هو الأقوى، و هناك أقوال لا يعبأ بها كالقول بأنها عاشت بعد أبيها سته أشهر أو ثمانية أشهر و هذا أكثر ما قيل في مكثها بعد أبيها (صلى الله عليه و آله و سلم).

و هناك أحاديث وارده عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كانت و لا تزال مورد الاعتبار و الاعتماد.

ففى كتاب (دلائل الإمامه) للطبرى الإمامى بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنها قبضت فى جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنه إحدى عشره من الهجره.

و فى البحار ج ٤٣ عن جابر بن عبدالله: و قبض النبى و لها يومئذ ثمانى عشره سنه و سبعة أشهر.

أيضاً عن الإمام محمد بن عليّ الباقر (عليه السلام): و توفيت و لها ثمانيه عشره سنه و خمسه و سبعون يوماً.

و روى الكليني هذا القول في الكافي.

و على كل تقدير فإن عشرات الآلاف من المجالس و المآتم تقام في البلاد الشيعيه بمناسبه وفاه السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) في المساجد و البيوت و المجامع، و يطعمون الطعام في يوم وفاتها بكل سخاء، و تسمى تلك الأيام ب (الفاطميه) فيرقى الخطباء المنابر و يتحدثون عن السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) و عن حياتها الزاخره بالفضائل و المناقب و المواقف المشرفه، و يختمون كلامهم بذكر بعض مصائبها و آلامها.

ص: ٥٣٩

كان لها سبعة بساتين وقفتها على بنى هاشم و بنى المطلب، و جعلت النظر فيها و الولايه لعليّ (عليه السلام) مده حياته و بعده للحسن و بعده للحسين (عليهما السلام) و بعده للأكبر من ولدها، و كان كتاب الوقف موجوداً عند الإمام الباقر (عليه السلام) كما في كتاب الكافي للكليني - و صورته الكتاب هكذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمه بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بحوائطها السبعة: العواف و الذلال و البرقه و المبيت و الحسنى و الصافيه و ما لأُمّ إبراهيم إلى عليّ بن أبي طالب، فإن مضى فإلى الحسن فإن مضى فإلى الحسن فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من وُلدى.

شهد الله على ذلك و المقداد بن الأسود و الزبير بن العوام و كتب عليّ بن أبي طالب».

و تسال: وصلت هذه البساتين السبع إلى السیده فاطمه الزهراء (عليها السلام)؟ لقد ذكر للسمهودى (١) ان مخيرق اليهودى - و كان من أحبار يهود بنى النضير - أسلم و قُتل يوم أحد، و أوصى ببساتينه السبع إلى النبی (صلى الله عليه و آله و سلم) فأوقفها النبی سنه سبع من الهجره على خصوص فاطمه (عليها السلام) و كان يأخذ منها لأضيافه و حوائجه.

و أوصت لأزواج النبی لكل واحده منهن اثنتا عشر أوقيه، و لنساء بنى هاشم مثل ذلك، و لأُمامه بنت أبى العاص بشىء (٢).

ص: ٥٤٠

١- ٦٠٩. تاريخ المدينة ج ٢ ص ١٥٢.

٢- ٦١٠. دلائل الامامه.

إن كان بعض المسلمين لم يراعوا حرمة سيده نساء العالمين في حياتها، و أذاقوها أنواع الذل و الهوان، و قابلوها بالكبت، و لم يرقبوا فيها كرامتها و لا كرامه أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لم يحفظوا فيها كلام الله تعالى حيث أنزل آيات بينات في حقها و حق زوجها و ولديها سيدي شباب أهل الجنة كآيات التطهير و المباهلة و سوره هل أتى و آيه الموده في القربى.

و كأنهم لم يسمعوا وصيه أبيها في حقها حيث قال: «المرء يُحفظ في وُلده» و قوله: «فاطمه بضعه منى، من آذاها فقد آذاني» و أمثال ذلك من الكلمات التي أوصى بها الرسول أمته بحق ابنته الوحيدة فاطمه الزهراء.

و استنصرتهم فلم ينصروها، و استنجدت بهم فلم يسعفوها، و لم يتكلم منهم متكلم. فإن الله تعالى قد حفظ و يحفظ لفاطمه الزهراء (عليها السلام) مقامها، و لم يبخس من حقها شيئاً، فلقد ذكرها في كتابه المجيد، و أحلّها محلاً لم تدركه أية أنثى في العالم، و قد جعلها الله سيده نساء العالمين.

و بعد هذا كله فإن الله تعالى سيظهر عظمتها لأهل العالم كلهم في يوم القيامة.

في ذلك اليوم الذي يحشر فيه الظالمون و وجوههم مسوّه.

في ذلك اليوم الذي يعصّ الظالم على يديه.

فى ذلك اليوم يجمع الله تعالى فراعنه الأمم، وهم أذلاء حقراء قد أذهلهم الفزع الأكبر، وقد تذكر كل منهم أعماله و مخازيه و موبقاته.

و قرأ اضبارته المليئه بهتك حرمت الله، و ظلم أوليائه و إهدار دماء الأبرياء، و إذلال الصالحين.

فى ذلك اليوم تتبخر الشخصيات الجباره، و تنعدم إمكانيات الطواغيت و تسلب قدره الفراعنه.

فى ذلك اليوم تظهر عظمه الصديقه الطاهره، و منزلتها الساميه عند ربها و جلاله قدرها و عظم شأنها.

إنه يوم عظيم، و عجيب و مدهش و مذهل.

فأنبياء الله يحشرون من قبورهم، و يتجهون نحو المحشر.

و جميع الخلائق على اختلاف أديانهم و ألوانهم و أعمالهم.

و جميع الأمم على اختلاف شرائعهم.

و جميع العالمين «و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً».

و حتى الجنين الذى سقط عن بطن أمه قد استوى إنساناً كاملاً.

أكثرهم عراه و كلهم حفاه.

يجتمعون على صعيد المحشر، و يصطفون صفوفاً تبلغ سبعين ألف صف، تبدأ الصفوف من أقصى المشرق و تنتهى إلى أقصى المغرب.

فى ذلك اليوم تتجلى شخصيه الزهراء عند أهل المحشر.

و إليك بعض الأحاديث التى تشير إلى هذا المعنى، و قد ذكرها جمع غفير من علماء العامه أضف إليها طائفه كبيره من تلك الأحاديث التى رويت عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و ها هى بعض تلك الأحاديث: ١- روى الحاكم النيسابورى فى المستدرک ج ٣ ص ١٥٣ بإسناده عن عليّ (عليه السلام) قال: سمعت النبى (صلی الله عليه و آله و سلم) يقول:

ص: ٥٤٢

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع غَضُّوا أبصاركم عن فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تمرَّ».

و رواه ابن الأثير في (أسد الغابه) ج ٥ ص ٥٢٣ و الكنجى الشافعى في كفايه الطالب ص ٢١٢، و الذهبى في (ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٨) و الهمداني في (موده القربى) ص ١٠٤ مع زياده قال:

٢- عن عليّ (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يا أهل القيامة أغمضوا أبصاركم، لتجوز فاطمه بنت محمد مع قميص مخضوب بدم الحسين. فتحتوى على ساق العرش فتقول: أنت الجبار العدل، اقض بيننا وبين من قتل ولعدي. فيقضى الله بسئتي و ربّ الكعبه.

ثم تقول: اللهم أشفعني فيمن بكى على مصيبتيه، فيشفّعها الله فيهم». و منهم الزرندى في (نظم درر السمطين) و المتقى في كنز العمال ج ١٣ ص ٩٣ و الهيثمى في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢١٢ و ابن الصباغ المالكى في (الفصول المهمه) ص ١٢٧ و ابن أبى الحديد في شرح النهج و ابن حجر العسقلانى في (لسان الميزان) ج ٣ ص ٢٣٧. و السيوطى في (الخصائص) ج ٢ ص ٢٦٥ و (الجامع الصغير) و (التعقيبات). و الكنانى المصرى في (تنزيه الشريعة المرفوعه) و النبهانى في (الفتح الكبير) و (جواهر البحار) و الشافعى في (المناقب) و الملا- علىّ القارى في (جمع الوسائل) و القندوزى في (ينابيع الموده) و الشبراوى في (الإتحاف بحب الأشراف) و الشبلنجى في (نور الأبصار).

٣- و يروى هذا الحديث عن أبى هريره كلّ من:

ص: ٥٤٣

ابى نعيم فى (دلائل النبوه) و ابن حجرالهيثمى فى (الصوائق المحرقه) و غيرهما.

يروى هذا الحديث ايضا عن ابى ايوب الانصارى كل من: من: الخوارزمى فى (مقتل الحسين) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «ينادى مناد من بطنان العرض: يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم و غصّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمه بنت محمد على الصراط.

قال: فتمّر و معها سبعون ألف جاريه من الحور العين كالبرق اللامع». و رواه القرمانى فى (أخبار الدول) و الطبرى فى (ذخائر العقبى) و ابن الصباغ فى (الفصول المهمه) و الصفورى فى (نزهه المجالس) و غيرهم.

و يروى هذا الحديث عن ابن عمر و أبى سعيد الخدرى، و غيرهما.

٤- و قد روى جمع كثير من علماء العامه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن السيده فاطمه الزهراء ترد المحشر على ناقه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الغضباء أو ناقته القصوى.

ص: ٥٤٤

هناك احاديث كثيره- مذكوره فى كتب الشيعة و اهل سنه- تصرح بشفاعه السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) يوم القيامة.

و اليك بعضها فيما يلى:

١- و عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: قلت لأبى جعفر الباقر (عليه السلام): جعلت فداك يا بن رسول الله حدثنى بحديث فى فضل جدتك فاطمه، إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك؟

فقال أبوجعفر (عليه السلام) حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: «إذا كان يوم القيامة تُنصب للأنبياء و الرسل منابر من نور، فيكون منبرى أعلى منابرهم يوم القيامة.

ثم يقول الله: اخطب، فأخطب بخطبه لم يسمع أحد من الأنبياء و الرسل بمثلها. ثم يُنصب للأوصياء منابر من نور، و يُنصب لوصيى على بن أبى طالب فى أوساطهم منبر، فيكون منبره أعلى من منابرهم.

ثم يقول الله: يا علىّ أخطب، فيخطب بخطبه لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها، ثم ينصب لأولاد الأنبياء و المرسلين منابر من نور، فيكون لابنّى و سبطىّ و ريحانتى أيام حياتى منبر من نور، ثم يقال لهما اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء و المرسلين بمثلها!

ثم ينادى المنادى- و هو جبرائيل (عليه السلام)-: أين فاطمه بنت محمد؟

....- فتقوم (عليها السلام).

إلى أن قال:- فيقول الله تبارك و تعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد و عليّ و الحسن و الحسين - (عليهم السلام): لله الواحد القهار.

فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إني قد جعلتُ الكرم لمحمد و عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين!

يا أهل الجمع، طأطئوا الرؤوس، و غصّوا الأبصار، فإن هذه فاطمه تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقه من نوق الجنة، مدّبحه الجنين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها رحل من المرجان، فتُناخ بين يديها، فتركبها، فيبعث الله مائه ألف ملك ليسيروا عن يمينها، و يبعث إليها مائه ألف ملك ليسيروا عن يسارها، و يبعث إليها مائه ألف ملك، يحملونها على أجنحتهم، حتّى يصيروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك و قد أمرتُ بك إلى جنتي؟

فتقول: يا رب أحببتُ أن يُعرف قدرى فى مثل هذا اليوم!

فيقول الله: يا بنت حبيبي! ارجعى فانظرى من كان فى قلبه حبّ لكِ أو لأحد من ذريّتك، خُذى بيده فأدخله الجنة!

قال أبو جعفر - (عليه السلام)-: و الله يا جابر، إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها و محبيها، كما يلتقط الطير الحب الجيّد من الحبّ الردىء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يُلقى الله فى قلوبهم أن يلتفتوا.

فإذا التفتوا يقول الله - تعالى -:

يا أحبائى ما التفاتكم، و قد شفّعت فيكم فاطمه بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحيينا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم؟!

فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا و انظروا:

من أحبكم لحب فاطمه.

انظروا: من أطعمكم لحب فاطمه.

انظروا: من كساكم لحب فاطمه.

انظروا: من سقاكم شربه في حب فاطمه.

انظروا: من ردّ عنكم غيبه في حب فاطمه.

فخذوا بيده، و أدخلوه الجنة..... (١).

٢- و ورد عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين -علياً- (عليه السلام) يقول: دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ذات يوم على فاطمه و هي حزينة، فقال لها: ما حزنك يا بتيه؟

قالت: يا أبة ذكرت المحشر، و وقوف الناس عراه يوم القيامة!

فقال: يا بتيه إنه ليوم عظيم، و لكن قد أخبرني جبرئيل عن الله (عز و جل) أنه قال: «أول من ينشق عنه الأرض يوم القيامة، أنا، ثم بعلك عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم يبعث الله إليك جبرائيل في سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثم يأتيك إسرائيل بثلاث حلل من نور، فيقف عند رأسك، فيناديك: يا فاطمه بنت محمد قومي إلى محشرک.

فتقومين آمنه روعتك، مستوره عورتك، فيناولك إسرائيل الحُلل فتلبسينها، و يأتيك روفائيل بنجيته من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفّه (٢) من ذهب، فتركبينها، و يقود روفائيل بزمامها، و بين يديك سبعون

ص: ٥٤٧

١- ٦١١. بحار الانوار ج ٨ ص ٥١، تفسير فرات بن ابراهيم ص ١١٣.

٢- ٦١٢. محفه بكسر الميم -: مركب للنساء كالهودج.

ألف ملك بأيديهم ألويه التسييح، فإذا جَدَّبَكَ السير استقبلتك سبعون ألف حوراء، يستبشرون بالنظر إليك، بيد كل واحد منهن مجمره من نور، يسطع منها ريح العود من غير نار، و عليهن أكاليل الجواهر، مرَّعه بالزبرجد الأخضر (١).

٣- و عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا كان يوم القيامة تُقْبَل ابنتي فاطمه على ناقه من نوق الجنة..... و عن يمينها سبعون ألف ملك، و عن شمالها سبعون ألف ملك، و جبرئيل آخذ بخطام الناقه ينادى بأعلى صوته:

«غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ» فلا يبقى يومئذ نبي و لا رسول و لا صديق و لا شهيد إِلَّا غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ.....

و تقول: إلهي و سیدی: احکم بیني و بین ظلمني، اللهم احکم بیني و بین من قتل ولدي.

فإذا النداء من قِبَلِ الله جل جلاله: يا حبيبتى و ابنه حبيبى سَلِّنى تُعْطى، و اشفِى تُشَفِّى، فوعزتى و جلالى لا جازنى ظلم ظالم.

فتقول: إلهي و سیدی: ذرِّيتى و شيعتى و شيعه ذرِّيتى، و محببى، و محببى ذرِّيتى.

فإذا النداء من قِبَلِ الله جل جلاله: أين ذريه فاطمه و شيعتها و محبّوها و محبّو ذرّيتها؟

فَيَقْبَلُونَ و قد أحاط بهم ملائكة الرحمه، فتقدمهم فاطمه (عليها السلام) حتى تدخلهم الجنة (٢).

٤- و روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - فى قوله تعالى:

ص: ٥٤٨

١- ٦١٣. بحار الانوار ج ٤٣.

٢- ٦١٤. بحار الانوار ج ٤٣.

«لا يحزنهم الفزع الأكبر و هم اشتت انفسهم خالدون»- قال:

«... فتدخل فاطمه ابنتى الجنة و ذريتها و شيعتها، و من اولاهم معروفاً ممن ليس هو من شيعتها.

«و هم فيما اشتت انفسهم خالدون» هى - و الله- فاطمه و ذريتها و شيعتها، و من اولاهم معروفاً ممن ليس هو من شيعتها» (١).
أيها القارئ الكريم:

بعد ما مرّ عليك من الأحاديث الصحيحه الصريحه بشفاعه السيده فاطمه (عليها السلام) يوم القيامة، تعال وقف معى موقف المتعجب من آراء مستحدثه، و أقوال مبتدعه تتحدى جميع الآيات القرآنيه و الأحاديث النبويه التى تتحدث عن الشفاعه لأولياء الله، فتراهم ينكرون الشفاعه و ينفونها حتى من سيد الأنبياء محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم يحسبون أنهم يدافعون عن توحيد الله تعالى فكأن الشفاعه تناقض التوحيد، أو تدعو إلى الشرك بالله (عز و جل).

اقرا هذه الآيات المباركه ثم أحكم:

«من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه (٢).»

و لا يشفعون إلا لمن ارتضى (٣).

ما من شفيع إلا من بعد إذنه (٤).

لا يملكون الشفاعه إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً (٥).

يومئذ لا تنفع الشفاعه إلا من أذن له الرحمن (٦).

ص: ٥٤٩

١- ٦١٥. تفسير فرات الكوفى.

٢- ٦١٦. لبقره: ٢٥٥.

٣- ٦١٧. الانبياء ٢٨.

٤- ٦١٨. يونس: ٣.

٥- ٦١٩. مريم: ٨٧.

٦- ٦٢٠. طه ١٠٩.

و لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له (١).

و لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء» (٢) هذه الآيات كما تراها تصرّح بالشفاعة بإذن الله، و تثبت الشفاعة للشافعين.

أما تكفى هذه الآيات لإثبات الشفاعة لأولياء الله أيها المسلمون؟

هذه الآيات كما تراها تصرّح بشفاعة أولياء الله فى يوم القيامة.

و أما الشفاعة لهم فى الدنيا فإليك هذه الآية المباركة الصريحة فى تخويل أولياء الله الشفاعة و الدعاء و الاستغفار للناس، قال تعالى:

١- «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» فإن الآية دلت على أن العاصين إذا جاءوا إلى الرسول تائبين، و جعلوا يتوسلون به فى طلب المغفرة من الله، و استغفر عند ذلك لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً، فلو كان الاستشفاع من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) شركاً بالله لما وجدوا الله تواباً رحيماً، لأن الله لا يغفر أن يشرك به.

٢- قوله تعالى حكاية من أولاد يعقوب: «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين» و قول يعقوب «سوف استغفر بكم ربى» فإنه صريح فى سؤالهم و توسلهم بأبيهم إلى الله فى الاستغفار و طلب العفو.

٣- قوله تعالى: «و استغفر لذنبك و للمؤمنين».

٤- «و صلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم».

٥- «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها».

هذا و البحث يحتاج إلى مزيد من التفصيل و لكن الكتاب لا يسع لذلك، بل يحتاج إلى مجال أوسع و الله ولى التوفيق.

ص: ٥٥٠

١- ٦٢١. سبا: ٢٣.

٢- ٦٢٢. النجم: ٢٦.

قال تعالى: «اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيله» (١).

روى الحاكم الحسكاني الحنفى (٢) - فى هذه الآيه -: عن عكرمه قال: هم النبى و على و فاطمه و الحسن و الحسين.

و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ان الله تعالى حين خلق آدم، اراه انوار محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين، ثم اوحى اليه: «هولاء خمسه شققت لهم خمسه اسماء من اسمائى... فانا المحمود و هذا محمد، و انا العالى و هذا على، و انا الفاطر و هذه فاطمه و انا الاحسان و هذا الحسن و انا المحسن و هذا الحسين... فاذا كانت لك الى حاجه فبهولاء توسل».

ثم قال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) «نحن سفينه النجاه، و من حاد عنا هلك، فمن كانت له الى الله حاجه فليسال بنا اهل البيت...» (٣).

و روى ان السيده فاطمه (عليها السلام) قالت: «... و احمدا الذى لعظمته و نوره يبتغى من فى السماوات و الارض اليه الوسيله، و نحن وسيله فى خلقه، و نحن خاصته و محل قدسه، و نحن حجتة فى غيبه، و نحن ورثه انبيائه...» (٤).

ص: ٥٥١

١- ٦٢٣. الاسراء: ٥٧.

٢- ٦٢٤. فى شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٤٢.

٣- ٦٢٥. فرائد السمطين للجوينى الشافعى ج ١ ص ٣٦.

٤- ٦٢٦. شرح نهج البلاغه ج ١٦ ص ٢١١.

و عن الامام العسكري (عليه السلام) قال: «نحن حجه الله على الخلق، و فاطمه حجه، و فاطمه حجه علينا» (١).

و روى ان الامام الباقر (عليه السلام) اصابته الحمى، فكان يتوسل الى الله تعالى - الشفاعة - بالسيدة الزهراء (عليها السلام) و ينادى - باعلى صوته، و هو على فراش المرض - لشفائه - بالسيدة الزهراء (عليها السلام) و ينادى - باعلى صوته، و هو على فراش المرض - يا فاطمه بنت محمد. حتى يسمع صوته عند باب الدار (٢).

و من الامور المجربه لقضاء الحوائج هو ان تقولوا:

«اللهم صل على فاطمه و ابيها و بعلها و بنيتها عدد ما احاط به علمك».

تقولها خمسمائه و ثلاثين مره.

ص: ٥٥٢

١- ٦٢٧. كتاب اطيب البيان.

٢- ٦٢٨. بحار الانوار ح ٤٦.

١- روى عن جابر بن عبدالله الانصارى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «... و من زار فاطمه فكانما زارنى...» (١).

٢- و عن يزيد بن عبدالملك (٢) عن ابيه عن جده قال: دخلت على فاطمه فبداتنى بالسلام ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركه.

قالت: اخبرنى ابى - و هو: ذا- انه من سلم عليه و على ثلاثه ايام، اوجب الله له الجنه.

قلت لها: فى حياتك و حياتك؟

قالت: نعم و بعد موتنا (٣).

٣- و روى عن الامام على (عليه السلام) عن فاطمه (عليها السلام) قالت: قال لى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا فاطمه من صلى عليك غفر الله له، و الحقه بى حيث كنت من الجنه (٤).

ص: ٥٥٣

١- ٦٢٩. بشاره المصطفى.

٢ - ٦٣٠. الظاهر انه النوفلى، من اصحاب الامام الباقر (عليه السلام) ذكره المامقانى فى رجاله، و ليس المقصود يزيد بن عبدالملك المروانى، لان اباه و جده كانا منفيين من المدينه المنوره الى الطائف، لبغضمهما لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و لم يعودا الى المدينه الا فى عهد عثمان.

٣- ٦٣١. التهذيب.

٤- ٦٣٢. كشف الغمه.

و قد روى السيد ابن طاووس هذه الزيارة للسيدة الزهراء (عليها السلام) وقال: روى ان من زارها بهذه الزيارة، و استغفر الله غفر الله له و ادخله الجنة.

و الزيارة هي:

«السلام عليك يا سيده نساء العالمين، السلام عليك يا والده الحجج على الناس اجمعين، السلام عليك ايها المظلومه الممنوعه حقها».

ثم قل: «اللهم صلى على امتك و ابنه نبيك و زوجه وصى نبيك، صلاه تزلفها فوق زلفى عبادك المكرمين من اهل السماوات و الارضين» (1).

و هناك زيارة اخرى مرويه عن الامام محمد الجواد (عليه السلام) و لها (عليها السلام) زيارات اخرى ايضا المذكوره في كتب الدعاء و الزيارات.

ص: ٥٥٤

مواكب الشعراء فى رثاء السيده الزهراء

إن عظمه السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) و فضائلها و مزاياها و مصائبها و ما رأت من الضغط و الكبت و الاضطهاد كانت كافيه لتهييج العواطف الجياشه تجاهها، فلا عجب إذا طفق الشعراء ينثرون مدائحهم للسيداه فاطمه- بمختلف اللغات- و يعبرون عن شعورهم و حبههم و مودتهم اياها.

و ذلك حينما اهترت ضمائرهم، فتفتحت قرائحهم، و فاضت أحاسيسهم فطفقوا يثنون على السيده فاطمه الزهراء أحسن الثناء، و يرثونها بأوجع الرثاء.

و أى شاعر يشعر بالآلام السيده فاطمه الزهراء و لا يهيج شعوره؟

و أى إنسان يدرك مواهب السيده فاطمه الزهراء و مزاياها و لا يعبر عن مشاعره؟ إلا أن يكون شعوره متحجراً، أو إدراكه معطلاً أو أحاسيسه راكده و جامده.

إن جمال حياه السيده فاطمه الزهراء يأخذ بمجامع قلب كل حر، و كل قلبٍ حرٍ سليم. و لقد كان للشعراء مواقف مشكوره مذكوره تجاه سيدتنا فاطمه الزهراء و أخص منهم شعراء القرون الأخيره فلقد سجلوا أروع آيات الولاء بأجمل تعبير، و صبّوها فى قالب النظم و القريض مدحاً و رثاءً، و كفاهم بذلك ثمناً للجنه التى وُعد المّتّقون.

ص: ٥٥٥

فإنَّكَ تجد الأدب الرفيع و المستوى الأعلى و التعبير الأجل الأرقى فى كل بيت من كل قصيده، و كأن كل بيت منها هو بيت القصيد.

و إليك طائفه من باقات الولاء التى سجلها الشعراء فى ديوان التاريخ الخالد: ١- لقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الأزرى (تغمده الله برحمته) حيث قال:

نقضوا عهد أحمد فى أخيه

و أذاقوا البتول ما أشجاها

يوم جاءت إلى عدى و تيم

و من الوجد ما أطال بكاهها

فدنت و اشتكت إلى الله شكوى

و الرواسى تهتت من شكواها

لست أدرى إذروعت و هى حسرى

عاند القوم بعلمها و أباهها

تعط القوم فى أتم خطاب

حكى المصطفى به و حكاها

هذه الكتب فاسألوها تروها

بالمواريث ناطقاً فحواها

و بمعنى (يوصيكم الله) أمر

شامل للأنام فى قرباهها

فاطمات لها القلوب و كادت

أن تزول الأحقاد ممن طواها

: أيها القوم راقبوا الله فينا

نحن من روضه الجليل جناها

و اعلّموا أنّا مشاعر دين الله

فيكم فأكرموا مثواها

و لنا من خزائن الغيب فيض

ترد المهتدون منه هداها

أيها الناس أيّ بنت نبّي

عن موارثه أبوها زواها؟

كيف يزوي عني تراثي عتيق

بأحاديث من لدنه افتراها

كيف لم يوصنا بذلك مولانا؟

وتيمّا من دوننا أوصاها؟

هل رآنا لا نستحق اهتداء

و استحققت تيم الهدى فهداها؟

أم تراه أضلنا في البرايا

بعد علم لكي نصيب خطاها؟

انصفوني من جائرين أضاعا

حرمه المصطفى و ما رعاها

٢- و لشيخ الفقهاء و الفلاسفه آيه الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني (رحمه الله) في مدح الزهراء (عليها السلام) و رثائها:

جوهره القدس من الكنز الخفي

بدت فأبدت عالياً الأحرف

و قد تجلى من سماء العظمه

في عالم الأسماء أسمى كلمه

بل هي أمُّ الكلمات المحكمه

في غيب ذاتها، فكانت مبهمه

أم أئمه العقول الغرّ، بل

(أم أبيها) و هو علّه العلل

روح النبي في عظيم المنزله

و في الكفاء كفوء من لا كفو له

تمثّلت رقيقه الوجود

لطيفه جلّت عن الشهود

تطوّرت في أفضل الأطوار

نتيجه الأدوار و الأكوار

تصوّرت حقيقه الكمال

بصوره بديعه الجمال

فإنها الحوراء في النزول

و في الصعود محور العقول

يمثّل الوجوب في الإمكان

عيانها بأحسن العيان

فإنَّها قطب رحي الوجود

في قوسى النزول و الصعود

و ليس في محيط تلك الدائره

مدارها الأعظم إلاَّ (الطاهره)

مصونه عن كل رسم و سمه

مرموزه في الصحف المطهره

(صدّيقه) لا مثلها صدّيقه

تفرغ بالصدق عن الحقيقه

بدا بذلك الوجود الزاهر

سرّ ظهوره الحقّ في المظاهر

هى (البتول) الطهر و (العذراء)

كمريم الطهر، و لا سواء

فإنَّها سيده النساء

و مريم الكبرى بلا خفاء

بُشراك يا أبا (العقول العشره)

بالبضعه الطاهره المطهره

مهجه قلب عالم الإمكان

و بهجه الفردوس في الجنان

غُرَّتْها الغُزاء مصباح الهدى

يُعرف حسن المنتهى بالمبتدأ

ص: ٥٥٧

و فى محيّاها بعين الأولياء

عينان من ماء الحياه و الحياه

بُشراك يا خلاصه الإيجاد

بصفوه الأنجاد و الأمجاد

أم الكتاب و ابنه التنزيل

ربّه بيت العلم بالتأويل

بحر الندى و مجمع البحرين

قلب الهدى و مهجه الكونين

واحدّه النبى أوّل العدد

ثانيه الوصى نسخه الأحد

و مركز الخمسه من أهل العبا

و محور السبع علوّاً و إبا

لك الهنا يا سيّد البريه

بأعظم المواهب السّتيّه

أُتاك طاووس رياض الأنس

بنفحه من نفحات القدس

من جُتّه الأسماء و الصفاء

جلّت عن المديح و الثناء

فارتاحت الأرواح من شميمها

و اهترت النفوس من نسيمها

بها انتشى فى الكون كل صاح

و طابت الأشباح بالأرواح

تحىى بها الأرض و مَنْ عليها

و مرجع الأمر غداً إليها

لهفى لها لقد أضيع قدرها

حتى توارى بالحجاب بدرها

تجرّعت من غصص الزمان

ما جاوز الحدّ من البيان

و حبّها من الصفات العاليه

عليه دارت القرون الخاليه

تبّلت عن دنس الطبيعه

فيا لها من رتبه رفيعه

مرفوعه الهمه و العزيمه

عن نشأه الزخارف الذميمه

فى أفق المجد هى الزهراء

للشمس من زهرتها الضياء

بل هى نور عالم الأنوار

و مطلع الشموس و الأقمار

رضيعه الوحى من الجليل

حليفه لمحكم التنزيل

مفطومہ عن زلل الأهواء

معصومه عن وصمه الخطاء

معربه بالستر و الحياء

عن غيب ذات بارئ الأشياء

(راضيه) بكل ما قضى القضاء

بما يضيق عنه واسع الفضاء

ص: ۵۵۸

(زكيه) عن و صمه القيود

فهى غتيه عن الحدود

يا قبله الأرواح والعقول

و كعبه الشهود و الوصول

من بقدمها تشرفت (منى)

و من بها تدرك غايه المنى

و بابها الرفيع باب الرحمه

و مستجار كل ذى ملّمه

و ما الحطيم عند باب فاطمه

بنورها تطفأ نار الحاطمه

و بيتها المعمور كعبه السما

أضحى ثراه للثريا ملثما

و خدرها السامى رواق العظمه

و هو- مطاف الكعبه المعظمه

حجابها مثل حجاب البارى

بارقه تذهب بالأبصار

تمثل الواجب فى حجابها

فكيف بالإشراق من قبابها

يا دره العصمه وا لولايه

من صدف الحكمه و العنايه

فالكوكب الدرّى فى السماء

من ضوء تلك الدرّه البيضاء

والتّير الأعظم منها كالسّها

كيف ولا حدّ لها ومنتهى

أشرقت العوالم العلويه

بنور تلك الدرّه البهيّه

يا دوحه حازت سنام الفلك

بل جاوز السدره فرعها الزكى

يا دوحه أغصانها تدلّت

بموضع فيه العقول ضلّت

دنت إلى مقام (أو أدنى) فلا

تبتغ من ذلك أعلى مثلاً

يا شجره الطور و أين الشجره

من دوحه المجد الأثيل المثمره؟

و إنما السدره و الزيتونه

عنوان تلك الدوحه الميمونه

أثمارها الغرّ مجالى الذات

مظاهر الأسماء و الصفات

مبادئ الحياه فى البدايه

و منتهى الغايات للنهايه

أثمارها عزائم القرآن

في صفحات مصحف الإيمان

أثمارها منابت للمعرفة

من جنة الذات غدت مقتطفه

ص: ٥٥٩

لك الهنا يا (سيد الوجود)

فى نشآت الغيب و الشهود

من تعالى شأنها عن مثل

كيف و لا تكرار فى التجلى

و لا يتشئ هيكل التوحيد

فكيف بالنظير و النديد

و ملتقى القوسين نقطه، فلا

ترى لها ثانيه أو بدلا

وحيده فى مجدها القديم

فريده فى أحسن التقويم

و ما أصابها من المصاب

مفتاح بابه (حديث الباب)

إن حديث الباب ذو شجون

مما به جنت يد الخؤون

أيهجم العدى على بيت الهدى

و مهبط الوحى و متدى الندى؟

أيضرم النار بباب دارها

و آيه النور علا منارها

و بابها باب نبى الرحمه

و باب أبواب نجاه الأمه

بل بابها باب العلى الأعلى

فثم وجه الله قد تجلّى

ما اكتسبوا بالنار غير العار

و من ورائه عذاب النار

ما أجهل القوم فإن النار لا

تطفئ نور الله جل و علا

و إن كسر الضلع ليس ينجر

إلاّ بصمصام عزيز مقتدر

إذ رضّ تلك الأضلع الزكيه

رزيه لا مثلها رزيه

و من نبوع الدم من ثدييها

يُعرف عظم ما جرى عليها

و جاوز الحد بلطم الخدّ

شلت يد الطغيان و التعديّ

فاحمرت العين، و عين المعرفه

تذرف بالدمع على تلك الصفه

و لا تزيل حمره العين سوى

بيض السيوف يوم ينشر اللوى

و للسياط رنه، صداها

فى مسمع الدهر، فما أشجاها

و الأثر الباقي كمثل الدمج

فى عضد الزهراء أقوى الحجج

و من سواد منها أسودّ الفضا

يا ساعد الله العلى المرتضى

ص: ٥٦٠

وو كز نعل السيف فى جنبها

أتى بكل ما أتى عليها

و لست أدرى خبر المسمار

سل صدرها خزانة الأسرار

و فى جنين المجد ما يُدمى الحشا

و هل لهم إخفاء أمر قد فشا

و الباب و الجدار و الدماء

شهود صدق ما به خفاء

لقد جنى الجانى على جنبها

فاندكت الجبال من حينها

اهكذا يُصنع بابنه النبى

حرصاً على الملك فيا للعجب؟

أُتمنع المكروبه المقروحه

عن البكاء خوفاً من الفضيحه

تالله ينبغى لها تبكى دماً

ما دامت الأرض و دارت السما

لفقد عزها: أبيها السامى

و لاهتضامها و ذُلّ الحامى

أُستباح نحلّه الصديقه

و إرثها من أشرف الخليفه؟

كيف يُردّ قولها بالزور

إذ هو ردّ آيه التطهير؟

أيؤخذ الدين من الأعرابي

و ينبذ المنصوص بالكتاب؟

فاستلبوا ما ملكت يداها

و ارتكبوا الجريمة مُنتهاها

يا ويلهم قد سألوها البيّنه

على خلاف السنّه المبيّنه

و ردّهم شهاده الشهود

أكبر شاهد على المقصود

و لم يكن سدّ الثغور غرضاً

بل سدّ بابها و باب المرتضى

صدّوا عن الحق و صدّوا بابه

كأنّهم قد أمنوا عقابه

أبضعه الطهر، العظيم قدرها

تدفن ليلاً و يعفّى قبرها

ما دُفنت ليلاً بستر و خفا

إلّا لوجدّها على أهل الجفا

ما سمع السامع فيما سمعا

مجهوله بالقدر و القبر معاً

يا ويلهم من غضب الجبار

بظلمهم ريحانه المختار

ص: ٥٦١

٣- لبعض الشعراء المتأخرين:

إن قيل حواء قلت: فاطم فخرها

أو قيل مريم قلت: فاطم أفضل

أفهل لحوّا والد كمحمد؟

أم هل لمريم مثل فاطم أشبُّل

كلُّ لها حين الولاده حاله

منها عقول ذوى البصائر تذهل

هذى لنخلتها التجت فتساقطت

رطباً جنياً فهى منه تأكل

وضعت بعيسى و هى غير مروعه

أنّى و حارسها السرى الأبل

و إلى الجدار و صفحه الباب التجت

بنت النبى فأسقطت ما تحمل

سقطت و أسقطت الجنين و حولها

من كل ذى حسب لئيم جحفل

هذا يعنفها و ذاك يدعها

و يردها هذا و هذا ير كل

و أمامها أسد الأسود، يقوده

بالجبل فنفض هل كهذا معضل

و لسوف تأتى فى القيامه فاطم

تشكو إلى رب السماء و تعول

و لترفعنّ جنينها و حنينها

بشكايه منها السماء تتزلزل

ربّاه! ميراثي و بعلي حقّه

غصبوا، و أبنائي جميعاً قُتلوا

فرخاى: ذا بالسُّمّ أمسى قلبه

قطعاً، و هذا بالدماء مغسّل

٤- و من قصيده لبعض أشراف مكه نقتطف منها بعضها:

و أتت فاطم تطالب بالآر

ث من المصطفى فما و رثاها

ليت شعري لم خولفت سنن

القرآن فيها؟ و الله قد أعلاها

نُسخت آيه المواريث منها

أم هُما بعد فرضها بدّلاها؟

أم ترى آيه الموده لم تأت

بوّد الزهراء فى قرباها

ثم قالوا: أبوك جاء بهذا

حجه من عنادهم نصبها

قال: للأنياء حكم بأن لا

يُورثوا فى القديم و انتهرها

أَفَينْتُ النّبي لم تدر إن كان

نبي الهدى بذلك فاها؟

ص: ٥٦٢

بضعه من محمد خالفت ما

قال؟ حاشا مولاتنا حاشاها

سمعته يقول ذاك و جاءت

تطلب الإرث ضلّة و سفاها؟

هي كانت لله أتقى و كانت

أفضل الخلق عفة و نزاها

أو تقول: النبي قد خالف القرآن؟

ويح الأخبار ممن رواها

سل بإبطال قولهم سورة النمل،

و سل مريم التي قبل طه

فهُما ينبئان عن إرث يحيى

و سليمان من أراد انتباها

فدعت و اشتكت إلى الله من ذاك

و فاضت بدمعها مقتلها

ثم قالت: فَنَحْله لى من والدى

المصطفى فلم ينحلاها

فأقامت بها شهوداً فقالوا:

بعلمها شاهد لها و ابناها

لم يجيزوا شهاده أبني رسول

الله هادى الأنام إذ ناصباها

لم يكن صادقاً عليّ و لا فاطمه

عندهم و لا ولداها

جرّعاها من بعد والدها

الغيظ مراراً فبئس ما جرّعاها

ليت شعري ما كان ضرّهما الحفظ

لعهد النبي لو حفظاها؟

كان إكرام خاتم الرسل الها

دى البشير النذير لو أكرماها

و لكان الجميل أن يقطعهاها

فدكاً، لا الجميل أن يقطعهاها

أترى المسلمين كانوا يلومو

نهما فى العطاء لو أعطياها؟

كانت تحت الخضراء بنت نبي

صادقٍ ناطقٍ أمينٍ سواها؟

بنت من؟ أم من؟ حليله من؟

ويل لمن سنّ ظلمها و أذاها

شيعت نفسها فى أجرها أم عناداً

لأبيها النبي لم يتبعهاها؟

أم لأن البتول أوصت بأن لا

يشهدا دفنها فما شهداها

لا نبى الهدى أطيع، ولا فاطمه

أُكرمت ولا حسنها

.... إلى آخر القصيده.

ص: ٥٦٣

أيها القارىء الكريم

لقد قضينا معك فتره من الزمان فى رحاب السيده فاطمه الزهراء عليها السَّلام و ذكرنا الشئىء اليسير مما يتعلق بحياه سيده نساء العالمين.

و اعلم أننا- لم نذكر إلا- بعض المقتطفات من ترجمه السيده الزهراء، فلو أردنا أن نذكر- هنا- ما سجلته التواريخ و احتوته موسوعات الأحاديث لكان هذا الكتاب أضعاف هذا الحجم من حيث غزاره المواد، و لكننا اكتفينا هنا بما يسهل قبوله و لا يعسر على العقول هضمه و لا يصعب على النفوس تحمّله، و لئلا يتهمنا المتهمون بالغلو و الإفراط.

و بعد هذا كله فإننى أقبل كل نقدٍ علمى أو أدبى أو تاريخى بكل ترحيب و تقدير، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد كاظم القزوينى

كربلاء المقدسه - العراق

١٣٩٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات ...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١. JAVA

٢. ANDROID

٣. EPUB

٤. CHM

٥. PDF

٦. HTML

٧. CHM

٨. GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١. ANDROID

٢. IOS

٣. WINDOWS PHONE

٤. WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصحان
الغمامي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

